

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الجمعية العلمية السعودية
لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب



مجلة الدراسات العقائدية

مجلة علمية محكمة متخصصة

العدد ٢٤ - السنة الثانية عشرة - محرم ١٤٤١هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة
لمجلة الدراسات العقدية

ردمد - النسخة الورقية: ١٦٥٨-٥١٦X

رقم الإيداع: ١٤٣٠/ ٧٦١٧

ردمد - النسخة الإلكترونية: ١٦٥٨-٨٤٠١

رقم الإيداع: ١٤٤١/ ٢٠٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير

جوال: ٠٥٥٢٥٣٤٢٨٢

هاتف: ٠١٤٨٤٧١١٥٥

فاكس: ٠١٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الالكتروني

aqeedaamm@gmail.com

تعريف بالمجلة

مجلة الدراسات العقديّة: مجلة علمية محكمة تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، بإشراف الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، تختصّ بنشر البحوث والدراسات العلمية والمخطوطات المحقّقة، المتخصّصة في حقل علوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب الفكرية؛ يتولّى تحريرها هيئة علمية مختصة مكونة من عدد من أساتذة جامعيين، تجيز نشر البحث بموافقة اثنين من المختصين، صدر أول عدد من المجلة في محرّم ١٤٣٠هـ، وتصدر دورياً بواقع عشرين سنوياً.

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقديّة

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

- ١ - أن لا تكون مشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ٢ - أن تكون خاصة بالمجلة.
- ٣- أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ٤ - أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.
- ٥ - أن تكون في مجال تخصص الجمعية.
- ٦ - أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).
- ٧ - أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.
- ٨ - أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.
- ٩ - أن تصدر بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتعريف بها.
- ١٠ - أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبين عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.
- ١١ - أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.
- ١٢ - تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج: الورد xp أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: *Lotus Linotype*.

ج- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

د- مقياس الصفحة الكلي: ١٢ سم × ٢٠ سم = (إعداد الصفحة: ٥ أعلى، ٤.٧٥ أسفل، ٤.٥ أيسر وأيمن).

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود.

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢ غير مسود.

ز- رأس الصفحة: ١٢ أسود.

ح- العنوان الرئيسي: ١٨ أسود.

ط- العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه + ١٥ مستلّة منه.

مَجَلَّةُ الدِّرَاسَاتِ الْعَقْدِيَّةِ

هيئة التحرير

رئيس التحرير:

أ.د. صالح بن محمد العقيل

مدير التحرير:

د. فهد بن عيسى العنزي

الأعضاء:

أ.د. يوسف بن محمد السعيد

أ.د. عبد الله بن عيسى الأحمدي

أ.د. بدر بن مقبل الظفيري

د. أطفاف الرحمن بن ثناء الله

أمين المجلة:

بوفلجة بن عباس

**المواد المنشورة
في المجلة
تعبّر عن آراء أصحابها**

محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

- ❖ دلالة المطر على توحيد الله تعالى والمسائل المتعلقة بها
نورة عبد الله سلطان الشهري ١٣
- ❖ المسائل العقيدية المتعلقة بالبيت المعمور : جمعاً ودراسة
د. أحمد علي الزاملي ٧٩
- ❖ الموقف الشرعي من جور أئمة المسلمين
د. مساعد بن مجبول بن صالح المطري في ١٣٣
- ❖ منهج العلامة الطرطوشي في الإمامة من خلال كتابه «سراج الملوك»
دراسة عقيدية
د. عبد الهادي بن عوض بن معوض العمري ٢٠٣
- ❖ القول بإيمان فرعون : دراسة نقدية
د. بدر بن ناصر بن محمد العواد ٢٥٩
- ❖ الإلهام عند الرافضة الإمامية : دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل
السنة والجماعة
د. عبد الرحمن علي محمد ذويب ٣٤٣
- ❖ «الطقوس الدينية» في الخطاب الحداثي : دراسة تحليلية نقدية
د. ندى بنت حمزة بن عبده خياط ٤١٩

**دلالة المطر على توحيد
الله تعالى
والمسائل المتعلقة بها**

نورة عبد الله سلطان الشهري

أكاديمية سعودية، طالبة دكتوراه، بجامعة الملك
خالد، ورئيسة قسم التوعية الإسلامية بإدارة التعليم
بمحافظة النماص

ملخص البحث

البحث يتناول العلاقة بين المطر وتوحيد الله بأنواعه الثلاثة:

جاء في المبحث الأول: الحديث عن علاقة المطر بتوحيد الربوبية، وأنه من الآيات الكونية الدالة على ربوبية الله، مع بيان حكم نسبة المطر إلى غير الله حسب الأقسام الثلاثة، وهي: نسبة إنشاء وابتداء، ونسبة المطر إلى سبب نزوله، ونسبته إلى زمن جرت العادة به مع إيضاح ذلك بالأمثلة.

أما المبحث الثاني: فتناول موضوع علاقة المطر بتوحيد الألوهية، وما يُشعر من العبادات قبل المطر وفي أثنائه، وإذا كثر وخيف ضرره.

والمبحث الثالث: تضمن الحديث عن علاقة المطر بتوحيد الأسماء والصفات، وأن المطر شاهد على أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلا، مع ذكر بعض الأسماء والصفات؛ لعدم القدرة على الإحاطة بها جميعاً في هذا المبحث.

كما تضمن البحث عرض بعض الشبهات المتعلقة بالمطر والرد عليها.

وفي الختام أوصي بما يلي استكمالاً للفائدة:

بحث دلالة المطر في بقية مسائل الاعتقاد مرتبة على أركان الإيمان.

بحث بقية الظواهر الكونية كالرياح والزلازل وغيرها مرتبة على أركان الإيمان.

نورة عبد الله سلطان الشهري

taweah_namas@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

وبعد؛ فإن الله عَزَّجَلَّ حين خلق الإنسان على هذه الأرض هيأ له أسباب الحياة التي تعينه على العيش فيها، ويسر له سبلها، وجعلها شاهدة على عظمته وكمال قدرته، ومن أعظم هذه الأسباب الدالّة على كمال الله ووَحدانيته، خلق الماء الذي جعله الله السبب الرئيس للحياة، فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقد جعله دليلاً على ربوبيته سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، ودالاً على معاني أسماء الله وصفاته، وتفرد بالكمال المطلق، ويلزم من هذا أداء حق هذه النعمة بشكرها والاعتراف لله بفضلها، والإقرار بأنها من عند الله وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

وبما أن الماء مما يلامس حياة الناس اليوميّة، في شراهم وطهورهم، وسائر معيشتهم؛ رأيت أن ألفت نظر القارئ إلى الارتباط العقدي بين المطر -بصفته أحد أهم مصادر المياه- من جهة، وتوحيد الله عَزَّجَلَّ من جهة أخرى، بعد أن غابت بعض المفاهيم التي تربط المطر بالتوحيد؛ حتى إذا ما نزل الغيث أحيا في قلب المسلم الإيمان، وأوقد جذوته، وأنار قلبه بنور الله، وجعل نزول المطر سبباً من أسباب تجديد الإيمان في القلب، فيحمد الله ويشكره، ويستشعر عِظَمَ هذه النعمة، فينسبها إلى ربّه، ولا ينسبها إلى غيره من المخلوقات والأسباب.

❖ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أولاً: كون المطر آيةً من آيات الله العظيمة الدالة على توحيد الله، التي ترتبط بالتوحيد بجميع أنواعه؛ لهذا أردت أن أبين للقارئ أوجه الارتباط بين المطر والتوحيد.

ثانياً: ما رأيت من تساهل بعض الناس في نسبة المطر إلى غير الله، لذا أردت أن أوضح أحكام ذلك.

ثالثاً: ما رأيت من تعلق بعض الناس بالأخبار الصادرة من الأرصاد الجوية، عند توقع نزول المطر، دون اعتبار لنظر الشرع في ذلك.

رابعاً: الغفلة التي نلاحظها عند بعض الناس، وعدم التعلق بالله حال انقطاع المطر، نتيجة توفر المياه من مصادر أخرى غير المطر، فأردت أن أوضح الواجب على المسلم حال انقطاع المطر، حتى لو توفر الماء، وعلاقة ذلك بتوحيد الألوهية.

❖ أهداف البحث:

أولاً: بيان العلاقة بين المطر وتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

ثانياً: الردُّ على بعض الشبهات العقديَّة المتعلقة بالمطر.

❖ مشكلة البحث:

إن نزول المطر من أعظم آيات الله الكونية الدالة عليه تعالى وعلى توحيدِه بأنواع الدلالات المختلفة، لكن بعض الناس -مع ذلك- يغفلون عنه، ويضعف إدراكهم له لأسباب كثيرة، وهذا البحث يساعد في معالجة المشكلة ببيان ما في

المطر من الدلالة على توحيد الله؛ بإفراده بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

❁ الدِّراسَات السَّابِقَة:

توجد بعض الدراسات التي تناولت موضوع المطر وبيانها فيما يلي:
 أولاً: كتاب المطر والرعد والبرق، مؤلفه: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق وتخريج: طارق محمد العمودي، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

وهو كتاب خاص بتخريج الأحاديث الواردة في المطر والرعد والبرق والريح، من غير دراسة تلك الأحاديث أو التعليق عليها، وبيان لأحكامها.

ثانياً: الأحكام المتعلقة بالمطر في الفقه الإسلامي، وهي رسالة لنيل درجة الماجستير في الفقه الإسلامي، من قسم الفقه، بكلية الشريعة، من جامعة الامام محمد بن سعود، من إعداد الباحث: سعد بن علي بن عبدالله الأسمري، وإشراف: د. مساعد بن قاسم الفالح، للعام الجامعي ١٤٢٣ هـ.

وهي دراسة تناولت الأحكام الفقهية للمطر؛ إذ تطرق الباحث الكريم إلى بيان أحكام المطر في العبادات، كأحكام المطر في الصلاة والزكاة والحج والصيام، كما تطرق الباحث إلى بيان أحكام المطر في غير العبادات؛ مثل أحكام تملك المطر، وحق السيل، وأحكام قلة المطر وكثرته، بالإضافة إلى أحكام الاستسقاء، وهي في مجملها تناول الجانب الفقهي للمطر.

ثالثاً: الآيات الكونية دراسة عقدية، وهي رسالة: مقدمة لنيل درجة

الماجستير، في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من إعداد الباحث: عبد المجيد بن محمد الوعلان، وإشراف: د. عبد الكريم بن محمد الحميدي، للعام الجامعي: ١٤٣٢هـ / ١٤٣٣هـ.

وهي دراسة شاملة للآيات الكونية في السماء والأرض، كالشمس، والقمر، والنجوم، والرعد، والبرق، والمطر، وحركة الأرض، والجبال، والزلازل، والبراكين، والبحار، والأنهار، وغيرها من الآيات، تطرّق فيها الباحث إلى المطر بشكل مجمل فيما يتعلق بتوحيد الله، فقد بيّن في مبحث الربوبية أن المطر من الآيات الدالة على ربوبية الله وأنه خالق كل شيء، وأما في مبحث الألوهية فقد تطرّق الباحث إلى حكم التبرك بماء المطر فقط، وأما في مبحث الأسماء والصفات فقد تطرّق الباحث إلى الصفات التي يدل عليها المطر؛ فاقصر على ذكر بعض من الصفات، وهي: صفة الرحمة، والحكمة، والعلو، والصفات الفعلية لله عزَّ وجلَّ، وبناء على هذا فإن الباحث لم يستوفِ جميع المسائل التي تدل على علاقة المطر بتوحيد الله جل وعلا.

ومن خلال ما سبق؛ فإنني لم أقف على دراسة اختصت ببيان علاقة المطر بتوحيد الله؛ لذا رأيت أن أتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، وعُنت بذكر بعض المسائل التي لم أجدتها في الدراسات السابقة؛ مثل ما في مبحث الربوبية من بيان حكم نسبة المطر إلى غير الله، وما في مبحث دلالة المطر على توحيد الألوهية من بيان العبادات التي تُشرع قبل نزول المطر، وعند نزوله، وإذا خيف الضرر، وأما في مبحث الأسماء والصفات فقد تحدثت عن صفة العلم، وناقشت مسألة اختصاص الله بعلم إنزال المطر، كما ذكرت بعض الصفات التي لم أجدتها

في البحوث السابقة، كدلالة المطر على صفة الرزق، والخلق، والاحياء، والإماتة، هذا وأسأل الله أن يكون ما عرضته في بحثي مفيداً للقارئ، والله الموفق إلى سواء السبيل.

❖ منهج البحث:

اعتمدت على منهجين:

الأول: المنهج الاستقرائي، وذلك في حصر الأدلة والموضوعات المتعلقة بالمطر لبيان دلالاته على أنواع التوحيد الثلاثة؛ لإثبات أن الله خالق المطر وموجده وحده لا شريك له، مع إثبات ما يجب لله من الأسماء الحسنی والصفات العلا، مما يستلزم صرف العبادات المتعلقة بالمطر لله وحده.

الثاني: المنهج الوصفي التحليلي في دراسة ظاهرة المطر، وتحليل النصوص والمسائل المتعلقة بذلك؛ لإثبات دلالاته على توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❖ إجراءات البحث:

أولاً: عزو الآيات عند ورودها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع الالتزام برسم المصحف عند إيراد الآيات القرآنية.

ثانياً: تخريج الأحاديث من المصادر الأصلية ما أمكن ذلك.

ثالثاً: توثيق المراجع؛ بذكر بيانات المرجع كاملاً عند أول ورود له.

رابعاً: عند النقل بالمعنى من أحد المراجع أكتبُ في الحاشية كلمة (انظر).

✽ خطة البحث:

المقدمة، وقد اشتملت على مدخل عن دلالة المطر على توحيد الله، ثم بيان لأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، والإجراءات المتبعة في البحث، وخطة البحث.

التمهيد، وقد اشتمل على بيان لمفردات عنوان البحث في اللغة والاصطلاح، فتضمن بيان المصطلحات التالية: (دلالة - المطر - توحيد الله)، ثم بيان المعنى العام للبحث.

المبحث الأول: دلالة المطر على توحيد الربوبية، وفيه تمهيد، ومطلبان:

المطلب الأول: المطر شاهد على ربوبية الله.

المطلب الثاني: حكم نسبة المطر إلى غير الله.

المبحث الثاني: دلالة المطر على توحيد الألوهية، وفيه تمهيد، وأربعة مطالب:

المطلب الأول: العبادات التي تُشرع قبل نزول المطر.

المطلب الثاني: العبادات التي تُشرع عند رؤية السحاب الثقاب.

المطلب الثالث: العبادات التي تُشرع عند نزول المطر.

المطلب الرابع: العبادات التي تُشرع إذا كثر المطر، وخيف الضرر.

المبحث الثالث: دلالة المطر على توحيد الأسماء والصفات، وفيه تمهيد،

وخمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة المطر على اسمي (الرحمن والرحيم)، وعلى صفة

(الرحمة).

- المطلب الثاني: دلالة المطر على اسم (العليم)، وعلى صفة (العلم).
- المطلب الثالث: دلالة المطر على اسم (الرزاق)، وعلى صفة (الرزق).
- المطلب الرابع: دلالة المطر على اسم (الخالق)، وعلى صفة (الخلق).
- المطلب الخامس: دلالة المطر على اسمي (المحيي والمميت)، وعلى صفتي (الإحياء والإماتة).

الخاتمة.

المراجع.

الفهرس.



التمهيد

التعريف بمفردات البحث

(دلالة المطر على توحيد الله)

✽ المسألة الأولى: بيان معنى دلالة:

✽ أولاً: المعنى اللغوي لكلمة (دلالة):

"الدلالة مصدر الدليل بالفتح والكسر"^(١)، فيقال دَلَّالة بالفتح ويقال دِلالة بالكسر، والدليل: هو ما يستدل به على الأشياء، والدليل أيضاً هو: الدال^(٢)، والدال هو الذي يدل الآخرين على الطريق ويعرفهم به^(٣)، وقد جاء في كتاب الله لفظ الدلالة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥].

فهذه الآية جاءت في معرض بيان الله عزَّجَلَّ للأدلة الدالة على وجوده، وقدرته الكاملة في خلق الأشياء المتضادة وإيجادها^(٤)، أمراً عباده بالتفكير في قدرته على مد الظل: وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ثم جعل الشمس دليلاً على وجود الظل وشاهدًا عليه؛ لأنه لو لم تكن هناك شمس لما عُرف الظل^(٥).

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال (٨/٨).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، (١١/٢٤٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (١١/٢٤٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ (٦/١١٣).

(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة

من هنا يتبين أن المعنى اللغوي للدلالة هو الاستدلال على الشيء والشهادة عليه.

❖ ثانيًا: المعنى الاصطلاحي لكلمة (دلالة):

جاء في كتاب التعريفات للجرجاني أن الدلالة هي: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"^(١). وعلى هذا يكون المعنى: هو أن المطر دليل وشاهد على وحدانية الله، وما يتبع ذلك من العبادات اللازمة لتحقيق التوحيد.

❖ المسألة الثانية: بيان معنى المطر

المعنيان اللغوي والاصطلاحي للمطر جاءا بمعنى واحد، وهو الماء المنسكب من السحاب النازل من السماء^(٢).

❖ المسألة الثالثة: بيان معنى التوحيد

❖ أولاً: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد:

التوحيد: "مصدر وَحَدَ يُوْحِدُ وَحَادَةً وَوَحْدَةً وَوَحْدًا"^(٣).
ويأتي في اللغة بمعنيين:

الأول: الوحدة والانفراد، والواحد المنقطع النظير والمثيل^(٤).

للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ (٨٦/٦).

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ (ص: ١٠٤).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (١٧٨/٥).

(٣) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢٨١/٣).

(٤) انظر: لسان العرب (٤٤٦/٣).

الآخر: الواحد الذي لا يتجزأ، ولا يثنى ولا يقبل الانقسام^(١).

ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عَزَّجَلَّ، قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى: "الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وعلى هذا فإن معنى التوحيد في هذا المقام هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوجدانية"^(٢).

من خلال التعريف اللغوي يتبين أن كلمة التوحيد تدور حول الانفراد والوحدة، فالله عَزَّجَلَّ تعالى عن النظير والمثيل، واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؛ لهذا وجب على العباد أن يوحدوه بالعبادة فلا تُصرف لغيره.

❖ ثانيًا: التعريف الشرعي للتوحيد:

للتوحيد عدة تعريفات، كلها تتضمن معنى واحدًا، وهو وحدانية الله، وتحقيق هذه الوجدانية، من ذلك أن التوحيد هو "الاعتقاد بأن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ندَّ له"^(٣).

وهذا لأن التوحيد يتضمن الاعتقاد بأن الله واحد في ربوبيته، وأنه المالك المدبر الخالق، وواحد في ألوهيته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، وأنه واحد في أسمائه وصفاته لا شبيه له ولا نظير ولا مثيل، وقد جاء معنى التوحيد

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور (٤٤٦/٣).

(٢) المصدر السابق (٤٤٦/٣)؛ والعين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢٨١/٣).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة (ص: ١٧).

بأنواعه في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

من العلماء من جعل التوحيد نوعين: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، والتوحيد الطلبي القصدي الإرادي، ومنهم من جعل التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والحقيقة أنه لا خلاف بين العلماء في أنواع التوحيد؛ إنما هو تنوع في العبارات والتقسيمات فقط، وإلا فتوحيد المعرفة والإثبات يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات؛ لأنه متضمن لتنزيه الرب والدلالة على وحدانيته، أما توحيد الإرادة والقصد فيتضمن توحيد الألوهية؛ لأنه متضمن لتوحيد العبادة لله، وإفراده في الطلب والقصد، والتوجه إليه بجميع أنواع العبادة^(١).

وقد اعتمدت في بيان دلالة المطر على توحيد الله، والمسائل المتعلقة بذلك، على قول المتأخرين، الذين جعلوا التوحيد ثلاثة أنواع.

التعريف المجمل للعنوان:

يستنتج مما سبق أن معنى موضوع البحث هو دلالة المطر على وحدانية الله، وبيان المسائل العقديّة المتعلقة بالمطر، فيما يخصّ توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، طبعة دار ابن القيم، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ (١/٩٨)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ (١/١٢)؛ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ (ص: ١٠٨).

المبحث الأول

دلالة المطر على توحيد الربوبية

وفيه تمهيد، ومطلبان

❁ تمهيد:

جعل الله عزَّجَلَّ المطر دليلاً وشاهداً على وحدانيته وإثبات ربوبيته، وأنه الربُّ الخالق المستحقُّ للعبادة وحده دون سواه، وقد خاطب الله عباده بذلك، وأمرهم بالتفكر في قدرته على خلق المطر وإنزاله، ولبيان ذلك لا بد من تعريف توحيد الربوبية.

❁ أولاً: معنى (الربوبية) لغة:

الربوبية في اللغة مشتقة من الرب، وكلمة الرب لها ثلاثة إطلاقات:

الأول: الرب هو المالك، ورَبُّ الشئ يعني مَالِكُهُ^(١).

الثاني: الرب هو السيد المطاع، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿يُضْحِكِي آلِ سَجْنٍ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْتَعِي رَبَّهُ، خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١] أي: سَيِّدَهُ^(٢).

الثالث: الرَّبُّ هو المصلحُ للشئ، بمعنى القائم عليه، والمدبر له^(٣).

وعلى هذا فإن معنى الربوبية يتضمن المعاني اللغوية السابقة؛ ذلك أن الله

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ (ص: ١١٦).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (١/٤٠١).

(٣) انظر: مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس القزويني الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ (ص: ٣٧٠)؛ ولسان العرب (١/٣٩٩).

عَزَّجَلَّ هو رب العباد وملكهم ومالكهم، وهو عَزَّجَلَّ سيدهم الذي يجب أن يطاع وحده لا شريك له، وهو عَزَّجَلَّ المرابي لهم بالنعم، المصلح لأحوالهم.

❖ ثانيًا: معنى الربوبية شرعًا:

"هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه، وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، ويده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك"^(١)، قال ابن عثيمين: "توحيد الربوبية هو إفراد الله عَزَّجَلَّ بالخلق، والملك، والتدبير"^(٢).
ومن هنا يتبين أن المطر شاهد على وحدانية الله، وأنه الخالق المالك المدبر المصرف له لا شريك له في ذلك.

المطلب الأول

المطر شاهد على ربوبية الله

❖ أولاً: دلالة المطر على الخلق والملك والتدبير:

من الأمور التي خاطب الله بها عباده الدعوة إلى التأمل في الكون، وأن الله

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص ١٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ (١/٢١)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/١٢).

عَزَّجَلَّ هو الموجد له، المنشئ له من العدم، وقد أشار القرآن إلى قدرة الله في خلق الماء وإنزاله من السماء في آيات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٤]، فجعل الله المطر آية وإشارة إلى أفعاله العظيمة الدالة على وحدانيته وتفرد به بالخلق.

كما بين أن إنزال المطر مما اختص الله به عَزَّجَلَّ وأنه من أفعاله الخاصة به، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [النحل: ٦٥] فنسب إنزال الماء إلى نفسه، لا يشاركه فيه أحد، ولهذا وجه القرآن الكريم الدعوة المباشرة لعباده إلى التدبُّر والتفكُّر في خلقه للماء، وإنزاله للمطر، مخاطبًا إياهم بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج: ٦٣].

وقد بين الله عَزَّجَلَّ اعتراف الكفار بأن الله هو خالق المخلوقات، وموجدتها من العدم، ومع إقرارهم بذلك إلا أن ذلك لم يشفع لهم؛ بل كان حجة عليهم وإلزامًا لهم بوجوب عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

فاذا كان إنزال الماء من السماء شاهدًا على وحدانية الله، فإنه يجب على الخلق الإقرار بذلك، ونسبته إليه، والاعتراف بفضل الله على عباده في إنزال الماء، فهو القادر على ذلك وحده دون سواه؛ وهذا من كرم الله عباده؛ إذ لو جعل

المطر بيد أحد من الخلق لحبس هذه النعمة، ومنعها عن الناس، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]، جاء في تفسير هذه الآية عند ابن كثير: "قال الإمام مالك: كان أبو هريرة إذا مُطروا يقول: مُطرنا بنوء الفتح، ثم يقرأ هذه الآية: { ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها... }^(١)؛ أي أن المطر فتح من الله عزَّجَلَّ ليس لأحد قدرة على التحكم به.

❁ ثانياً: الاستدلال على المطر بالبعث بعد الموت

جاء في آيات كثيرة من كتاب الله الربط بين قدرة الله في إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها، كمثال شاهد أمام أعين الناس، يثبت قدرته سبحانه على إحياء الموتى، وقد جاء هذا في عدة مواضع من كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩]، وفي هذا بيان أن الذي أنزل الماء فأحيا الأرض بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى بعد موتهم، وبعثهم من قبورهم، كما أخرج النبات من الأرض، وهذا يستوجب من الانسان الإقرار بالبعث، والإقرار بربوبيته وشمول قدرته.

إن جميع ما سبق خليق بأن يجعل المسلم يتفكّر في قدرة الله، وفي آياته العظيمة الدالّة على كمال قدرته، وعلى ربوبيته، وأنه المستحقُّ وحده للاعتراف بربوبيته وألوهيته، فلا يصرف من العبادة شيئاً لغير الله.

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٦/ ٤٧٢).

المطلب الثاني

حكم نسبة المطر إلى غير الله

يَتَضَحُّ من المطلب السابق أن المطر من الآيات الدالة على وحدانية الله وربوبيته، وأنه المتصرف فيه وحده، وهذا يستلزم نسبة المطر إليه، لهذا سألنا في هذا المطلب حكم نسبة المطر إلى غير الله، وفيه مسألتان:

❖ **المسألة الأولى:** أقسام نسبة المطر إلى غير الله عَزَّجَلَّ:

يختلف حكم نسبة المطر إلى غير الله عَزَّجَلَّ باختلاف اللفظ الذي يطلقه الإنسان، والاعتقاد الذي يعتقده، ويمكن أن نقسم هذه النسبة إلى ثلاثة أقسام:

❖ **أولاً: نسبة إنشاء وابتداء إلى غير الله.**

وذلك بأن ينسب الإنسان نزول المطر إلى غير الله، مع اعتقاد وجود رب آخر معه، يستطيع إنزال المطر، وينشئه ويبدؤه، أو يتصرف ويتحكم فيه، وهذا - والعياذ بالله - شركٌ يستلزم الكفر؛ لأنه يعتقد وجود خالق مع الله، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وكذا من ينسب المطر إلى غير الله مع إنكار ربوبية الله، وهذا كفر بالله.

جاء في الحديث عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَيَّ النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ

بِالْكُوكَبِ»^(١).

وقد جاء في بيان معنى الكفر في هذا الحديث: أن قائله إن كان ممن يتسبب إلى أهل الإسلام يعتقد أن للكوكب تأثيراً وقدرة على خلق المطر وإنشائه وإنزاله، فهو كافر كفرة أكبر مخرجاً من الملة، يستتاب قائله، فإن تاب قُبِلَ منه، وإن لم يتب فإنه يقام عليه حدُّ الرِّدَّةِ قتلاً بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع^(٢)، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩]، فالمطر خلقه وإنزاله من الله، والله -جل في علاه- لا شريك معه في خلقه.

❖ ثانياً: نسبة المطر إلى سبب نزوله:

لما خلق الله سُحْبَانَ وَتَعَالَى الكون وأوجده أودع فيه أسباب الحياة والخلق؛ ليسير وفق مشيئته وإرادته، ومن ذلك جعل سببٍ لحمل المطر إلى حيث يشاء

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/١٦٩) برقم: (٨٤٦) (كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم)؛ ومسلم في "صحيحه" (١/٥٩) برقم: (٧١) (كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة (٢/٥٢٣)؛ شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ (٣/٢٩)؛ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ (١٦/٢٨٦)؛ الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار قتيبة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ (٧/١٥٣)؛ فتح الباري لابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي ١٤٢٢هـ، الطبعة: الثانية (٩/٢٦٠).

إنزاله، قال جلّ وعلا: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ [النور: ٤٣]، والإيمان بالأسباب جزء من عقيدة المسلم، لكن يقابل ذلك الإيمان بأن هذه الأسباب مخلوقة لله مدبرة منه مأمورة بأمره، ليس لها تأثير منفرد عن مشيئته وقدرته؛ فالله خالق الأسباب والمسببات، لا يكون شيء في الكون إلا وفق إرادته ومشيئته وعلمه، ولا يحصل شيء إلا بأمره؛ ذلك لأن السبب ليس فاعلاً بنفسه، بل بأمر الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، وعلى هذا؛ فإن نسبة المطر إلى السبب الذي ينزل به، مثل نسبه إلى الرياح أو النجوم أو السحب أو المنخفضات الجوية، أو غيرها من الأسباب، مع اعتقاد أن الله هو الخالق للمطر والمنزل له = ضلالٌ لا يجوز، كأن يقول: مُطْرنا بسبب الرياح الفلانية، أو ظهور النجم الفلاني، دون أن ينسب ذلك إلى الله؛ فهذا كفر بنعمة الله، وجحد لها، وهو كفر لا يخرج من الملة؛ بل هو الكفر الذي يقابل الشكر^(١)؛ ذلك لأن هذه الأسباب لا يمكن أن تكون مؤثرة بنفسها، لولا إرادة الله ومشيئته، فلا يجوز نسبة المطر إليها؛ بل يجب التزام اللفظ الشرعي في نسبة المطر؛ لأن الله نسب المطر إلى نفسه فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [فاطر: ٢٧].

❁ ثالثاً: نسبة المطر إلى زمن جرت العادة به:

وهذا يكون بنسبة المطر إلى وقت وزمن جرت عادة الناس بنزول المطر

(١) انظر: فتح الباري لابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي (٩/٢٦٤)؛ والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (١٦/٢٨٦)؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ (٢/٦١).

فيه، كأن يقول: اعتدنا نزول الأمطار في الموسم المعين، أو في الشهر المحدد، مما جرت به العادة، مع تعليق ذلك بمشيئة الله وإرادته، فهذا جائز^(١)، ويستدل العلماء على ذلك بقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للعباس: «يا عم كم بقي من نوء الثريا؟»، فقال العلماء: يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال: فما مضت سابعة حتى مُطروا، وهذا الفعل من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سؤال عما جرت به العادة في الوقت والزمن المعهود لنزول المطر فيه، مع تعليق ذلك على فضل الله ورحمته، ولا يحمل على اللفظ المنهي عنه، من إضافة فعل المطر إلى النجوم؛ لأن ذلك مستقرٌّ ومتعارف عليه عندهم، أن النجوم لا تنفع ولا تضر إلا بمشيئة الله وإرادته^(٢)؛ لهذا يرى العلماء أن اللفظ الصحيح في ذلك أن يقول الإنسان: مُطرنا في الوقت الفلاني، أو في شهر كذا، ولا يقول بنوء كذا^(٣)، فإذا قال: مطرنا بنوء كذا وهو يقصد الوقت، جاز له، وإن كان استخدام اللفظ الشرعي أفضل؛ خروجًا من الإشكال، وابتعادًا عن اللفظ المنهي عنه.

✦ المسألة الثانية: صور من نسبة المطر إلى غير الله:

نسبة المطر إلى غير الله موضوع طُرح قديمًا، منذ العصر الجاهلي، ولا زال مستمرًّا إلى عصرنا الحالي، لكن بأوجه مختلفة؛ ولهذا سأوضح ذلك بمثالين:

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢/٥٢٣)؛

والمناهج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٢/٦١).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك

(٢٩/٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣/٢٩)؛ والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن

عبد الله ابن عبد البر (٢٤/٣٨٠).

❦ المثال الأول: نسبة المطر إلى النجوم والأنواء^(١).

نسبة المطر إلى النجوم من الأمور التي اعتادها الناس في الجاهلية قبل الإسلام، وقد أخبر النبي ﷺ باستمرارها بين العرب، وأنهم لا يدعونها^(٢)، فهو أحد الموضوعات القديمة الحديثة باعتباره موضوعاً مستمراً بين الناس.

ويقصد بذلك أن ينسب المطر إلى طلوع أو أفول نجم معين، فيقولون مُطَرْنَا بنوء كذا، وقد جاء النهي عن ذلك في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] جاء في هذه الآية النهي عن كفر نعمة الله وإضافتها إلى غيره؛ لأنهم كانوا يقولون: مُطَرْنَا بنوء كذا^(٣).

وقد جاء في السنة النهي عن نسبة المطر إلى الأنواء، جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس، فقال: «هل تدرّون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطَرْنَا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال:

(١) النوء مأخوذ من: ناء النجم؛ أي: سقط، وقيل: النوء هو الطلوع، وقد جمع العلماء بينهم فقالوا: إن طلوع نجم في المغرب يقابله سقوط النجم الآخر في المشرق، فمن أهل الجاهلية من ينسب المطر إلى النجم الساقط، ومنهم من ينسبه إلى النجم الطالع. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر (٢/٥٢٤)؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٢/٦١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣/٤٥) برقم: (٩٣٤) (كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ (ص: ٨٣٦).

بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»^(١)، وهذا الحديث يبيّن أن الناس عند نزول المطر ينقسمون إلى قسمين:

الأول: مؤمنون، وهم من ينسب نزول المطر إلى الله اعتقادًا بذلك وقولًا، فيقولون: مطرنا بفضل الله وبرحمته.

الثاني: كافرون، وهم من ينسب المطر إلى ظهور نجم معين أو سقوطه. وقد ذهب العلماء في معنى الكفر هنا إلى قولين:

القول الأول: أن المراد بالكفر في هذا الحديث هو كفر الشرك المُخرج من الملة، الذي يقابل الإيمان بالله، إذا كان قائل هذا القول يعتقد أن للنوء قدرة على خلق المطر وإيجاده والتصرف به، وأن نزول المطر هو من فعل النوء لا من فعل الله، فهذا شرك أكبر، وكفر بالله، فإن كان القائل من أهل الإسلام معتقدًا قدرة النوء على خلق المطر، فقد خرج من الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله، وهو مرتدٌ يُستتاب، فإن لم يتب فإنه يقام عليه حدُّ الردّة^(٢).

القول الثاني: أن المقصود بالكفر هنا هو كفر النعمة وعدم شكرها، وهو كفر لا يُخرج من الملة، ومن قال بهذا القول استشهد بعدة روايات جعلت الشكر مقابلاً للكفر، منها ما جاء عند مسلم من حديث ابن عباسٍ قال: **مُطِرَ النَّاسُ عَلَيَّ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةٌ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»**^(٣).

(١) تقدم تخريجه صفحة ٣٢.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢/٥٢٣)؛ وشرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٣/٢٩)؛ والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (١٦/٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١/٦٠) برقم: (٧٣) (كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال

فقوله هذا يدلُّ على أن المقصود بالكفر ما يقابل الشكر، وهو كفر النعمة، لكن هذا القول في حقِّ من لم يعتقد أن للكوكب تدبيراً وتصريفاً للمطر؛ بل اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة، فيكون الكفرُ كفرَ نعمة بإضافة شكرها إلى غير الله^(١).
يُتَّضح مما سبق أنه لا خلاف بين العلماء؛ فإن كان من يقول: «مُطرنا بنوء كذا معتقداً أن الكوكب هو الخالق والمنزل للمطر، فهو كافر كفراً أكبرَ مُخرجاً من الملة؛ لأنه اعتقد وجود خالق مع الله، وإن كان القائل بذلك لا يعتقد وجود خالق مع الله، فقوله محرّم لا يجوز، وقد جاء بكفر نعمة لا يُخرج من الملة، وعليه أن يغير اللفظ إلى القول الشرعي، وهو قول النبي ﷺ: «مُطرنا بفضل الله ورحمته».

✽ المثال الثاني: نسبة المطر إلى الاستمطار

يعتبر الاستمطار إحدى التقنيات التي أصبحت تستخدم حديثاً، لمحاولة التدخل البشري لإنزال المطر، ونسبة المطر إليه إحدى صور نسبة المطر إلى غير الله، وحتى تتضح صورة ذلك لا بدَّ من بيان معنى الاستمطار.

أولاً: بيان معنى الاستمطار لغةً:

تعريفه في اللغة: هو بمعنى الاستسقاء^(٢)، أي طلب نزول المطر.

مطرنا بالنوء).

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢/٥٢٣)؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٢/٦١)؛ والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/٢٨٦).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري (٥/١٧٨).

ثانيًا: معنى الاستمطار في الاصطلاح وحُكمه:

جاء الاستمطار في الاصطلاح بعدة معانٍ؛ لكونه من المصطلحات التي استخدمت قديمًا وحديثًا، وبيانها فيما يلي:

المعنى الأول: الاستمطار في الجاهليّة، وهو عادة كانت في قريش يفعلونها حين يتأخّر المطر، فيجمعون البقر، ويعقدون السلع والعشر^(١) بين أذنان البقر وعراقيبها، ثم يضرمون فيها النار، معتقدين أن هذا العمل يكون سببًا في إنزال المطر، وتسمى هذه النار التي توقد بنار الاستمطار^(٢)، وقد جاء الإسلام بإبطال هذه العادة، وجعل طلب السُّقيا بالطُّرق التي شرعها الله من الصلاة والدُّعاء والاستغفار والصدقة.

المعنى الثاني: جاء الاستمطار بمعنى التنبؤ بالمطر من خلال النظر في النجوم، وقد أشار إلى هذا المعنى كثيرٌ من العلماء في مصنّفاتهم، تحت باب الاستمطار أو كراهية الاستمطار، فقد بَوَّب الشافعي في كتابه (الأم): باب كراهية الاستمطار بالأنواء^(٣)، وبَوَّب مالك في موطنه: باب الاستمطار بالنجوم^(٤)، وبَوَّب النسائي في سننه الكبرى: باب كراهية الاستمطار بالكوكب^(٥)، وغيرهم من العلماء، والمراد بالاستمطار هنا: التنبؤ بالمطر، بناءً على رؤية نجوم معينة، وهو

(١) العشر والسلع نوع من النباتات تظهر عند شح المطر، انظر: لسان العرب (٨/ ١٦١).

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ (١١/ ٢٢١).

(٣) انظر: الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ (١/ ٢٨٨).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، (٢/ ٢٦٨) (باب ما جاء في الاستمطار بالنجوم).

(٥) السنن الكبرى للنسائي، (١٦/ ٦٤٩).

ما سبق إيراده في مسألة حكم التنبؤ بالنجوم والأنواء^(١).

المعنى الثالث: الإطلاق المعاصر للفظ الاستمطار، وقد جاء تعريفه في الموسوعة العربية بأنه: عملية إسقاط المطر من السحب بطريقة علمية تُجرى على السحب المتكوّنة في الجو، ويستخدم لأمرين: إما للمساعدة في إنزال المطر من خلال السحب، أو لتفريق السحب حتى لا تنزل الأمطار الغزيرة في مناطق معينة، ويتم هذا عن طريق رش نترات الأمونيوم واليوريا من الطائرات فوق السحب لتساعد في إنزال الماء من السحب^(٢). وحكم الاستمطار بهذا المعنى فيه تفصيل:

أولاً: إذا كان يُقصد بالاستمطار أن يعتقد أن فعل الانسان وتدخله في محاولة إنزال المطر هو المنزل للمطر من غير مشيئة الله وقدرته، وأنه المشئ له، فهو كفرٌ بالله، ويندرج الاستمطار بهذا المعنى تحت نسبة المطر إلى غير الله نسبة إنشاء وابتداء؛ ذلك لأنه لا يمكن لعملية الاستمطار أن تعمل على خلق المطر، وتكوين الماء وإنشائه وابتدائه، بل هو من فعل الله عزَّجَلَّ.

إن عملية الاستمطار إنما تعمل على تحفيز السحب، من خلال رش موادّ كيميائية لإنزال المطر، أو تعمل على تفريق السحب، حتى لا ينزل المطر، فهي إذاً عملية لمحاولة التأثير في السحب فقط، دون تدخل في إنشائه وابتدائه، أما عملية إنشاء السحاب وتكوين الماء فيه فلا يمكن للطائرات فعله؛ بل هو من فعل الله جلَّ وعلا، قال تعالى ﴿الْمُرْتَانِ اللَّهُ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى

(١) انظر: البحث صفحة ١٩.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية (1/1) World Book International.

الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَلِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ ﴿٤٣﴾ [النور: ٤٣].

ثانياً: نسبة المطر إلى فعل الطائرات، وأنها مجرد سبب لإنزال المطر، مع اعتقاده أن الله -جلّ في علاه- هو المنشئ والخالق للمطر والمنزل له، وأن ما يُفعل بواسطة الطائرات سبب في إنزال الماء، فإنه محرّم ولا يجوز؛ لأمرين:

الأمر الأول: أن الاستمطار وسيلة من الوسائل، مثلها مثل غيرها من التقنيات الحديثة والاكتشافات، مثل التلقيح الصناعي للأجنة وغيره، فهو وسيلة وسبب، ولا يجوز نسبة العمل إلى وسيلته وسببه؛ لأنهما لا إرادة لهما ولا فعل ولا خلق، وإنما هما تبع لمشيئة الله وقدرته وخلقته، وما تفعله هذه الطائرات من خلال رش المواد الكيميائية هو محاولة لإنزال المطر فقط، ومع ذلك قد لا ينزل المطر؛ لأن الله لم يشأ ولم يقدر، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وسبق بيان هذا في حكم نسبة المطر إلى الأسباب.

الأمر الثاني: أن المطر يمرُّ بعدة مراحل، حيث يخلق الله السحاب، ثم يسوقه، ثم يؤلف بينه، ثم يجعله متراكماً، ثم ينزل المطر، قال تعالى: ﴿الَّذِي تَرَىٰ أَلْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنَ خَلَلِهِ﴾ [النور: ٤٣] والاستمطار يقتصر عمله على المرحلة النهائية فقط من خلال رش مواد كيميائية تثقل بالسحب، مما يجعل السحب تنزل المياه الموجودة فيها، فكيف ينسب نزول المطر إلى الاستمطار؟

وبهذا يتبين أن الاستمطار مجرد وسيلة من الوسائل المحفّزة للسحب على المطر، فيجوز استخدامها كغيرها من الوسائل الحديثة، لكن لا يجوز نسبة المطر إليها؛ بل ينسب إلى الله.

المبحث الثاني

دلالة المطر على توحيد الألوهية

وفيه تمهيد، وأربعة مطالب:

تمهيد

تقرّر سابقاً أن الله جعل نزول المطر دلالة على ربوبيته، وهذه الربوبية تستلزم تحقيق الألوهية، وأن الله عَزَّجَلَّ هو المستحق للعبادة وحده دون سواه؛ ولهذا شرع الله لنا عبادات متعدّدة تتعلّق بالمطر، لا يجوز صرفها لغير الله، وقد رأيتُ أن أُبيّن معنى تعريف الألوهية قبل بيان العبادات المتعلقة بالمطر:

أولاً: معنى (الألوهية) لغة: لفظ الألوهية أصله من: أله يأله بالفتح، والتأليه: التعييد، والتأله: التّعبد^(١)، "والإله: الله عَزَّجَلَّ، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً، فهو إله عند متخذه"^(٢)، قال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وبهذا يتبين أن معنى الإله: المعبود، وهو يطلق على كل من عبّد، سواء عبّد بحق وهو الله جل وعلا، أو عبّد بباطل مثل الآلهة التي تعبد من دون الله، وعلى هذا فإن معنى توحيد الألوهية هو: توحيد العبادة.

ثانياً: معنى (الألوهية) شرعاً: هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ص ٢٠)،

والعين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٩٠/٤).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي المصري (٤٦٧/١٣).

المستحق للعبادة، وإفراده بالعبادة وحده دون سواه^(١)، وهذا النوع من التوحيد يسمى بتوحيد الألوهية باعتبار إضافته إلى الله جل وعلا، ويسمى كذلك بتوحيد العبادة باعتبار إضافته إلى الخلق لتعلقه بالعبادات^(٢).

وقد قسمت العبادات المتعلقة بالمطر إلى عبادات تشرع قبل نزوله، وعبادات في أثناء نزوله، وعبادات إذا كثر وخيف ضرره، يأتي بيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول

العبادات التي تشرع قبل نزول المطر

شرع الله لنا في حالة احتباس المطر وانقطاعه وجذب الأرض بعضاً من العبادات التي يستجلب بها المسلم رحمة الله وعفوه، ويطلب فيها السقيا من الله، والاستسقاء لا يكون بطريقة واحدة منحصرة في الصلاة فقط، كما يعتقد بعض الناس؛ بل ورد الاستسقاء بأنواع متعددة من العبادات، وهي:

✽ أولاً: الصدقة:

ورد في السنّة أن الصدقة سبب من أسباب نزول المطر وسقيا الناس، جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاحِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ:

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي (ص: ١١٤).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/ ١٤).

فُلَانٌ. لِإِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرِزُ فِيهَا ثُلُثًا»^(١)، فالحديث يدل على أن الصدقة من العبادات المشروعة التي تكون سببًا في نزول المطر؛ ولهذا ورد أنه لما أجذبت الأرض، وشكى الناس أمرهم إلى النبي ﷺ وطلبوا منه أن يستسقي لهم، أمرهم بالصدقة، وقال: «إذا كان يوم كذا وكذا فاخرجوا معكم بصدقات»^(٢)، ذلك أن الصدقة رحمة بالمسكين، والمطر رحمة من الله، فمن رحم عباد الله رَحْمَةُ اللَّهِ، فأنزل عليه الغيث.

فإذا علمنا أن الصدقة سبب من أسباب نزول المطر، فبمفهوم المخالفة يكون منعها سببًا من أسباب حبس المطر عن العباد، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا»^(٣) لهذا جاء عن السلف الحثُّ على الاستسقاء بالصدقة، كما جاء عن كعب^(٤)، وقد جاء عن ابن عباس قوله: «وإذا رأيت المطر قد حُبس

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٢٢ / ٨) برقم: (٢٩٨٤) (كتاب الزهد والرفائق، باب الصدقة في المساكين).

(٢) الدعاء، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ (ص: ٥٩٦).

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤ / ٥٤٠) برقم: (٨٧١٨) (كتاب الفتن والملاحم، ذكر خمس بلاء أعاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها للمسلمين)، قال فيه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين الخراساني أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى،

فاعلم أن الزكاة قد حُبست، ومنع الناس ما عندهم، ومنع الله ما عنده»^(١)، وقد كان الولاة يرسلون إلى الأمصار يأمرؤنهم بإخراج الصدقة للاستسقاء^(٢)، وهذا يدلُّ على أن إخراج زكاة الأموال والصدقة من الأعمال المشروعة للاستسقاء، وأن منعها وعدم إخراجها من مُسببات حبس المطر عن الناس؛ ذلك لأنهم إذا منعوا زكاة أموالهم، وامتنعوا عن العطاء، عاملهم الله بالمثل، فمنع عنهم المطر، وإن هم أعطوا وأخرجوا أموالهم أكرمهم الله، فأُنزل عليهم رحمته.

❁ ثانياً: الاستغفار

الاستغفار من العبادات التي شرعت للاستسقاء؛ ذلك أن الاستغفار طلب للصفح والعفو من الله تعالى بما يتضمنه من الإقرار بالذنب والتقصير في أداء الواجب اللذين يؤخران أو يحرمان الرزق، وإذ ذاك يكون العبد أقرب وأرجى إلى رحمة الله التي منها نزول المطر^(٣)، قال تعالى: ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ

١٤٢٣ هـ (٢٢/٥).

(١) انظر: حليّة الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الفكر، ١٣٩٤ هـ واللفظ لابن عباس (٣٧٩/٥).

(٢) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (٤ / ١٧٥) برقم: (٧٨٣٤) (كتاب الزكاة، باب وقت إخراج زكاة الفطر) وعبد الرزاق في "مصنفه" (٣ / ٨٧) برقم: (٤٩٠٣) (كتاب الصلاة، باب الاستسقاء).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ (٢٣/٢٩٣) و(١٢/٤٤٤)؛ ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (٤/١٨٢).

أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] يرسل السماء عليكم
مدرارًا؛ أي: مطرًا متتابعًا، يسقي به الله العبادَ والبلاد^(١). قد جاء عن عمر بن
الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خرج يستسقي، فما زاد على الاستغفار، فقالوا يا أمير
المؤمنين ما رأيناك استسقيت، قال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء^(٢) التي
يستنزل بها المطر، ثم قرأ الآيتين السابقتين^(٣).

وهنا قد يرُدُّ تساؤل عما إذا كان الإيمان بالله والتوبة والاستغفار من الأسباب
التي يستسقى بها المطر، فهل الذنوب والمعاصي سبب للحرمان من المطر؟
جواب ذلك فيما يلي:

أولاً: أن المطر بنفسه قد يكون رحمة، وقد يكون عذابًا؛ لأن الله عذب أقوامًا
بالمطر، مثل قوم نوح لما كذبوه، قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ ﴿١٠﴾
فَفَنَحْنَا أَيْتَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ [القمر: ١٠ - ١١] لهذا كان النبي ﷺ يتغير وجهه

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص: ٨٨٩).

(٢) المجاديح، جمع مجدح، والمجدح أداة للطهي، تصنع من الخشب، وهي خشبة في رأسها
خشبستان معترضان يُحرك بها الطعام ويخلط حتى ينضج، ويطلق المجدح كذلك على نجم
في السماء كان العرب يعتقدون أنهم إذا رأوه مطروا به؛ لهذا أراد عمر أن يبطل عادة
الاستسقاء به فجعل الاستغفار سببًا للاستسقاء، وليس ظهور النجم؛ لأن الاستغفار من
أعظم الأسباب التي يحصل بها المطر، أنظر: لسان العرب (٢/٤٢٠)؛ ونيل الأوطار، محمد
بن علي الشوكاني، دار الحديث، الطبعة الأولى (١١/٤).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣/٢٩٣)؛ ومصنّف عبد الرزاق الصنعاني
(٨٧/٣).

عند رؤية السحاب الثقيل الذي يتوقع أنه يحمل المطر، جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنه قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَدَخَلَ وَخَرَجَ وَتَعَيَّرَ وَجْهَهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَدْرِي، لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْدَيْنِهِمْ﴾ الْآيَةَ»^(١). يقال: إن قوم هود عليه السلام حبس عنهم المطر مدة من الزمان، فلما رأوا السحاب والرياح استبشروا بأنه المطر الذي يغيثهم، فإذا هو عذاب من الله^(٢)، وهذا يدل على أن المطر قد يكون سخطاً من الله، وعقوبة لمن يكذب برسالته وينكر توحيده.

كما أن عدم نزول المطر قد يكون عقوبة وبلاءً، فإن الله قد عذب أقواماً بالقحط والجذب، وقلة المطر، مثل قوم فرعون، قال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

ثانياً: أن الله بين في كتابه العزيز أن الإيمان بالله وطاعته والاستجابة لرسوله سبب من أسباب نزول المطر، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قوله لفتحنا أي: لتتابع المطر من السماء والرزق من الأرض، فيكثر الخير، ويعمّ الأرض^(٣)، قال ابن قدامة في هذه الآية: "إن المعاصي سبب الجذب،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٢ / ٢) برقم: (١٠٣٢) (كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا مطرت).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (١٦ / ٢٠٥).

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (٣ / ٢٦٠).

والطاعة تكون سبباً للبركات" (١)، وجاء في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مُطِرَ قَوْمٌ إِلَّا بِرَحْمَةٍ، وَلَا قَحَطُوا إِلَّا بِسَخَطَةٍ» (٢).

هذا يدلُّ على أن الإيمان والعمل الصالح سبب من أسباب فتح خزائن الأرض والسماء، وهطول المطر، ونزول الخير، وحلول البركة، وأن الذنوب والمعاصي سبب من أسباب الحرمان من المطر.

وهنا قد يرد تساؤل عما إذا كانت الذنوب والمعاصي والكفر بالله من أسباب منع المطر، وكانت طاعة الله وعبادته والأعمال الصالحة سبباً من أسباب الخير، فلماذا بلاد الكفار ممطرة أكثر من بلاد المسلمين؟

فيكون الجواب على ذلك بما يلي:

أولاً: أن الله سبحانه قد يحبس المطر عن عباده المسلمين؛ عقوبةً لهم بسبب ذنوبهم؛ وذلك حتى يعودوا إلى الله ويستغفروه ويدعوه، ويتوسلوا إليه أن ينزل عليهم خيره ورحمته، فيكون هذا المنع من الله سبباً في العودة إليه، والتضرع إليه.

ثانياً: أن الله قد ينزل المطر على الكفار استدراجاً لهم بالنعم؛ ليزيد طغيانهم وكفرهم، وتقام عليهم الحجة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] فِعطاء الله لهم

(١) المغني لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ (٢/٣١٩).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤/١٢٦٠)؛ وأبو القاسم الرازي في الفوائد (٢/٢٥٨)؛ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، وقال فيه: "هذا إسناد ضعيف جداً" (٩/٤٥٣).

وإمهاله إنما هو ليزدادوا إثمًا وكفرًا وطغيانًا؛ فيكون عذابهم أشد وأقسى.

ثالثًا: قد ينزل الله المطر في بلاد الكفار رحمةً بالبهائم والحيوانات والمخلوقات حتى لا تهلك، وهذا من رحمة الله العامة بخلقه، قال النبي ﷺ: «وَلَوْلَا الْبِهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»^(١).

❁ ثالثًا: الدعاء

الدعاء وسؤال الله السقيا من العبادات المشروعة للاستسقاء وطلب المطر، وقد ورد ذلك في السنة من وجهين:

الوجه الأول: دعاء الله مباشرة، فرادى أو في جماعة، وهذا هو الأصل، لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

الوجه الثاني: طلب الدعاء بإنزال المطر من الصالحين.

وقد جاء في ذلك عدد من الأحاديث؛ منها:

أولًا: ورد في السنة أن النبي ﷺ استسقى بالدعاء، وقد جاء هذا في أحاديث متعددة، وبصيغ مختلفة، منها:

- أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا»^(٢).

(١) تقدم تخريجه، صفحة ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢/٢) برقم: (٩٣٢) (كتاب الجمعة، باب رفع اليدين في الخطبة).

- أن رسول الله ﷺ رفع يديه. ثم قال: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا. اللَّهُمَّ اغْنِنَا. اللَّهُمَّ اغْنِنَا»^(١).

- عن جابر بن عبد الله، قال: أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بواكي، فقال: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ»، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ^(٢).

- قالت عائشة رضي الله عنها: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَتَعَدَّ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ حِنَانِكُمْ، وَاحْتِبَاسَ الْمَطَرِ عَنِ إِبَانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَفَعَّلَ مَا تُرِيدُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢/ ٢٨) برقم: (١٠١٤) (كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٢/ ٥٣٦) برقم: (١٤١٦) (كتاب الصلاة، باب صفة الدعاء في الاستسقاء)؛ والحاكم في "مستدرکه" (١/ ٣٢٧) برقم: (١٢٢٦) (كتاب الاستسقاء، تغليب الرداء والتكبيرات والقراءة في صلاة الاستسقاء) وقال فيه: "هذا حديث صحيحٌ إسناده على شرط الشيخين".

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (١١٧٣) (كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة الاستسقاء)؛ وابن حبان في "صحيحه" (٣/ ٢٧١) برقم: (٩٩١) (كتاب الرقائق، ذكر ما يدعو المرء به عند وجود الجذب بالمسلمين)، قال أبو داود: "وهذا حديث غريب، وإسناده جيد"، وقال الألباني: "إسناده حسن، وصححه ابن حبان، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي" صحيح أبي داود (٤/ ٣٣٧).

وهذه الأحاديث بمجموعها تدلُّ على أن من صيغ الاستسقاء الدعاء واللجوء إلى الله، وما يلزم الدعاء من الخوف والرجاء والابتهاال إلى الله، والتضرُّع إليه، ورفع اليدين والالاحاح في الدعاء، كما جاء عن النبي ﷺ أنه كان يدعي ويستسقي حتى يرى بياض إبطيه؛ لشدة رفعه ليديه^(١).

وبناءً على ما سبق؛ فإنه يشرع الدعاء بأي صيغة من الصيغ السابقة، وإن دعا من عنده دون تجاوز الحدِّ في الدعاء جاز له ذلك.

ثانياً: الاستسقاء بطلب الدعاء من الغير.

وهذا يكون بسؤال الآخرين، وطلب الدعاء منهم بأن يُنزل الله المطر، وهو يدخل في باب التوسُّل، وله حالتان:

الحالة الأولى: التوسُّل بدعاء الأحياء، وهو مشروع، وقد جاء في السنة على صورتين:

الصورة الأولى: التوسُّل بدعاء النبي ﷺ بأن يستسقي للمسلمين، وقد جاء هذا في حديث الأعرابي الذي دخل على النبي ﷺ حين أجذبت الأرض، فقال: يا رسول، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه ودعا، فما برح المنبر حتى أنزل الله المطر^(٢) وهذا الحديث يدلُّ على مشروعية طلب الاستسقاء من النبي ﷺ في حياته، أما بعد مماته فلا يجوز.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٢٤) برقم: (٨٩٥) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٢) برقم: (٩٣٣) (كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة).

الصورة الثانية: التوسُّل بدعاء الصالحين، وهو من التوسُّل المشروع، ويكون بطلب الدعاء ممَّن يُتوسَّم فيه الخير والصلاح، رجاء قبول دعوتهم؛ لِمَا عَلِمَ عنهم من الخير والبر، كما جاء هذا من فعل عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا فُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ فَيَسْقُونَ^(١).

الحالة الثانية: التوسُّل بالأموال وطلب الاستسقاء منهم.

سواء كان التوسُّل بالنبي ﷺ أو بغيره من الصالحين، فهو محرَّم لا يجوز؛ لأنه شرك بالله؛ ذلك لأنهم لا يملكون جلب نفع ولا دفع ضرر، وهو من الشرك المنهي عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، فإذا كانوا عاجزين عن دفع الضرر وجلب الخير لأنفسهم، فمن باب أولى هم أعجز عن جلب الخير للآخرين، وعن دفع الضرر عنهم.

رابعاً: الصلاة

يسنُّ عند تأخر نزول المطر أن يُهرع المسلمون إلى الصلاة، وأن يطلبوا السقيا من الله، جاء في ذلك أن النبي ﷺ خرج يستسقي فتوجَّه إلى القبلة يدعو وحوَّل رداءه، ثم صلى ركعتين جهراً فيهما بالقراءة^(٢)، بلا أذان ولا إقامة^(٣)، يكبر

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٢٧) برقم: (١٠١٠) (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٣١) برقم: (١٠٢٥) (كتاب الاستسقاء، باب كيف حول النبي ﷺ ظهره إلى الناس)، ومعنى حوَّل رداءه؛ أي: جعل يمينه يساره أو أعلاه أسفله. تعليق البغا.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٢ / ٥٣١) برقم: (١٤٠٩) (كتاب الصلاة، باب ترك

في الركعة الأولى سبع تكبيرات ثم يقرأ فاتحة الكتاب، و(سبح اسم ربك الأعلى)، وفي الركعة الثانية يكبر خمس تكبيرات ثم يقرأ فاتحة الكتاب و(هل أتاك حديث الغاشية)^(١)، ويرى ابن كثير أنه يشرع قراءة سورة نوح؛ لأن فيها قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]^(٢)؛ ولعل ذلك لأن الاستغفار أحد أنواع العبادات التي شرعت في الاستسقاء، فإذا جمع مع الصلاة الاستغفار كان أرجى في الإجابة، ويمكن الرجوع إلى أحكامها، وجميع ما يتعلق بها، في كتب الفقه التي تناولتها بالشرح والبيان^(٣).

وهذه العبادات التي شرعت للاستسقاء يمكن للمسلم أن يأتي بواحدة منها، ويمكن أن يأتي بها جميعاً، ولعل الجمع بين هذه العبادات أرجى في القبول والإجابة.

المطلب الثاني

العبادات التي تشرع عند رؤية السحاب الثقال

كان النبي ﷺ عندما يرى السحاب يتغير وجهه خوفاً أن يكون السحاب محملاً بمطر يهلك العباد، ويدمر البلاد، ويحمل معه العذاب والبلاء، وما ذاك

الأذان والإقامة لصلاة الاستسقاء) والحديث جاء في سنن ابن ماجه، قال فيه السندي:

"إسناده صحيح ورجاله ثقات". انظر: حاشية السندي على ابن ماجه: (١ / ٣٨٤).

(١) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١ / ٣٢٦) برقم: (١٢٢١) (كتاب الاستسقاء، تقليب الرداء والتكبيرات والقراءة في صلاة الاستسقاء) قال فيه الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٨ / ٢٤٦).

(٣) انظر: كتاب صلاة الاستسقاء مفهوم، وأسباب، وأنواع، وآداب، وآيات، وحكم، وأحكام في ضوء

الكتاب والسنة، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي (ص: ٢٩).

إلا لأن الله عذب أقوامًا بالمطر، مثل قوم نوح، وقوم هود حين عذبهم بالريح التي استبشروا بها أنها الغيث، وقد جاء في صحيح مسلم أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ. فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ: فَقَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي»، وَيَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ: «رَحْمَةٌ»^(١)، وفي رواية أخرى: أنه كان يترك ما هو فيه حتى لو كان وقت صلاة حتى يستقبل المطر، فإن أمطرت دعا، وإن لم تمطر حمد الله^(٢).

والمسلم مأثور باتباع هدي النبي ﷺ، بالخوف عند رؤية السحاب الذي يتوقع أن يكون فيه مطر حتى تمطر؛ خشية أن يكون مطر عقوبة وسخط من الله، والخوف من العبادات القلبية التي تزيد في إيمان العبد، ويستشعر معها الإنسان قدرة الله عليه، فإذا كان هذا حال النبي ﷺ فكيف بغيره؟!

المطلب الثالث

العبادات التي تشرع عند نزول المطر

✽ أولاً: الدعاء

كان الدعاء من هدي النبي ﷺ إذا نزل المطر، فكان يدعو الله أن يجعل المطر نافعاً مباركاً وسقياً رحمة، لا سقياً هدم ولا عذاب، ومن الأدعية الواردة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ٢٦) برقم: (٨٩٩) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم).

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مكتب الدراسات، والبحوث في دار الفكر (٣٢ / ٧).

التي يُسنُّ للمسلم الدعاء بها اقتداءً بسنة النبي ﷺ ما يلي:

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: صَيِّبًا نَافِعًا»^(١).

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ صَيِّبًا هَنِيئًا»^(٢).

- جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ: رَحْمَةً»^(٣).

فهذه الأحاديث في مجملها تدلُّ على حرص النبي ﷺ على الدعاء عند نزول المطر بأن يكون مطر رحمة وخير لا مطر عذاب.

ومن الأمور التي تُشرع للمسلم الحرص على الدعاء لنفسه ولغيره وقت نزول المطر؛ لأنه من الأوقات المفضلة التي ترحى فيها إجابة الدعاء^(٤).

قال الشافعي: "وقد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة"^(٥)، فيستكثر من الدعاء.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٢ / ٢) برقم: (١٠٣٢) (كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا مطرت).

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٥١ / ٥) برقم: (٣٨٩٠) (أبواب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦ / ٣) برقم: (٨٩٩) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم).

(٤) انظر: الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة المنار، ١٤٠٧ (ص: ٩٤).

(٥) الأم، محمد بن إدريس الشافعي (٢٨٩ / ١).

❁ ثانيًا: التبرُّك بماء المطر:

ماء المطر ماء مبارك طهور، يُسَنُّ التبرُّك به، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا ﴾ [ق: ٩]، والماء المبارك هنا هو ماء المطر، قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: "البركة في القرآن المطر"^(١)، لهذا جاء في السنة الحث على التبرُّك بماء المطر أوّل نزوله، قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَرًا، قَالَ: فَحَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ. حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّي تَعَالَى^(٢).

والتبرُّك به يكون بالتعرُّض للمطر، وكشف ما يستطيع من بدنه حتى تصيبه بركة المطر، وقد علّل النبي ﷺ ذلك بأنه حديث عهد بربه. قال النووي: "معنى «حديث عهد بربه»؛ أي: بتكوين ربه إيّاه، ومعناه أن المطر رحمة، وهي قريبة العهد بخلق الله - تعالى - لها فيتبرك بها"^(٣)؛ أي أنه مخلوق جديد لم تنله يد الخلق، ولم تمسه، فكان حرّياً بالبركة، ولما يحمله المطر من الرزق والخير العميم.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على اتّباع سنة النبي بالتبرُّك بماء المطر، فعن عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ خَلَعَ ثِيَابَهُ وَجَلَسَ وَيَقُولُ: حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْعَرْشِ^(٤)، وهذا من التبرُّك المشروع، ومن السنن التي فعلها النبي ﷺ وحرص الصحابة على فعلها من بعده.

(١) العظمة، عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (٤/١٢٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣/٢٦) برقم: (٨٩٨) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٦/١٩٥).

(٤) أورده ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٢٦٧٠٢) (كتاب الأدب: من كان يتمطر في أول مطره)، وقد انفرد به المصنف من هذا الطريق.

المطلب الرابع

العبادات التي تشرع إذا كثرت المطر وخيف الضرر

مما يُشرع إذا كثرت المطر، وزاد عن حدّه، وأصبح يندر بخطر على الإنسان والبلاد والحيوان، أن يلجأ الناس إلى دعاء الله أن يُخفف عنهم نزول المطر، وأن يصرفه إلى بطون الأودية، بعيداً عن المساكن والناس، جاء هذا في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَطَرُوا مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَنَقَطَتِ السُّبُلُ، وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَالْأَكَامِ، وَبُطُونِ الْأُودِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ». فَانجَابَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ انجِيَابَ الثَّوْبِ^(١). وفي حديث آخر أنه قال: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا^(٢).

من خلال ما سبق تتضح جلياً مشروعية الدعاء قبل نزول المطر، وفي أثناء نزوله، وإذا كثرت وخيف منه، وهذا يدل على أن الدعاء من أجل العبادات التي تقوي الإيمان، وتجعل العبد على صلة بربه، لما يظهر فيها من الانكسار والانطراح بين يدي الله، والتذلل والانكسار والخوف والرجاء، والتبرؤ من الحول والقوة، والاعتراف بالضعف والعجز، وسؤال الله والتعلق به، والافتقار إليه، وهذا كله من العبادات القلبية التي يجب ألا تُصرف إلا لله وحده، قال ابن

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٩ / ٢) برقم: (١٠١٧) (كتاب الاستسقاء، باب الدعاء إذا تقطعت السبل من كثرة المطر).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٩ / ٢) برقم: (١٠١٥) (كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء على المنبر).

عبد البر: "والدعاء منحُ العبادة؛ لما فيه من الإخلاص والخضوع والضراعة والرجاء، وذلك صريح الإيمان واليقين" (١).

كما ينبغي الإشارة إلى أن جميع العبادات المتعلقة بالمطر، التي ورد ذكرها فيما سبق، يجب ألا تُصرف إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ذلك لأن الإقرار بتوحيد الربوبية والاعتراف بأن الله وحده هو القادر على تصريف المطر وإنزاله، يستلزم من الإنسان ألا يصرف شيئاً من العبادة إلا لله جلَّ وعلا، سواء كانت عبادة متعلقة بالمطر أو غيرها، وهذا هو التحقيق الفعلي لمعنى توحيد الألوهية.

المبحث الثالث

دلالة المطر على توحيد الأسماء والصفات

وفيه تمهيد، وخمسة مطالب:

تمهيد

يتجلى بعض معاني أسماء الله وصفاته في قدرته سبحانه على إنزال المطر، وبما يحمل الغيث من خير ورزق ورحمة للعباد، مما يوجب على المسلم استشعار معاني أسماء الله وصفاته التي يدل عليها المطر، وقبل بيان هذه الأسماء والصفات ينبغي التعريف بتوحيد الأسماء والصفات:

❦ أولاً: معنى الاسم لغة:

يحتمل اشتقاق لفظ (الاسم) مادتين، الأولى: من السُّمُو، بمعنى العلو والرفعة والظهور، ومنه السماء والسَّمَاوَةُ، فكأن الاسم علا فصَارَ عَلَمًا للدلالة

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (٣/ ٧٠).

على مَا تَحْتَهُ مِنَ الْمَعْنَى.

الأخرى: من السّمة بمعنى العلامة على الشيء، وإِنَّمَا سُمِيَتْ تِلْكَ الْكَلِمَةُ بِالْإِسْمِ؛ لَكُونَهَا عِلَامَةً عَلَى مَسَامَاهَا^(١).

❁ ثانياً: معنى الاسم اصطلاحاً:

الاسم كلمة تدل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان^(٢)، أي أن الاسم يأتي دالاً على الذات، وهو يدل على معنى في نفسه دون أن يتعرض للأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، فإذا تعرض للزمن ودل عليه فهو فعل وليس اسماً. وعليه فإن أسماء الله عَزَّجَلَّ أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني^(٣)، وهي في منتهى الحسن والرفعة والعلو.

وأسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها؛ بل تتوقف على ما جاء به الكتاب والسنة^(٤)، وهي كلها حسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ص: ١٥٥)، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمّد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ (١/٥٨)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، دار الهداية (٣٨/٣٠٥).

(٢) انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد بن علي ابن القاضي محمّد حامد التهانوي، مكتبة لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م (١/١٨٥)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي (٣٨/٣٠٦)؛ والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، مؤسسة الرسالة (ص: ٨٣).

(٣) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، محمّد بن صالح بن محمّد العثيمين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ (ص: ٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ١٣).

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الأعراف: ١٨٠﴾.

❖ ثالثاً: معنى الصفة لغة:

أصلها من الوصف، "والصِّفَةُ: الأَمَارَةُ اللَّازِمَةُ لِلشَّيْءِ، يقال لِلخَادِمَةِ وِصِيفَةٌ؛ لَأَنَّهَا تَوْصَفُ عِنْدَ البَيْعِ" (١)، ووصف الشيء: هو نعته (٢)، بمعنى ذكر أوصافه وبيانها.

قال ابن تيمية: "(الصفة) مصدر ووصفت الشيء أصفه ووصفاً وصفة، مثل: وَعَدَّ وَعَدًّا وَعِدَّةً، وَوَزَنَ وَزْنًا وَزِنَةً، وهم يطلقون اسم المصدر على المفعول كما يسمون المخلوق خلقاً، ويقولون: درهم ضرب الأمير، فإذا وصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلماً: سمي المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة، فيقال للرحمة والعلم والقدرة: صفة بهذا الاعتبار، هذا حقيقة الأمر" (٣).

❖ رابعاً: معنى الصفة اصطلاحاً:

هي: "ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية أو معنوية أو فعلية" (٤).
والله عَزَّوَجَلَّ قد وصف نفسه بصفات جاءت في كتابه أو على لسان رسوله،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ (٦/ ١١٥)؛ ومجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس القزويني الرازي (ص: ٩٢٧).

(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٧/ ١٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ (٦/ ٣٤٠).

(٤) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، (ص: ٣١)؛ والصفات الإلهية: تعريفها، أقسامها، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، (ص: ١٢).

وهي كلها صفات كمال وعظمة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، دل على ذلك الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

وصفاته تعالى كلها توقيفية لا مجال للعقل فيها، فلا ثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، قال البغوي في بيان معنى المثل الأعلى: "قيل: جميع صفات الجلال والكمال"^(٢).

❁ خامساً: معنى توحيد الأسماء والصفات شرعاً:

عرّف ابن تيمية توحيد الأسماء والصفات بأنه: "وصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، إثبات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، ونفي ما نفاه عن نفسه من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته"^(٣).

ولهذا فإنه يجب على المسلم أن يعتقد أن الله عزّ وجلّ أسماءً سمى بها نفسه، وصفاتٍ وصف بها نفسه، وأنها كلها حسنى، وهي على ظاهرها، وأن الله جل في علاه بعث رسله بإثبات مفصّل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، كما جاءت في كتاب الله وعلى لسان رسوله الله، ونفوا عنه ما لا يصلح

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص: ٢٨).

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (٥/ ٢٥).

(٣) التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ (ص: ٧).

له من التشبيه والتمثيل، على وجه الإجمال لا التفصيل^(١).

وهذه طريقة السلف في توحيد الأسماء والصفات، وعلى المسلم أن يؤمن بها كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، من غير تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل، وما ضل من ضل من الفرق إلا بإعمال عقولهم فيما لا تدركه عقولهم وأفهامهم. وقد جعل الله المطر شاهداً ودليلاً على كثير من أسماء الله وصفاته، وسأكتفي بذكر بعض منها في المطالب التالية؛ لعدم القدرة على الإحاطة بها.

المطلب الأول

دلالة المطر على اسمي (الرحمن والرحيم) وعلى صفة (الرحمة)

المطر يحمل في طيَّاته رحمةً من الله لخلقه، بما يعقبه من إنبات الزرع، وخروج الحَبِّ، وظهور الثمر، وتوفر الماء، وما يخرج من الأرض من طعام للماشية، فيكثر لحمها وشحمها وسمنها، ولولا رحمة الله بمخلوقاته لهلكت الدوابُّ وهلك الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩]، لهذا سمى الله المطر رحمةً؛ لما يحمل من رحمة الله بمخلوقاته، قال تعالى: ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم: ٥٠] وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا رأى المطر: «رحمة»^(٢)، وسمى نفسه بالرحمن والرحيم لأن رحمته وسعت كل شيء، والمطر أحد مظاهر رحمة الله بخلقه؛ ولهذا ينبغي على المسلم أن يستشعر معنى اسمي الله (الرحمن، والرحيم) ويتعبده بهما.

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ٨).

(٢) تقدم تخريجه صفحة ٥٣.

المطلب الثاني

دلالة المطر على اسم (العليم) وعلى صفة (العلم)

العلم على ضربين، علم مشاع هياً لله للعباد أسباب معرفته، والناس فيه متفاوتون، ما بين مقلِّ ومُكثِّر، وعلم اختصَّ الله به، وحجبه عن خلقه، واستأثر الله به عنهم، وجعل مفاتيح هذا العلم بيده، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقد جاء في السُّنَّة بيان لمفاتيح الغيب التي اختصَّ الله بها، فعن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»^(١)، فجعل الله عزَّ وجلَّ إنزال الغيث من العلم الذي اختصَّ الله به، لا يعلم حقيقته أحد؛ لا ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، وقد ورد في اختصاص الله بهذا العلم قولان:

القول الأول: أنه لا يعلم متى ينزل الغيث الا الله، فإذا أمر به ملائكته ظهر علم ذلك لهم ولمن يريد أن يطلعه من خلقه عليه.

قال ابن كثير: "إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكِّلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه"^(٢)، فيكون العلم بالمطر مختصاً بالله عزَّ وجلَّ، ولا يعلم به أحد من خلقه إلا بعد أن يأمر الله به، فإذا أمر به أصبح علمه لمن شاء من خلقه.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١١٥) برقم: (٧٣٧٩) (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا).

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٦ / ٣١٥).

القول الثاني: أن المقصود من ذلك هو اختصاص الله بعلم نزول الغيث وقته، فلا يعلمه أحد^(١)، قال قتادة: "فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلاً أو نهاراً"^(٢)، ويؤيد ذلك ما جاء في السنة في قوله ﷺ: «وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ»^(٣)، وبهذا القول يكون الله عَزَّجَلَّ مختصاً بعلم الغيث، لا يعلمه أحدٌ من خلقه.

ويمكن الجمع بين القولين السابقين؛ بأنهما متفقان على أن الله اختصَّ بعلم الغيب قبل الأمر به، وأما بعد الأمر به فقد يُطَّلَعُ الله عليه مَنْ يشاء من عباده، ويحمل القول الثاني على أن نفي علم المخلوقين به يكون قبل الأمر به، ويُقاس على هذا أن الله عَزَّجَلَّ اختصَّ بعلم الأرحام، فلا يعلم ما فيها إلا هو، هذا قبل النفخ في الروح، وأما بعد النفخ في الروح فقد يُطَّلَعُ الله مَنْ يشاء عليها.

قد يرد هنا تساؤل حول ما يصدر من الإخبار بأحوال الطقس، وتوقُّع نزول الأمطار مع استئثار الله بعلم نزول الغيث.

الجواب على ذلك يكون في عدة نقاط:

أولاً: أن ما يرد حول أخبار الطقس وتوقُّع هطول الأمطار مبنيٌّ على أساس دراسة لحركة السحب^(٤)، وحركة الرياح، ومعرفة التضاريس^(٥)، التي جرت

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص: ٦٥٣)؛ وشرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٣٠/٣).

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، (٢٤٥/٤)؛ تفسير القرآن العظيم (٣١٨/٦).

(٣) تقدم تخريجه صفحة ٦٢.

(٤) انظر: قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، جودة حسنين جودة - فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية (ص: ٢٨١).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٥٧)؛ والجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف،

العادة أنه إذا اجتمعت هذه الأسباب فإنه يحتمل نزول المطر؛ ذلك أن الله جعل للمطر أسباباً متعلقة بحدوثه، مثل غيره من بقية المخلوقات، وقد وضح الله ذلك في كتابه، فقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَدَلٍ مِّمَّتْ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فعلماء الطقس عند دراستهم لهذه الأسباب يُصدرون توقعهم بنزول المطر دون الجزم بذلك.

ثانياً: ما يصدر من الأرصاد الجوية كُله مجرد توقّعات وتخمينات قد تصيب وقد تخطئ، ولكن لا يُقطع بها ولا يُجزم بذلك.

ثالثاً: أنه لا يعلم متى ينزل المطر على وجه التأكيد إلا الله، ولا يعلم كميته وعدد قطراته والأرض التي سيصيبها إلا الله، فدلّ هذا على أن علم الغيث من العلوم التي اختصّ الله بها نفسه سبحانه.

رابعاً: ما بينته سابقاً أن علم المطر مما اختصّ الله به قبل الأمر به، وأما بعد الأمر به فعلى الرأي الراجح أنه يصبح ممكناً لمن شاء من خلقه، لكن لا يجزم ويقطع به.

المطلب الثالث

دلالة المطر على اسم (الرزاق) وعلى صفة (الرزق)

المطر رزق من الله لعباده؛ حيث جعله أصلاً لمادة الرزق وأساساً له، على اختلاف في كميته ونوعه^(١)، ذلك أن الله -جلّ في علاه- يُنزل الماء من السماء

دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الحادية عشرة (ص: ٢١١).

(١) انظر: البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ،

مكتبة الهداية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ (ص: ١٣٧).

فيخرج الرزق للإنسان والحيوان؛ لهذا سماه الله في كتابه رزقاً، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، لذا وجّه القرآن الكريم عباده إلى استشعار هذه النعمة وشكر الله عليها، والاعتراف بالفضل لله، قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، جاء في تفسير هذه الآية أنه كان من عادة الجاهليّة إذا نزل عليهم المطر قالوا مُطَرْنَا بنجم كذا، فينسبون رزق الله لهم بالمطر إلى النجوم، فجاءت الآية توبيخاً لهم؛ بسبب أنهم يجعلون شكر الرزق الذي رزقهم الله - وهو المطر - إلى غير الله^(١)، وقد سمي الله نفسه (الرزاق)؛ لأن رزقه يشمل جميع مخلوقاته العلوية والسفلية، فما من مخلوق إلا وهو يتقلب في نعمه، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

المطلب الرابع

دلالة المطر على اسم (الخالق) وعلى صفة (الخلق)

المطر يدلُّ على صفة الخلق والإيجاد لله عزَّ وجلَّ، وقد جاء هذا في آيات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [الزمر: ٢١]، وقد أقرَّ المشركون بأن الله هو الخالق، ومع هذا لم ينفعهم إقرارهم، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

والمطر أحد مظاهر قدرة الله على خلق المخلوقات، وتصريفها وتديرها

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني

كيف يشاء، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم^(١)، وقد سمي نفسه الخالق في مواضع عديدة من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

المطلب الخامس

دلالة المطر على اسمي (المحيي والمميت)

وعلى صفتي (الإحياء والإماتة)

وردت آيات كثيرة تبين قدرة الله عزَّجَلَّ على إحياء الأرض بعد موتها، وقد جعل الله المطر أحد مظاهر قدرة الله على الإحياء والإماتة^(٢)، وقد جعله الله شاهداً على كمال قدرته على بعث الموتى من قبورهم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، فهذه الآية العظيمة فيها دعوة إلى التأمل في خلق الله، توجب على المسلم استشعار معنى اسمي الله (المحيي والمميت).

وفي هذا المبحث عرضت بعضاً مما تضمنته أدلة نزول المطر من أسماء الله وصفاته، والواجب على المسلم أن يستشعر هذه الصفات والأسماء، وأن يؤدي حقها لله عزَّجَلَّ، من غير تكييفها أو تمثيلها بصفات المخلوقين، أو تحريف معانيها اللائقة بالله تعالى، وهو ما أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (ص: ٢٠).

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، دار الثقافة العربية (ص: ٥٦).

الخاتمة

في ختام هذا البحث أرى أنه من المناسب ذكر أهمّ النتائج التي توصلت إليها، وهي تتمثل فيما يلي:

١- أن المطر دليل وشاهد على ربوبية الله، وهذا يستلزم إثبات ألوهيته، أنه المستحق للعبادة وحده دون سواه.

٢- أن المطر خلق من خلق الله، وهو من أفعاله الخاصة به، لا يشاركه في غيره.

٣- أن الله أمر عبادة بالتفكير والتأمل في قدرته على إنزال المطر.

٤- الاستدلال على البعث بقدرته الله على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها.

٥- أن الحكم على نسبة المطر إلى غير الله تختلف بحسب اللفظ والاعتقاد، فإذا نسب المطر إلى غير الله معتقداً أن غيره قادر على خلق المطر، فهو كافر كُفراً مخرجاً من المِلَّة، وأما إذا نسب المطر إلى الأسباب معتقداً أن الله خالق السبب والمسبب وإنما نسبه إليها على أنها علامة على نزول المطر - لكن في نسبه إيهام فهو مؤاخذ على اللفظ - فهذا محرّم لا يجوز، وإذا نسبها إلى وقت اعتاده الناس معتقداً أن المطر من خلق الله جاز ذلك.

٦- أن نسبة المطر إلى النجوم كفر، فإذا اعتقد أنها تخلق المطر فهو كفر مخرج من المِلَّة، وإذا لم يعتقد أنها تخلق المطر فهو كفر نعمة لا يخرج من المِلَّة.

- ٧- أن الاستمطار بالمعنى المعاصر يُطلق على فعل الطائرات، من خلال محاولة التأثير في السحب، ويختلف حكمه بحسب ما يعتقدّه الإنسان.
- ٨- أن الاستمطار بالطائرات وسيلة تخضع لمشيئة الله، يجوز استخدامها، لكن لا يجوز نسبة المطر إليها.
- ١٠- أن الله شرّع عبادات تتعلّق بالمطر، لا يجوز أن تُصرف لغير الله.
- ١١- أن الاستسقاء لا يقتصر على الصلاة فقط؛ بل يُشرع كذلك الدعاء والاستغفار والصدقة والصلاة.
- ١٢- أن الذنوب سبب من أسباب حبس المطر، والطاعات سبب من أسباب نزول المطر.
- ١٣- أنه يُشرع الخوف عند رؤية السحاب المحمّل بالمطر، خشية أن يكون عذاباً.
- ١٥- أن الدعاء من العبادات التي تشرع عند نزول المطر.
- ١٦- من السنة التبرُّك بماء المطر عند أول نزول له، وحسر الثوب والتعرُّض له.
- ١٧- أن الدعاء مشروع عند كثرة نزول المطر والخوف من الضرر.
- ١٨- أن المطر دال وشاهد على بعض صفات الله، مثل صفة الرحمة والعلم والرزق والخلق والإحياء والإماتة.
- ١٩- أن علم المطر مما اختصّ الله به نفسه سبحانه، فإذا أمر بالمطر جعل علمه متاحاً لمن أراد من خلقه.

في نهاية البحث أوصي بما يلي استكمالاً للفائدة:

- بحث دلالة المطر في بقية مسائل الاعتقاد مرتبة على أركان لإيمان.
- بحث بقية الظواهر الكونية كالرياح والزلازل وغيرها مرتبة على أركان الإيمان.

في الختام يبقى هذا العمل عملاً بشرياً معرضاً للنقص والخطأ، فإن أصبت فبتوفيق الله وتسديده، وإن أخطأت فأستغفر الله وأتوب إليه، وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ.
- ٣- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار قتيبة، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ.
- ٤- الأم، الامام ابي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ.
- ٥- البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، مكتبة الهداية، الطبعة: الأولى ١٤١٠ هـ.
- ٦- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ.
- ٧- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، مكتبة العبيكان، الطبعة: السادسة ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م.
- ٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

- ٩- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
- ١٠- الجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف، دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الحادية عشرة.
- ١١- الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣.
- ١٢- الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مكتبة المنار، ١٤٠٧ هـ.
- ١٣- السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.
- ١٤- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- ١٥- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ.
- ١٦- الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ١٧- العظمة، عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.
- ١٨- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، دار

ومكتبة الهلال.

١٩- الفوائد، تمام بن محمد الرازي أبو القاسم، مكتبة الرشد، ١٤١٢هـ، الرياض.

٢٠- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢١- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٢٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٣- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة - لبنان.

٢٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي.

٢٥- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المجلس العلمي والمكتب الإسلامي الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

٢٦- المصنف لابن أبي شيبه، أبو بكر بن أبي شيبه، دار القبلة - السعودية، مؤسسة علوم القرآن - سوريا، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٧- المغني لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي،

مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٢٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقى،
الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ.

٢٩- الموسوعة العربية العالمية، من دائرة المعارف العالمية World
Book International.

٣٠- الموطأ، مالك بن أنس المدني، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان
للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ -
٢٠٠٤م.

٣١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار
إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

٣٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،
الناشر دار الهداية.

٣٣- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق
الزجاج، دار الثقافة العربية.

٣٤- تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر
بن حمد آل سعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢،
السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ.

٣٥- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري
الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- ٣٦- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ٣٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٣٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٣٩- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمّد نكري، دار الكتب العلمية-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ٤٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الفكر، ١٣٩٤هـ.
- ٤١- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني، دار الفكر، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- ٤٢- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.
- ٤٣- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ.
- ٤٤- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

- ٤٥ - صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٤٦ - عقيدة التوحيد في القرآن الكريم محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة ١٣٧٩.
- ٤٨ - فتح الباري لابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.
- ٤٩ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر.
- ٥٠ - قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، جودة حسنين جودة - فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية.
- ٥١ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ.
- ٥٢ - مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٣ - مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٥٤ - مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد

القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت - صيدا،
الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

٥٥ - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد
بن علي الحكمي، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٥٦ - معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة
للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٥٧ - معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن
خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة:
الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٥٨ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو
الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٥٩ - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن
القاضي محمد حامد الحنفي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة:
الأولى -١٩٩٦م.

٦٠ - نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار
الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.



الفهرس

١٥	ملخص البحث.....
١٦	المقدمة.....
٢٣	التمهيد التعريف بمفردات البحث (دلالة المطر على توحيد الله).....
٢٣	المسألة الأولى: بيان معنى دلالة.....
٢٤	المسألة الثانية: بيان معنى المطر.....
٢٤	المسألة الثالثة: بيان معنى التوحيد.....
٢٧	المبحث الأول: دلالة المطر على توحيد الربوبية.....
٢٧	تمهيد.....
٢٨	المطلب الأول: المطر شاهد على ربوبية الله.....
٢٨	أولاً: دلالة المطر على الخلق والملك والتدبير.....
٣٠	ثانياً: الاستدلال على المطر بالبعث بعد الموت.....
٣١	المطلب الثاني: حكم نسبة المطر إلى غير الله.....
٣١	المسألة الأولى: أقسام نسبة المطر إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ.....
٣٤	المسألة الثانية: صور من نسبة المطر إلى غير الله.....
٤١	المبحث الثاني: دلالة المطر على توحيد الألوهية.....
٤١	تمهيد.....
٤٢	المطلب الأول: العبادات التي تشرع قبل نزول المطر.....
٤٢	أولاً: الصدقة.....
٤٤	ثانياً: الاستغفار.....

- ٤٨..... ثالثاً: الدعاء
- ٥١..... رابعاً: الصلاة
- ٥٢..... المطلب الثاني: العبادات التي تُشرع عند رؤية السحاب الثقال
- ٥٣..... المطلب الثالث: العبادات التي تُشرع عند نزول المطر
- ٥٣..... أولاً: الدعاء
- ٥٥..... ثانياً: التبرُّك بماء المطر
- ٥٦..... المطلب الرابع: العبادات التي تُشرع إذا كثرت المطر وخيف الضرر
- ٥٧..... المبحث الثالث: دلالة المطر على توحيد الأسماء والصفات
- ٥٧..... تمهيد
- المطلب الأول: دلالة المطر على اسمي (الرحمن والرحيم) وعلى
- ٦١..... صفة (الرحمة)
- ٦٢..... المطلب الثاني: دلالة المطر على اسم (العليم) وعلى صفة (العلم)
- ٦٤..... المطلب الثالث: دلالة المطر على اسم (الرزاق) وعلى صفة (الرزق)
- ٦٥..... المطلب الرابع: دلالة المطر على اسم (الخالق) وعلى صفة (الخلق)
- المطلب الخامس: دلالة المطر على اسمي (المحيي والمميت)
- ٦٦..... وعلى صفتي (الإحياء والإماتة)
- ٦٧..... الخاتمة
- ٧٠..... المراجع
- ٧٧..... الفهرس



المسائل العقدية المتعلقة بالبیت المعمور جمعاً ودراسة

د. أحمد علي الزاملي

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد، قسم العقيدة
والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين
بجامعة الملك خالد بأبها

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛ فإن الإيمان بالبيت المعمور واجب على ما وردت به النصوص، وكذا الإيمان بالمسائل العقدية المتعلقة به، مما لا يستطيع العقل البشري الوصول إليه بمجرد، فدراستها من الأهمية بمكان، خاصة أن الله تعالى أقسم به في كتابه، وأتى ذكره في سنة نبيه ﷺ. واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد، وخمسة مباحث وخاتمة، وفهارس عامة.

المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد، ويشتمل على التعريف بالبيت المعمور لغة وشرعاً:

المبحث الأول: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالإيمان بالغيب.

المبحث الثاني: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالملائكة.

المبحث الثالث: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالأنبياء.

المبحث الرابع: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالمؤمنين.

المبحث الخامس: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالمخالفين.

المبحث السادس: مسائل متفرقة تتعلق بالبيت المعمور.

الخاتمة، واشتملت على أهم النتائج.

والله المسؤول أن ينفع به، وأن يجعل عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم.

د. أحمد بن علي الزاملي عسيري

alzamli@kku.edu.sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه السادة المكرمين.

أمّا بعد؛ فالإيمان بالأمور الغيبية أوجب الواجبات، ومن خالف في أمرٍ غيبي ثابت بالنص، فقد خالف ما يجب معه عقد الإيمان، وقد أثنى ربنا سبحانه على خاصة عباده بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣]، فجعل الإيمان بالغيب أحصّ صفاتهم، وهو أوّلَى وأوّلَى خلالهم، كما أن في الإيمان بالغيب تحقيقاً للرغبات والنزعات البشرية في معرفة ما غاب عن المشاهدة، مما لا يستطيع العقل البشري الوصول إليه بمجرد.

لذا فإن الإيمان بالبيت المعمور واجب على ما من بلغته النصوص، ودراسة المسائل العقديّة المتعلقة به من الأهمية بمكان، خاصة أن الله تعالى أقسم به في كتابه^(١)، تنبيهاً وتنبههاً على عظمتها، وإشارة منه سبحانه إلى الاهتمام بالمقسّم به، وأنه جدير بالعناية والإثبات؛ فهو دليل على ربوبيته وألوهيته ووحدانته وعلمه وقدرته ومشيتته ورحمته وحكمته وعظمتها وعزته^(٢)، وتعظيم ما ورد الشرع بتعظيمه من أعظم العبادات وأجلّ القربات، وهو امثال لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

(١) سورة الطور: آية ٤.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ٢٩٠).

كما أن السنة أوردت دلائل وآيات نبوته ﷺ، ومن تلك الآيات العظيمة التي أكرم بها نبينا ﷺ آية الإسراء والمعراج^(١)، التي جاء في ذكرها البيت المعمور -موضوع بحثنا هذا-.

ولا توجد دراسة أو رسالة علمية - فيما اطّلت عليه - تتعلق بالموضوع وبحثه بتفاصيله، كما هي وظيفة هذا البحث، سوى ما تعرّض له العلماء من الإشارة إلى البيت المعمور عند الحديث عن الإسراء والمعراج في كتب السيرة، وشروح السنّة، وكتب التفسير^(٢)، أو في مؤلفات مفردة^(٣)، وهي بعيدة عن أصل البحث وطريقة تناوله.

لذا رغبت في جمع المسائل العقديّة المتعلقة بالبيت المعمور وترتيبها وتحقيقتها، مستعيناً بالله تعالى، مسمىً هذا البحث بـ: "المسائل العقديّة المتعلقة بالبيت المعمور جمعاً ودراسة".

✽ خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد، وخمسة مباحث وخاتمة،

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (رقم ١٦٤).

(٢) عند تفسيرهم لآيات سورتي الإسراء والنجم.

(٣) من ذلك كتاب "المعراج"؛ لأبي القاسم القشيري، و"نور المسرى في تفسير آية الإسراء"؛ لأبي شامة المقدسي، و"الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء"؛ للسيوطي، و"الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج"؛ لأبي المواهب نجم الدين الغيطي، وكتاب "الإسراء والمعراج"؛ للدكتور محمد أبي شهبة، و"أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية"؛ للدكتور رفعت فوزي عبدالمطلب، و"الإسراء والمعراج ومسائل العقيدة" لعمر القرموشي... وغيرها الكثير.

وفهارس عامّة.

المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد ويشتمل على: التعريف بالبيت المعمور لغة وشرعاً.

المبحث الأول: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالإيمان بالغيب.

المبحث الثاني: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالملائكة.

المبحث الثالث: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالأنبياء.

المبحث الرابع: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالمؤمنين.

المبحث الخامس: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالمخالفين.

المبحث السادس: مسائل متفرقة تتعلق بالبيت المعمور.

خاتمة: البحث واشتملت على أهم النتائج.

واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والاستنباط، مع التزام خطوات البحث العلمي المنهجي، من عزو الآيات إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث، وذكر الحكم عليها، إن لم يكن الحديث في الصحيحين أو في أحدهما.

كما سلك الباحث في هذا البحث مسلك الاختصار، مع الحرص على عدم الإخلال، مع مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة.

والله المسؤول أن ينفع به، وأن يجعل عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم.

تهديد

في التعريف بالبيت المعمور لغة وشرعاً

البيت في اللغة: اسم لما يُبَات فيه ويُمكث فيه، وهو المسكن، والبيت اسم من أسماء الكعبة، وبيت الله: المسجد، والمعمور: اسم مفعول من عمّر، والعمارة نقيض الخراب^(١)، وبلد معمور؛ أي: بلد أهل بالسكان، والبيت المعمور: هو البيت المأهول بالعُباد والمصلّين والطّائفين، وهو الذي يعمر بكثرة زائريه^(٢).

أما شرعاً، فالبيت المعمور: هو بيت في السماء السابعة، لا تُعلم هيئته، عمّاره من الملائكة، تقصده تعبداً لله عزّ وجلّ، أقسم الله به في كتابه، ورآه النبي ﷺ ليلة المعراج، وهو بحيال الكعبة من فوقها^(٣).

وللبيت المعمور أسمٌ آخر، وهو: الضُّرَّاحِ بضم الضاد، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وعكرمة ومجاهد^(٤)، ويروى الضُّرَّيح من المضارحة، وهي المقابلة والمضارعة، قال ابن الأثير: "ومن رواه بالصاد فقد صحَّف" ^(٥).

-
- (١) ينظر: المفردات (ص ٣٤٧)، مختار الصحاح (ص ٢١٨)، لسان العرب (٤/٦٠٤).
- (٢) ينظر: القاموس المحيط (ص ٥٧١)، المعجم الوسيط (ص ٦٢٧)، معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر (٢/١٥٥٣).
- (٣) ينظر: تفسير الطبري (٢١/٥٦٢)، الشريعة للأجري (٣/١٥٣٤) تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميحي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٣٢)، العظمة لأبي محمد الأصفهاني (٢/٦٢٣).
- (٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥/٢٩)، والأزرقي في أخبار مكة (١/٩٢)، ورواه ابن جرير في تفسيره (٢١/٥٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٥٥)، قال محقق الكتاب (إسناده لا بأس به)، ورواه الضياء في الأحاديث المختارة (٢/١٧٦)، ورواه إسحاق بن راهويه كما ذكر الحافظ في المطالب العالية (١٥/٢٧٩).

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/٨١)، ولسان العرب (٢/٥٢٧)، وتاج

المبحث الأول

مسائل البيت المعمور المتعلقة بالإيمان بالغيب

الإيمان بالغيب هو أكبر مسألة من مسائل الاعتقاد، وأكبر قضية من قضايا العمل أيضاً.

فجميع أركان الإيمان الستة غيبٌ، ولا سبيل إلى العلم بالغيب إلا عن طريق الخبر، إما من كتاب الله عزَّوجلَّ، وإما عن طريق نبيه ﷺ، لذا كان الإيمان بالغيب ركيزةً أساسيةً من ركائز الإيمان، ومفترق الطريق بين المؤمنين وبين الكافرين والملحدّين والمنحرفين، فكان الإيمان بوجود البيت المعمور هو من الإيمان بالغيب.

❖ مسألة: الأدلة على إثبات البيت المعمور:

سبق بيان أنه لا سبيل إلى العلم بحقيقة البيت المعمور إلا عن طريق الخبر، إما من كتاب الله عزَّوجلَّ، وإما عن طريق نبيه ﷺ، وفيما يلي بيان ذلك:

❖ أولاً: الأدلة من القرآن:

أقسم الله تعالى بالبيت المعمور في قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]، دلالة على الاهتمام بالمقسم عليه، وأنه جدير بالعناية والإثبات^(١)، قال العلماء وعامة المفسرين^(٢): هو بيت في السماء السابعة، خصصه الله للملائكة

العروس للزبيدي (٤/١٣٤).

(١) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠/٦١٢-٦١٣)

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٤٥٦)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٢١٠)، زاد المسير (٨/٤٦)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٤/٢٩٣)،

يحجون إليه كما يحج المؤمنون إلى الكعبة، ويدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، قال آخرون^(١): هو بيت الله الحرام الكعبة المشرفة بمكة المكرمة زادها الله تشریفاً وتعظيماً، وأن عمرانها بالمجاورين عندها والحجاج إليها.

و حمل بعضهم الآية على المعنيين جميعاً؛ لأن "القاعدة في التفسير: أن الآية إذا احتملت معنيين على السواء، وليس بينهما منافاة وجب أن تحمل على كل منهما؛ لأن المتكلم بها وهو الله - جل وعلا - عالم بما تحتمله من المعاني، وإذا لم يبين أن المراد أحد المعاني فإنه يجب أن تحمل على كل ما تحتمله من المعاني الصحيحة لا المعاني الباطلة، وليس هناك منافاة بين أن يكون المقسم به الكعبة، أو البيت المعمور في السماء؛ لأن كلا البيتين معظم، ذاك معظم في أهل السماء، وهذا معظم في أهل الأرض، ولا مانع، فالصواب أن الآية شاملة لهذا وهذا، إلا إذا وُجد قرينة ترجح أن المراد به البيت المعمور في السماء"^(٢).

والقرينة أن البيت المعمور أتى ذكره في أحاديث الإسراء والمعراج الواردة في الصحيحين^(٣)، بأنه بيت في السماء، مطاف للملائكة، ومظهر لعظمته تعالى، ومحل لتقديسهم وتسيبهم إياه - جل وعلا-، وما يزيد من رجاحة هذا القول أنه

الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعالبي (٩/ ١٢٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١١٤).
 (١) نقل الماوردي هذا القول في تفسيره النكت والعيون (٥/ ٣٧٨) عن الحسن وأبي عبيدة ومحمد بن عباد بن جعفر، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٧)، والقرطبي في تفسيره (١٧/ ٦٠).
 (٢) تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص ١٧٥)، وينظر: التفسير الكبير للرازي (٢٨/ ٢٠٥).
 (٣) ينظر: البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (رقم ١٦٤).

قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١) وعامة المفسرين وهو مروى عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢).

❁ ثانياً: الأدلة من السنة:

ورد ذكر البيت المعمور في حديث الإسراء الطويل^(٣)، حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: ((فُرفِع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم^(٤))).^(٥)

(١) رواه الأزرقي في أخبار مكة (٩٢/١)، قال محقق الكتاب: إسناده حسن، ورواه الطبراني الكبير (٤١٣/١١)، وعبد الرزاق في المصنف (٢٨/٥)، ورواه البيهقي موقوفاً عن ابن عباس في الشعب (٤٥٩/٦)، وقال محققه: إسناده لا بأس به.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٩/٥)، والأزرقي في أخبار مكة (٩٢/١)، ورواه ابن جرير في تفسيره (٥٦٣/٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٥/٦)، قال محقق الكتاب (إسناده لا بأس به)، ورواه الضياء في الأحاديث المختارة (١٧٦/٢)، ورواه إسحاق بن راهويه كما ذكر الحافظ في المطالب العالية (٢٧٩/١٥)، تفسير الألوسي (٤٢٤/١٩).

(٣) الإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. ينظر: شرح الطحاوية (٢٧٠/١)، وتفسير ابن كثير (٤٠-٤١)، وزاد المعاد (٤٠٤٢/٣)، الإسراء والمعراج ومسائل العقيدة فيهما لعمر القرموشي (٤٧٠/٢).

(٤) قال أحمد الكوراني في كتابه الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: "أي: ما بقي لهم من العمر" (١٧١/٦)، وقال صاحب مطالع الأنوار: "وهذا أعظم دليل على كثرة الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم"، وتعليق مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري (١٠٩/٤)، قال فيه: أي دخولهم الأول ذلك هو آخر دخولهم لكثرتهم. وينظر: شرح صحيح مسلم (٢٢٥/٢)، مطالع الأنوار في صحاح الآثار لإبراهيم بن الوهراني الحمزي (٢١٠/١)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى لمحمد الإثيوبي الوَلَوِي (٥٧/٦).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان،

وفي رواية لقتادة قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: ((هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لو خر لخر عليها))^(١).

ومما سبق نقطع بوجود البيت المعمور في السماء، ووجوب الإيمان بالبيت المعمور على ما وردت به النصوص؛ إذ إن الإيمان به داخل ضمن الإيمان بالغيب والإيمان بالملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وما ورد فيهم.

❁ مسألة: الأخبار الواردة في وصف البيت المعمور:

أُتي في وصف البيت المعمور: بأنه خُلِقَ من درة جوفاء^(٢)، وقيل: من ياقوتة من يواقيت الجنة، له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي^(٣)، وفيه قناديل من الجنة^(٤)، وهو في العرض والطول مثل الكعبة المشرفة، إلا أن قامته كما بين السماء والأرض^(٥)، وأنه تحت العرش على أربع أساطين من زبرجد مغطوة بياقوتة حمراء^(٦)، وأنه فوق الكعبة، كما دلت عليه الأحاديث السابق

باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (رقم ١٦٤).

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٥٦٥ / ٢١)، وحكم عليه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٤٧٧) بقوله: وهذا إسناد مرسل صحيح، وأصل الحديث صحيح في البخاري ومسلم وغيرهما في حديث الإسراء والمعراج (٨٥٩ / ١).

(٢) ينظر: العظمة للأصبهاني (٦٢٣ / ٢) عن وهب رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١ / ١١٥) أخرجه الجندي والديلمي عن ابن عباس.

(٤) ينظر: الدر المشثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٦٨٧ / ١) أخرجه الجندي والديلمي عن ابن عباس.

(٥) أخرجه مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣٨١ / ٢).

(٦) ينظر: الجبائك في أخبار الملائك (١ / ١٨٥)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٨٢ / ٤) عن

ذكرها، ومنها قوله ﷺ: ((هو بحيال الكعبة من فوقها))، وقوله ﷺ: ((إنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لو خر لخر عليها))^(١).

واختلفوا في موضعه على أوجه عدة:

القول الأول: أنه في السماء السابعة، لما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال: قال رسول الله ﷺ: ((أتى بي إلى السماء فرفع لنا البيت المعمور في السماء السابعة، فإذا هو حيال الكعبة، لو خر خر عليها، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه))^(٢)، كما صح عنه ﷺ: أنه رأى إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وهو في السابعة على الراجح^(٣).

وهو رواية الجماعة بلا خلاف^(٤)، وقول لعلي^(٥) وابن عباس^(٦) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولم أف على حكم لأثار وصف البيت المعمور السابقة.
(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٥٦٥/٢١)، ينظر: السلسلة الصحية حديث رقم (٤٧٧).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (رقم ١٦٤).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (١٦٢).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤٦٢/١)، والمراد بالجماعة: أي أصحاب الكتب السبعة الحديثية (الصحيحين والسنن الأربعة والموطأ).

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٩/٥)، والأزرقي في أخبار مكة (٩٢/١)، ورواه ابن جرير في تفسيره (٥٦٣/٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٥/٦)، قال محقق الكتاب (إسناده لا بأس به)، ورواه الضياء في الأحاديث المختارة (١٧٦/٢)، ورواه إسحاق بن راهويه كما ذكر الحافظ في المطالب العالية (٢٧٩/١٥)، تفسير الألوسي (٤٢٤/١٩).

(٦) رواه الأزرقي في أخبار مكة (٩٢/١)، قال محقق الكتاب: إسناده حسن، ورواه الطبراني في

الثاني: ما قاله السدي (ت ١٢٧هـ): إن البيت المعمور، هو بيت فوق ست سموات، ودون السابعة، يدعى الضراح، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، وهو بحذاء البيت العتيق^(١).

الثالث: أنه في السماء السادسة كما روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

الرابع: جاء عن أنس مرفوعاً "أنه في السماء الرابعة"^(٣).

الخامس: أنه في السماء الدنيا، قال الربيع بن أنس (ت ١٣٩هـ)، إن البيت المعمور كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم، بنته له الملائكة، حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يحجوا، فأبوا عليه وعصوه، فرفع زمن الطوفان، فجعل بحذائه في السماء الدنيا، فيعمره، فبوأ الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، وكان هذا شبهة من قال إنه الكعبة^(٤).

سادساً: محاولة الجمع بين الأقوال السابقة، ذلك أنه لا تنافي بين هذه الأقوال؛ لأن البيت المعمور يطلق بالاشتراك اللفظي على الذي في السماء

الكبير (٤١٣/١١)، وعبد الرزاق في المصنف (٢٨/٥)، ورواه البيهقي موقوفاً عن ابن عباس في الشعب (٤٥٩/٦)، وقال محققه: إسناده لا بأس به.

(١) ينظر: الأزرق في أخبار مكة (٩٢/١)، وتفسير ابن جرير (٥٦٣/٢١).

(٢) تفسير السمعاني (٢٦٧/٥).

(٣) ينظر: فتح الباري (٣٠٩/٦)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى شرح سنن النسائي لمحمد الإثيوبي الوَلَوِي (٦٠/٦).

(٤) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٣١٠-٣١٥)، ولم أقف بعد البحث على حكم هذه الآثار.

السابعة - وهو الأشهر - وعلى الكعبة^(١)، بل يطلق على بيوته عَزَجَلَّ كلها؛ لأن في كل سماء بيتاً يتعبد فيه أهلها، ويصلّون إليه^(٢)، والذي منها في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة، وقد قيل: إن الله تعالى أمر ملائكته: "أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة، وأن يجعلوا طوافهم له لكونه أهون من طواف العرش، ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتاً، وفي كل أرض بيتاً. قال مجاهد: هي أربعة عشر بيتاً"^(٣)، وفي رواية: ((هذا البيت خامس خمسة عشر بيتاً، سبعة منها في السماء إلى العرش، وسبعة منها إلى تخوم الأرض، وأعلىها الذي يلي البيت المعمور، لكل بيت منها حرمٌ كحرم هذا البيت، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت))^(٤).

وبالنظر في الأقوال السابقة يتضح أنها مرجوحة تفتقد صحة الدليل، عدا ما ذكر في القول الأول لدلالة الأحاديث الصحيحة عليه.

المبحث الثاني

مسائل البيت المعمور العقديّة المتعلقة بالملائكة

الإيمان بالملائكة أصلٌ من أصول الاعتقاد، لا يتم إيمان العبد إلا به، وهو يتضمن الإيمان بوجودهم، وبما عُلم من أسمائهم وأوصافهم، وبما علم من

(١) المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة لابن حجر الهيتمي (ص: ٣٦)

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/٤٦٢)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٩/٢١١).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/٢١١)

(٤) الحبانك في أخبار الملائك للسيوطي (ص ١٨٥)، ولم أقف على إسناد لهذه الرواية.

أعمالهم، مع التقرب إلى الله بحبهم وتوليهم^(١).

ومن جملة ما يجب الإيمان به في هذا الباب، الإيمان بوجود البيت المعمور -الذي يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، وإذا خرجوا لم يعودوا إليه^(٢)- لتعلقه الواضح وصلته العميقة بالإيمان بالملائكة، المجبولة على طاعة الله وأداء حقه.

✽ مسألة: عدد الملائكة:

جاء في حديث الإسراء المتفق عليه: ((فرغ لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم^(٣) سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...))^(٤)، وهذا يدل على أن الملائكة أكثر الخلق، إذ لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه كل يوم سبعون ألفاً منذ خلقه الله تعالى وإلى يوم القيامة غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر. لا شك أن عددهم لا يتخيله عقل ولا يحسبه إنسان، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى،

(١) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/٣٠٢)، شعب الإيمان للبيهقي (١/١٦٣)، الحبايك في أخبار الملائك للسيوطي (ص٩)، الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص٤٩٠) وما بعدها، إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/١٢٥) وما بعدها، شرح الطحاوية (١/٣٣٧) (٢/٤٠٥) وما بعدها، معارج القبول (١/٦٣) وما بعدها، أعلام السنة المنشورة (ص٨٦). (٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (١٦٤).

(٣) قد يرد تساؤل: هل اليوم الذي يطوف في الملائكة كيومنا أو غيره؟ ولأنه لا يوجد نص صريح يحدد ذلك أو يدل على خلاف الخطاب للمعهود باليوم المعروف = دل ذلك على أنه يوم كأيامنا، والله أعلم. ينظر: دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي (١٠/١٤٠-١٤١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (رقم ١٦٤).

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدرثر: ٣١]، وقال النبي ﷺ: ((ليس من خلق الله أكثر من الملائكة، ما من شيء ينبت إلا وملك موكل به))^(١)، وقال: ((أطت السماء وحق لها أن تئط...))^(٢)، وعلق ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) على الحديث، بقوله: "وهذا مثل وإيدان بكثرة الملائكة، كثرة لا يسعها عقل البشر"^(٣)، فالعقول لا تستطيع إدراكها، كما أن للملائكة أجنحة، كما ثبت في الأحاديث، لكنها لا تضبط بالفكر، بل يجب الإيمان بها إجمالاً، وهي صفات ملكية، لا تدرك بالعين، فإن الله أخبر بأنها مثنى وثلاث ورباع، ولم ير لطائر ثلاثة أو أربعة أجنحة، فكيف بستمائة جناح، فدل على أنها صفات لا تضبط بالفكر، ولا ورد بيانها خبر، فيجب الإيمان بها إجمالاً^(٤).

❖ مسألة: صفة عبادة الملائكة عند البيت المعمور:

الذي تدل عليه الأحاديث أن قصد الملائكة البيت المعمور هو للعبادة والصلاة فيه والطواف به، لكننا لا نعلم حقيقة هذه العبادة أو الصلاة^(٥)، ولم تنقل

(١) أخرجه ابن عدي في "الكامل" (٢٣٨/٣)، وأبو الشيخ في "العظمة" (٧٤٤/٢ - ٧٤٥) عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً، وضعفه الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة" برقم (٦٥٦٦) (١٤٨/١٤).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٠٥٣٩)، والترمذي في كتاب الزهد، باب قوله ﷺ: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً" برقم (٢٣١٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء برقم (٤١٩٠)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٨)، وصحيح سنن ابن ماجه (٢/٤٠٧).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/٥٤).

(٤) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الرحمن السهيلي، ت: السلامي (٧/١٧٤).

(٥) جاءت إشارة إلى صفة هذه الصلاة وأنها من باب الذكر والدعاء في حديث أنس عند ابن جرير

الأحاديث أن المراد بالعبادة الحج^(١) والله أعلم.

إلا أنه ورد في حديث الإسراء المتفق عليه: ((فرغ لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...))^(٢)، وورد في النصوص تفصيل بعض صفة صلاتهم، بأنهم يصفون عند ربهم، قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصفات: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصفات: ١٦٥]، ولعل المقصود بالصف هنا صف الملائكة للصلاة، ويؤيد ذلك ما جاء عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ((ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟)) فقلنا: يا رسول الله! وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يَتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَأَّصُونَ فِي الصَّفِّ))^(٣).

ورود أنهم يسجدون ويركعون ويقومون، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقد

الطبري، لكنه من رواية محمد بن سنان الفزاز شيخ ابن جرير، وهو ضعيف، وهذه الرواية لا تفيد تفصيلاً لضعفها، فيبقى أمر الصلاة بالنسبة لنا غير معروف على وجه التفصيل والله أعلم.

ينظر: تفسير ابن جرير (١٨/٢٧)، وترجمة محمد بن سنان في التقريب (١٦٧/٢)، والتهذيب (٢٠٦/٩).

(١) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، لمحمد ابن عبد الوهاب العقيل (ص ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (رقم ١٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة برقم (٤٣٠).

ثبت أن النبي ﷺ قال للصحابة: ((أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. قال: إني لأسمع أطيّط السماء، وما تلام أن تتط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم))^(١)، فهذا كله بيان لهيئة من هيئات صلاتهم وصفاتها، ويحتمل أن يكون هذا في غير الصلاة، ويكون للعبادة مطلقاً، وكل ذلك علمه عند الله ولم يرد ما يوضحه.

ويبقى أن دخول الملائكة للبيت المعمور إنما ينفع فضله لمن عمل فيه بطاعة الله عزَّ وجلَّ، وإلا فمجرد البقاع لا يحصل بها ثواب ولا عقاب، وإنما الثواب والعقاب على الأعمال المأمور بها والمنهي عنها^(٢). والقول في دخول الملائكة إلى البيت المعمور وصلاتهم فيه هو على إجماله كما ورد بدون تفصيل والله أعلم؛ لأن صلاة الملائكة عند البيت المعمور تعتبر صلاة خاصة في مكان خاص لا يعملونها إلا مرة واحدة في عمرهم بنص الحديث، وكيفية هذه الصلاة لم ترد بها النصوص.

المبحث الثالث

مسائل البيت المعمور العقديّة المتعلقة بالأنبياء

أرسل الله عزَّ وجلَّ رسله هدايةً للعباد، وفضلهم على سائر خلقه، وفاضل بينهم، وجعل لهم المنزلة السامية، والمكانة الرفيعة، وجعل الإيمان بهم ركناً من أركان دينه، لا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بهم، وعهد إليهم بمهمة كبيرة،

(١) هذا الحديث مروى عن غير واحد من الصحابة منهم حكيم بن حزام وأنس بن مالك وغيرهما.

ينظر: السلسلة الصحيحة حديث رقم (٨٥٢، ١٠٥٩، ١٠٦٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٤٣٨).

ووظيفة جليلة، ألا وهي تحقيق العبودية والدعوة له عَزَّجَلَّ، وفي هذا يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، كما أن مذهب السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في باب الإيمان بالرسول يقوم على قواعد؛ منها: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم^(١).

وبهذا تتبين لنا الرابطة القوية بين الإيمان بوجود البيت المعمور والإيمان بالرسول؛ لأن هذا من تصديق ما صح عنهم من أخبار.

❁ مسألة: اطلاع الأنبياء على علم الغيب:

لما كان للرسول منزلة عند الله عَزَّجَلَّ ليست لغيرهم من البشر، أطلعهم الله على ما يشاء من الغيب تأييداً لهم ومعجزة من معجزاتهم، قال تعالى: ﴿عَلِمَهُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ولقد كان لنبينا ﷺ من تلك الآيات أوفر الحظِّ والنصيب، فقد ذكر بعض أهل العلم أن دلائل نبوته ﷺ تبلغ ألفاً^(٢)، والعلم بوجود البيت المعمور من العلم بالغيب النسبي^(٣) المكاني، رآه رسول الله ﷺ عندما عُرج به إلى السماء

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة لمحمد المروزي (١/٣٩٣)، المنهاج للحليمي (١/٢٣٧-٢٣٨)، شعب الإيمان للبيهقي (١/٣٧١)، جامع العلوم والحكم (١/١٠٢)، فتح الباري (١/١١٨)، معارج القبول (٢/٦٧٧)، فتاوى ابن عثيمين (١/١٢٤-١٢٥)، مباحث العقيدة في سورة الزمر لناصر الشيخ (ص ٤٧١).

(٢) ينظر: دلائل النبوة، للبيهقي (١/١٠).

(٣) الغيب نوعان: غيب مطلق، وغيب نسبي.

السابعة ليلة الإسراء والمعراج، فقال في وصفه: ((فرع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم))^(١).

✽ مسألة: دلالة الوصول إلى البيت المعمور على فضل النبي ﷺ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨ هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "وهذا النوع -أي: الإسراء والمعراج بكل ما تضمنه ومنه رؤية البيت المعمور- لم يكن لغيره من الأنبياء مثله، يظهر به تحقيق قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]"^(٢)، وبين ذلك الآجري (٣٦٠ هـ) بقوله: "إن الله عزَّ وجلَّ خص نبيه محمداً ﷺ بأنه أُسْرِيَ به بجسده وعقله"^(٣)، وشاهد

فالغيب المطلق: هو ما غيبه الله عن جميع خلقه، فلم يطلع عليه أحداً منهم؛ بل استأثر الله تعالى بعلمه. وأما الغيب النسبي: فهو ما غاب عن بعض الخلق علمه، وعلمه بعضهم، فهذا إنما يسمى غيباً بالنسبة للجاهل به الذي لا يعلمه، وليس غيب للذي يعلمه. وهذا الغيب النسبي يمكن للإنسان أن يعرفه بطريق الوحي، أو بالتجربة، أو بالعلم الحديث، أو غير ذلك مما يمكن به الاستعلام عما يخفى على كثير من الناس بالطرق الممكنة، كمعرفة ما في قعر البحار، وأغوار الأرض، وأجواء السماء. ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٧٣/٥)، علم الغيب في الشريعة الإسلامية، د. أحمد الغنيمان (ص ١٤٥) وما بعدها.

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (رقم ١٦٤).

(٢) الجواب الصحيح (٤/١٦٥)، وينظر: درء التعارض (٥/٣٥٤)، الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج (ص ٢٠٥-٢٠٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/٤٣)، فتح الباري (١١/٢١٣).

جميع ما رأى في السماوات، ودخول الجنة، وجميع ما رأى من آيات ربه عزَّجَلَّ وفرض عليه الصلاة" (١).

❖ مسألة: علاقة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالبيت المعمور:

اختصَّ الله عزَّجَلَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بخصائص وفضائل جليلة من بين سائر الأنبياء والرُّسل -عليهم الصلاة والسلام-، ومن بين هذه الخصائص أن منزلته أرفع المنازل، وذلك أنه في السماء السابعة، كما دل عليه حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: ((فإذا أنا بإبراهيم وهو جالس مسند ظهره إلى البيت المعمور^(٢)، فسلم عليّ، وقال: مرحباً بالنبى الصالح والولد الصالح^(٣)، ف قيل: هذا مكانك ومكان أمتك ثم تلا: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل [عمران: ٦٨]، ثم دخلت البيت المعمور فصليت فيه وإذا هو يدخله كل يوم سبعون^(٤)))، وفي رواية: ((فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟! مرحباً به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه

(١) الشريعة (ص ٤٢٨)، وينظر: مرشد المختار للصالحى (ص ٣٨٧).

(٢) أخذ من استناد إبراهيم إلى البيت المعمور جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها، والبيت المعمور كالكعبة في أنه قبلة من كل جهة. ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل تفسير الخازن (٣/١١٥)، فتح الباري لابن حجر (٧/٢١٧)، شرح النووي على مسلم (٢/٢١٣)، الديباج على مسلم (١/١٩٥).

(٣) لأن جميع من جاء بعده من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم من نسله حتى حُتِمَت النبوة بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَلَّةَ آيِكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

(٤) رواه الآجري في كتاب الشريعة برقم (١٠٢٧) (ص ٤٢٢)، والطبري في تفسيره (١٥/١٣).

فقال مرحباً بك من ابن ونبي، فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور^(١)، وفي رواية أخرى: ((إِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه))^(٢).

وذكرت حكمٌ عدّة في لقاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء السابعة واستناده إلى البيت المعمور؛ إحداها: أنه رآه عند البيت المعمور مسنداً ظهره إليه، والبيت المعمور بحيال مكة، وإليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي بنى الكعبة، وأذن في الناس بالحج إليها.

والحكمة الثانية: أن فيه تنبيهاً على ما خُتم له ﷺ به في آخر عمره، من إقامة منسك الحج، وتعظيم البيت، وأنه يحج معه في ذلك العام نحو من سبعين ألفاً من المسلمين؛ لأن رؤية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عند أهل التأويل تؤذن بالحج؛ لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة^(٣).

والحكمة الثالثة: أنه الأب الأخير، فناسب أن يتجدد للنبي ﷺ الأُنس بقلبياه، لتوجهه بعده إلى عالم آخر، وأيضاً فمنزلة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تقتضي أن تكون أرفع المنازل، ومنزلة النبي ﷺ أرفع من منزلته، فلذلك ارتفع النبي ﷺ عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين أو أدنى.

وذكر ابن المنير (٦٨٣ هـ) في مناسبة لقاء إبراهيم في السماء السابعة معنى

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٠٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (رقم ١٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (١٦٢).

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥٧/١٩).

لطيفاً، وهو ما اتفق له ﷺ من دخول مكة في السنة السابعة، وطوافه بالبيت، ولم يتفق له الوصول إليها بعد الهجرة قبل هذه السنة، بل قصدها في السنة السادسة، فصدوه عن ذلك^(١).

المبحث الرابع

مسائل البيت المعمور العقدية المتعلقة بالمؤمنين

✽ مسألة إيمان الجوارح بالملائكة:

من معاني الإيمان بالملائكة، تصديق القلب باعتقاد وجودهم، وبما ورد في النصوص من شأنهم، وتصديق اللسان بإقراره والتحدث بوجودهم، وغير ذلك مما يكون باللسان، وتصديق الجوارح بالعمل بمقتضى ما قر في القلب وجرى على اللسان^(٢).

ومن صور إيمان الجوارح بالملائكة: الاقتداء بهم في أعمال الإيمان، فيعمل المؤمن كما تعمل الملائكة بنحو ما شرع لنا، وذلك مشروع بالكتاب والسنة^(٣)، ومما له صلة بالبيت المعمور، الاقتداء بهم فيما يلي:

(١) ينظر: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٦/٣١٠-٣١٥)

(٢) ينظر: محاضرة في الإيمان بالملائكة، أ.د. محمد أبو سيف الجهني (ص ٢٠).

(٣) يوجد أمثلة كثيرة توضح ذلك: كأمر الله للمؤمنين أن يصلّوا على النبي ﷺ اقتداءً بالملائكة كما في آية الأحزاب ٥٦، وأمر النبي ﷺ بالاقتداء بالملائكة في إقامة الصفوف وإتمامها، وكذلك نهى النبي ﷺ عن حضور المسجد لمن أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً، وعلل النهي بأن الملائكة تتأذى من ذلك، فهذه صور من صور جريان العمل على الجوارح، وغير ذلك.

ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة لللالكائي " (٥/٩٥٦)، مجموع الفتاوى (٧/٢٠٩).

١ - الاقتداء بالملائكة في تعظيم الله حق قدره، فإنه إذا علم عظم خلق الملائكة وقوتهم الهائلة^(١)، وعلم أنهم مع ذلك خاضعون مطيعون منقادون لربهم، أداه ذكر عظمة من يطوف بالبيت المعمور إلى تعظيم الله حق قدره في كل أموره، وجميع أعماله وأفعاله وأقواله.

٢ - الاقتداء بهم في تقديس الأماكن وتعظيمها التي أمرنا بتعظيمها؛ لأن من عبادة الله تعالى وتعظيمه تعظيم ما عظمه، بشرط ورود تعظيمها في نصوص الشرع، مع الإخلاص لله في تعظيمها والتقرب بذلك له، وأن يكون التعظيم في حدود الشرع^(٢).

٣ - الاقتداء بالملائكة في محبة الأماكن الشريفة التي شرع لنا محبتها، وذلك بالحرص على مكثهم في الأماكن التي تحبها الملائكة كالمساجد وحلق العلم، وفيه إشارة إلى أهمية قصد البيت الحرام للصلاة فيه، وللحج والعمرة، وكل ذلك ترغيب للمسلمين في المسارعة إلى الخيرات وأنواع العبادات، وذلك أن الملائكة مع أنهم في عبادة الله لا تنقطع كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ حُونَ أَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، إلا أنهم يقصدون البيت المعمور تعبدًا لله تعالى.

٤ - الاقتداء بالملائكة بنحو ما شرع لنا في الاهتمام بعبادة الصلاة، التي هي الركن الأعظم من أركان الإسلام بعد التوحيد، والتي فرضت على نبينا ﷺ في ذلك المقام الرفيع^(٣)، بعد أن أراه الله عزَّجَلَّ صلاة الأنبياء، وصلاة الملائكة عند

(١) كأن مفهوم ما أراه الله لرسوله ليلة المعراج، ونقله لأمته، أن الله عزَّجَلَّ يقول: اقتدوا بملائكتي في عبادتي وتوحيدي وانظروا لعظمتي التي خضعت لها الملائكة العظام فأنا أستحق أن أوحّد.

(٢) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (١/٤٥٥-٤٥٦)، اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٢٤-٤٢٦).

(٣) فرضت الصلاة ليلة المعراج، في أعلى المقامات في السماء السابعة، وهذا دليل قاطع وبرهانٌ

البيت المعمور، وبعد مناجاته عَزَّجَلَّ^(١).

✽ مسألة: الخوف من الله:

قال الله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ١ - ٨]، لما أكد الله عَزَّجَلَّ ثبوت الشرائع وإنزال القرآن العظيم من عنده بأدلتها التي تشهد بها مماثلته لما أنزل على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم ذكر عظمتها التي لا تضاهيها عظمة بذكر البيت المعمور، ثم بخلق السقف المرفوع والبحر المسجور، الدالة على استحقاقه للتوحيد، وقدرته على البعث والتعذيب = أقسم أن منكري الرسالات والوحي^(٢) واقع بهم العذاب لا محالة^(٣).

ودلالة الإقسام هذه فيها إشارة إلى عبادة الخوف من وعيد الله، وأن التحصن بالبيت المعمور والوصول إلى السقف المرفوع لن يغني شيئاً؛ "العدم الدافع، فإن من يدفع عن نفسه عذاباً، قد يدفعه بالتحصن بقلل الجبال ولجج البحار ولا ينفع ذلك، بل الوصول إلى السقف المرفوع ودخول البيت المعمور لا يدفع"^(٤)، نسأل الله السلامة والعافية.

أکید علی اهمیت هذه العبادة، وليظهر شرفه في الملاء الأعلى.

(١) ومن ثم كان المصلي يناجي ربه عَزَّجَلَّ. ينظر: فتح الباري لصحيح البخاري (ص ٥٤٨).

(٢) لا سيما توحيد الله والبعث الذي جاء به الوحي المؤيد بالدليل.

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي (ص ١١٠ - ١١١)، مقدمة الألباني لرفع الأستار

للصنعاني (ص ٤٢ - ٤٣).

(٤) التفسير الكبير للرازي (٢٨/٢٠١).

كما أن ذكر البيت المعمور فيه دلالة على عبادة الملائكة المنقادين لله الخاضعين له بالخوف والخشية، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠]، وذكر سيد البيوت بعد ذكر سيد الجبال وسيد الكتب^(١)، فيه إشارة إلى أن الذين أعرضوا عن الله تعالى فإنه سبحانه غير محتاج إلى عبادتهم، وأنهم الفقراء إليه، وفي ذلك دلالة على الاقتداء بالملائكة في عبادة الله عزَّجَلَّ وتوحيده، والنظر لعظمته سبحانه التي خضعت لها الملائكة العظام، فهو وحده المستحق للعبادة.

❖ مسألة: تعظيم الأمكنة التي شرع لنا تعظيمها ومنها البيت المعمور:

عظّم الله أمكنة كثيرة، وجعل لها حرمة وقداسة، ومنها الكعبة المشرفة، فهي بيت الله الحرام، وقبلة المسلمين، يعظمها المسلمون ويحترمونها، ولما قال سعد بن عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي غزوة الفتح: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة، قال النبي ﷺ: ((كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة))^(٢).

ومما يدل على عظمتها: أن الله أضافها إلى نفسه إضافة تقتضي التشريف والتكريم والتعظيم، فسامها بيته؛ لكونها أقيمت لتوحيد الله وطاعته وعبادته وذكره ودعائه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن

(١) ينظر: الضوء المنير على التفسير، جمع علي الصالحي من كتب ابن القيم الجوزية (٤٨٠/٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، برقم (٤٢٨٠).

مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٥].

ومما يدل على عظمتها أنها المكان الوحيد في الدنيا الذي يجوز الطواف به،
فلم يشرع لنا الطواف بشيء في هذه الأرض إلا بهذه الكعبة، قال تعالى:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ
بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾ [الحج: ٢٦]، وجعل الله
الطواف بالكعبة المشرفة ركناً من أركان الحج والعمرة.

وحُرْمَةُ البيت المعمور في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، فقد ثبت في
بعض أحاديث المعراج أنه «بحيال الكعبة، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في
الأرض»^(١)، وسئل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن البيت المعمور، فقال: «بيت
في السماء يقال له الضراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمة في السماء
كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ولا
يعودون فيه أبداً»^(٢). قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: "وإنما دين الله: تعظيم بيوت الله
وحده لا شريك له، وهي المساجد التي تشرع فيها الصلوات جماعة وغير

(١) رواه البخاري كتاب بدء الخلق (٦ / ٣٠٢) (رقم: ٣٢٠٧)، ومسلم كتاب الإيمان (١ /
١٤٩) (رقم: ١٦٤).

ورواه مسلم (١ / ١٤٥) (رقم: ٢٥٩) من طريق ثابت البناني عن أنس عن النبي ﷺ.
(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥ / ٢٩)، والأزرقي في أخبار مكة (١ / ٩٢)، ورواه ابن جرير
في تفسيره (٢١ / ٥٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦ / ٤٥٥)، قال محقق الكتاب: "إسناده
لا بأس به"، ورواه الضياء في الأحاديث المختارة (٢ / ١٧٦)، ورواه إسحاق بن راهويه كما
ذكر الحافظ في المطالب العالية (١٥ / ٢٧٩).

جماعة، والاعتكاف، وسائر العبادات البدنية والقلبية، من القراءة، والذكر، والدعاء لله" (١).

المبحث الخامس

مسائل البيت المعمور العقديّة المتعلقة بالمخالفين

✽ مسألة: التأويل الباطني (٢):

إذا تقرر أن المراد بالبيت المعمور هو يدل عليه ظاهر اللفظ، وأن الملائكة تقصده للصلاة، وأنه في السماء السابعة، وقد رآه النبي حينما أسري به، ورأى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسنداً ظهره إليه، فإننا نجد بعد كل هذا مَنْ تأوله بتأويلات باطلة وأقوال فاسدة، تكذيباً للنبي ﷺ، وردّاً للأحاديث الصحيحة والصريحة، زاعماً أن نصوص الشرع (القرآن والسنة) لها معنى ظاهر ومعنى باطن، وتنحصر هذه المعاني المزعومة عند طائفتين، وبيان ذلك فيما يلي:

١. غلاة الصوفية: وهم الذين يقسمون الدين إلى حقيقة وشرعية (٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤٩).

(٢) يكاد ينعقد إجماع الباحثين والعلماء المحققين مسلمين وغيرهم، أن الباطنية هي كبرى حركات التحريف في تاريخ الإسلام، ولا شك أن للقرآن العظيم أسراره العظيمة ولفئاته الباهرة وإيماءاته وإيحاءاته، ولكن ذلك كله مقيد بما يدل عليه اللفظ القرآني ويشهد له دليل صحيح، ولا يخرج عن إطار المعنى العام، وأن يكون ذلك على علم وبصيرة، لا عن تخرّص وهوى. ينظر: التبصير في الدين للإسفراييني (ص ١١٨)، اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين (ص ١١٩)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة لليمني (١/٤٧٧)، الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية، د. حسن حميد عبيد الغرباوي (ص ٧٢).

(٣) لو اتُّخذ هذا الأسلوب قاعدةً لما أمكن التفاهم بأي حال، ولما حصل الثقة بأي مقال؛ لأن

وقد فسروا البيت المعمور بأنه النبي محمد ﷺ^(١)، وذهبت طائفة أخرى إلى أن المراد بالبيت المعمور هو قلب الإنسان الذي وسع الحق، تعالى الله عما يقول الجاحدون علواً كبيراً، يقول سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٩٣هـ) في تفسيره: "البيت المعمور قلوب العارفين، المعمورة بمعرفته ومحبته والأنس به، وهو الذي تحجه الملائكة؛ لأنه بيت التوحيد"^(٢)، وقال القشيري (ت: ٤٦٥هـ): "البيت المعمور هو قلوب العابدين العارفين المعمورة بمحبته ومعرفته"^(٣)، وقال أيضاً: "البيت المعمور مواضع عباداتهم ومجالس خلواتهم"^(٤)، ويقول ابن عربي (ت: ٦٣٨هـ): "والبيت المعمور، وهو القلب الذي وسع الحق فهو عامره"^(٥)، ويقول في موضع آخر مقراً بوحدة الوجود - في وصفه لمعراجة الروحاني-: "ثم رأيت البيت المعمور فإذا به قلبي، وإذا بالملائكة تدخله كل يوم، وقد تجلى الحق له في سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، فهو يتجلى فيها لقلب عبده"^(٦).

المعاني الباطنية لا ضابط لها ولا نظام، هذا في الكلام عموماً، فكيف بكلام الله المنزل الذي وصفه الله بأنه بيان للناس. ولو كانت تلك التأويلات الباطنية هي معاني القرآن ودلالاته لما تحقق الإعجاز، ولأصبح من قبيل الإلغاز والطلاسم.

(١) ينظر: روح البيان للبروسوي (١٨٧/٩)، وموسوعة الكسنان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان (٤٠١/٣)، المعجم الصوفي د. محمود عبد الرزاق (ص ١٠٥٩).

(٢) تفسير سهل بن عبد الله التستري (ص ٩٤، ٩٥).

(٣) لطائف الإشارات (٤٧٢/٣).

(٤) الفتوحات الكية (٣/٣٥٠).

(٥) الفتوحات المكية (٣/٥٢٦).

(٦) الفتوحات المكية (٣/٣٥٠).

وقال عبد الكريم الجيلي (ت: ٨٢٩هـ): "البيت المعمور قلب الإنسان، فهو محل الحق، ولا يخلو أبداً ممن يعمره، إما روح إلهي قدسي، أو ملكي أو شيطاني أو نفساني، وهو الروح الحيواني، فلا يزال معموراً بمن فيه من السكان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨] (١).

٢. الفلاسفة (٢): الذين تظاهروا بالإسلام، وأبطنوا الكفر، والمسمون عند من يعظمهم بالحكماء، يزعمون أن الملائكة (٣) ليست أعياناً مخلوقة موجودة (٤)، بل

(١) الإنسان الكامل في الفكر الصوفي (١/٧٩).

(٢) الفلاسفة: هم طائفة ينسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين "فيلا" أي: محب، و"سوفيا" أي: الحكمة، فمعناها: محب للحكمة، ومن آرائهم: القول بقدوم العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني وغيرها، وقد تسلطوا على المسائل الاعتقادية، وزعموا أنها مجرد أوهام وخيالات لا حقيقة لها ولا وجود لها في الخارج، فلا الله موجود حقيقة، ولا نبوة ولا نبي على التحقيق، ولا ملائكة، ولا بيت معمور، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور. وهم على ثلاثة مدارس: (الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون)، ومن أشهر الفلاسفة المنتسبين للإسلام: الكندي، الفارابي، ابن سينا، وابن رشد. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/٧٩٥)، العرش للذهبي (١/٤٧)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٤٥)، إغاثة اللهفان (٢/٢٧٥).

(٣) إنما يذكرون الملائكة في كتبهم مثبتين هذا اللفظ، ويعتقدون به المعنى المذكور أعلاه، ليوهموا الناس أنهم على الملة يثبتون ما جاءت به، وهذه طريقتهم في نفي ما جاء عن الأنبياء، يثبتون الألفاظ التي جاءت بها الشريعة قاصدين بها المعاني الباطلة. ينظر: محاضرات في الملائكة أ.د. محمد أبو السيف (ص ١٥٢).

(٤) ينظر: فصوص الحكم للفارابي (ص ٩، ١٥)، تهافت التهافت لابن رشد طبعة د. محمد عابد الجابري (٤٨٤)، وينظر: مجموع الفتاوى (٤/٣٤٦)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٠٢-٤٠٣).

هي عندهم مجرد أعراض وقوى معنوية أو عقلية مجردة، يتخيلها النبي، وليست مخلوقات موجودة خارج نفس النبي، وليست ذوات منفصلة تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، وترى وتخطب الرسل، وتصف عند ربها، وتصلي، ولها تصرف في أمر العالم، كل هذا لا حقيقة له عندهم ألّبتة، وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام، فقال: الملائكة هي القوى الخيرة الفاضلة التي في العبد، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة، هذا إذا تقربوا إلى الإسلام وإلى الرسل^(١)، لذا أنكروا رؤيتها؛ لأنها ليست أجساماً^(٢) عندهم، وأنكروا تبعاً لذلك كل ما يتعلق بها^(٣)، ومن ذلك البيت المعمور.

ويتبعهم في هذا الاعتقاد المنكرون للخالق ولكل أمر غيبي^(٤)،

(١) ينظر: إغاثة اللهفان (٢/٢٦١).

(٢) تعريف الملائكة بأنهم أجسام، بدعة لغوية، فلفظة الجسم في اللغة هو الجسد والبدن والجمّة، كما نقله الجوهري والأصمعي وأبو زيد وغيرهم من أئمة اللغة، ولا تسمى الروح جسماً ولا الهواء جسماً ولا النور جسماً ولا نحو ذلك مما لم يكن جمّة وجسداً، فعلى هذا لا يصح إطلاق لفظ الجسم على الملائكة لغة، فإن الملائكة أرواح. كما أنها بدعة شرعية أيضاً، فإن الشرع استعمل لفظ الجسم استعمال اللغة ولم يتجاوزها، ولم يذكر في الملائكة لفظ الجسم قط، بل هم أرواح كما تقدم، والروح ليست جسماً في اللغة، ولا يجوز نقل لفظ عن معناه في اللغة والشرع إلى معنى آخر في اصطلاح لا يوافق استعمال اللغة والشرع.

ينظر: محاضرات في الملائكة أ.د. محمد أبو السيف (ص ١٨).

(٣) يلزم من إنكارهم للملائكة أيضاً إنكار الوحي ونزول جبريل -عليه السلام- به، وإنكار النبوة، وإنكار الجن، وإنكار اليوم الآخر، إلى غير ذلك من الجحود لآيات الله تعالى، الذي يناقض الإقرار والتصديق.

(٤) ينظر: تيسر اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي (ص ٢٩).

والعقلانيون^(١).

والحقيقة أنهم إنما توهموا هذا لما خاضوا بعقولهم في تصور الملائكة، ولا يغرب عن البال أن كل تصور عن عالم غيبي لا يمكن أن يكون صحيحاً إلا بدليل سمعي يدل عليه.

✽ مسألة: حكم من أنكر البيت المعمور:

الإيمان ببيت معمور في السماء تصديقٌ منعقد تلقاه العلماء بالقبول، استناداً إلى ما اتفق عليه في الصحيحين، وتفسيراً للمقسم به في قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]، لذا فإن حكم من أنكر البيت المعمور له طرفان:

الأول: حكم المسألة في حد ذاتها (الحكم العام).

الثاني: الشخص الملايس لها (الحكم الخاص).

أما بالنسبة لحكم المسألة في حد ذاتها: فإن من أنكر شيئاً ثابتاً في القرآن الكريم فهو كافر، وكذلك فيما ثبت بالسنة النبوية، لذا فإن من أنكر البيت المعمور فهو كافر.

أما بالنسبة للشخص المنكر للبيت المعمور: فلا بد له من توفر الشروط وانتفاء الموانع، فإن تبين له الحق، وعلمه بدليله من صريح القرآن الكريم^(٢)

(١) العقلانيون هم المعتزلة في القديم، والتيارات العصرية والحداثيّة في الزمن الحاضر. ينظر: تناقض أهل الأهواء والبدع (١/٣٣٣-٣٣٦).

(٢) عموم البشر على اختلاف لغاتهم يعدون ظاهر الكلام هو العمدة في المعنى المقصود منه، أما أسلوب التعمية والإلغاز فلا وجود له إلا في الفكر الباطني، ولا شك أن للقرآن العظيم أسراراً العظيمة، ولكن ذلك كله مقيد بما يدل عليه اللفظ القرآني ويشهد له دليل صحيح،

وصحيح السنة المطهرة، ورفعت عنه الشبهات المتعلقة بهذه المسألة، ثم أصر بعد ذلك على إنكاره، فإنه يحكم بكفره؛ لأنه يكون مكذباً لله ورسوله، ولأنه لم يحقق أدنى درجات الإسلام والاستسلام لله ورسوله^(١).

وليس هذا موطن بسط مسائل التكفير، وإنما حَسُن الإشارة إلى هذه المسألة لتعلقها بموضوع البحث.

المبحث السادس

مسائل متفرقة تتعلق بالبيت المعمور

✽ مسألة: فوقية البيت المعمور للكعبة المشرفة، ورواية "حيال الكعبة" وما في معناها:

أتى في بعض روايات أحاديث المعراج أن البيت المعمور حيال الكعبة؛ أي فوقها تماماً، قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: "وجملة القول: إن هذه الزيادة ((حيال الكعبة)) ثابتة بمجموع طرقها"^(٢)، فوجب الإيمان بذلك؛ لأن هذا من جهة الغيب الواجب التصديق به ديناً.

ونظر بعض الباحثين في "العلوية الهندسية للبيت المعمور على الاستقامة فوق الكعبة المشرفة" فأنكر زيادة ((حيال الكعبة)) وما في معناها؛ لأنه يجيء فيه

ولا يخرج عن إطار المعنى العام، وأن يكون ذلك على علم وبصيرة، لا عن تخرّص وهوى.

(١) ينظر: شرح السنة (١١٣-١١٩)، مجموع الفتاوى (٤١/٣)، العواصم والقواصم

(٢/٢٧٤)، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص ١٤).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٤٧٦).

التصديق بدوران الأرض حول نفسها من جهة، وحول مركز ثقلها مع القمر من جهة ثانية، وحول مركز ثقل المجموعة الشمسية من جهة ثالثة، وحول مركز ثقل المجرة من جهة رابعة، وفيما لا يعلمه إلا الله من حركة تلك المجرة في الكون من جهة خامسة، ثم وقوع كل هذه الحركات معاً في آن واحد، ثم ربط هذا كله بعلاقة هندسية تصف وقوع البيت المعمور فوق الكعبة في المستوى العمودي أو الخط المستقيم الواصل دائماً بينهما في كل وقت وحين^(١)، وهذا ساقهم إلى تصور أن عرش الرحمن فوق البيت المعمور، يلزم عنه أن يكون تابعاً لحركة الكعبة على الأرض، وهذا تصور باطل، لذا قالوا: بأنه لم تثبت أي إشارة إلى علوية البيت المعمور للكعبة مباشرة على استقامته وحتى العرش، فضعفوا عبارة ((حيال الكعبة)).

وهنا يرد تساؤل: هل يأتي من معاني ((حيال الكعبة)) أنه بمعنى إزائها، أي أنه كما تعمر الكعبة من أهل الأرض يعمر البيت المعمور في السماء السابعة؟ أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعة: (أن رجلاً قال لعلي رضي الله عنه: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء بحيال البيت، حرمة هذا في السماء كحرمة هذا في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه)^(٢).

(١) ينظر: حول البيت المعمور وعرش الرحمن وتجاوزات الإعجازيين في شأنهما، لعز الدين كزابر، صدر من الملتقى الفكري للإبداع (ص ٢) وما بعدها.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/٤٥٥)، قال فيه الشيخ ناصر الدين الألباني: "ورجاله ثقات غير خالد بن عرعة، وهو مستور... ثم ذكر أن له شاهداً مرسلًا صحيحاً من رواية قتادة، قال: ذكر لنا ((أن النبي ﷺ قال يوماً لأصحابه: هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لو خرّ لخر عليها...)) سلسلة الأحاديث

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: إن البيت المعمور في السماء السابعة، وهو كما جاء في الحديث: «بحيال الكعبة»، وحيال الكعبة، يتحمل معنيين، فإما أنه فوقها وهذا ليس بغريب، والله على كل شيء قدير، أو المعنى: بإزائها، بمعنى أنه كما تعمر الكعبة من أهل الأرض يعمر البيت المعمور من أهل السماء، فيكون البيت المعمور مسجد أهل السماء ومقصداً للتعبد والصلاة فيه لله تعالى^(١).

ويحسن الإشارة إلى أن القضايا الغيبية عموماً، لا يجوز قياسها على ما في عقولنا، وما تدركه حواسنا، بل نعقله وفقاً لمعناه الظاهر، ولا نكلف أنفسنا ما لا علم لنا به؛ لأن الحقائق والكيفيات في عالم الغيب لا تعرف إلا بطريق العلم؛ إما بالبصر والفطرة وهذه في عالم الغيب منتفية، وإما بالسمع، وهذه لا تأتي إلا عن طريق خبر معصوم إما من كتاب الله أو سنة عن رسول الله ﷺ.

❁ مسألة: هل البيت الحرام الآن مكان البيت المعمور؟

في قوله عزَّجَلَّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، "أي المعمور، قال: دللنا إبراهيم عليه، فبناه مع ابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وليس له أثر ولا أساس، كأن الطوفان محا أثره، ورفع الله عزَّجَلَّ، ليالي الطوفان إلى السماء فعمرتة الملائكة، وهو البيت المعمور، والبيت الحرام اليوم مكان البيت المعمور، ولو أن حجراً وقع من البيت المعمور وقع على البيت الحرام، وهو في العرض والطول مثله، إلا أن قامته كما بين السماء والأرض"^(٢).

الصحيحة (٤٧٦/١)، وينظر: تفسير ابن كثير (٤٢٩/٧).

(١) ينظر: لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم (١٥٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣٨١/٢).

وعند التحقيق لا يظهر لنا صحة ذلك، لافتقار ما سبق إلى دليل صحيح؛ لأنه من الأمور الغيبية، كما أن العلماء اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، فحصل للمفسرين في تفسير هذه الآية قولان؛ الأول: أنه الأول في البناء والوضع. وثانيها: كونه أول بيت وُضع للناس مباركاً وهدى^(١).

(١) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (٨ / ١٢٥).

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث فإني أحمد الله كثيراً أن وفقني لإتمامه، فله الشكر أولاً
وآخرأً، وله الحمد باطناً وظاهراً، لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه.

وبعد، فقد تبين لي في ختام هذا البحث، ما يلي:

- أن المراد بالبيت المعمور: بيت في السماء السابعة، أقسم الله به في كتابه، لا نعلم هيئته، عمّاره من الملائكة تقصده تعبدأً لله، رآه النبي ﷺ ليلة المعراج، وهو بحيال الكعبة من فوقها.

- أن البيت المعمور ثابت بالكتاب والسنة، لذا وجب الإيمان به على ما وردت به النصوص.

- أن الإيمان بالبيت المعمور يدخل ضمن وجوب الإيمان بالملائكة عَلَيْهِ السَّلَامُ وما ورد فيهم، كما يدخل في وجوب الإيمان بالرسول؛ لأن هذا من تصديق ما صح عنهم من أخبار، كما يدخل أيضاً ضمن الإيمان بالغيب؛ لأنه لا سبيل إلى العلم بحقيقة البيت المعمور إلا عن طريق الخبر، لذا فالإيمان بوجود البيت المعمور يعتبر من الإيمان بالغيب.

- أن تعظيم الملائكة للبيت المعمور يكون بصلاتهم فيه والتعبد لله، ويبقى هذا على إجماله كما ورد بدون تفصيل.

- أن القول الراجح أن البيت المعمور في السماء السابعة.

- أن النبي ﷺ رأى البيت المعمور رؤية حقيقية وصلّى فيه بالروح والجسد.

- من الإيمان بالملائكة محبتهم ووصفهم بما ثبت في النصوص، ومعرفة عظيم قدرهم وعبادتهم والتأسي بهم فيما أمرنا به من ذلك.
- أن مَنْ أنكر البيت المعمور بعد قيام الحجّة وانتفاء الموانع فإنّه يكفّر.
- أن من قال بالعلوية الهندسية للبيت المعمور على الاستقامة فوق الكعبة المشرفة أنكر زيادة ((حيال الكعبة))، وجملة القول أن هذه الزيادة ((حيال الكعبة)) ثابتة بمجموع طرقها.

المصادر والمراجع

١. الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج، لأبي المواهب نجم الدين محمد أحمد الغيطي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤١٧هـ.
٢. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبي يعلى، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية - الكويت.
٣. أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية، للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي.
٤. الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٢١هـ.
٥. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لمحمد بن عبد الله الأزرق، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ٢٠٠٩م.
٦. الإسراء والمعراج ومسائل العقيدة فيهما، لعمر بن صالح القرموشي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.
٧. الإسراء والمعراج، للدكتور محمد أبو شهبة، دار الطباعة المحمدية، ١٩٦٤م.
٨. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنبذة من العلماء، زارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، ٢٠٠٤.

٩. أعلام السنة المنشورة، لحافظ الحكمي، من مطبوعات دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٣٩٩ م.
١٠. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة الرياض الحديثة.
١١. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ٢، ١٤١١ هـ.
١٢. الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، أ.د. لطف الله خوجة، دار الفضيلة، ٢٠٠٩ م.
١٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل "تفسير البيضاوي"، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: ٢، ١٣٨٨ هـ.
١٤. الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، للسيوطي، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٥٠ هـ.
١٥. الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة، صالح بن فوزان الفوزان، طبع ضمن مجموع محاضراته.
١٦. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط: ١.
١٧. بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة، لابن تیمية، تحقيق د. موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط: ٣، ١٤١٥ هـ.

١٨. التبيان في أيمان القرآن، لابن القيم، مجمع الفقه الإسلامي بجدّة، ١٤٢٩هـ.
١٩. التبيان في بيان القرآن، لحسين بن شجاع التونسي، مخطوط، مكتبة الملك فهد الوطنية.
٢٠. تعظيم الآثار والمشاهد وأثره في الأمة الإسلامية، لعبد العزيز بن عبد الله الجفيري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.
٢١. تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ١٤٠٦هـ.
٢٢. تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير القرشي، دار الخير، بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ.
٢٣. تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للسيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٤، ١٤٠٥هـ.
٢٤. تفسير البغوي = معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، ط: ٤، ١٤١٥هـ.
٢٥. تفسير السمعاني، منصور بن محمد أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم أبو تميم - غنيم بن عباس أبو بلال، دار الوطن للنشر، ط: ١، ١٤١٨هـ.
٢٦. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ.

٢٧. تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
٢٨. تفسير القاسمي = محاسن التأويل، لجمال القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي، مصر.
٢٩. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ.
٣٠. تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا، طباعة المنار، ط: ١، ١٣٥٣هـ.
٣١. التفسير الموضوعي لآيات الملائكة في القرآن الكريم، عبد العزيز صالح العبيد السلمي، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية - قسم التفسير.
٣٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط: ١، ١٩٩٨م.
٣٣. تفسير سهل بن عبد الله التستري = تفسير القرآن العظيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - سعد حسن محمد علي، ط١، ٢٠٠٤م.
٣٤. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.
٣٥. التفضيل بين الملائكة والناس، لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى.

٣٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.

٣٧. تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، د. عفاف بنت حسن مختار، مكتبة الرشد - الرياض، ط: ١، ١٤٢١هـ.

٣٨. تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك، للسيوطي، دار جوامع الكلم، القاهرة.

٣٩. تيسر اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٤٠. جامع العلوم والحكم، للعلامة أبي الفرج ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم بلجس، مؤسسة الرسالة، ط: ٧، ١٤٢٣هـ.

٤١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر وآخرين، دار العاصمة، الرياض، ط: ١، ١٤١٤هـ.

٤٢. الجواهر الحسان في تفسير القرآن = تفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي، تحقيق: علي معوض - عادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٤٣. الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٠٥هـ.

٤٤. حول البيت المعمور وعرش الرحمن وتجاوزات الإعجازيين في شأنهما، لعز الدين كزابر، صدر من الملتقى الفكري للإبداع، ٢٠٠٨م.
٤٥. خلاصة الفضل الفائق في معراج خير الخلائق، لمحمد بن يوسف الصالحي، دار ابن حزم.
٤٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر - بيروت.
٤٧. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ٢، ١٤١١هـ.
٤٨. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: ١، ١٤١٧هـ.
٤٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد الحسين البيهقي، ت: عبد المعطي قلعجي، دار القلم، بيروت، ط: ١، ١٤٠٥هـ.
٥٠. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ.
٥١. الرد على المنطقيين، لابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط: ٢، ١٣٩٣هـ.
٥٢. رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: ١، ١٤٠٥هـ.
٥٣. روح البيان = تفسير البروسوي، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوّتي، دار الفكر - بيروت.

٥٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الرحمن السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ.

٥٥. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ط: ١، ١٣٨٤هـ.

٥٦. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥هـ.

٥٧. السراج الوهاج في حقائق المعراج من بداية المخطوط الى نهاية الباب الثاني دراسة وتحقيق، لأحمد عبد الله، رسالة ماجستير، من كلية العلوم الإسلامية في الجامعة العراقية.

٥٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٤، ١٤٠٥هـ.

٥٩. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

٦٠. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث الجستاني، ت: د. عزت الدعاس وآخرين، دار الحدي، بيروت، ط: ١، ١٣٩٤هـ.

٦١. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ. السيرة النبوية للذهبي.

٦٢. شرح البردة، لليجوري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٤، ١٩٥١م.

٦٣. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء، تخريج الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ.
٦٤. شرح ثلاثة الأصول للعثيمين، تحقيق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، دار الثريا للنشر والتوزيع - الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
٦٥. الشريعة، لمحمد بن الحسين الأجرى أبو بكر، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، ١٤١٨هـ.
٦٦. شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ.
٦٧. الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية، د. حسن حميد عبيد الغرباوي طبع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩١م.
٦٨. الصَّارِمُ الْمُئَكِّي فِي الرَّدِّ عَلَى السُّبُكِّي، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
٦٩. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد إسماعيل البخاري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط: ٢، ١٤١٨هـ.
٧٠. صحيح سنن ابن ماجه وضعيف سنن ابن ماجه، الألباني، مكتبة المعارف، ط: ١، ١٤١٧هـ.
٧١. صحيح سنن الترمذي وضعيف سنن الترمذي، الألباني، مكتبة المعارف، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٧٢. صحيح مسلم "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ"، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، إستانبول.
٧٣. عالم الغيب في الشريعة الإسلامية. د. أحمد الغنيمان، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ط: ١، ١٤٢٥هـ.
٧٤. عالم الملائكة الأبرار لعمر الأشقر، مكتبة الفلاح، ط: ٣، ١٤٠٣هـ.
٧٥. العرش، للذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: ٢، ١٤٢٤هـ.
٧٦. العظمة، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض - ١٤٠٨، ط ١.
٧٧. عقيدة الإيمان بالملائكة وأدلتها، محمد الدريوش، رسالة ماجستير في جامعة الإمام ١٤٠٣هـ.
٧٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧٩. العوالم الثلاثة الملائكة والجن والإنس دراسة مقارنة، عائشة سيام، ماجستير، كلية التربية بمكة، ١٤١١هـ.
٨٠. فتاوى ابن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، ط: الأخيرة، ١٤١٣هـ.

٨١. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط: ٣، ١٤١٩هـ.
٨٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، تحقيق: عبد العزيز بن باز، وتصحيح: محب الدين الخطيب، وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
٨٣. الفتوحات المكية، لابن عربي الطائي، تحقيق: د. عثمان يحيى، وزارة الثقافة والإعلام بمصر، ١٤٩٢هـ.
٨٤. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: الشيخ يوسف البقاعي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: ٢، ١٤٠٧هـ.
٨٥. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، لمحمد الخضر الجكني الشنقيطي، دار المؤيد - مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤١٥هـ.
٨٦. لطائف الإشارات "تفسير القشيري"، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط: ٢، ١٤٢٨هـ.
٨٧. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقديّة الفرقة المرضية، لمحمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٣، ١٤١١هـ.
٨٨. مباحث العقيدة في سورة الزمر، لناصر علي حسن الشيخ، مكتبة الرشد، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٨٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.

٩٠. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان، دار الثريا، الرياض، ط: ٢، ١٤١٤هـ.

٩١. محاضرات في الإيمان بالملائكة، أ.د. محمد عبد الرحمن الجهني أبو سيف، ط ١، ١٤٣٢هـ.

٩٢. المخلوقات الخفية في القرآن (الملائكة والجن وإبليس)، محمد حسين الطباطبائي، دار الصفوة، ١٤١٥هـ.

٩٣. مرشد المختار إلى خصائص المختار، لمحمد بن علي ابن طولون الدمشقي الصالحي، تحقيق وتخريج أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٧م.

٩٤. المسائل العقدية المتعلقة بالتعظيم، عبد المجيد بن ابراهيم بن موسى بن هليل العوفي، رسالة دكتوراه الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة.

٩٥. المسائل العقدية المتعلقة بالحسنات والسيئات جمعاً ودراسة، للدكتور صالح سندي، دار اللؤلؤة، ط: ١، ١٤٣٥هـ.

٩٦. مسند الإمام أحمد، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط: ٤، ١٣٧٣هـ، وأخرى بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢، ١٤٢٠هـ.

٩٧. مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،

المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٩٨. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٠هـ.

٩٩. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ بن أحمد حكيمي، تحقيق: عمر بن محمود أبي عمر، دار ابن القيم، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط: ٢، ١٤١٣هـ.

١٠٠. معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، محمد عبد الوهاب العقيل، أضواء السلف، ١٤٣٣هـ.

١٠١. المعجم الصوفي، د. محمود عبد الرازق، رسالة دكتوراه من كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

١٠٢. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، ط: ٢.

١٠٣. المعجم الوسيط لعدة مؤلفين لإبراهيم مصطفى وآخرين، عن: مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية.

١٠٤. المعراج، لأبي القاسم القشيري، تحقيق: أ.د. قاسم السامرائي، الوراق للنشر، ط ١، ٢٠١٦م.

١٠٥. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير = تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

١٠٦. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ.
١٠٧. الملائكة الكرام بين أهل السنة ومخالفهم، فهد بن محمد الساعدي، ماجستير أم القرى.
١٠٨. الملائكة والإيمان بهم، ناجي محمد داود سالم سلام، ماجستير ج أم القرى ١٤٠٢هـ.
١٠٩. الملائكة والجن دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام، مي بنت حسن المدهون، دكتوراه، أم القرى.
١١٠. المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة، لابن حجر الهيتمي، تحقيق: الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي، دار البشائر الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٦هـ.
١١١. المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط: ١، ١٣٩٩هـ.
١١٢. مواقف حلف فيها النبي ﷺ، لأبي محمد خميس السعيد محمد عبد الله، بيت الأفكار الدولية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
١١٣. موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، لمحمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني، دار آية.
١١٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١١٥. النكت والعيون = تفسير الماوردي، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - مؤسسة الكتب الثقافية.

١١٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، وآخرين، دار الفكر، بيروت.

١١٧. نور المسرى في تفسير آية الإسراء، لأبي شامة المقدسي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.

فهرس الموضوعات

- ملخص البحث ٨١
- المقدمة ٨٢
- تمهيد في التعريف بالبيت المعمور لغة وشرعاً ٨٥
- المبحث الأول: مسائل البيت المعمور المتعلقة بالإيمان بالغيب ٨٦
- مسألة: الأدلة على إثبات البيت المعمور ٨٦
- مسألة: الأخبار الواردة في وصف البيت المعمور ٨٩
- المبحث الثاني: مسائل البيت المعمور العقدية المتعلقة بالملائكة ٩٢
- مسألة: عدد الملائكة ٩٣
- مسألة: صفة عبادة الملائكة عند البيت المعمور ٩٤
- المبحث الثالث: مسائل البيت المعمور العقدية المتعلقة بالأنبياء ٩٦
- مسألة: اطلاع الأنبياء على علم الغيب ٩٧
- مسألة: دلالة الوصول إلى البيت المعمور على فضل النبي ﷺ ٩٨
- مسألة: علاقة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالبيت المعمور ٩٩
- المبحث الرابع: مسائل البيت المعمور العقدية المتعلقة بالمؤمنين ١٠١
- مسألة إيمان الجوارح بالملائكة ١٠١
- مسألة: الخوف من الله ١٠٣
- مسألة: تعظيم الأمكنة التي شُرِعَ لنا تعظيمها ومنها البيت المعمور ١٠٤
- المبحث الخامس: مسائل البيت المعمور العقدية المتعلقة بالمخالفين ١٠٦

- ١٠٦..... مسألة: التأويل الباطني
- ١١٠..... مسألة: حكم من أنكر البيت المعمور
- ١١١..... المبحث السادس: مسائل متفرقة تتعلق بالبيت المعمور
- مسألة: فوقية البيت المعمور للكعبة المشرفة، ورواية «حيال
- الكعبة» وما في معناها..... ١١١
- ١١٣..... مسألة: هل البيت الحرام الآن مكان البيت المعمور؟
- ١١٥..... الخاتمة
- ١١٧..... المصادر والمراجع
- ١٣١..... فهرس الموضوعات



الموقف الشرعي من جور أئمة المسلمين

د. مساعد بن مجبول بن صالح المطرفي

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد في جامعة الملك
عبدالعزیز

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد؛ فهذا بحثٌ في «الموقف الشرعي من جور أئمة المسلمين»، جعلته في خمسة مباحث وخاتمة، ذكرت فيه بعض المصطلحات المتعلقة بالبحث؛ كمعنى الجور، وبيّنت المراد بالأئمة) في البحث، وذكرت فيه حكم طاعة الأئمة في غير معصية الله، وحكم الخروج عليهم إذا جاروا، مدعماً ذلك بنصوص الوحيين وكلام أئمة السنة، ثم ذكرت شُبه من يرى الخروج على أئمة الجور من الخوارج، والمعتزلة، ومن هنا نحوهم، ورددت عليها بما تقتضيه طبيعة البحث، ثم ذكرت بعد ذلك الموقف الصحيح للمسلم من جور الأئمة، وذكرت فيه أربعة أصول دلت عليها النصوص الشرعية، وكلام أئمة السنة من سلف هذه الأمة، تجاه جور الأئمة، ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها، ومنها:

١. وجوب طاعة الأئمة ما لم يأمرُوا بمعصية.

٢. يحرم الخروج على أئمة الجور، ما لم يكن ثمة كفر بواح عندنا فيه من الله برهان، ولا بد من قيد آخر؛ وهو وجود القدرة على إزالته، وإلا الصبر على جورهم.

٣. لا حجة صحيحة لمن يرى الخروج على أئمة الجور من أهل الإسلام.

٤. انعقد الإجماع على حرمة الخروج على أئمة الجور.

٥. الخروج على أئمة الجور من أصول أهل الاهواء، كالخوارج، والمعتزلة.

٦. ثمَّ أربعة أصول للمسلم تجاه جور أئمة المسلمين؛ هي: الصبر على

جورهم، وعدم الخروج عليهم، وطاعتهم في غير معصية الله، ومناصحتهم،
والدعاء لهم بالصالح.

ثم أوردت بعد الخاتمة فهرسَ المراجع، وفهرسَ موضوعات البحث.
وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه.

د. مساعد بن مجبول المطرفي

mosaed95@hotmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار^(١).

وبعد؛ فهذا بحث في بيان «الموقف الشرعي للمسلم من جور أئمة المسلمين».

(١) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة. والحديث المشتمل عليها، أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٢/١)، وأخرج جزءاً منه: مسلم، في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، برقم (٨٦٨)، وأبو داود في سننه في النكاح، باب في خطبة النكاح برقم (٢١١٨)، والترمذي في جامعه، في أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح برقم (١١٠٥)، والنسائي في سننه في النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح برقم (٣٢٧٧)، وابن ماجه في النكاح، باب في خطبة النكاح برقم (١٨٩٢)، والحديث صحيح. انظر: خطبة الحاجة للألباني.

❖ أهمية الموضوع:

إن جور الأئمة من الفتن التي جاءت الشريعة ببيان الموقف الصحيح منها، ولذا قلّ أن يوجد كتاب من كتب السنة إلا ويذكر فيه كتاب أو باب (الفتن)، يحتوي على نصوص أخبر فيها النبي ﷺ عن جور الأئمة ويبيّن موقف المسلم تجاه هذه الفتن^(١)، لذا أحببت أن أكتب في بيان الموقف الصحيح تجاه جور الأئمة، ولاسيّما في هذا العصر الذي قلّ فيه الاهتمام بكتب أئمة السنة في تقرير مسائل العقيدة، وبالأخصّ ما يتعلق بالحكام.

❖ سبب اختيار الموضوع:

أولاً: مسيس الحاجة إلى أفراد هذه المسألة في بحث مستقل، وإبراز أقوال أئمة السنة في حكم الخروج على أئمة الجور.

ثانياً: كثرة اضطراب أقوال الكتاب في هذه المسألة، حتى وُجد من يدعي - زوراً وبهتاناً- أن مذهب السلف هو الخروج على أئمة الجور، بل تجرّأ أحد الكتاب على الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وإمام أهل السنة أحمد بن

(١) ولذا نجد الإمام البخاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من فقهه لما ذكر كتاب الفتن في صحيحة أورد باباً ضمّنه النصوص المتعلقة بجور الأئمة، وكذلك تلميذه الإمام الترمذي في جامعه؛ فقد ذكر في كتاب الفتن باباً في الأثر وما بعدها، وكذلك أبو داود في سننه، كتاب الفتن، باب الفتن ودلائلها ح ٤٢٣٨، بل إن أئمة السنه صنفوا مصنفات متعلقة بالفتن وذكروا ضمنها ما يتعلق بجور الأئمة، وذكروا النصوص تجاه هذه الفتن، كما فعل أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتابه الفتن، فقد ضمنه باباً ذكر فيه النصوص تجاه جور الأئمة، وكذلك أبو عمرو الداهي في كتابه السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، ضمنه باباً ذكر فيه النصوص التي فيها التعليل والنهي عن الخروج على أئمة الجور.

حنبل رَحِمَهُ اللهُ حينما نقل عنهم الصبر على جور الأئمة، فقال هُذا الكاتب: «وبذلك يتضح سبب إنكارهم للحديث^(١) وهو: وجود أحكام مسبقة في الذهن»^(٢).

ثالثاً: التحذير من الوقوع في فتنة الخروج على أئمة الجور.

رابعاً: بيان الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة.

لهذه الأسباب وغيرها مما لم أذكره أحببت أن أكتب في «الموقف الشرعي من جور أئمة المسلمين».

✻ خطة البحث:

يتألف البحث من خمسة مباحث وخاتمة، وبيانها فيما يلي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الجور.

المطلب الثاني: معنى الأئمة.

المبحث الثاني: حكم طاعة ولادة أمور المسلمين.

المبحث الثالث: حكم الخروج على أئمة المسلمين الجائرين.

المبحث الرابع: شبهة من يرى جواز الخروج على أئمة المسلمين الجائرين

والرد عليه.

(١) ينظر: ١٥٧.

(٢) الفكر السياسي عند ابن تيمية تأليف بسام عطية (٢٩٦).

المبحث الخامس: موقف المسلم من جور الأئمة.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

❁ منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، وذلك في تتبّع ما نُقل عن أئمة السنة تجاه جور الأئمة، واخترت منه ما يبين موقفهم من هذه المسألة.

كما اعتمدت على المنهج النقدي؛ وذلك في رد شبه من يرى الخروج على أئمة الجور، واخترت أهم الشبه في نظري مما يحتمله هذا البحث.

وأما منهج كتابة البحث؛ فهو:

١. الاعتماد على الكتاب والسنة الصحيحة بفهم سلف الأمة.

٢. عزو الآيات الواردة في البحث إلى مواضعها من المصحف، مع التزام الرسم العثماني في كتابتها.

٣. تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث من كتب السنة المعتمدة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به؛ وإلا خرجته من كتب السنة حسب الطاقة والوسع، وربما أقتصر على مصدر واحد؛ لأن الغرض ثبوت الحديث.

٤. الإكثار من النقل عن أئمة السنة.

٥. بينت ما يحتاج الى بيان من الألفاظ الغريبة.

٦. لم أترجم للأعلام الواردة في البحث خشية إثقال الحواشي، وكذلك لم أعرف بالفرق.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات البحث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

معنى الجور

قال اللَّيْثُ: «الجور: نقيض العدل، والجور: ترك القصد في السير».

وقال ابنُ فارس: «جَوَرَ [الجيم والواو والراء] أصل واحد، وهو الميل عن الطريق. يقال: جار جوراً»^(١).

إذاً الجور: نقيض العدل، وترك القصد في السير^(٢). من: جَارَ يَجُورُ جَوْرًا، وقوم جَوْرَة، وجارة، فكل من مال: فقد جَارَ، ومنه جَوْرُ الحاكم؛ إنما هو ميله في حكمه، قال أبو ذؤَيْب:

فإنَّ التي فينا زَعَمْتَ ومثلها لفيك ولكنِّي أراك تجورُها

إنَّما أراد: تجور عنها، فحذَفَ وعدَّى^(٣).

إذاً المراد بجور الأئمة: ظلُّمهم وتعديهم على الحقِّ^(٤).

(١) مقاييس اللغة (١/٤٩٣).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/١٢٢).

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٧/٥٤٢)، والصاحح للجوهري (٢/٦١٧).

(٤) ينظر: تاج العروس للزبيدي (١٠/٤٧٧).

المطلب الثاني

معنى الأئمة

الأئمة جمع إمام، والإمام: كل من اقتدي به، وقُدِّم في الأمور.

قال ابن فارس: «الإمام: كل من اقتدي به وقُدِّم في الأمور، والنبي ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين»^(١).

وقال ابن سيده: «إمام كل شيء قيمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، والنبي ﷺ إمام الأمة، والخليفة إمام الرعية، وإمام الجند قائدهم»^(٢).

إذا الإمام: كل من ياتم به النَّاسُ من رَئِيسٍ أو غيرِه، وَمِنْهُ إِمَامُ الصَّلَاةِ، والخليفة، وقائد الجند، وَالْقُرْآنُ لِلْمُسْلِمِينَ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وَالذَّلِيلُ لِلْمَسَافِرِينَ، وَالْحَادِي لِلْإِبِلِ^(٣).

معنى الإمام أو الإمامة في الاصطلاح:

الإمام في الاصطلاح الشرعي يطلق على عدة معان؛ منها:

١. الإمام الأكبر - الإمامة الكبرى أو العظمى^(٤) - ومن ذلك قوله ﷺ:

(١) مقاييس اللغة (٢٨/١)

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٥٧٢/١٠).

(٣) المعجم الوسيط (٢٧).

(٤) المراد به الذي له الكلمة العليا في البلاد كالملوك ورؤساء الجمهوريات وما أشبه ذلك؛ فكل من ولي قُطراً من الأقطار فهو الإمام الأعظم باعتبار ذلك القطر. ينظر شرح شيخنا ابن عثيمين على السفارينية (٦٦٣).

«خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننازلكهم عند ذلك؟ قال: «لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة، لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»^(١)، وقوله ﷺ: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»^(٢).

٢. ويطلق الإمام ويقصد به إمام الصلاة، ومن ذلك قوله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً»^(٣).

٣. العالم المقتدى به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

والمراد بالإمام أو الإمامة في بحثنا: المعنى الأول، وله عدة ألقاب ومسميات تطلق عليه، فمن ذلك: الخليفة، وأمير المؤمنين، والملك، والرئيس، والسلطان، ولذا اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف الإمام أو الإمامة، فمن تلك التعاريف:

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ح (١٨٥١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ح (١٦٨٧٦)، وابن أبي عاصم في السنة واللفظ له ح (١٠٥٧) - تحقيق الألباني -، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ح (٧٣٧٥)، والطبراني في المعجم الكبير ح (٩١٠) والأوسط ح (٥٨٢٠)، وفي مسند الشاميين (١٦٥٤)، والحديث حسن إسناده الألباني رَجْمَهُ اللَّهُ، كما في تحقيقه على السنة لابن أبي عاصم، ح (١٠٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب: إنما جعل الإمام ليؤتم به، ح (٦٨٨)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، ح (٤١٢).

قال الماوردي: «الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»^(١).

وقال الجويني: «الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا»^(٢).

وقال ابن خلدون هي: «نيابة عن صاحب الشريعة، في حفظ الدين وسياسة الدنيا»^(٣).

وقال محمود الخيري: «اعلم أن الإمام اسم لمن أوّتم به، والمراد منه: الخلافة، وهي: رياسة عامة في الدين والدنيا، لا عن دعوى النبوة، فيخرج النبوة والقضاء»^(٤).

هذه التعريفات متقاربة في المعنى؛ فالإمام هو القائم بأمر المسلمين، ومهمته العظمى حراسة الدين والدنيا معاً.

المبحث الثاني

حكم طاعة ولاية أمور المسلمين

إن طاعة ولاية أمور المسلمين واجبة في المعروف في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وقد دل على ذلك نصوص الوحيين، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

(١) الأحكام السلطانية (١٥).

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم (٢٢).

(٣) مقدمة ابن خلدون (٩٧).

(٤) الدرّة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء (١٠٩ - ١١٠).

فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿النساء: ٥٩﴾.

قال إمام المفسرين ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولادة؛ لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولادة فيما كان طاعة، وللمسلمين مصلحة»^(١).

وقال تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأولو الأمر أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء، والأمراء. فإذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس، كما قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأحمسية لما سألته: ما بقاؤنا على هذا الأمر؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم»^(٢).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر - والله أعلم - أن الآية في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء، كما تقدم. وقد قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿فَسَبُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصا أميري فقد عصاني»^(٣).

(١) تفسير ابن جرير (٧/ ١٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ح (٧١٣٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، ح (١٨٣٥).

فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمرء، ولهذا قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾؛ أي: اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ أي: خذوا بسنته، ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؛ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، كما تقدم في الحديث الصحيح: "إنما الطاعة في المعروف" (١).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة» (٢).

أطلق العبد الحبشي مبالغة في الأمر بالطاعة، وإن كان لا يتصور شرعاً، ولكن قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود (٣).

وعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (٤).

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «(فإن أمر) بضم الهمزة (فلا سمع عليه ولا طاعة) تجب بل يحرم؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفيه أن الإمام إذا أمر بمندوب أو مباح وجب» (٥).

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ح (٧١٤٢).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٣/١٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ح (٧١٤٤) ومسلم في كتاب الإمارة ح (١٨٣٩).

(٥) تحفة الأحوذوي (٥/٢٩٨). ويدخل في نحو ما ذكر المباركفوري: الأنظمة التي يسنها الولاية لتنظيم شؤون الحياة، التي لم يرد في الشرع النهي عنها.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «والأثرة: بفتح الهمزة والثاء، ويقال: بضم الهمزة وإسكان الثاء، وبكسر الهمزة وإسكان الثاء، ثلاث لغات حكاهن في المشارق وغيره، وهي: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا، (عليكم) أي: اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم»^(٢).

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إنَّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مُجَدِّعَ الأطراف»^(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمَيَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفني لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه»^(٤).

قال النووي: «قوله ﷺ: «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية» هي بكسر

(١) أخرجه مسلم في كتاب الامارة ح (١٨٣٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/٢٢٥).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الامارة ح (١٨٣٧).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الامارة ح (١٨٤٨).

الميم؛ أي: على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم.

قوله ﷺ: «ومن قاتل تحت راية عُميّة» هي: بضم العين وكسرها لغتان مشهورتان والميم مكسورة مشددة والياء مشددة أيضاً، قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور^(١).

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ: «وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر؛ لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جارٍ أو عدل، وعلى أن يغزوا معهم العدو، ويحج معهم البيت، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلى خلفهم الجُمع والأعياد»^(٢).

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللهُ: «فالسمع والطاعة لولاة الأمر أمر واجب، ومهما قصرُوا في ذاتهم فلم يبلغوا الواجب عليهم، غير أنهم يدعون إلى الحق، ويؤمرون به، ويدلون عليه، فعليهم ما حملوا، وعلى رعاياهم ما حملوا من السمع والطاعة لهم»^(٣).

وقال تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضوع ما قد أمر به ﷺ من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم والصبر عليهم في حكمهم وقسمهم، والغزو معهم والصلاة خلفهم ونحو ذلك»^(٤).

(١) شرح النووي على مسلم (٢٣٨/١٢).

(٢) رسالة الى أهل الثغر (١٦٩).

(٣) أصول السنة (٢٧٦).

(٤) الفتاوى (٢٠/٣٥).

فدلت نصوص الوحيين، وإجماع أهل العلم على وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله، ولو أردت الاستقصاء لنصوص الوحيين، وكلام أهل العلم في هذه المسألة لطال البحث.

المبحث الثالث

حكم الخروج على أئمة الجور

إنَّ من أصول أهل السنة تحريمَ الخروج على أئمة الجور، وقد نص أئمة السنة على هذه المسألة في مصنفاتهم، فمن ذلك:

قول إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتراء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات... ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها...» ثم ذكر جملاً مما يجب اعتقاده ومن ذلك قوله «... والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين. والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك. وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافذة، من دفعها إليهم أجزاء عنه برأ كان أو فاجراً، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولي جائزة تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلي معهم ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنها تامة، ولا يكن في صدرك من ذلك شك. ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا

عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق»^(١).

وقال علي ابن المديني رَحِمَهُ اللهُ: «ثم السمع والطاعة للأئمة وأمراء المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس ورضاهم، لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا وعليه إمام، براً كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين... ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد اجتمع عليه الناس فأقروا له بالخلافة بأي وجه كانت، برضاً كانت أو بغلبة، فهو شاق هذا الخارج عليه العصا، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة»^(٢).

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم كرات قرناً بعد قرن ثم قرناً بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان...» ثم ذكر بعض من أدرك من أهل العلم في تلك الأمصار ولم يقصد رَحِمَهُ اللهُ الاستيعاب، بل أراد الاختصار، ثم قال «... فما رأيت واحداً منهم يختلف في

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٧٥).

(٢) نفس المصدر (١/ ١٨٥).

هذه الأشياء: أن الدين قول وعمل... وأن لا ننازع الأمر أهله لقول النبي ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، وطاعة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»، ثم أكد في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وأن لا يرى السيف على أمة محمد ﷺ. وقال الفضيل: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام؛ لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. قال ابن المبارك: يا معلم الخير، من يجترئ على هذا غيرك»^(١).

وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السَّنَةِ فِي أَصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَا: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا، وَعِرَاقًا، وَشَامًا، وَيَمَنًا، فَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ...» ثم ذكرنا جملاً مما يجب اعتقاده، ومن ذلك قولهم: «...ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان. ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا ولا ننزع يداً من طاعة، وتنبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة»^(٢).

وقال المزني رَحِمَهُ اللهُ -صاحب الإمام الشافعي-: «والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عَزَّوَجَلَّ مرضياً واجتناب ما كان عند الله مسخطاً. وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ كيما يعطف بهم على رعيته»^(٣).

وقال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللهُ: «ويرى أصحاب الحديث الجمعة

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٩٣).

(٢) نفس المصدر (١/١٩٧).

(٣) شرح السنة (٨٦-٧٨).

والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جوراً فجراً، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيث، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل»^(١).

وقال الإمام الاسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ: «ويرون الصلاة -الجمعة وغيرها- خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً، فإن الله عَزَّوَجَلَّ فرض الجمعة وأمر بإتيانها فرضاً مطلقاً، مع علمه تعالى بأن القائمين يكون منهم الفاجر والفاستق، ولم يستثن وقتاً دون وقت، ولا أمراً بالنداء للجمعة دون أمر. ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جوراً، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم»^(٢).

وقال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافة»^(٣).

وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: «ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميته ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان والخروج عليه وإن جاروا، وذلك قول رسول الله ﷺ لأبي ذر: «اصبر، وإن كان عبداً حبشياً»، وقوله للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على

(١) عقيدة السلف اصحاب الحديث (١٠٦).

(٢) اعتقاد أهل السنة (٥٠).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٥١).

الحوض»، وليس من السنة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدين والدنيا»^(١).
وهذا الذي نص عليه أئمة السنة إجماع منهم على تحريم الخروج على أئمة الجور، وهو مقتضى ما دلت عليه نصوص الوحيين، فمن تلك النصوص:
عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(٢).
فمن خرج على أئمة المسلمين ففيه صفة من صفات أهل الجاهلية، من الاستبداد في الأمور وعدم الرجوع إلى طاعة الأمير والاجتماع عليه^(٣).

وعن جنادة بن أبي أمية، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مريض، قلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به، سمعته من النبي ﷺ، قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: «أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان»^(٤).

قال تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا أمر بالطاعة مع استثثار ولي الأمر، وذلك ظلم منه، ونهى عن منازعة الأمر أهله وذلك نهي عن الخروج عليه؛ لأن أهله هم أولو الأمر الذين أمر بطاعتهم، وهم الذين لهم سلطان يأمرهم به، وليس المراد

(١) شرح السنة (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ح (٧٠٥٣) ومسلم في كتاب الإمامة ح (١٨٤٩).

(٣) ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/٢٣٩٤).

(٤) البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ح (٧٠٥٥) ومسلم في كتاب الإمامة ح (١٧٠٩).

من يستحق أن يولى ولا سلطان له، ولا المتولي العادل؛ لأنه قد ذكر أنهم يستأثرون، فدل على أنه نهى عن منازعة ولي الأمر وإن كان مستأثراً، وهذا باب واسع^(١).

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»^(٢).

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر في هذا الحديث أن هؤلاء الأمراء يأتون أموراً منكراً، وينهى عن قتالهم، فدل ذلك على أنه لا يجوز الإنكار عليهم بالسيف^(٣).

وهذا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يذهب لعبدالله بن مطيع لما خرج مع من خرج من أهل المدينة عن طاعة يزيد بن معاوية ووليّ عليهم، فلما قدم عليهم ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال ابن مطيع: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتكم لأجلس، أتيتكم لأحدثكم حديثاً سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهليّة»^(٤).

وعن نافع مولى ابن عمر، أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جمع بنيه حين انتزى^(٥) أهل المدينة مع ابن الزبير، وخلعوا يزيد بن معاوية، فقال: إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان، وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشراف بالله تعالى - أن

(١) منهاج السنة (٣/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (١٨٥٤).

(٣) ينظر منهاج السنة (٣/ ٣٩٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ح (١٨٥١).

(٥) الاِنتِزَاءُ وَالتَّزْيُّ: تَسْرُعُ الْإِنْسَانِ إِلَى الشَّرِّ. ينظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٤٤).

يباع الرجل رجلاً على بيع الله ورسوله، ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون صليماً^(١) فيما بيني وبينكم^(٢).

وعن نافع قال: «لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة». وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يباع رجل على بيع الله ورسوله، ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه»^(٣).

وعن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة». قال ابن جابر: فقلت: - يعني لرزيق - حين حدثني بهذا الحديث: الله، يا أبا المقدام، لحدثك بهذا، أو سمعت

(١) الصَّيْلَمُ: القطيعة، فد(الصيلم) و(الفيصل) كما في الحديث الآتي معناهما واحد، وهو: القطيعة.

ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٣٤٠)، فتح الباري (١٣/٧١)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٣٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٩/٥٢٠ - ٥٢١) ح (٥٧٠٩) قال محققوا المسند (اسناده على شرط الشيخين).

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الفتن باب: قوله باب إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه ح (٧١١١).

هذا من مسلم بن قُرْظَةَ يقول: سمعت عوفاً، يقول: سمعت رسول الله ﷺ قال: فجثا على ركبتيه واستقبل القبلة، فقال: «إي والله الذي لا إله إلا هو، لسمعت من مسلم بن قُرْظَةَ، يقول: سمعت عوف بن مالك، يقول: سمعت رسول الله ﷺ» (١).

وأما الإجماع فقد سبق نقل كلام أئمة السنة كالإمام أحمد وابن المديني والرازيين وغيرهم، ومن ذلك أيضاً ما نص عليه ابن بطلال حيث قال: «في هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم، والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلب طاعته لازمة، ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ألا ترى قوله ﷺ لأصحابه: «سترون بعدي أثره وأموراً تنكروها» فوصف أنهم سيكون عليهم أمراء يأخذون منهم الحقوق ويستأثرون بها، ويؤثرون بها من لا تجب له الأثرة، ولا يعدلون فيها، وأمرهم بالصبر عليهم والتزام طاعتهم على ما فيهم من الجور» (٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة في ذلك» (٣).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمامة ح (١٨٥٥).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (٨/١٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢٢٩/١٢).

المبحث الرابع

شبهة من يرى الخروج على أئمة الجور والرد عليه

ذهب الخوارج والمعتزلة والزيدية إلى وجوب الخروج على أئمة الجور^(١)، وذهب بعض الأشاعرة إلى جواز الخروج^(٢)، وشاركهم بعض من ينتسب للسنّة في هذا العصر، ناسين أو متناسين إجماع الأمة على تحريم الخروج على أئمة الجور^(٣)، وأن الخروج عليهم أصل من أصول أهل البدع، وقد استدل هؤلاء ببعض الشبه، تاركين النصوص المحكمة التي تأمر بالصبر على جور الأئمة وعدم الخروج عليهم.

✦ الشبهة الأولى:

زعم من يرى جواز الخروج على أئمة الجور بأن النبي ﷺ أمر بمجاهدتهم والخروج عليهم، واستدلوا بما جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» قال أبو رافع: فحدثت عبد الله بن عمر

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين للاشعري (١٢٥)، والفرق بين الفرق للبغدادي (٥٥)، والممل

والنحل للشهرستاني (١/١١٥)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٣/٢٧٩).

(٢) ينظر: غاية المرام في علم الكلام للامدي (٣٨٥)، والأحكام السلطانية للماوردي (٤٢).

(٣) ينظر ص (١١).

فأنكره علي، فقدم ابن مسعود فنزل بقناة^(١)، فاستتبعتني إليه عبد الله بن عمر يعود، فانطلقت معه فلما جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث، فحدثني كما حدثته ابن عمر، قال صالح: وقد تحدث بنحو ذلك عن أبي رافع^(٢).

الجواب عن ذلك من جهتين، إحداهما مجملة والأخرى مفصلة:

أولاً: الرد من جهة الاجمال:

هذا الحديث قد يظهر أنه معارض للأحاديث الكثيرة الأمرة بالصبر على أئمة الجور وعدم الخروج عليهم كما سبق بيانه في المبحث السابق، ولذا لما سمع عبدالله بن عمر أبا رافع يحدث بهذا الحديث أنكره عليه، وما ذاك إلا لأنه يخالف النصوص المستفيضة الأمرة بالصبر على أئمة الجور وعدم الخروج عليهم، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ أَنْكَرَ حَدِيثَ «سَيَكُونُ أَمْرَاءٌ... فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ...»، وذكر أنه خلاف الأحاديث الأمرة بالصبر على جور الأئمة^(٣).

قال أبو بكر الأثرم رَحِمَهُ اللهُ: «روى عامر بن السَّمُط عن معاوية بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «سَيَكُونُ أَمْرَاءٌ - فَذَكَرَ مِنْ فَعَلَهُمْ ثُمَّ قَالَ: - فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ». وهذا أيضاً خلاف الأحاديث، وهو إسناد لم يسمع حديث عن ابن مسعود بهذا الإسناد غيره، وقد جاء الإسناد الواضح عن

(١) قناة: واد من أودية المدينة عليه مال من أموالها. ينظر شرح النووي على مسلم (٢/٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح (٥٠).

(٣) انظر: ناسخ الحديث ومنسوخه للأثرم (٢٥٦ - ٢٥٧).

ابن مسعود بخلافه.

روى الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «سترون بعدي أثره وفتناً وأموراً تنكرونها». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله. قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»، وهذا عن ابن مسعود، وذلك عن ابن مسعود، وهذا أثبت الإسنادين، وهو موافق للأحاديث، وذلك مخالف، ثم تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فكثرت عنه، وعن الصحابة والأئمة بعدهم يأمرون بالكف، ويكرهون الخروج، وينسبون من خالفهم في ذلك إلى فراق الجماعة، ومذهب الحرورية وترك السنة^(١).

فهذا الحديث خلاف الأحاديث المعلومة الثابتة المتواترة من سنة النبي ﷺ في الصبر على جور الأئمة وعدم الخروج عليهم؛ ولذا انفرد به مسلم دون البخاري.

ثانياً: الرد تفصيلاً:

هذا الحديث لو سلم جديلاً بأن ظاهره يدل على جواز الخروج على أئمة الجور، فهذا يعارض الأحاديث المتواترة الآمرة بالصبر على أئمة الجور، بل ويعارض ما ثبت عن راوي الحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ ثبت عنه مرفوعاً: «إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله قال: «أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم»^(٢)، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من حمله

(١) ناسخ الحديث ومنسوخه للأثرم (٢٥٦ - ٢٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ح (٧٠٥٢)، ومسلم في كتاب الإمارة ح (١٨٤٣).

على وجه لا يعارض تلك النصوص المستفيضة التي تأمر بالصبر وعدم الخروج على أئمة الجور، وهذه طريقة الراسخين في العلم الذين لا يضربون نصوص الوحيين بعضها ببعض، بل يوفقون بين النصوص ويحملونها على أحسن الوجوه، وهذا من الفقه في دين الله، فمن تلك الأجوبة:

١. أن ظاهر الحديث مسوق فيمن سبق من الأمم وليس في لفظه ذكر هذه الأمة^(١)، ولذا جاء في لفظه «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي...» فهذا الحديث منسوخ بشريعتنا الأمرة بالصبر على أئمة الجور، وقد سبق نقل كلام أبي بكر الأثرم في ناسخ الحديث ومنسوخه الذي يدل على أن هذا الحديث منسوخ بأحاديث الصبر.

٢. قوله ﷺ: «... ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف فمن جاهدكم بيده...» هذا عام مخصوص، يخرج منه أئمة الجور كما دل عليه جملة من النصوص الأمرة بالصبر وعدم الخروج عليهم، فمن ذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»^(٢)، قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: «لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة، لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال،

(١) ينظر صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح (١٠٩).

(٢) هذا الحديث ليس فيه حجة لمن يسبون ويلعنون الولاة على المنابر، فالنبي ﷺ يخبر بالواقع وليس الإخبار بالواقع يقتضي أن يكون الواقع جائزاً، فهذا النبي ﷺ يخبر بأن من هذه الأمة من يتبع سنن من كان قبلها من أهل الكتاب والأعاجم، واتباع سنن هؤلاء محرّم. ينظر التعليق على صحيح مسلم لشيخنا ابن عثيمين (١٠/٣٠٢-٣٠٤).

فراه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»، قال ابن جابر: فقلت: -يعني لرزيق- حين حدثني بهذا الحديث: الله، يا أبا المقدام، لحدثك بهذا، أو سمعت هذا من مسلم بن قرظة يقول: سمعت عوفاً، يقول: سمعت رسول الله ﷺ؟ قال: فجثا على ركبتيه واستقبل القبلة، فقال: «إي والله الذي لا إله إلا هو، لسمعت من مسلم بن قرظة، يقول: سمعت عوف بن مالك، يقول: سمعت رسول الله ﷺ»^(١).

٣. قوله ﷺ: «... من جاهدهم بيده...» هذا محمول على الحالة المكفرة كما في حديث «وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان» فالتغيير باليد والخروج على الأئمة لا يكون إلا إذا كان ثمة كفر بواح عندنا من الله فيه برهان، وكان ثمة قدرة على إزالة هذا الحاكم الكافر، كما ذكر ذلك أهل العلم في شروط الخروج على الحاكم الكافر وكما دلت عليها النصوص الشرعية^(٢).

وقد يقال بأن الإنكار باليد لا يلزم منه الخروج بالسيف، ولذا قال الحافظ ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ بَعْدَ مَا ذَكَرَ اسْتِنْكَارَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ لِهَذَا الْحَدِيثِ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَأَنَّهُ خِلَافُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا بِالصَّبْرِ عَلَى جُورِ الْأَئِمَّةِ، قَالَ: «وَقَدْ يَجَابُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ التَّغْيِيرَ بِالْيَدِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْقِتَالَ. وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَدُ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ صَالِحٍ، فَقَالَ: التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ لَيْسَ بِالسَّيْفِ وَالسَّلَاحِ، وَحِينَئِذٍ فَجْهَادُ الْأَمْرَاءِ بِالْيَدِ أَنْ يَزِيلَ بِيَدِهِ مَا فَعَلُوهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، مِثْلَ أَنْ يَرِيْقَ خَمُورَهُمْ

(١) سبق تخريجه (ص ١٥٦).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٠٣/٨) ولقاء الباب المفتوح لشيخنا ابن عثيمين (٥١)

سؤال (١٢٢٢).

أو يكسر آلات الملاهي التي لهم، ونحو ذلك، أو يبطل بيده ما أمروا به من الظلم إن كان له قدرة على ذلك، وكل هذا جائز، وليس هو من باب قتالهم، ولا من الخروج عليهم الذي ورد النهي عنه، فإن هذا أكثر ما يخشى منه أن يقتل الأمر وحده.

وأما الخروج عليهم بالسيف، فيخشى منه الفتن التي تؤدي إلى سفك دماء المسلمين. نعم؛ إن خشي في الإقدام على الإنكار على الملوك أن يؤذي أهله أو جيرانه، لم ينبغ له التعرض لهم حينئذ، لما فيه من تعدي الأذى إلى غيره، كذلك قال الفضيل بن عياض وغيره، ومع هذا، فمتى خاف منهم على نفسه السيف، أو السوط، أو الحبس، أو القيد، أو النفي، أو أخذ المال، أو نحو ذلك من الأذى، سقط أمرهم ونهيبهم، وقد نص الأئمة على ذلك، منهم مالك وأحمد وإسحاق وغيرهم. قال أحمد: لا يتعرض للسلطان، فإن سيفه مسلول^(١).

✽ الشبهة الثانية:

خروج بعض السلف على أئمة الجور، كخروج الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا على يزيد بن معاوية، وخروج أهل المدينة بقيادة عبدالله بن مطيع، وخروج ابن الزبير على يزيد بن معاوية وعلى مروان ابن الحكم وابنه عبدالملك بن مروان.

الرد على هذه الشبهة من جهتين؛ إحداهما مجملة والأخرى مفصلة:

أما الإجمال: فمن المتقرر عند أهل العلم أن الحجة فيما جاء في نصوص الوحيين، وأن أقوال أهل العلم وأفعالهم يستدل لها لا يستدل بها، فاذا اختلف

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٢٤٨-٢٤٩).

أهل العلم في مسألة ما فالواجب الذي يقتضيه العلم الرجوع إلى الوحيين كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

فقد أمر الله برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الوحيين؛ الكتاب وما صح من سنة النبي ﷺ.

فالواجب الذي يقتضيه الاتباع رد كل قول أو فعل يخالف نصوص الوحيين مهما كان لصاحب ذلك القول أو الفعل من مكانة، ولذا يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لمن يعارض قول الرسول ﷺ بقول أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهما من هما؟ «أراهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله ﷺ، ويقول: نهى أبو بكر وعمر»^(١).

وعن سالم بن عبدالله قال: «إني لجالس مع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في المسجد إذ جاءه رجل من أهل الشام، فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج؟ فقال ابن عمر: حسن جميل. فقال: فإن أباك كان ينهى عن ذلك؟ فقال ويلك! فإن كان أبي قد نهى عن ذلك، وقد فعله رسول الله ﷺ، وأمر به، فبقول أبي تأخذ، أم بأمر رسول الله ﷺ؟! قال: بأمر رسول الله ﷺ فقال: فقم عني»^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لرجل: يا ابن أخي، «إذا حدثت عن رسول الله

(١) أخرجه أحمد في المسند، ت أحمد شاكر (٣/٣٥٢) رقم (٣١٢١) وصحح إسناده أحمد شاكر.

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/١٤٢) برقم (٣٦٦٥) وأبو يعلى في مسنده (٩/٣٤١) برقم (٥٤٥١) وجود إسناده الألباني كما في صفة صلاة النبي (الأصل) (١/٣٣).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثاً، فلا تضرب له الأمثال»^(١).

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس»^(٢).

وإذا نظرنا إلى مسألة حكم الخروج على أئمة الجور نجد أن النصوص مستفيضة في السنة بتحريم الخروج - كما سبق بيانه مما أغنى عن إعادته هنا - فالواجب الذي يقتضيه الاتباع رد كل قول أو فعل يخالف ما جاء في نصوص الوحيين، ويلتمس أحسن المحامل لما صدر من مخالفة لنصوص الوحيين من بعض السلف، ولا تضرب نصوص الوحيين عرض الحائط بتأويل واجتهاد من أخطأ متأولاً.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول وعرفه أن يبينه للأمة وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة، فإن أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأي معظم، قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ.

ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم من العلماء على كل من خالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد، لا بغضاً له، بل هو محبوب عندهم، معظم في نفوسهم، لكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ، وأمره فوق أمر كل مخلوق. فإذا تعارض أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر غيره فأمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى أن يقدم ويتبع، ولا

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتغليظ على من عارضه ح

(٢٢) وينظر رقم (٤٨٥).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/١١).

يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره لأن كان مغفوراً له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه، بل يرضى بمخالفة أمره ومتابعة أمر رسول الله ﷺ إذا ظهر أمره بخلافه»^(١).

أما التفصيل فمن وجوه:

الوجه الأول: إن طريقة الراسخين في العلم كما ذكرها ربنا في كتابه اتباع المحكم وترك المتشابه كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

ومن المحكمات، النصوص المستفيضة في تحريم الخروج على أئمة الجور - كما سبق بيانه -، وما حصل من بعض السلف ممن خالف تلك النصوص متأولاً لا يتابع على خطئه، ويترك المحكم إلا لمن كان في قلبه زيغ كما نطقت به الآية.

الوجه الثاني: أنه ثبت عن غير واحد من السلف الإنكار على من فعل ذلك، فمن ذلك:

١. ما حصل للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من إنكار بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليه:

فهذا ابن عمر ينكر على الحسين وابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عدم دخولهم في صالح

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٢٤٥).

ما دخل فيه الناس من الطاعة والبيعة، فيقول «أذكر كما الله إلا رجعتما، فدخلتما في صالح ما دخل فيه الناس، وتنظران، فإن اجتمع الناس عليه لم تشدّا، وإن تفرقوا كان الذي تريدان»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «غلبني الحسين على الخروج، وقد قلت له: اتق الله في نفسك والزم بيتك، ولا تخرج على إمامك»^(٢).

وقال جابر بن عبد الله: «كلمت حسيناً فقلت: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني»^(٣).

وقال ابن عمر للحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا تخرج فإن رسول الله ﷺ خير الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة. وأنت بضعة منه ولا تنالها»^(٤) -يعني الدنيا- فاعتنقه وبكى وودعه». فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين على الخروج^(٥).

قال تقي الدين ابن تيمية: «لما أراد الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن لا يخرج، وغلب على ظنهم أنه يقتل، حتى إن بعضهم قال: أستودعك الله من قتيل، وقال بعضهم: لولا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ط محمد بن صامل السلمي (١/٤٤٤)، وتهذيب الكمال للمزي (٦/٤١٦).

(٢) الطبقات لابن سعد (١/٤٤٥)، وتهذيب الكمال (٦/٤١٧).

(٣) طبقات لابن سعد (١/٤٤٥)، وتهذيب الكمال (٦/٤١٧).

(٤) وهذا شبيه بقول الحسن لأخيه الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة». الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٣٩١).

(٥) الطبقات لابن سعد (١/٤٤٤).

الشفاعة^(١) لأمسكتك ومصالحة المسلمين، والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى.

فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقاتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده، فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقاتله، ونقص الخير بذلك، وصار ذلك سبباً لشر عظيم، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن.

وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد، ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقة للجماعة.

وأحاديث النبي ﷺ الثابتة في الصحيح كلها تدل على هذا، كما في صحيح البخاري من حديث الحسن البصري سمعت أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢). فقد أخبر النبي

(١) كذا في المصدر، ولعل الصواب (الشناعة).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي (إن ابني هذا لسيد،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سيد وحقق ما أشار إليه من أن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وهذا يبين أن الإصلاح بين الطائفتين كان محبوباً ممدوحاً يحبه الله^(١).

وقد يقال بأن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يبائع يزيد بن معاوية حتى يقال بأنه خرج على إمامه، ولذا يقول الحافظ ابن كثير عمن امتنع عن بيعته يزيد في حياة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمم على ذلك، فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير، وخرجا من المدينة فارّين إلى مكة فأقاما بها، فعكف الناس على الحسين يقدون إليه ويقدمون عليه، ويجلسون حوالبه ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد»^(٢).

وعلى كل حال فإن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجع في آخر الأمر، تاركاً طلب الإمارة، وقد قُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظلوماً شهيداً، فقد طلب ممن قتله ظلماً وعدواناً أن يرجع إلى بلده أو إلى ثغر من الثغور أو إلى المتولي على الناس يزيد بن معاوية، ولكن أبي الظالمون المعتدون إلا قتله^(٣).

ولذا يقول تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي يأمر فيها بقتال المفارق للجماعة لم تتناوله؛ فإنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يفرق الجماعة، ولم يقتل إلا

ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) ح (٧١٠٩).

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٤/ ٥٣١ - ٥٣٢).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٤٤٧).

(٣) ينظر منهاج السنة لابن تيمية (٤/ ٥٣٥، ٥٨٦).

وهو طالب للرجوع إلى بلده، أو إلى الثغر، أو إلى يزيد، داخلاً في الجماعة، معرضاً عن تفريق الأمة. ولو كان طالب ذلك أقل الناس لوجب إجابته إلى ذلك، فكيف لا تجب إجابة الحسين إلى ذلك؟! ولو كان الطالب لهذه الأمور من هو دون الحسين لم يجز حبسه ولا إمساكه، فضلاً عن أسره وقتله»^(١).

٢. وأما خروج أهل المدينة على يزيد وتولية أمرهم لعبدالله بن مطيع بن الأسود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقد أنكر عليهم ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذلك، فقد جاء في صحيح الإمام مسلم عن نافع قال: «جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتكم لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»^(٢).

وروى البخاري بسنده عن نافع، قال: «لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر، حَشَمَهُ وولده، فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة» وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه»^(٣).

(١) منهاج السنة (٤/٥٨٦).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٥٤).

(٣) سبق تخريجه (ص ٢٣٢).

وهذا محمد بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ لم ير الخروج على يزيد ولم يستجب لدعوة ابن مُطِيع ومن معه للخروج على يزيد لما طلبوا منه ذلك، بل جادلهم في تلك التُّهَم التي ذكروها في يزيد^(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلعوه، وولّوا عليهم ابن مُطِيع وابن حنظلة لم يذكروا عنه - وهم أشد الناس عداوة له - إلا ما ذكروه عنه من شربه الخمر وإتيانه بعض القاذورات، لم يتهموا به بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض، بل قد كان فاسقاً، والفاسق لا يجوز خلعه؛ لما يؤدي ذلك إليه من الفتنة ووقوع الهرج، كما وقع زمن الحرّة، فإنه بعث إليهم من يردهم إلى الطاعة، وأنظرهم ثلاثة أيام، فلما لم يرجعوا قاتلهم، وقد كان في هذا كفاية، ولكنه تجاوز الحد في أمره أمير الحرب أن يبيح المدينة ثلاثة أيام، حتى وقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض.

وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد، ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد؛ كما قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن عليّة، حدثني صخر بن جويرية، عن نافع قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله، ثم تشهد، ثم قال: أما بعد، فإننا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان». وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشراف بالله - أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد، ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون الصيْلَم بيني وبينه.

(١) ينظر: البداية والنهاية (١١/٦٥٢ - ٦٥٣).

وقد رواه مسلم^(١) والترمذي^(٢)، من حديث صخر بن جويرية، وقال الترمذي: حسن صحيح. وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، عن صخر بن جويرية، عن نافع، عن ابن عمر، فذكره مثله^(٣).

٣. وأما خروج ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيجاب عنه بما يلي:

أولاً: قد يقال: إن ابن الزبير لم يبايع ليزيد بل خرج هو والحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولقيا بالطريق عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وهما قادمان من العمرة في منطقة يقال لها: الأبواء فذكرهما ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالله فقال: «أذكركما الله إلا رجعتما، فدخلتما في صالح ما دخل فيه الناس، وتنظران، فإن اجتمع الناس عليه لم تشدًا، وإن تفرقوا كان الذي تريدان»^(٤)، فأنكر عليهما عدم دخولهما في صالح ما دخل فيه الناس من الطاعة والبيعة. ولكن ابن الزبير امتنع من المبايعة ليزيد أولاً، ثم بذل المبايعة له، ولكن لم يرصّ يزيد إلا بأن يأتيه أسيراً، فجرت بينهما فتنة^(٥).

ثانياً: أن ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يدعُ إلى خلافة نفسه إلا بعد موت يزيد سنة أربع

(١) وحديث: «ينصب لكل غادر...»: أخرجه مسلم في صحيحه في أكثر من موضع؛ منها: كتاب: الجهاد والسير، الأرقام (١٧٣٥ - ١٧٣٨).

(٢) أخرجه: الترمذي، في سننه، كتاب: أبواب السير، باب: ما جاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة، رقم (١٥٨١).

(٣) البداية والنهاية (١١/٦٥٢ - ٦٥٣).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٤٤٤)، تهذيب الكمال للمزي (٦/٤١٦).

(٥) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١١/٤٧٧)، الفتح لابن حجر (١٣/١٩٤)، منهاج السنة (٤/٥٢٣).

وستين من ربيع الأول، فبايعه جُلُّ أهل الحجاز بالخلافة، وبايع أهل الآفاق لمعاوية بن يزيد بن معاوية، ولم تطل أيامه، بل أقام نحو أربعين يوماً ومات، وكان فيه صلاح وزهد ولم يستخلف أحداً، فبايع معظم أهل الآفاق لعبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فانظم له ملك الحجاز واليمن ومصر والعراق والمشرق كلها وجميع بلاد الشام ماعدا فلسطين، وكان بها بنو أمية، فاجتمعوا على مروان بن الحكم، فبايعوه بالخلافة، فخرج بمن معه إلى دمشق ومن ثم إلى مصر فانظم له هذان المصران، ثم مات في سنته، فكانت مدة ملكه ستة أشهر، وقد عهد إلى ابنه عبدالمك، فقام عند مصرعه مقامه حتى انتظم له ملك الشام ومصر والعراق، ولم يبق مع ابن الزبير إلا الحجاز واليمن فقط، فجهز له عبدالمك جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، فحاصره في سنة اثنين وسبعين إلى أن قتل ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سنة ثلاث وسبعين من جمادى الأولى، واستوثق الأمر لعبدالمك، ثم لأولاده من بعده^(١).

فهل يقال -والحالة هذه-: إن ابن الزبير هو المنازع لبني أمية، أو إن بني أمية هم المنازعون لابن الزبير الخارجون عليه^(٢)؟ أو إن ابن الزبير له دولته، وبنو أمية لهم دولتهم؟ أو إن الزمن زمن فرقة وفتنة^(٣) ولا يستدل به على جواز الخروج على أئمة الجور؟ ولذا فإن ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يبايعوا ابن الزبير مع أنهم كانوا في الحجاز وقرييين من ابن الزبير، وكان حريصاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مبايعة هؤلاء له، ولكن لم تحصل البيعة منهم لابن الزبير؛ وما ذاك إلا لأن الزمن

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/١٩٤-١٩٥)، ومنهاج السنة (٤/٥٢٢-٥٢٣)، والسير

للذهبي (٣/٣٦٤) و(٤/١٣٩).

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة (٨/٥٢٦).

(٣) ينظر: السير (٣/٣٦٤).

زمن فتنة وفرقة، ولذا يقول الذهبي عن بيعة ابن الزبير: «وبويع بالخلافة عند موت يزيد سنة أربع وستين، وحكم على الحجاز... ولم يستوسق^(١) له الأمر، ومن ثم لم يعده بعض العلماء في أمراء المؤمنين، وعد دولته زمن فرقة»^(٢).

ثالثاً: كان ابن عمر ينهى ابن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن هذا الأمر، ولذا جاء في صحيح مسلم عن أبي نوفل قال: «رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة، قال: فجعلت قريش تمر عليه والناس، حتى مر عليه عبد الله ابن عمر، فوقف عليه فقال: السلام عليك، أبا حُبَيْب، السلام عليك أبا حُبَيْب، السلام عليك أبا حُبَيْب، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا...»^(٣).

٤. وأما فتنة ابن الأشعث التي وقعت سنة إحدى وثمانين أو اثنين وثمانين، وهي خلعهم للحجاج بن يوسف الثقفي ومن ثم خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان -التي حصل فيها قتل كثير بين أهل الإسلام مما أفرح العدو المتربص بالإسلام وأهل الإسلام وأحزن الصديق- حتى تمكن الحجاج من القضاء عليها^(٤)، فالجواب عنها من وجوه:

أولاً: من المتقرر في الشريعة أن أقوال الرجال وأفعالهم توزن بميزان الشرع، وما حدث من ابن الأشعث ومن معه من أهل الفضل والصلاح خلاف ما جاءت

(١) معنى لفظة: «لم يستوسق له الأمر»: لم يجتمع ويتنظم له الأمر. ينظر العين (١٩١ / ٥).

(٢) السير (٣٦٤ / ٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ح (٢٥٤٥).

(٤) ينظر فتنة ابن الأشعث في تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٢٨٠)، والبداية والنهاية لابن كثير

(٣٠٥ / ١٢).

به النصوص الحاثّة على الصبر وعدم الخروج على أئمة الجور، ونصوص الوحيين قاضية على كل من خالفها كائناً من كان، ولذا لما اشتكى بعض الناس لأنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما يلقونه من الحجاج لم يأمرهم بالخروج عليه، بل أمرهم بالصبر، فعن الزبير بن عدي قال: «أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم» سمعته من نبيكم ﷺ»^(١).

قال سليمان بن علي الربعي: لما كانت الفتنة فتنة ابن الأشعث إذ قاتل الحجاج بن يوسف انطلق عقبة بن عبدالغافر وأبو الجوزاء وعبدالله بن غالب في نفر من نظرائهم، فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج، قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيا فكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العليج! قال: وهم قوم عرب. قالوا: وخرجوا مع ابن الأشعث. قال: فقتلوا جميعاً^(٢).

ثانياً: أن فتنة ابن الأشعث ثمة من أهل العلم والدين والفضل من أنكرها ولم يشارك فيها؛ وقوفاً مع النصوص الناهية عن ذلك، فمن هؤلاء الأعلام إبراهيم النخعي، فقد كان يعيب على سعيد بن جبير مشاركته في فتنة ابن الأشعث، «قيل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ح (٧٠٦٨).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، طبعة: محمد عبدالقادر عطا (١٢٠/٧) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٧٨/١٢) وتاريخ الاسلام للذهبي (٢٧/٧).

لإبراهيم: قتل الحجاج سعيد بن جبير! قال: يرحمه الله، ما ترك بعده خلف. قال: فسمع بذلك الشعبي، فقال: هو بالأمس يعيبه بخروجه على الحجاج، ويقول اليوم هذا! فلما مات إبراهيم، قال الشعبي: ما ترك بعده خلف»^(١).

عن أبي قلابة، قال: «لما انجلت فتنة ابن الأشعث كنا في مجلس ومعنا مسلم بن يسار، فقال مسلم: الحمد لله الذي أنجاني من هذه الفتنة، فوالله ما رميت فيها بسهم، ولا طعنت فيها برمح، ولا ضربت فيها بسيف، قال أبو قلابة: فقلت له: فما ظنك يا مسلم بجاهل نظر إليك؟ فقال: والله ما قام مسلم هذا المقام إلا وهو يراه عليه حقاً، فقتل أو قُتل، قال: فبكى، والذي نفسي بيده حتى تمنيت أن لا أكون قلت له شيئاً»^(٢).

ثالثاً: أن من خرج مع ابن الأشعث من أهل العلم والفضل ندم على ذلك الخروج؛ لأنه خلاف النصوص، ولما ترتب عليه من مفساد عظيمة.

قال أيوب السختياني - في القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث -: «لا أعلم أحداً منهم قتل، إلا رغب له عن مصرعه، أو نجا إلا ندم على ما كان منه»^(٣).

وقال الأصمعي: «لما أدخل الشعبي على الحجاج، قال: هيه يا شعبي! فقال: أحزن بنا المنزل، واستحلستنا الخوف، فلم نكن فيما فعلنا بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء فقال: لله درك»^(٤).

(١) السير (٤/ ٥٢٥ - ٥٢٦).

(٢) أخرجه نعيم في كتاب الفتن (١/ ١٤٥) ح ٣٦١، وينظر: السير (٤/ ٥١٣).

(٣) السير (٤/ ٥١٣).

(٤) السير (٤/ ٣٠٦).

وقال طلحة بن مصرف: «شهدت الجماجم فما طعنت برمح، ولا ضربت بسيف، ولوددت أنهما قطعتا من هاهنا»، يعني يديه، «ولم أكن شهدته»^(١).

قال تقي الدين ابن تيمية: «كان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبدالله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرّة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث. ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين.

وباب قتال أهل البغي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتهه بالقتال في الفتنة، وليس هذا موضع بسطه. ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الباب واعتبر أيضاً اعتبار أولي الأبصار، علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور. ولهذا لما أراد الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين، كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن لا يخرج، وغلب على ظنهم أنه يقتل، حتى إن بعضهم قال: أستودعك الله من قتيل. وقال بعضهم: لولا الشفاعة^(٢) لأمسكتك ومنعتك من الخروج. وهم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين. والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا

(١) أخرجه نعيم في كتاب الفتن (١/٩١، ١٤٤) ح (٢١٢، ٣٥٩) وابن أبي الدنيا في كتاب المتمنين ح (١٣٢).

(٢) كذا في المصدر، والصواب (الشفاعة).

بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى.

فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده، فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار ذلك سبباً لشر عظيم، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن، كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن.

وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد. ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقة للجماعة^(١).

المبحث الخامس

موقف المسلم من أئمة الجور

يجب على المسلم الذي آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً أن يكون موقفه من الفتن جارياً وفق نصوص الوحيين؛ ففيهما النجاة والسلامة، وإن النصوص الشرعية قد بينت الموقف الصحيح تجاه فتنة جور الأئمة، وهو طاعتهم في غير معصية الله، ومناصحتهم، والصبر عليهم، وعدم الخروج عليهم، والدعاء

(١) منهاج السنة (٤/٥٢٩ - ٥٣١).

لهم. فهذه الأصول الأربعة دلت عليها النصوص الشرعية، وكلام الأئمة؛ وهي:

✽ الأصل الأول: الطاعة في غير معصية الله:

إن هذا الأصل قد دلت عليه نصوص الوحيين وكلام أئمة السنة، وسبق بيانه في المبحث الثاني مما أغنى عن إعادته^(١).

✽ الأصل الثاني: المناصحة:

يجب على الرعية مناصحة من ولاه الله أمرهم إما مباشرة أو بواسطة من يتصل به من العلماء وأهل الفضل^(٢)، وقد دل على هذا الأصل أحاديث كثيرة؛ منها:

حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الله رضي لكم ثلاثاً، وكره لكم ثلاثاً، رضي لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تنصحوا لمن ولّاه الله أمركم، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٣).

قال أبو عبدالله محمد بن نصر المروزي: «أما النصيحة لأئمة المسلمين فحب طاعتهم ورشدهم، وعدلهم، وحب اجتماع الأمة كلهم وكرهية افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن رأى الخروج عليهم

(١) ينظر ص ١٤٤.

(٢) ينظر شرح الاربعين النووية لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٢١).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/٩٩٠) ح (٢٠) والإمام أحمد في مسنده ط الرسالة

(١٤/٣٣٥-٣٣٦) ح (٨٧١٧)، وقال محققوا المسند إسناده صحيح على شرط مسلم.

وحب إعزازهم في طاعة الله»^(١).

قال ابن عبد البر: «في هذا الحديث أن من الدين النصح لأئمة المسلمين، وهذا أوجب ما يكون، فكل من أكلهم وجالسهم وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك إذا رجا أن يسمع منه»^(٢).

قال المناوي: «أن تناصحوا من ولاه الله أمركم) أي: من جعله والي أمركم، وهم الإمام ونوابه، والمراد بمناصحتهم: ترك مخالفتهم والدعاء عليهم، والدعاء لهم ومعاونتهم على الحق، والتلطف في إعلامهم بما غفلوا عنه من الحق والخلق، ولم يؤكد هنا بقوله: ولا تخالفوا؛ إشعاراً بأن مخالفتهم جائزة إذا أمروا بمعصية»^(٣).

ومما يدل على هذا الأصل أيضاً حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(٤).

قال النووي: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتآلف قلوب الناس لطاعتهم. قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٩٣ - ٦٩٤).

(٢) التمهيد (٢١/٢٨٥).

(٣) فيض القدير (٢/٣٠١) وينظر التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٢٤٧) وشرح الزرقاني على

الموطأ (٤/٦٥٣).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح (٥٥).

منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور»^(١).

وقال ابن رجب: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عزَّوجلَّ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عزَّوجلَّ»^(٢).

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «والنصيحة للأمرء تكون بأمر؛ منها:

أولاً: اعتقاد إمامتهم وإمرتهم، فمن لم يعتقد أنهم أمرء فإنه لم ينصح لهم؛ لأنه إذا لم يعتقد أنهم أمرء فلن يمثل أمرهم ولن ينتهي عما نهوا عنه، فلا بد أن تعتقد أنه إمام أو أنه أمير، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، ومن تولى أمر المسلمين ولو بالغلبة فهو إمام، سواء كان من قريش أو من غير قريش.

ثانياً: نشر محاسنهم في الرعية؛ لأن ذلك يؤدي إلى محبة الناس لهم، وإذا أحبهم الناس سهل انقيادهم لأوامرهم.

وهذا عكس ما يفعله بعض الناس؛ حيث ينشر المعاييب ويخفي الحسنات، فإن هذا جور وظلم.

فمثلاً يذكر خصلة واحدة مما يعيب به على الأمرء، وينسى خصلاً كثيرة مما قاموا به من الخير، وهذا هو الجور بعينه.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/٣٨-٣٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٢٢٢).

ثالثاً: امثال ما أمروا به وما نهوا عنه، إلا إذا كان في معصية الله عَزَّجَلَّ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وامثال طاعتهم عبادة وليست مجرد سياسة، بدليل أن الله تعالى أمر بها فقال عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فجعل ذلك من مأموراته عَزَّجَلَّ، وما أمر الله تعالى به فهو عبادة.

ولا يشترط في طاعتهم ألا يعصوا الله، فأطعهم فيما أمروا به وإن عصوا الله، لأنك مأمور بطاعتهم وإن عصوا الله في أنفسهم.

رابعاً: ستر معائبهم مهما أمكن، وجه هذا: أنه ليس من النصيحة أن تقوم بنشر معائبهم؛ لما في ذلك من ملء القلوب غيظاً وحقداً وحنقاً على ولاة الأمور، وإذا امتلأت القلوب من ذلك حصل التمرد، وربما يحصل الخروج على الأمراء، فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم.

وليس معنى قولنا: ستر المعائب أن نسكت عن المعائب، بل ننصح الأمير مباشرة إن تمكناً، وإلا فبواسطة من يتصل به من العلماء وأهل الفضل. ولهذا أنكر أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا على قوم يقولون: أنت لم تفعل ولم تقل لفلان ولفلان؛ يعنون الخليفة، فقال كلاماً معناه: أتريدون أن أحدثكم بكل ما أحدث به الخليفة؟ فهذا لا يمكن؛ فلا يمكن للإنسان أن يحدث بكل ما قال للأمير؛ لأنه إذا حدث بهذا فإما أن يكون الأمير نفذ ما قال، فيقول الناس: الأمير خضع وذل، وإما أن لا ينفذ فيقول الناس: عصى وتمرد.

ولذلك من الحكمة إذا نصحت ولاة الأمور أن لا تبين ذلك للناس؛ لأن في ذلك ضرراً عظيماً.

خامساً: عدم الخروج عليهم، وعدم المنابذة لهم، ولم يرخص النبي ﷺ في منابذتهم إلا كما قال: (أن تروا)؛ أي: رؤية عين، أو رؤية علم متيقنة. (كفراً بواحاً)؛ أي: واضحاً بيناً، (عندكم فيه من الله برهان)؛ أي: دليل قاطع^(١).

والنصيحة للولادة تكون سرّاً مع الرفق واللين، وقد دل على ذلك حديث عياض بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يُبَدِّ له علانيةً، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له»^(٢).

وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: «قيل لأسماءة: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه...»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: (قد كلمته ما دون أن أفتح باباً)؛ أي: كلمته فيما أشرت إليه لكن على سبيل المصلحة والأدب في السرّ بغير أن يكون في كلامي ما يثير فتنة أو نحوها»^(٤).

وعن سعيد بن جُمهان قال: «لقيت عبدالله بن أبي أوفى - وهو محجوب البصر - فسلمت عليه فقال: من أنت؟ قلت: أنا سعيد بن جُمهان، قال: ما فعل والدك؟ قلت: قتلته الأزارقة. قال: لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله ﷺ أنهم

(١) شرح الأربعين النووية (١٢٠-١٢١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٣/٣ - ٤٠٤)، وقال الألباني في تعليقه على كتاب ((السنن)) (٢/٥٠٧، ٥٠٨) (١٠٩٦): «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر ح (٧٠٩٨) ومسلم في كتاب الزهد والرفائق، ح (٢٩٨٩) واللفظ له.

(٤) فتح الباري (١٣/٥١).

كلاب النار، قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها. قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ويفعل بهم؟ قال: فتناول يدي فغمزها غمزة شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جُمهان! عليك بالسواد الأعظم - مرتين - إن كان السلطان يسمع منك فائته في بيته فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه»^(١).

فدلت النصوص السابقة على أن النصيح يكون سراً ويكون باللين، كما قال تعالى لكليمه موسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣-٤٤]،

ويكون أيضاً بالرفق، فعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^(٢)، وقال أيضاً: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٣).

قال الشوكاني: «ولكنه ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن ينصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده، ويخلو به، ويبدل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله، وقد قدمنا في أول كتاب السير هذا أنه لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بغوا في الظلم؛ أي مبلغ ما أقاموا الصلاة، ولم يظهر منهم الكفر البواح، والأحاديث الواردة في هذا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٩٤/٢) (١٩٤١٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات» (٥/٣٣٠) رقم (٩١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب ح (٢٥٩٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب ح (٢٥٩٤).

المعنى متواترة، ولكن على المأموم أن يطيع الإمام في طاعة الله ويعصيه في معصية الله؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١).

فليس من النصيحة ذكر معائب أئمة الجور على المنابر ونحوها؛ لأن ذلك ليس من هدي السلف، ولما فيه من ملء القلوب غيظاً وحقداً وحنقاً على ولاة الأمور، ومن ثم يحصل ما لا تحمد عقباه من التمرد والخروج على الأئمة، فيحصل بذلك الشر والفساد، فهدي سلف الأمة هو إبداء النصح سراً وعدم ذكر ذلك النصح للناس كما دل عليه حديث أسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال شيخنا ابن باز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاه، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير، وأما إنكار المنكر بدون ذكر الفاعل؛ فينكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله، فذلك واجب؛ لعموم الأدلة...»^(٢).

❖ الأصل الثالث: الصبر على جور الأئمة:

إن الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة، وقد دل على هذا الأصل السنة الصحيحة المستفيضة عن نبينا محمد ﷺ، فمن ذلك ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار (١/ ٩٦٥).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٨/ ٢١٠).

من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(١).

وعن الزبير بن عدي قال: «أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نقلى من الحجاج، فقال: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ»^(٢).

وعن أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله، ألا تستعملني كما استعملت فلانا؟ قال: «ستلقون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٣).

وعن سويد بن غفلة، قال: «قال لي عمر: يا أبا أمية، إني لا أدري لعلي أن لا ألقاك بعد عامي هذا، فاسمع وأطع وإن أمر عليك عبد حبشي مجدع، إن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أراد أمراً ينتقص دينك فقل: سمعاً وطاعة، ودمي دون ديني، فلا تفارق الجماعة»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ح (٧٠٥٣) ومسلم في كتاب الإمارة ح (١٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه ح (٧٠٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» (٣٧٩٢) ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ح (١٨٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٤٤ / ٦) رقم (٣٣٧١١) والخلال في السنة (١١١ / ١)

رقم (٥٤)، والآجري في الشريعة (٣٧٩ / ١) رقم (٧٠)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٥٣ / ١)

رقم (٣٨٩)، وابن زنجويه في الأموال (٧٤ / ١) رقم (٣٠)، والسنن الواردة في الفتن

وغوائلها والساعة وأشراتها لأبي عمرو الداني (٤٠٢ / ٢) رقم (١٤٣)، وأصول السنة لابن

أبي زمنين (٢٧٩ - ٢٨٠) رقم (٢٠٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢٧٤ / ٨) رقم (١٦٦٢٨)،

وصححه الألباني.

قال الآجري: «فإن قال قائل: أيش الذي يحتمل عندك قول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما قاله؟ قيل له: يحتمل والله أعلم أن نقول: من أمر عليك من عربي أو غيره أسود أو أبيض أو عجمي فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقاً لك، أو ضربك ظلماً لك، أو انتهك عرضك، أو أخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه، وقد يحتمل أن يدعوك إلى منقصة في دينك من غير هذه الجهة، يحتمل أن يأمرك بقتل من لا يستحق القتل، أو بقطع عضو من لا يستحق ذلك، أو بضرب من لا يحل ضربه، أو بأخذ مال من لا يستحق أن تأخذ ماله، أو بظلم من لا يحل له ولا لك ظلمه، فلا يسعك أن تطيعه، فإن قال لك: لئن لم تفعل ما أمرك به وإلا قتلتك أو ضربتك، فقل: دمي دون ديني؛ لقول النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عَزَّ وَجَلَّ» ولقوله ﷺ: (إنما الطاعة في المعروف)»^{(١)(٢)}.

وعن أنس بن مالك، قال: «هنا كبارؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب»»^(٣).

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد ح (٧٢٥٧)، ومسلم في الإمارة ح (١٨٤٠).

(٢) الشريعة (١/٣٨٠).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٦٩٣) رقم (١٠١٤)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢/٣٩٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥/١٠) رقم (٧١٠١) (٧١١٧)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/٢٥٨)، وحسن إسناده محقق السنة لابن أبي عاصم.

وهذا الأصل مما تقرر واستفاض عند أئمة السنة في مصنفاتهم، فلا تكاد تجد مصنفًا في كتب الاعتقاد المسندة وغيرها إلا وينص على هذا الأصل؛ الصبر على ظلم الأئمة وجورهم.

قال تقي الدين ابن تيمية: «وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضع ما قد أمر به ﷺ من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم والصبر عليهم في حكمهم وقسمهم، والغزو معهم والصلاة خلفهم ونحو ذلك»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: «قال ابن المنذر: والذي عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عما ذكر إذا أريد ظلمًا بغير تفصيل، إلا أن كل من يحفظ عنه من علماء الحديث كالمجمعين على استثناء السلطان؛ للآثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره وترك القيام عليه»^(٢).

✽ الأصل الرابع: الدعاء لهم بالصلاح وعدم الدعاء عليهم:

قال البيهقي بعدما ساق بسنده حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال أبو عثمان: فانصح للسلطان وأكثر له من الدعاء بالصلاح والرشاد بالقول والعمل والحكم؛ فإنهم إذا صلحوا صلح العباد بصلاحهم، وإياك أن تدعو عليهم باللعنة فيزدادوا شرًا ويزداد البلاء على المسلمين، ولكن ادع لهم بالتوبة فيتركوا الشر فيرتفع البلاء عن المؤمنين، وإياك أن تأتيهم أو تتصنع لإتيانهم أو تحب أن يأتوك، واهرب منهم ما استطعت، ما داموا مقيمين على الشر، فإن تابوا وتركوا الشر من القول والعمل والحكم وأخذوا الدنيا من وجهها فهناك فاحذر العز بهم، لتكون

(١) الفتاوى (٢٠/٣٥) وينظر أيضًا (١٧٩/٢٨).

(٢) فتح الباري (١٢٤/٥) وينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦٠٩/٦ - ٦١٠).

بعيداً منهم قريباً بالرحمة لهم والنصيحة إن شاء الله. وأما نصيحة جماعة المسلمين فإن نصيحتهم على أخلاقهم ما لم يكن لله معصية، وانظر إلى تدبير الله فيهم بقليل، فإن الله قسم بينهم أخلاقهم كما قسم بينهم أرزاقهم، ولو شاء لجمعهم على قلب واحد، فلا يغفل عن النظر إلى تدبير الله فيهم، فإذا رأيت معصية الله فاحمد الله إذ صرفها عنك في وقتك، وتلطف في الأمر والنهي في رفق وصبر وسكينة، فإن قبل منك فاحمد الله، وإن رد عليك فاستغفر الله لتقصير منك كان في أمرك ونهيك، واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور»^(١).

قال البغوي: « وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فالأئمة هم الولاة من الخلفاء الراشدين فمن بعدهم ممن يلي أمر هذه الأمة، ويقوم به، فمن نصيحتهم بذل الطاعة لهم في المعروف، والصلاة خلفهم، وجهاد الكفار معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج عليهم بالسيف إذا ظهر منهم حيف، أو سوء سيرة، وتنبههم عند الغفلة، وألا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى بالصلاح لهم»^(٢).

عن عمر بن الفضل قال: «سألت أبا العلاء، والحجاج في عبادة، فقلت: يا أبا العلاء أسبُ الحجاج؟ فقال: ادع له بالصلاح فإن صلاحه خير لك»^(٣).

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأئمة، وادعوا الله لهم، فإن صلاحهم لكم صلاح»^(٤).

(١) شعب الايمان (٩/٤٩٨).

(٢) شرح السنة للبغوي (١٣/٩٥).

(٣) أخرجه الامام أحمد في الزهد (٤٢٢) رقم (١٣٩٤).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٦٩/٢) رقم (١٦٠٦) والكبير (٨/١٣٤) رقم

(٧٦٠٩) ومسند الشاميين (٤/٣٢٣) رقم (٣٤٤٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد

قال البرهاري: «وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله؛ لقول فضيل: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان... قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا. قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعديني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين»^(١).

قال الإمام أحمد: «وإني لأدعو له بالتسديد، والتوفيق، في الليل والنهار، والتأييد، وأرى له ذلك واجباً علي»^(٢).

وقال الحافظ الصابوني: «ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جوراً فجراً، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح»^(٣).

(٥/٢٤٩): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير عن شيخه الحسين بن محمد بن مصعب

الأسناني ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

(١) شرح السنة (١١٣-١١٤).

(٢) السنة للخلال (١/٨٣) رقم (١٤) وينظر (١/٨٤) رقم (١٦) والمسند تحقيق شاکر

(١/١١٨).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٣٢).



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله.

وبعد، ففي ختام هذا البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. أن الواجب الذي يقتضيه الاتباع ردُّ كل قول أو فعل يخالف نصوص الوحيين مهما كان لصاحب ذلك القول أو الفعل من مكانة، فمن استبان له سنة النبي ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس.

٢. أن مهمة الإمام الأعظم حفظ الدين وسياسة الدنيا.

٣. وجوب طاعة ولاة الأمور برّهم وفاجرهم في المعروف في المنشط والمكروه والعسر واليسر، كما دلت على ذلك نصوص الوحيين وكلام أئمة السنة.

٤. من أصول أهل السنة تحريم الخروج على أئمة الجور.

٥. من أصول أهل الأهواء -كالخوارج والمعتزلة- الخروج على أئمة الجور.

٦. لا حجة صحيحة لمن يرى الخروج على أئمة الجور من أهل الإسلام.

٧. الموقف الصحيح للمسلم تجاه جور أئمة المسلمين هو: الصبر على جورهم، وطاعتهم في غير معصية الله، ومناصحتهم، والدعاء لهم بالصلاح وعدم الخروج عليهم.

وفي الختام أوصي بما يلي:

أ. العناية بما كتبه أئمة السنة في مسائل الاعتقاد.

ب. توضيح هذه المسألة للناس عن طريق وسائل التواصل حتى لا يعتقدوا عقيدة أهل الضلال.

ج. إبراز جهود العلماء المعاصرين في معاملة الحكام.



المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة.
٣. أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٤. الأموال لابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١هـ)، تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥. تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان)، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المكتبة التوفيقية.

٧. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة-دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧.

٨. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٩. تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفيرواني، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

١١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.

١٢. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ -

١٩٨٨ م.

١٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلامِي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٤. الدررة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، محمود بن إسماعيل بن إبراهيم بن ميكائيل الخَيْرَبْتِي (المتوفى: ٨٤٣هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض.

١٥. الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٣ م.

١٦. الزهد، أحمد بن حنبل، المتوفى: ٢٤١هـ، المحقق: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٣ م.

١٧. السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٨. السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٩. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي

الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٠. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٢١. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، الأولى.

٢٢. شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الثريا للنشر.

٢٣. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٤. شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري (المتوفى: ٣٢٩هـ)، ٢٠٠٣ م.

٢٥. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢٦. شرح صحيح البخارى لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٧. شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاضِ الْمُسَمَّى: إِكْمَالُ الْمُعَلِّمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٨. شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م

٢٩. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣

٣٠. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد بن

صامل السلمي، الناشر: مكتبة الصديق - الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٣١. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، (المتوفى: ٢٣٠ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٣٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٣٣. غاية المرام في علم الكلام لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي، (المتوفى: ٦٣١ هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

٣٤. غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨ هـ)، المحقق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ.

٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

٣٦. الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨ هـ)، المحقق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد - القاهرة،

الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٧. الفرق بين الفرق وبين الفرقة الناجية، لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي الإسفراييني، الناشر: دار الآفاق الجديدة- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧.

٣٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي- القاهرة.

٣٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٤٠. كتاب الفتن لأبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ) ت: سمير أمين الزهيري الناشر: مكتبة التوحيد - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٤١. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى (المتوفى: ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤١٤هـ

٤٣. المتمنين لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين المقدسي، الناشر: مكتبة القدسي - القاهرة، التاريخ ١٤١٤.

٤٥. مجموع رسائل ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: مكتبة الفاروق الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

٤٦. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٧. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق ط: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

٤٨. مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤م.

٤٩. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٠. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد،

عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

٥١. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.

٥٢. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: هلموت ريتز ٥٣. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.

٥٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٥٥. ناسخ الحديث ومنسوخه، أحمد بن محمد الأثرم، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية-بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ت: طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الطناحي.



فهرس الموضوعات

١٣٥	ملخص البحث
١٣٧	المقدمة
١٤١	المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث
١٤١	المطلب الأول: معنى الجور
١٤٢	المطلب الثاني: معنى الأئمة
١٤٤	المبحث الثاني: حكم طاعة ولاة أمور المسلمين
١٤٩	المبحث الثالث: حكم الخروج على أئمة الجور
١٥٧	المبحث الرابع: شبهة من يرى الخروج على أئمة الجور والرد عليه
١٥٧	الشبهة الأولى
١٦٢	الشبهة الثانية
١٧٧	المبحث الخامس: موقف المسلم من أئمة الجور
١٧٨	الأصل الأول: الطاعة في غير معصية الله
١٧٨	الأصل الثاني: المناصحة
١٨٤	الأصل الثالث: الصبر على جور الأئمة
١٨٧	الأصل الرابع: الدعاء لهم بالصلاح وعدم الدعاء عليهم
١٩١	الخاتمة
١٩٣	المراجع
٢٠٢	فهرس الموضوعات



**منهج العلامة
الطرطوشي في الإمامة
من خلال كتابه «سراج الملوك»
دراسة عقديّة**

د. عبد الهادي بن عوض بن معوض العمري

أكاديمي سعودي، معلم من منسوبي إدارة تعليم
المدينة المنورة، مكتب التعليم جنوب المدينة

ملخص البحث

درس هذا البحث منهج الطرطوشي في الإمامة في كتابه سراج الملوك، دراسة عقديّة، من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: طاعة ولاة الأمر في المعروف.

المبحث الثاني: الصبر وتحريم الخروج.

المبحث الثالث: الدعاء لولي الأمر.

المبحث الرابع: توقيف وتعظيم ولاة الأمر.

المبحث الخامس: مناصحة ولاة الأمر.

وابتدأ البحث بمقدمة بيّن فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وهدفه، وخطته، ومنهجه، تلاها تمهيد عرّف المنهج لغة واصطلاحاً، وترجم للطرطوشي بإيجاز، وعرّف كتابه: (سراج الملوك)، ودُيّل البحث بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات؛ ومنها:

١- أهمية الإمامة ومنزلتها العظيمة.

٢- لزوم جماعة المسلمين واجب وأصل من أصول أهل السنة والجماعة.

٣- اتفاق العلماء على طاعة السلطان وعدم الخروج عليه.

٤- الواجب على الرعية مع السلطان: الدعاء له وخصّه بصالح دعائها.

٥- من تمنّى زوال السلطان فهو جاهل بعاقبة الأمور، أو فاسق يسعى

للفرقّة.

٦- حملة العلم الذين هم حفّاظه ورُعاته وفقهاؤه أولى الناس بمناصحة السلطان سرّاً لا جهراً، وهذا هدي النبي ﷺ.

٧- بقاء العالم في ظلّ حاكم فاسد لا يجعل ذلك ذريعة لتأليب الرعية على السلطان.

٨- جور الأئمة يدفع بالتضرع إلى الله تعالى، والتوبة إليه، لا بالهروع إلى السيف، فيوكلون إليه.

د. عبد الهادي بن عوض بن معوض العمري

abdulhadi.alamri92@gmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بعد؛ فإنَّ الخيرية الثابتة بالكتاب والسنة لهذه الأمة تتحقق باقتفاء أثر رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، فمن سلك سبيل الهدى نجا، ومن حاد عنها ضلَّ وغوى، والنَّجاة من الضلالة لا تتمُّ إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة علمًا وعملاً ودعوةً وبيانًا، وقد جاء الكتاب والسنة بما يكفل النجاة لكل من اعتصم بهما، ومن ذلك ولاية أمر المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "يجب أن يعرف أنَّ ولاية أمر النَّاس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا الدنيا إلا بها؛ فإنَّ بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع؛ لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدَّ لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في

سفرٍ فليؤمّروا أحدهم»^(١)، وقال أيضًا: «لا يحلُّ لثلاثةٍ يكونون بفلاةٍ من الأرض إلا أمّروا عليهم أحدًا»^(٢) فأوجب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع^(٣).

ولا ريب أن طاعة ولاة الأمر من الأمراء والعلماء من الضرورة بمكان؛ فهم الذين يُرجع إليهم في الرأي والفعل، وعدّ العلماء مسألة الاجتماع على الإمام وطاعته ظاهرًا وباطنًا ما لم يأمر بمعصية = من الأصول المرتبطة بالعقيدة، التي تكفل الاستقرار للإسلام وأهله إمامًا ومأمومين حُكامًا ومحكومين، وكان الطروشّي الأندلسي المالكي رَحِمَهُ اللهُ من أولئك العلماء الذين لهم نصيبٌ في بيان تلك الحقوق؛ فأردتُ أن أبيّن منهجه في ذلك من خلال كتابه (سراج الملوك)، وسيكون البحث حاويًا للآتي:

❖ أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١- خطورة الخروج على الحُكّام وما يترتب عليه من فساد بالعباد والبلاد.
- ٢- بيان المنهج الشرعي في معاملة الحُكّام.
- ٣- إبراز دور الطروشّي في مناصحة الحُكّام ونشر العلم والسُنّة زمن الدولة العبيدية.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرّجل يسافر وحده ٣/ ٨١، رقم: ٢٦٠٨، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ٤٩٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٣٦٩، رقم: ٦٦٠٩، قال شعيب الأرنؤوط: "صحيحٌ لغيره إلا حديث الإمارة فحسن".

(٣) الفتاوى الكبرى ٢٨/ ٣٩٠.

- ٤- جودة منهج العلامة الطرطوشي في قضايا الإمامة وتقدّم عصره.
- ٥- قلة الكتابات والبحوث حول شخصية الطرطوشي، وشهرة كتابه (سراج الملوك)، إذ لا يذكر إلا به.

❖ ثانيًا: هدف البحث:

تقرير وبيان منهج العلامة الطرطوشي في الإمامة.

❖ ثالثًا: الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة عن منهج العلامة الطرطوشي في الإمامة.

❖ رابعًا: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وهدفه، وخطته، ومنهجه.

التمهيد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المنهج لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ترجمة موجزة للطرطوشي.

المطلب الثالث: التعريف بكتاب (سراج الملوك).

أما المباحث فهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: طاعة ولاة الأمر في المعروف.

المبحث الثاني: الصبر وتحريم الخروج.

المبحث الثالث: الدعاء لولي الأمر.

المبحث الرابع: توقيير وتعظيم ولاية الأمر.

المبحث الخامس: مناصحة ولاية الأمر.

الخاتمة، وفيها النتائج والتوصيات.

الفهارس.

❖ خامساً: منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي وفق ما يلي:

١- الاستقراء التام لكتاب الطرطوشي (سراج الملوك)، ومن ثمّ معرفة منهجه في الإمامة وموافقته لمنهج السلف.

٢- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣- تخريج الأحاديث بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، وإن كان في غيرهما خرّجته من كتب السنة الأخرى مع الحكم عليه من كتب أهل العلم.

٤- اكتفيت بذكر وفاة الأعلام في متن البحث.

٥- عرّفتُ بالمدن الواردة والكلمات الغريبة في أثناء البحث.

٦- اكتفيت بفهرس للمصادر والمراجع والموضوعات؛ حتى لا يطول البحث.

والله أسأل أن أكون وُفِّقت في اختيار هذا الموضوع للدراسة والبحث.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمّد.

التمهيد

المطلب الأول

تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح

المَنْهَجُ لغةً: مصدرٌ مشتقٌّ من نَهَجَ يَنْهَجُ نَهَجًا، وَنَهَجًا، وَنَهَجًا، وَنَهَجًا، وَمَنْهَجًا^(١)، والنَّهَجُ: الطريقُ الواضح، وكذلك المَنْهَج، والمنهَج، وأنهج الطريق؛ أي: استبان وصار نهجًا واضحًا بيّنًا، ونهجتُ الطريق: إذا أبنته وأوضحته، يقال: اعمل على ما نهجتُه لك، ونهجتُ الطريقَ أيضًا: إذا سلكتُه، وفلانٌ يستنهجُ سبيلَ فلان؛ أي: يسلك مسلكه، والنَّهَجُ بالتحريك: البُهرُ وتتابع النَّفس^(٢).

المنهجُ اصطلاحًا: يُعرفُ بمعناه العام بأنّه: "النظام والخطة العلمية السليمة المرسومة للشيء، وذلك مثل مناهج الدراسة والتعليم، ومناهج البحث العلمي، ومناهج العلوم"^(٣).

وكذلك يُعرفُ بأنّه "الطريق المؤدّي إلى التعرّف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفةٍ من القواعد العامة والتي تُهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"^(٤).

وعرّفه ديكارت بأنّه عبارة عن "قواعد وثيقة سهلة تمنع مراعاتها الدقيقة من

(١) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٦/٦٢-٦٣.

(٢) ينظر: الصحاح، للجوهري ١/٣٤٦.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٢/٩٥٧.

(٤) العلم والبحث العلمي، حسين عبد الجواد، ص ١٤٣.

أن يؤخذ الباطل على أنه حقٌّ، وتبلغ بالنفس إلى المعرفة الصحيحة بكل الأشياء التي تستطيع إدراكها، دون أن تضع جهودٌ غير نافعة، بل هي تزيد في ما للنفس من علم بالتدرج^(١).

أما التعريف الشرعي للمنهج: فهو الطريق المستقيم المتضمّن لقواعد وضوابط الشريعة، وفق السنّة على منهاج النبوة^(٢)، قال تعالى: ﴿لِكَلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «سُنَّةٌ وَسَبِيلٌ»^(٣)، وقال أُبَيُّ بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «عليكم بالسبيل والسنّة... فانظروا أعمالكم؛ فإن كان اجتهدا واقتصادا فليكن على منهاج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَسُنَّتُهُمْ»^(٤).

وهذا التعريف الشرعي للمنهج دلّ عليه ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: «خَطٌّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ خَطَّ خَطوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سَبِيلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»^(٥)، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(١) مقال عن المنهج، رينيه كارت، ص ١٤١.

(٢) ينظر: الفرقان، لابن تيمية، ص ١٨١-١٨٢.

(٣) الجامع لعلوم القرآن، القرطبي ٦/١٣٧.

(٤) الزهد، للإمام أحمد، ص ١٦١.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ١/٤٣٥، رقم ٤١٤٢، وابن حبان في صحيحه ١/١٨١، رقم ٦،

والطيالسي في مسنده ١/٣٣، رقم ٢٤٤، والنسائي في السنن الكبرى ٦/٣٤٣، رقم ١١١٧٤،

والحدِيث صحَّحه الحاكم في مستدركه ولم يخرجاه ٢/٣٤٨.

المطلب الثاني

ترجمة موجزة للطرطوشي

✽ أولاً: اسمه ونسبه وكنيته:

أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي المالكي، المعروف بابن أبي رندقة، بفتح الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة والقاف، وهي لفظة فرنجية، معناها: رد تعال^(١).

✽ ثانياً: مولده:

ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة^(٢) في مدينة طرطوشة^(٣).

✽ ثالثاً: نشأته وشيوخه:

نشأ بالأندلس ببلده طرطوشة، وأخذ الفرائض عن عالمها إذ ذاك عبدالله بن فيره، يكنى أبا محمد، كان عالماً بالفرائض والحساب، ثم تحوّل لغيرها من بلاد الأندلس، وصحب القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة^(٤)، وأخذ عنه مسائل

(١) ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان ٤/٢٦٢، ٢٦٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٤/٣٥٥.

(٣) بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة، وواو ساكنة، وشين معجمة: مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة، استولى الأفرنج عليها سنة ٥٤٣هـ وكذلك على جميع حصونها، وهي في أيديهم إلى الآن، وينسب إليها أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري الأندلسي الطرطوشي. ينظر: معجم البلدان، لشهاب الدين الرومي ٤/٣٠.

(٤) مدينة مشهورة في بلاد الأندلس، وتعرف بالبيضاء؛ لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض، ينظر: معجم البلدان ٣/٢١٢، والروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري ١/٣١٧.

الخلاف، وكان يميل إليها، وتفقه عليه وسمع منه وأجاز له، ثم رحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربع مائة، وحج، ودخل بغداد والبصرة، وتفقه عند أبي بكر الشاشي وابن المعيد المتولي، وأبي سعيد الجرجاني، وأبي عبد الله محمد بن علي الدامغاني، وأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي، ورزق الله التميمي، وسمع بالبصرة من أبي علي بن أحمد التستري سنن أبي داود، وسكن الشام مدة ودرس بها، وبعد ذلك تحوّل إلى الإسكندرية واستقرّ بها^(١)، وكان يقول: إن سألتني الله تعالى عن المقام بالإسكندرية - لما كانت عليه في أيام الشيعة العبيدية من ترك إقامة الجمعة، ومن غير ذلك من المناكر التي كانت في أيامهم - أقول له: وجدتُ قومًا ضلّالًا فكنْتُ سببَ هدايتهم^(٢).

❖ رابعاً: مذهبه وعقيدته:

مالكي المذهب من أهل السنة والجماعة، وله جهودٌ في الردِّ على أهل البدع، فمن ذلك قوله: "فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرَةً أو شجرةً يقصدها الناس ويعظّمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها"^(٣)، وقوله هذا يدلُّ على بعده عن منهج المتكلمين؛ حيث يغلب على منهجهم العناية بتقرير توحيد الربوبية وبذل الوسع في إثباته، وضعف عنايتهم بتوحيد الألوهية والتحذير مما يضاده وينافيه، وفي ذلك دليلٌ على قرب الطروش من منهج السلف، وقال أيضاً في النهي عن

(١) ينظر: الديباج المذهب، لابن فرحون ١/١٤٦، والتكملة لكتاب الصلاة، للبلنسي ٢/٢٤٤،

وسير أعلام النبلاء، للذهبي ١٤/٣٥٣.

(٢) ينظر: الديباج المذهب ١/١٧٤.

(٣) الحوادث والبدع، ص ٣٨.

تعظيم شهر رجب: "دلّت هذه الآثار على أن الذي في أيدي الناس من تعظيمه إنما هي غبرات من بقايا عقود الجاهلية" (١).

وكان يبغض الفرق المنحرفة، فعندما دخل على الأفضل (٢) ابن أمير الجيوش بمصر، فبسط تحته مئزره، وكان إلى جانب الأفضل نصراني، فوعظ الأفضل حتى أبكاه، ثم أنشده:

يا ذا الذي طاعته قرْبَةٌ وحقُّه مفترضٌ واجبٌ
إنّ الذي شرفت من أجله يزعم هذا أنه كاذبٌ

وأشار إلى ذلك النصراني، فأقام الأفضل النصراني من موضعه (٣)، (٤).

ولقد أثنى العلماء على الطرطوشي، فقال فيه ابن بشكوال: "كان عالمًا، زاهدًا، ورعًا، دينًا، متواضعًا، متقشفًا متقللاً من الدنيا، راضيًا باليسير" (٥)، ووصفه

(١) المرجع نفسه، ص ١٤١، وينظر: أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب، ص ٣٥، واعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة، ص ٢٣١.

(٢) الملك الأفضل، أبو القاسم شاهنشاه ابن الملك أمير الجيوش بدر الجمالي، الأرمني، كان أبوه نائبًا بعكا، فسار في البحر في ترميم دولة المستنصر العبيدي، فاستولى على الإقليم، وأباد عدة أمراء، ودانت له الممالك إلى أن مات، فقام بعده ابنه هذا، وعظم شأنه، وأهلك نزارًا ولد المستنصر صاحب دعوة الباطنية، وأتابكه أفتكين متولي الثغر، ولما هلك المستعلي، نصب في الإمامة ابنه الأمر، وحجر عليه وقمعه، وكان الأمر طباشًا فاسقًا، فعمل على قتل الأفضل. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦١.

(٣) الوافي بالوفيات ٥ / ١١٥.

(٤) كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: لا تستعملوا اليهود والنصارى، فإنهم أهل رِشَا في دينهم، ولا تحل الرِّشَا. الآداب الشرعية ٢ / ١٠٠.

(٥) ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال ١ / ٥٤٥.

تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي بالعلم، والفضل، والزُّهد، والإقبال على ما يعنيه، وقال: "سمعتُه يقول: إذا عرض لك أمر دنيا وأمر أُخرى فبادر بأمر الآخرة يحصل لك أمر الدنيا والأخرى" (١).

❖ خامساً: تلاميذه:

أصبح لدى الطرطوشي حصيلة علمية بسبب العلماء الذين تلقى على أيديهم العلم، وقد أثرت في تكوينه العلمي، مما جعله مطلباً يفد إليه طلاب العلم من كل فج (٢)، ومن هؤلاء محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي الأندلسي، ومحمد بن عبد الرحمن اللخمي، وعبد الله بن محمد بن خيرة، وموسى بن محمد بن سعادة، وسند بن عنان بن إبراهيم الأزدي، وأبو الطاهر إسماعيل بن مكّي بن عوف، وطارق بن موسى المخزومي، وابن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله، والقاضي عياض الذي أجازته ولم يلقه (٣)، وأبو القاسم اللكي - وصار مرجعاً في الفتاوى بالإسكندرية بعد سنة عشرين وخمس مئة -، وأبو ثريا المحلي برع في الفقه، وكان يفتى بها بعد سنة عشرين وخمس مئة (٤).

(١) ينظر: المرجع نفسه ٥٤٥/١.

(٢) الفاء والجيم أصلٌ صحيح يدلُّ على تفتُّح وانفراج، من ذلك الفُجُّ: الطُّريق الواسع. ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس ٤٣٧/٤.

(٣) ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ٧١/١، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي ٤٥٢/١، والتكملة لكتاب الصلة ٢٧٤/١، والصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ١٨٠/١، والعبر في خبر من غير، للذهبي ٤٨/٤، وسير أعلام النبلاء ٥٣٩/١٩، وطبقات المفسرين، للأذنوي ١٨٠/١، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي ٥١٠/١.

(٤) ينظر: الأنساب، للسمعاني ١٤٠/٥، ٢١٦/٥.

❁ سادساً: مؤلفاته:

له مؤلفات عدة؛ منها:

- ١ - الحوادث والبدع^(١).
- ٢ - رسالة في تحريم الجبن الرومي^(٢).
- ٣ - مختصر تفسير الثعالبي^(٣).
- ٤ - سراج الملوك^(٤).
- ٥ - التعليقة الكبرى في الخلافيات^(٥).
- ٦ - الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الداعي اجتنابه^(٦).
- ٧ - بر الوالدين وما يجب على الوالد لولده، والولد على والده^(٧).
- ٨ - الفتن^(٨).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٧ / ٤٥٤.

(٢) ينظر: هداية العارفين، للبغدادي ٢ / ٨٥، وشجرة النور الزكية، ص ١٥٢.

(٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ١ / ٢٩٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٧ / ٤٥٦، والوافي بالوفيات، للصفدي ٢ / ١٥٤.

(٥) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأبي جعفر الضبي ١ / ١٣٥، وذكره ابن فرحون بنسبته إليه في كتابه تبصرة الحكام في أصول الأفضية والحكام ١ / ١٦، والروض المعطار في

خبر الأقطار، للحميري ١ / ٣٩١.

(٦) تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر.

(٧) سير أعلام النبلاء ٢٧ / ٤٥٤.

(٨) وفيات الأعيان ٣ / ٣٩٤.

٩- السعود في الرد على اليهود، والمسمى بنظم السلوك في وعظ الملوك،
ورسالة تحريم الغناء^(١).

❁ سابعاً: وفاته:

كانت وفاته سنة ٥٢٠هـ^(٢).

المطلب الثالث

التعريف بكتاب (سراج الملوك)

جوّد العلامة الطرطوشي في كتابه (سراج الملوك) أصول السياسات الشرعية للسلطان وضوابطها، وما يجب على العباد في حقّه، مستشهداً بنصوص الكتاب والسنة، وكذلك اشتمل كتابه على الآداب والمواعظ، فانتظم في أربعة وستين باباً، فهو عصمة بعد توفيق الله عزّ وجلّ لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسة، وجنة لمن تحصّن به من أولي الإمرة والسياسة، وجمال لمن تحلّى به من أهل الآداب والمحاضرة، وعنوان لمن فاوض من أهل المجالسة والمذاكرة^(٣)، فكفى به دليلاً على فضله^(٤)، ولقد ألفه قبل وفاته بأربع سنين، وأهداه للوزير المأمون البطائحي^(٥) (ت ٥١٩هـ)، الذي رآه منصفاً مع الرعية

(١) الغنية في شيوخ القاضي عياض ١/٦٣.

(٢) الوافي بالوفيات، للصفدي ٥/١١٥.

(٣) سراج الملوك، ص ٦٦.

(٤) نفح الطيب ٢/٨٥.

(٥) هو وزير الديار المصرية، والدولة العبيدية، الملك أبو عبد الله المأمون بن البطائحي، نشأ المأمون فقيراً صعلاً، وترقى به الحال إلى الملك، وهو الذي أعان الأمر بالله على الفتك

بقوله: "... وتقلّد أمر الرعية، وسار فيهم على أحسن القضيّة، متحرّياً للصواب، راغباً للثواب، طالباً سُبُل العدل، ومناهج الإنصاف والفضل...، ورجبتُ أن أخصّه بهذا الكتاب، رجاء لطف الله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ولتذكر به فضائله ومحاسنه ما بقي الدهر كما قيل:

النَّاسُ يُهْدُونَ عَلَى قَدْرِهِمْ لَكِنِّي أَهْدِي عَلَى قَدْرِي
يُهْدُونَ مَا يَفْنَى وَأَهْدِي الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَالْدَّهْرِ^(١)

فإنَّ العلم عصمة للملوك والأمراء، ومعقل السلاطين والوزراء؛ لأنه يمنعهم من الظُّلم، ويردهم إلى الحِلْم، ويصدِّهم عن الأذّيّة، ويعطفهم على الرّعيّة، فمن حقّهم أن يعرفوا حقّه، ويكرّموا حملته، ويستبطنوا أهله^(٢).



بأمير الجيوش، وولي منصبه، وكان شهماً مقدّاماً، جواداً بالأموال، سفاكاً للدماء، عضلة من العضل، ثم إنه عامل أخا الخليفة الأمر على قتل الأمر، ودخل معهما أمراء، فعرف بذلك الأمر، فقبض على المأمون، وصلبه، واستأصله في سنة تسع عشرة وخمس مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٨٣.

(١) ذكره في نفع الطيب ٢ / ٨٩.

(٢) سراج الملوك، ص ٦٧.

المبحث الأول

طاعة ولاية الأمر في المعروف

بين الطرطوشي المنهج الذي يجب على الرعيّة نهجه مع ولاية الأمر بقوله: "طاعة السُلطان مقرونة بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، اتقوا الله بحقّه، والسلطان بطاعته، فطاعة الأئمة فرض عين على الرعيّة، وعصمة لمن لجأ إليها، وحرز لمن دخل فيها"^(١).

وقال أيضًا: "وليس للرعيّة أن تعترض على الأئمة في تديريها وإن سوّلت لها أنفسها، بل عليها الانقياد، وعلى الأئمة الاجتهاد، فالطاعة تؤلّف شمل الدين، وتنظم أمر المسلمين، وعصيان الأئمة يهدم أركان الملة"^(٢).

وقال أيضًا: "الإمامة عصمة للعباد، وحياة للبلاد، أوجب الله تعالى لمن خصّه بفضلها وحمله عبأها الطاعة، فقرنها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ"^(٣).

وهذا حقٌّ لا مرية فيه؛ فبهم تُقام الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، بل لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا أو ظلموا، والله لما يصلح بهم أكثر مما يفسدون، فوجودهم من أعظم مقاصد الدين^(٤)، والأدلة من الوحيين وأقوال الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تؤكد هذا الحق الشرعي.

(١) سراج الملوك، ص ٢٢٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٤) ينظر: آداب الحسن البصري، لابن الجوزي، ص ١٧١.

✽ أولاً: الأدلة من القرآن على السمع والطاعة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فهذه الآية نصٌّ في طاعة ولي الأمر، فقد أجمع أهل السنة على دخول الولاية في معنى الآية، قال الطبري "وأولى الصواب في ذلك من قال: هم الأمراء والولاية؛ لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ، وللمسلمين مصلحة" (١).

وقال ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعاً، أمّا الأمراء؛ فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم، وأمّا العلماء فلأنّ سؤالهم واجبٌ متعيّنٌ على الخلق" (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأولو الأمر أصحابه وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو الأمر صنفين؛ هما: العلماء والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس" (٣).

وقال القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم أنّه تعالى لمّا أمر الرّعاة والولاية بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، أمر الرّعيّة من الجيوش وغيرهم بطاعة أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير

(١) تفسير الطبري ٤/ ١٥٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣/ ١٧٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٧٠.

ذلك، إلا أن يأمرُوا بمعصية الله، فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق" (١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

قال القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "هذه الآية أصلٌ في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع؛ لتجتمع به الكلمة وتنفَّذ به أحكام الشريعة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأئمة ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصم (ت ٢٠١ هـ) حيث كان عن الشريعة أصم" (٢).

✽ ثانياً: الأدلة من السنة على وجوب طاعة السلطان:

جاءت سنة النبي محمد ﷺ مبيّنة ومفصّلة لوجوب الطاعة لولاة الأمور؛ ومنها:

١- روى أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قوله: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني» (٣).

وشرح النووي (ت ٦٧٦ هـ) معنى الحديث بقوله: "قال العلماء: معناه: تجب طاعة لولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره، مما ليس في معصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة، كما صرح به في الأحاديث الباقية" (٤).

وكانت قريش ومن يليهم من العرب في السابق لا يعرفون الإمارة، ولا

(١) محاسن التأويل ٢/٧٢٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٩٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ٦/١٣، رقم ٤٨٥٢.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/٢٢٤.

يدينون لغير رؤساء قبائلهم، فلما كان الإسلام وولي عليهم الأمراء أنكرته نفوسهم وامتنع بعضهم من الطاعة، فأخبرهم نبينا محمد ﷺ بأن طاعتهم مربوطة بطاعته ﷺ، وليطاعوا الأمراء الذين كان ﷺ يوليهم، فلا يستعصوا عليهم^(١).

٢- وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٢).

٣- وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول الحق أينما كان، لا نخاف في الله لومة لائم»^(٣).
قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "إنَّ طاعة الأمير واجبة على كلِّ حال، سواء كان المأمور به موافقا لنشاط الإنسان وهواه، أو مخالفا له"^(٤).

ثالثا: الآثار من فعل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وعدم غشهم وسبهم.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «نهانا كبرؤنا من أصحاب محمد ﷺ قال: لا تسبوا أمراءكم ولا تعشوا ولا تعصوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر إلى قريب»^(٥).

(١) ينظر: شرح المشكاة، للطبي ٢٥٥٧/٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ١٣/١٣٠، رقم ٧١٤٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ٣/١٤٦٩، رقم ١٧٠٩.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥/٤١٣.

(٥) شعب الإيمان، للبيهقي، فصل في فضل الجماعة والألفة، ٦/٩٦، رقم ٧٥٢٣.

وعن عبد الله بن دينار قال: "لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إلى عبد الملك أمير المؤمنين، إِنِّي أَقْرُّ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ بَنِيَّ قَدْ أَقْرُوا بِذَلِكَ، وَالسَّلَامُ" (١).

رابعاً: الآثار من فعل التابعين ومن بعدهم من سلف الأمة، فكانوا يحثون على وجوب السمع والطاعة، ولو تتبّعنا ما قالوا لطلال بنا البحث ولكن سأذكر بعضاً منها:

١- قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "الأمرء يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح بهم أكثر مما يفسدون" (٢).

٢- وقال الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمِّي أمير المؤمنين" (٣).

٣- وقال ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم" (٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٧٨/٩، برقم ٧٢٠٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ص ٢٦٢.

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة، للالكائي ١/ ١٨٠.

(٤) شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة، ص ٤٤٢.

٤- وقال ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "وَأَمَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَوْلَا الْأُمُورُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا، وَبِهَا تَنْظِيمُ مَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ، وَبِهَا يَسْتَعِينُونَ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِمْ وَطَاعَةِ رَبِّهِمْ"^(١).

فمن أراد النصح لنفسه والنجاة لها فعليه أن يتفقه في هذا الباب؛ ليكون بمنأى عن أصحاب الأفكار المنحرفة الذين يسعون لهدم الدين بإسقاط السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَوْلَا الْأُمُورِ، فتختل مصالح الناس، "فإنَّ بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدَّ لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»^(٢)، وقال أيضًا: «لا يحلُّ لثلاثة يكونون بفلاةٍ من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدًا»^(٣) فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع"^(٤).

المبحث الثاني

الصبر وتحريم الخروج

زوال السلطان والخروج عليه لا يتمناه إلا جاهل بمآلات الأمور، أو فاسق يسعى لبث الفرقة والفجور بين المجتمع، قال الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ: "زوال

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٢٤٧.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده ٣/٨١، رقم ٢٦٠٨، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/٤٩٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٣٦٩، رقم: ٦٦٠٩، قال شعيب الأرنؤوط: "صحيح لغيره إلا حديث الإمارة فحسن".

(٤) الفتاوى الكبرى ٢٨/٣٩٠.

السلطان أو ضعف شوكته سوق أهل الشر، ومكتسب الأجناد^(١)، ونفاق أهل العيارة والسرقة واللصوص والمناهبة^(٢).

وقال أيضًا: "إذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع، ولو جُعل ظلم السلطان حولًا في كِفَّةٍ، ثم جُعلَ فسادُ الرَّعِيَّةِ وظلمهم وهَرَجهم في ساعة إذا اختلَّ أمرُ السلطان في كِفَّةٍ... كان هَرَجٌ^(٣) ساعةٍ أعظمَ وأرجحَ من ظُلمِ السُّلطانِ حولًا"^(٤).

ونقل الطرطوشي قول ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إذا كان الإمام عادلاً... فله الأجر وعليه الشُّكر، وإذا كان جائراً... فعليه الوزر وعليك الصبر»^(٥).

والرَّعِيَّةُ مأمورة بالصبر وعدم الخروج على السلطان والتفرق مهما كان الأمر: قال الطرطوشي: "اعلم -أرشدك الله- أن الزمان وعاءٌ لأهله، ورأس الوعاء أطيب من أسفله، كما أن رأس الجِرَّةِ أرقٌ وأصفى من أسفلها، فلئن قلت: إن الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك، فاعلم أن الرَّعِيَّةَ أيضًا ليسوا كمن مضى من الرَّعِيَّةِ، ولست بأن تَذُمَّ أميرك إذا نظرت آثار من مضى منهم بأولى من أن يذُمَّ أميرك إذا نظر آثار من مضى من الرَّعِيَّةِ، فإذا جار عليك السلطان فعليك بالصبر وعليه الوزر"^(٦).

(١) الأنصار والأعوان. ينظر: تاج العروس ٧/ ٥٢٤.

(٢) سراج الملوك، ص ١٨٦.

(٣) أي: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل. ينظر: القاموس المحيط ١/ ٢٦٨.

(٤) سراج الملوك، ص ١٨٦.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٩٨، وينظر: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ٢/ ١٥٩.

(٦) سراج الملوك، ص ٤٠٢.

وهذا أمرٌ بيّنه الكتاب والسنة ورتب عليه الأجر العظيم، فإن الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر^(١).

✽ أولاً: الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قال القاسمي في تفسيره: "اصبروا؛ أي: على مشاق الطاعات وما يمسكم من المكاره والشدائد، وصابروا؛ أي: غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الجهاد، لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً، والمصابرة باب من الصبر، ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه، تخصيصاً؛ لشدته وصعوبته"^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤، ١٠٥].

قال الطبري رحمه الله: "ولتكن منكم أيها المؤمنون (أمة) أي: جماعة يدعون الناس إلى الخير، يعني إلى الإسلام وشرائعه، التي شرعها الله لعباده (ويأمرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) يأمرُونَ الناس باتباع محمد ﷺ ودينه الذي جاء به من عند الله عز وجل، (ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ): يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله عز وجل، بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لكم بالطاعة، وقوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يعني: المنجحون عند الله الباقون في

(١) ينظر: مدارج السالكين ١٥١/٢.

(٢) محاسن التأويل ٤٩٠/٢.

جناته ونعيمه" (١).

قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها جبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة» (٢).

❖ ثانياً: الأدلة من السنة على لزوم الجماعة والأجر العظيم المترتب عليها، والوعيد لمن فارقتها:

١- عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «فمن أحبّ منكم أن ينال بحبوحه» (٣) الجنة فليزِم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» (٤).

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمّية، يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمّتي يضرب برّها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفني لذي عهده فليس مني ولست منه» (٥).

٣- قال رسول الله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٧/ ٩١.

(٢) كتاب الشريعة، للأجري ١/ ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) وسطها، وبحبوحه كل شيء وسطه وخياره، ينظر: جامع الأصول ٦/ ٦٦٩.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٢٦، برقم ١٧٧، والترمذي في سننه ٤/ ٤٦٥، برقم ٢١٦٥،

والحاكم في مستدرکه ١/ ١٩٧، برقم ٣٨٧، وابن حبان في صحيحه، باب طاعة الأئمة

١٠/ ٤٣٦، برقم ٤٥٦٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٧١٧ برقم ٤٣٠.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٦/ ٢٠، رقم ٤٨٩٢.

يشقّ عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»^(١).

٤- وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله! أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة»^(٢).

والحاكم لا ينزل بفسقٍ أو ظلمٍ للرعيّة أو تعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله^(٣)، قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر؛ فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه"^(٤).

٥- وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلتُ يا رسول الله: إنا كُنَّا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلتُ: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»^(٥)، قلتُ: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلتُ يا

(١) أخرجه مسلم، باب من فرق أمر المسلمين ٣/١٤٧٩، رقم ١٨٥٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم ٣/١٤٨١، رقم ١٨٥٥.

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/٢٢٩.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/١٥.

(٥) الحقد، ورجلٌ دَخَنَ الخُلُقُ؛ أي: فاسده وخبيثه. ينظر: المحيط في اللغة، ٤/٣٠٥.

رسول الله صِفَهُمْ لنا، فقال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلتُ: فما تأمُرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كُلَّها، ولو أن تعصَّ بأصل شجرةٍ حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

وهذا التوجيه النبوي سار عليه العلماء المحققون؛ لأن الاجتماع خير من الفرقة. قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم كَرَّاتٍ، قرناً بعد قرن... -وذكر عقيدتهم-، ومنها: وألا ننازع الأمر أهله، وأن لا يرى السيف على أمة محمد ﷺ" ^(٢).

وقال ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟ فذكر أموراً، ومنها: ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاة الله عَزَّجَلَّ أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعته، ونتبع السُّنَّةَ والجماعة، ونتجنَّب الشذوذ والخلاف والفرقة" ^(٣).

وقال الشيخ ابن باز (ت ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "لا يجوز منازعة ولاية الأمر والخروج عليهم؛ لأنه يسبب مفساد كبيرة وشرّاً عظيماً، وإذا رأى المسلمون كفرًا بواحاً عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا، وإذا كان الخروج يسبب شرّاً

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ١/ ١٧٤٤، رقم ٣٦٠٦.

(٢) أخرجه اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٧٢.

(٣) أخرجه اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٧٦.

أكثر فليس لهم الخروج؛ رعاية للمصالح العامة، والقاعدة الشرعية المجمع عليها أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه، بل يجب درء الشر بما يزيله ويخففه" (١).

وقد بيّن الخطابي (ت ٣٨٨هـ) رَحْمَةُ اللَّهِ معني (بواحا)، و(برهان) بقوله: "بواحا؛ أي: ظاهراً بادياً، من قولهم: بَاحَ بِالشَّيْءِ يَبُوحُ بِهِ بَوَاحًا وَبَوَاحًا: إِذَا أَدَاعَهُ وَأَظْهَرَهُ...، برهان؛ أي: نص آية أو خبر صريح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل" (٢).

ومن العدل والعلم المأمور به الصبر على ظلم الأئمة وجورهم وعدم الخروج عليهم، قال الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ: "لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرّج عنهم، ولكنهم يفرعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاؤوا بيوم خير قط" (٣).

وقال علي بن المديني (٢٣٤هـ) رَحْمَةُ اللَّهِ: "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد اجتمع عليه الناس، فأقروا له بالخلافة بأيّ وجه كانت؛ برضا أو غلبة، فهو شاقُّ هذا الخارج عليه العصا، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة" (٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رَحْمَةُ اللَّهِ: "وأما أهل العلم والدين

(١) حقوق الراعي والرعية، ص ١٤.

(٢) فتح الباري ٨/١٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/١٦٤-١٦٥.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي ١/١٦٨.

والفضل فلا يرخصون لأحدٍ فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجهٍ من الوجوه، كما قد عُرف من عادات أهل السُّنَّة والدين قديماً وحديثاً^(١).

والمواقف مستفيضة من أعمال السلف الصالح -رحمهم الله- التي دلَّت على عدم الخروج على السلطان، فهذا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عندما أراد أهل المدينة خلع يزيد بن معاوية رَحِمَهُ اللهُ، جمع حشمه وولده وقال: "إِنِّي سمعت النبي ﷺ يقول: «يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة»، وإنا قد بايعنا هذا الرَّجُل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإِنِّي لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه"^(٢).

علّق ابن حجر (٨٥٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ على هذا الحديث بقوله: "وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جار في حكمه، وأنه لا ينخلع بالفسق"^(٣).

وكذلك موقف الحسن البصري (١١٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ عندما جاء إليه جماعة من المسلمين يستفتونه في الخروج على الحجاج وقتله "فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج، فقال الحسن: «أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنّها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادّي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن

(١) مجموع الفتاوى ١١/٣٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال خلفه ١/٣٥٤٧ رقم

.٧١١١

(٣) فتح الباري ١٣/٧٧.

بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين» قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العليج^(١)؟ قال: وهم قوم عرب قال: وخرجوا مع ابن الأشعث (قُتل سنة ٨٥هـ) قال: «فقتلوا جميعاً»^(٢).

وكذلك عندما اجتمع فقهاء بغداد عند الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) رَحِمَهُ اللهُ فِي خلافة الواثق يريدون الخروج على الواثق؛ فقالوا: يا أبا عبد الله، هذا الأمر قد تفاقم وفسأ، يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك، فقال لهم أبو عبد الله: فما تريدون؟ قالوا: أن نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته، ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة، وقال لهم: «عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم، ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برّ، أو يُستراح من فاجرٍ»، ثم مضوا... ثم قال الإمام أحمد: «هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر»^(٣).

المبحث الثالث

الدعاء لولي الأمر

من حقوق السلطان على رعيته الدعاء له، فإن صلاحه يعود عليهم بالخير. قال الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ: "فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله عزَّجَلَّ في صلاح السلطان...؛ فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد، وفي فساده فساد العباد

(١) الشديد من الرجال قتالاً ونطاقاً. ينظر: تاج العروس، للزبيدي ١٠٩/٦.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد ١٦٣/٧.

(٣) السنة لأبي بكر الخلال، باب الإنكار على من خرج على السلطان ١/١٣٣.

والبلاد"^(١).

وبَيَّن رَحْمَةُ اللَّهِ مَا لَ مِنْ دَعَا عَلَى السُّلْطَانِ بِقَوْلِهِ: "فَإِذَا قَالَ الْمَظْلُومُ فِي دَعَائِهِ عَلَى السُّلْطَانِ: اللَّهُمَّ لَا تُوفِّقْهُ؛ فَقَدْ دَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى سَائِرِ الرَّعِيَّةِ؛ لِأَنَّ مِنْ قِلَّةِ تَوْفِيقِهِ ظَلَمَكَ، وَلَوْ كَانَ مُوَفِّقًا مَا ظَلَمَكَ؛ فَإِذَا اسْتَجِيبَ دَعَاؤُكَ فِيهِ زَادَ ظَلَمَهُ لَكَ"^(٢).

وَجَاءَ عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لَمْ أَجْعَلْهَا إِلَّا فِي إِمَامٍ؛ لِأَنَّهُ إِذَا صَلَحَ الْإِمَامُ أَمِنَ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ"^(٣).
فَالَّذِي يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالْخَيْرِ وَالسَّدَادِ هُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ صَاحِبُ هَوَى؛ لِأَنَّ صَلَاحَهُ لِلْأُمَّةِ.

قَالَ الْبَرْهَارِيُّ (ت ٣٢٨) رَحْمَةُ اللَّهِ: "إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلَاحِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: فَأَمْرُنَا أَنْ نَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَلَمْ نَوْمُرْ أَنْ نَدْعُو عَلَيْهِمْ وَإِنْ ظَلَمُوا وَإِنْ جَارُوا؛ لِأَنَّ ظَلَمَهُمْ وَجُورَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ"^(٤).

وَقَالَ الطَّحَاوِيُّ (ت ٧٩٢هـ) رَحْمَةُ اللَّهِ: "وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَثْمَتِنَا وَوِلَاةَ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمَعَاوَةَ"^(٥).

(١) سراج الملوك، ص ١٨٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠٤.

(٣) شرح السنة، للالكائي ١/ ١٩٧.

(٤) شرح السنة، ص ١٠٧-١٠٩.

(٥) العقيدة الطحاوية مع شرحها، لابن أي العز، ص ٤٢٧.

وكان الإمام أحمد يدعو للمتوكل ويقول: "وإنِّي لأدعو له بالتسديد والتوفيق بالليل والنهار، وأرى ذلك حقًّا واجبًا علي" (١)

المبحث الرابع

توقير وتعظيم ولاية الأمر

توقير السلطان وتعظيمه واجبٌ بنصوص الشرع، ومن تجاسر على سبِّهم ولعنهم فهو رقيق الدين قليل الفهم، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه» (٢)، وقال أيضًا: «إيّاكم ولعن الولاية؛ فإن لعنهم الحالقة، وبُغضهم العاقرة، قيل: يا أبا الدرداء، فكيف نضع إذا رأينا منهم ما لا نحب؟ قال: اصبروا، فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت» (٣).

وقد أوضح الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ ذلك بقوله: "فاتخذ عِظَمَ قَدْرِ السلطان عندك حجةً لله تعالى على نفسك، وناصِحَه على قدر ما نفعك، وليس نفعه مقصورًا على عُجالةٍ من حُطام الدنيا يحبُّوك بها، ولكن صيانةً لجمجمتك، وحفظُ حريمك، وحراسةُ مالك عن البغاة، أعم نفعًا لك إن عقلت" (٤).

وقال أيضًا: "ويصلح بصلاحه الدنيا والآخرة... أن يكون شرفه عند الله عظيمًا، كما كان قدره في العقول جسيمًا، ومقامه عند الله كريمًا كما كان نفعه للعباد عميمًا،

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص ١٠٦.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم ١١٠٥، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٧٥٠٧، وابن عبد البر في التمهيد ٢١/٢٨٦-٢٨٧.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة ٢/٤٨٨.

(٤) سراج الملوك، ص ١٧٦.

وعلى قدر عموم المنفعة تشرف الأعمال، وعلى قدر النعمة تكون المنّة" (١).

وقال: "اصحب المملوك بالهبة لهم والوقار؛ لأنهم إنما احتجبوا عن الناس لقيام الهبة، فلا تترك الهبة وإن طال أنسك بهم، فهو حسبك منه" (٢).

وتوقير السلطان واحترامه ضرورة كبرى؛ ليبقى المجتمع في حرز من الفوضى وتسلط الأعداء، ولهذا كانت النصوص الشرعية مستفيضة بالحثّ على توقيره وتعظيمه، ومنها:

١- عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «السلطان ظلُّ الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله» (٣).

٢- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نهانا كبراًؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشّوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب» (٤).

٣- وعن هلال بن أبي حميد، أنه قال: سمعتُ عبدَ الله بن عُكَيْمٍ، يقول: «لا أُعين على دم خليفةٍ أبداً بعد عثمان، فيُقال له: يا أبا معبد! أو أعنتَ على دمه؟ فيقول: إني أعدُّ ذكراً مساويه عوناً على دمه» (٥).

(١) سراج المملوك، ص ١٧٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٢٢.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة ٤٠٩/٢ وحسنه الألباني في ظلال الجنة ٢/٢١٩ رقم ١٠١٨.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة ٢/٢٨٨، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/١٨٦، ٢٠٢، وقال الألباني: "إسناده جيد"، ومعنى ذلك أنه أقوى من الحسن لذاته وأنزل رتبةً من الصحيح،

ينظر: ظلال الجنة في تخريج السنة ٢/٢١٧، وتدريب الراوي، ص ١٠٤-١٠٥.

(٥) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٦/١١٥.

وهذا دليلٌ على أن التوصية بتعظيم السلطان وإكرامه وعدم إهانته كانت منتشرة بين كبار الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، يوصون بها صغارهم، ويبعد - في العادة - أن يتواطؤوا على هذا المعنى من غير أن يكون لهم به علم من النبي ﷺ.

٤ - وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيكون بعدي سلطان فأعزّوه، من التمس ذلَّهُ ثَغَرَ ثَغْرَةٍ في الإسلام، ولم يُقبل منه توبةٌ حتى يعيدها كما كانت»^(١).

٥ - وقال رسول الله ﷺ: «هل أنتم تاركون لي أمرائي؟ إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلاً أو غنماً فرعاها، ثم تحين سقيها فأوردها حوضاً، فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره، فصفوه لكم وكدره عليهم»^(٢).

ولا شكَّ أنَّ النَّاسَ لا يزالون بخيرٍ ما قاموا بحقوق السلطان وواجباته، وتعظيمه وتوقيره؛ ولهذا دأب العلماء المحققون على إجلاء هذا الأمر وبيانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "... والواحد من الملوك، أو غير الملوك، وإن كان صدر منه ما هو ظلم، فإن ذلك لا يوجب أن نلعنه، ونشهد له بالنار، ومن دخل في ذلك كان من أهل البدع والضلال، فكيف إذا كان للرجل حسنات عظيمة؛ يُرجى له بها المغفرة؛ مع ظلمه"^(٣).

وقال ابن جماعة (٧٣٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ في بيان حقوق الحاكم وواجباته على

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/١٦٥، وابن عاصم ٢/٤٩٠، برقم ١٠٧٩، وقال الألباني:

"إسناده صحيح". ينظر: ظلال الجنة في تخريج السنة ٢/٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم، باب استحقاق القاتل سلب القتل، ٥/١٤٩ رقم ٤٦٦٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٤/٤٧٥.

الأُمَّة: "الحق الرابع: أن يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظّمون حرمتهم، ويلبّون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزُّهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة...، الحق التاسع: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة، الحق العاشر: الذبُّ عنه بالقول والفعل، وبالمال والنفس والأهل، في الظاهر والباطن، والسر والعلانية"^(١).

المبحث الخامس

مناصحة^(٢) ولاة الأمر

دأب الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ على بيان ما يجب للسلطان من حقّ على الورى من نصح ودعاء واستشارة، ثم بيّن من هم أولى الناس بذلك، وقد أفاد وأجاد بقوله:
"فحقيقٌ على جميع الورى أن يمدّوا السلطان بالمناصحات ويخصّوه بالدعوات، ويعينوه في سائر المحاولات..."^(٣).

وبيّن بعد ذلك أولى الناس بنصح السلطان فقال: "وأولى النَّاس بطاعة

(١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص ٦٣.

(٢) في اللغة: مأخوذة من نصح الثوب؛ أي: أصلحه وخاطه، وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحتُه ونصحتُ له، وفي الاصطلاح: هي كلمة يعبر بها عن جملة، وهي إرادة الخير،

للمنصوح. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٦٣.

(٣) سراج الملوك، ص ١٨٣.

السلطان ومناصحته أهل الدين والنعم والمروءات؛ إذ لا يقومُ الدين إلا بالسلطان، ولا تكونُ النعمُ والحرمُ محفوظة إلا به" (١).

ثم لم يلبث أن بيّن للسلطان أهمية مجالسة العلماء والصالحين؛ لأن الخيرية في مجالستهم والسماع لهم ومشاورتهم، فقال: "فاتخذ أيها الملك العلماء شعارًا والصالحين دثارًا، فتدور المملكة بين نصائح العلماء ودعوات الصلحاء" (٢).

وقال أيضًا: "فواجبٌ على السلطان ألا يقطع أمرًا دونهم، ولا يفصل حكمًا إلا بمشاورتهم؛ لأنه في ملك الله تعالى يحكم، وفي شريعته يتصرف" (٣).

ولا يزال رَحْمَةُ اللَّهِ مَبِينًا حقوق ولاة الأمر بالإخلاص لهم وعدم غشهم ممتثلًا لحديث النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا» (٤).

فقال: "ولا تُسرُّوا غش الأئمة، وعليكم بالإخلاص والنصيحة" (٥).

وما بيّنه الطرطوشي رَحْمَةُ اللَّهِ من الأمور السابقة هو منهجٌ شرعيٌّ أوضحته الشريعة وحثت عليه، وهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على فعل الخير، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤].

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٩٩.

(٣) سراج الملوك، ص ٢٠٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب قول النبي: (من غشنا فليس منا) ١/٦٩، رقم ٤٥.

(٥) سراج الملوك، ص ٢٢١.

وفسّر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) رَحْمَةُ اللَّهِ هذه الآية بقوله: "أي منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه"^(١).

وهذا من النفع المتعدي، فالله عَزَّجَلَّ أمر المؤمنين -بعد استكمال إيمانهم في أنفسهم- أن يمتد خيرهم، ويتجاوز برُّهم إلى غيرهم: بأن يكون منهم جماعة متفقهة في الدين يدعون الناس على بصيرة إلى الإسلام، وكله خير"^(٢).

وعلماء أهل السُّنَّة والجماعة -مهما تباعدت أوطانهم- متفقون على وجوب النصح لولاة الأمر بالطريقة الشرعية، ومن قال غير ذلك فليأت دليل، وهذه الأحاديث مبسّطة في السنة النبوية مبيّنة ومفصّلة لهذا الأمر، ومنها:

١- عن أبي تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٣).

قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) رَحْمَةُ اللَّهِ: "والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حُمِّلوا القيام به وتنبههم عند الغفلة، وسدّ خَلَّتْهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن"^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم ٩١ / ٢، وينظر: تفسير الطبري ٩١ / ٧.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٦٣١ / ٢.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة ٧٤ / ١ رقم: ٩٥.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٦٧ / ١.

٢- وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَضَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَغَهَا، فَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ غَيْرَ فِقِيهِ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثَ خِصَالٍ لَا يُغْلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبَ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصَ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمَنَاصِحَةَ وَلَاةِ الْأُمُورِ، وَلِزُومَ الْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَحِيْطٌ^(١) مِنْ وَرَائِهِمْ»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "... وهذه الثلاثة تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنظم مصالح الدنيا والآخرة"^(٣).

✽ ولكن توجد آداب يجب مراعاتها عند مناصحة ولاة الأمور؛ أهمها:

١- أن تكون سرًّا لا جهرًا، فالمؤمن يستر وينصح، فعندما سئل ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن أمر السلطان بالمعروف، ونهيه عن المنكر، قال: «إن كنت فاعلاً ولا بدًّا ففيما بينك وبينه»^(٤).

وهذا توجيهٌ شرعيٌّ يحفظ للسلطان هيئته ويدراً عنه الفتنة؛ لأن الإنكار على السلطان علانية يفتح باباً للشر، ويملاً القلوب بالضعينة عليه، فعندما قيل لأسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زمن الفتنة: «ألا تنكر على عثمان؟»، قال: أنكر عليه بيني وبينه، ولا أفتح باب شرٍّ على الناس»^(٥).

(١) أي: تُحِيْطُ بِهِمْ وَتَعْمَلُهُمْ كَالْمَاءِ يَغْلُو الْغَرِيْقَ. ينظر: تحفة الأحوذى ٦ / ٢٨٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣ / ٢٢٥، وابن ماجه في سننه ١ / ٨٤، باب من بلغ علماً، و الحديث صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٧٦٦.

(٣) الفتاوى الكبرى ١ / ١٨.

(٤) جامع العلوم والحكم، ص ٢٢٥.

(٥) البداية والنهاية، لابن كثير ٥ / ٢٣٦.

وقال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما مشى قومٌ إلى سلطان الله في الأرض ليدلّوه إلا أذلّهم الله قبل أن يموتوا»^(١).

أما التشهير والنيل من عرض السلطان فليس من منهج السلف:

قال الشيخ ابن باز (ت ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "وليس من منهج السلف التشهير بعيوب ولاة الأمر، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي لا يضر ولا ينفع، والمتبع عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير"^(٢).

٢- وثاني هذه الآداب: أن تكون بالرّفق والقول الهين اللين، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة آية ٨٣]، ولحديث النبي ﷺ: «إِنَّ الرّفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٣).

وكذلك ورد عن أهل العلم المحققين الحثُّ على الرفق في مناصحة ولاة الأمر.

قال الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "ولكن ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد"^(٤).

وقال الشيخ السعدي (ت ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ: "أما النصيحة لأئمة المسلمين

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب لزوم الجماعة، ١١ / ٣٤٤، برقم ٢٠٧١٥.

(٢) حقوق الراعي والرعية، ص ٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الرفق ٤ / ٢٠٠٤، رقم ٢٥٩٤.

(٤) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ٤ / ٥٢٧.

— وهم ولاتهم من الإمام الأعظم إلى الأمراء والقضاة إلى جميع من لهم ولاية عامة أو خاصة— فباعتماد ولايتهم، والسمع والطاعة لهم، وحث الناس على ذلك، وبذل ما يستطيعه من إرشادهم، وتنبههم إلى كل ما ينفعهم وينفع الناس وإلى القيام بواجبهم^(١).

وبين الشيخ ابن عثيمين (ت ١٤٢١ هـ) رَحِمَهُ اللهُ الطريفة الصحيحة لمناصحة ولاية الأمور فقال: "فإن الواجب علينا إذا رأينا خطأً من ولاية الأمور أن نتصل بهم شفويًا أو كتابيًا ونناصحهم، سالكين بذلك أقرب الطرق في بيان الحق لهم، وشرح خطئهم، ثم نعظهم ونذكرهم فيما يجب عليهم من النصح لمن تحت أيديهم ورعاية مصالحهم ورفع الظلم عنهم"^(٢).

٣- وثالث هذه الآداب: أن يكون الناصح عالمًا مخلصًا، يقصد بنصحه وجه الله عَزَّجَلَّ قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢].

أمّا إن صدرت النصيحة ممن لا يحسن الخطاب للسلطان فقد يُعرّض نفسه للأذى، إن لم يتداركه الله عَزَّجَلَّ برحمته:

فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قدم عيينة بن حصن، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدينهم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان القراء أصحاب مجلس عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي،

(١) بهجة الأبرار وقرّة عيون الأخيار، ص ١٣.

(٢) وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن، للعريني، ص ٢٤.

لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، فاستأذن فأذن له عمر، فلما دخل قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل^(١) ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى^(٢).



(١) العطاء بلا تأخير ولا عدة. ينظر: المخصص، لابن سيده ٤١٩/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن

المرسلين، ١٣/١٤٦، رقم ٦٨٥٦.

الخاتمة

أحمد الله عزَّجَلَّ أن منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث وتيسيره بإجلاء منهج العلامة الطرطوشي في الإمامة، من خلال كتابه (سراج الملوك)، وهذا ملخص لأهم النتائج التي توصلت إليها بفضل الله عزَّجَلَّ.

١ - أهمية الإمامة ومنزلتها العظيمة، فهي الحصن الحصين بعد توفيق الله عزَّجَلَّ لحفظ الراعي والرعيّة من الفساد والهلاك.

٢ - لزوم جماعة المسلمين واجبٌ وأصلٌ من أصول أهل السُنَّة والجماعة، دلَّ عليه الكتاب والسُنَّة وإجماع سلف الأُمَّة.

٣ - أن العلماء - وإن اختلفوا في الفروع - متفقون على طاعة السلطان وعدم الخروج عليه، فللرعيّة صفو أمرهم وعليهم كدره.

٤ - الواجب على الرعيّة مع السلطان الدعاء له وخصه بصالح دعائها، فإن صلاحه صلاحٌ للعباد والبلاد.

٥ - من تمنى زوال السلطان فهو جاهلٌ بعاقبة الأمور، أو فاسقٌ يسعى للفرقة والعياذ بالله، وما تجاسر أحدٌ بمجالسة أولئك القوم إلا رجع بغير القلب الذي راح به.

٦ - حملة العلم الذين هم حُفَاطُهُ ورُعاتُهُ وفقهاؤه أولى الناس بمناصحة السلطان سرًّا لا جهراً، وهذا هدي النبي محمد ﷺ.

٧ - دلَّت النصوص الشرعية على وجوب نصب إمام للأُمَّة، تُقام به الحدود، وتؤمن به السُّبل، وأجمع العلماء على ذلك ولم يخالف الإجماع إلا فرقة النَّجَدَات من الخوارج والأصم من المعتزلة فهو عن الشريعة أصم.

- ٨- الأمراء والعلماء إن صلحوا صلح المجتمع، وإن فسدوا فسد الناس.
- ٩- كون العالم بقي في ظلّ حاكمٍ فاسدٍ لا يجعل ذلك ذريعةً لتأليب الرعيّة على السلطان، فبرغم بقاء الطرطوشي وتعرضه للسجن زمن العبيديين إلا أنه لم يؤلب الرعيّة على الحاكم، بل صبر.
- ١٠- جور الأئمة يُدفع بالتضرّع إلى الله عزَّجَلَّ والتوبة إليه، لا بالهروع إلى السيف فيوكلون إليه.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المصادر

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب.

- ١ - أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي الشهير بابن دحية الكلبي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- ٢ - آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: سليمان الحرش، دار النوادر.
- ٣ - الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.
- ٤ - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م.
- ٥ - اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة، مناع بن خليل القطان، (مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

- ٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- ٧- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ط١، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.
- ٨- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ٩- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ١٠- بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ١١- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ١٢- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- ١٣- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، ط٣، ١٤٠٨هـ.

- ١٤- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.
- ١٦- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ١٧- التكملة لكتاب الصلوة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلسني، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- ١٨- التمهيد لما في الموطأ والأسانيد، ابن عبد البر الأندلسي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ١٩- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- ٢٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط، التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط ١.
- ٢١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم

الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢٢- الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السّنة والفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.

٢٣- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط١، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

٢٤- حقوق الراعي والرعيّة، الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، طبعة دار الإفتاء.

٢٥- الحوادث والبدع، أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق: علي بن حسن بن علي الحلبي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١١هـ.

٢٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة.

٢٧- الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م.

٢٨- الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٩- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي المالكي، ط ١، ١٤٣٧هـ، دار المنهاج، لبنان، بيروت.

٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الألباني، ط ٣، الأردن، المكتبة الإسلامية.

٣١- السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، ١٤١٠هـ.

٣٢- السنة، الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، الرياض، دار الصميعي، ط ٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥.

٣٣- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العلمية.

٣٤- سنن أبي داود، الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، السجستاني، تحقيق: محمد عوامه، دار اليسر، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط ٣، ١٤٣١هـ.

٣٥- سنن الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى ابن الضحاك، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٣٦- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٣٧- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٨- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن حزم، ط ١.

٣٩- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٤٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن تبعهم، الإمام أبو القاسم هبة الله بن أبي الحسن اللالكائي، ط ٢، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار العاصمة.

٤١- شرح السنة، البربهاري، تحقيق: د. خالد الرادوي، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ.

٤٢- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، السعودية، مكة، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧هـ.

٤٣- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٠، ١٤١٧هـ.

٤٤- شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي، دراسة وتحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، دار البحوث

- للدراستات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ٤٥- شعب الإيمان، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- ٤٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ٤٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حامد التميمي، البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- ٤٨- صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغاء، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٤٩- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
- ٥٠- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.
- ٥١- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البصري، البغدادي، المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
- ٥٢- طبقات المفسرين، الأذنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي،

مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط ١، ١٤١٧هـ.

٥٣- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ.

٥٤- ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٤هـ.

٥٥- العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز الذهبي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

٥٧- عقيدة السلف واصحاب الحديث، إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ.

٥٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٩- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٦٠- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية

الحراني الحنبلي الدمشقي، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م

٦١- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م.

٦٢- كتاب الشريعة، أبو بكر محمد بن سليمان الأجرى، ط ١، ١٤٢٨هـ، دار الدليل الأثرية.

٦٣- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ.

٦٤- المخصص، أبو الحسن، علي بن إسماعيل، ابن سيده، دار الطباعة الكبرى، الأميرية.

٦٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦ م.

٦٦- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠ م.

٦٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن

هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ١،
١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٦٨- مسند الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي،
تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط ١، ١٤١٩هـ.

٦٩- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: الأعمى، المكتب
الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٧٠- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي
الحموي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.

٧١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى،
أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة.

٧٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم
القرطبي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ٤، ١٤٢٩هـ.

٧٣- مقال عن المنهج، رينيه ديكارت، ترجمة: محمود الخضيرى، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٥م.

٧٤- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد
السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٧٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى
بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

٧٦- منهج البحث العلمي عند العرب، جلال موسى، بدون تاريخ.

- ٧٧- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ٧٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ٧٩- هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.
- ٨٠- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- ٨١- وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن بدليل السنّة والقرآن، محمد بن ناصر العريني، تقديم: سماحة الشيخ صالح الفوزان، ط ٤، ١٤٣٨هـ.
- ٨٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.



فهرس الموضوعات

٢٠٥	ملخص البحث
٢٠٧	المقدمة
٢١١	التمهيد
٢١١	المطلب الأول: تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح
٢١٣	المطلب الثاني: ترجمة موجزة للطروشى
٢١٨	المطلب الثالث: التعريف بكتاب (سراج الملوك)
٢٢٠	المبحث الأول: طاعة ولاة الأمر في المعروف
٢٢١	أولاً: الأدلة من القرآن على السمع والطاعة
٢٢٢	ثانياً: الأدلة من السنة على وجوب طاعة السلطان
٢٢٥	المبحث الثاني: الصبر وتحريم الخروج
٢٢٧	أولاً: الأدلة من القرآن
	ثانياً: الأدلة من السنة على لزوم الجماعة والأجر العظيم
٢٢٨	المرتب عليها، والوعيد لمن فارقتها
٢٣٣	المبحث الثالث: الدعاء لولي الأمر
٢٣٥	المبحث الرابع: توقيير وتعظيم ولاة الأمر
٢٣٨	المبحث الخامس: مناصحة ^٥ ولاة الأمر
	ولكن توجد آداب يجب مراعاتها عند مناصحة ولاة الأمور؛
٢٤١	أهمها
٢٤٥	الخاتمة
٢٤٧	المصادر
٢٥٨	فهرس الموضوعات

القول بإيمان فرعون دراسة نقدية

د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك في قسم العقيدة
والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم

ملخص البحث

لا يختلف المسلمون -بل ولا غيرهم من أهل الكتاب- في أنّ فرعون كان من أكفر أهل الأرض وأكثرهم جحودًا وطغيانًا، وأنه عاش على الكفر ومات عليه، ولكثرة دلائل هذه المسألة ووضوح براهينها عدّت هذه المسألة من المعلوم من الدين بالضرورة، وكان القول بخلافها من أشنع الأقوال وأشدّها شذوذًا.

ولعلّ القول ب(صحّة إيمان فرعون ونجاته في الآخرة) قد وُجد في القرن الثالث الهجري، لكنه لم يقوَ إلا في القرن السابع على يد رأس الاتّحادية ابن عربي الحاتمي الذي تبنّاه وأشهره واستدلّ عليه، وقد بناه على النظرية التي وقف حياته على التبشير بها والدّفاع عنها، وهي القول ب(وحدة الوجود)، التي تخلّص في جوهرها إلى إنكار الصّانع وإبطال الدّيانات، ويتفرّع عن هذه النظريّة أقوال أخرى لا تقلّ شناعةً عن القول بإيمان فرعون، غير أنّ مزيّة فرعون -في نظر ابن عربي- تكمن في إعلانه ألوهية نفسه، وهو ما يتماهى بصراحة مع تلك النظريّة المشؤومة، ثمّ تلقّف هذا القول عنه خلائق من الصّوفيّة في القديم والحديث، مردّدين استدلالاته ذاتها على الرّغم من تهافتها؛ إذ نتجت عن التّلاعب بدلالات النّصوص تحت غطاء التّأويل الباطنيّ البعيد، وهو شيء يُجيده ابن عربيّ وأضرابه من ذوي الخيال الجامح، ولا ريب في أنّ هذا القول قولٌ كفريّ، وأنّ التّأويل الذي استعمله ابن عربيّ تأويل غير سائغ ولا يُعذر صاحبه فيه.

د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

dr.b.n.alawad@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:

[١٠٢

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإنّ من المتفق عليه بين أهل الملل أنّ فرعون -أحد حكام مصر القديمة- كان من أعظم الملوك جبروتاً، ومن أشدّ الخلق كفراً وأشدّهم جحوداً، بل "ليس في الكفّار أعظم من كفره"^(١)، فقد كفر برسالة موسى وحارب دعوته واضطهد أتباعه، وحين دعاه كليم الله إلى الإيمان لجّ في مكابرتة وعناده إلى حدّ إنكار وجود الخالق العظيم: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، مع علمه بكذب نفسه.

ولم يكن هذا الجحود هو نهاية المطاف بالنسبة إليه، وإنما كان بمثابة البدايات في طريق التّيه الطّويل؛ ذلك أنه لمّا رأى خفة عقول قومه وشدة طاعتهم

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢٨٠).

له تقدّم خطوة أخرى فادّعى أمام أعيانهم وأشرفهم ألوهية نفسه بقوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القَصَص: ٣٨]، وحين لم يجد منهم معارضة - مع ظهور دلائل كذبه وصدق موسى - تمادى في جبروته واستطال في طغيانه، فجمع العامة قسراً وخطب فيهم بأعلى صوته: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤]. فَأَيُّ عُتُوٍّ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا الْعُتُوِّ؟!

وقد كرّر القرآن الكريم قصّة هذا الطاغية المتجبرّ في مواضع متفرّقة منه، ليغدو بذلك رمزاً للتّمرد والطّغيان، وليكون كفره من الحقائق اليقينية التي لا تقبل المماراة ولا الجدل.

وعلى الرّغم من أنّ القول ب(إيمان فرعون) من أعظم الأقوال مصادمةً للحقائق القرآنية والمسلّمات الدّينية، إلّا أنه منذ أن صوّره ابنُ عربي الطّائي (٦٣٨هـ) في هيئة قولٍ إسلاميٍّ، ونفخ في هيكله من روح هلوّساته = صفق بأجنحته فوق رؤوس طوائف من الصّوفيّة في القديم والحديث، وكثرت السّجلات العلمية حوله بين النّافين والمثبتين، حتى وصف العلامة مرتضى الزّبيدي (١٢٠٥هـ) مسألة (إيمان فرعون) بأنّها: "مسألةٌ شديدة الاختلاف والتّصادم"^(١).

وغير خفيّ على المتابع أنّ ثمة جهاتٍ تسعى - وبتمويلٍ مشبوه من مؤسّسات غربيّة - إلى إحياء تراث هذا الرّجل من جديد، عن طريق الاحتفاء بشخصيته واستخراج دفائن كتبه المظمورة في زوايا الإهمال، وهو أمر انتبه إليه غيرٌ واحد من المعاصرين، كالشّيخ محمد الغزالي (١٤١٦هـ) الذي قال: - "مما يلفت النّظر أنّ معهد الدّراسات الإسلاميّة بجامعة السّوربون قد اتّفق مع إحدى

(١) إتحاف السّادة المتّقين للزّبيدي (٢/٢٤٥).

العواصم العربيّة على طبع «الفتوحات» وإخراجها في بضعة وثلاثين جزءاً!
لحساب مَنْ يتمّ هذا العمل في هذه الأيام العصيبة؟! (١).

وعوداً على بدء فإنّ القول بـ(إيمان فرعون) لم يمت منذ أن ظهر للعلن في القرن السابع وحتى يومنا هذا، وإنما ظلّ يقوى ويضعف بحسب قوّة الصّوفيّة وضعفهم باعتبارهم البيئة الحاضنة له، والحقيقة أنّ عقيدة (وحدة الوجود) ما دامت حيّة في قلوب جماهيرهم فالقول بـ(إيمان فرعون) حيّ ولا بدّ، غير أنّ أكثرهم لا يجرؤون على الجهر به، لا سيّما بعدما انحسر مدّ التّصوّف في العُقود الأخيرة والله الحمد.

ويخطئ من يظنّ أنّ هذا القول لم يعد له وجود اليوم بين القوم بالنظر إلى سكوتهم عنه، فمن المعلوم أنّ السّكوت لا يعني الرّفص، ولا يلزم منه الإنكار بالضرورة، ومن تتبّع تقاريراتهم وجدّه يلوح في كثير منها، لكن دون تصريح، وإنما عن طريق الرّمز والإشارة والتلويح، وهو أمر شائع في أدبيّاتهم في كلّ ما يخالف ما عليه العامّة من المعتقدات؛ خوفاً من تشنيع الفقهاء الذين يُطلقون عليهم -على سبيل التّنقّص والاستخفاف-: (علماء الرُّسوم) و(علماء الشريعة) و(أهل

(١) تراثنا الفكري في ميزان الشّرع والعقل للغزالي (٦١).

وقل مثل ذلك في كتاب: «مؤلّفات ابن عربي: تاريخها وتصنيفها» لعثمان يحيى، حيث شكر المؤلّف في مقدّمته (ص ٢٥) ثلاثة من كبار المستشرقين؛ هم: ماسينيون وكوربان ولاووست، مشيراً إلى أنه -ومن أجل إتمام العمل- قام برحلتين علميتين، إحداهما على نفقة المركز القوميّ الفرنسيّ للبحوث العلميّة، والثانية كانت بإشراف هيئة اليونسكو وبمساعدة من الأستاذين: ماسينيون وكوربان.

وكذلك كتاب: «الوجود الحقّ والخطاب الصّدق» لعبد الغني النّابلسي الذي يقرّر فيه عقيدة وحدة الوجود، طبعه المعهد العلميّ الفرنسيّ للدراسات العربيّة.

الظَّاهِر) و(أهل القِشْر) و(أهل الحِجَاب)!(^(١)).

ولقد أشار ابنُ عربي إلى هذا المسلك الكِتْمَانِيَّ في سياقٍ مُشَابِهٍ فقال: " وهذا الفنُّ من الكشْفِ والعلمِ يجب سِتْرُهُ عن أكثر الخلق؛ لِمَا فيه من العُلُوِّ، فَعَوْرُهُ بعيد والتَّلَفُ فيه قريب "^(٢).

وفيه يقول بعضهم:

إني لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحقُّ ذو جهلٍ فيفتننا
وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ إلى الحسين ووصى قبله الحسننا
فربُّ جوهرٍ علمٍ لو أبوح به لقليل لي: أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي يرون أفتح ما يأتونهُ حسنا^(٣)

ويزداد الوضع خطورةً حين نجد من يتبنّى القول بإيمان فرعون ويروج له على الشبكة العالمية للمعلومات، ويحشد ما استطاع من الشبهات في تأييده والانتصار له، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل وصل إلى تبنيّه في بعض صُحفنا المحليّة، حيث نشرت جريدة عكاظ في يوم الثلاثاء الموافق ١٥ / ١ / ١٤٣٢ هـ العدد (٣٤٧٤) مقالاً للكاتب نجيب عصام يماني عنوانه: "هل فرعون مات كافراً؟! "

(١) أمّا هم فيسمّون أنفسهم بـ(علماء الحقيقة) و(أهل الباطن) و(أهل الكشف) و(أهل المشاهدة) وغير ذلك.

انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٧٩)، مدارج السالكين لابن القيم (٣/١٧٣)، إغاثة اللّهفان له أيضًا (١/١١٩)، روح المعاني للآلوسي (١٥/٣٣٠)، الآثار المرفوعة للكنوي (١٢١).

(٢) كتاب الفناء في المشاهدة لابن عربي [سورة مطبوع ضمن رسائله] (١٧).

(٣) تاريخ بغداد (١٢/٤٨٩)، منهاج العابدين للغزالي (٤٩)، روح المعاني للآلوسي (١٥/٣٠٨).

ومما جاء فيه: "و فرعونُ إنما مات بعد النطق بالشهادة، فهو على الأصل لم يمت كافراً، والأصل في حقّه أيضاً أنه ليس عليه ذنوب؛ لأنه إنما نطق بالشهادة فوافته المنية على الفور، ولم يكن لديه ثمّة حياة بعد الشهادة تكون مجالاً لارتكاب المعاصي، وما كان قبل إيمانه من السيئات والمعاصي فحسابه على الله، بل قد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «الإسلامُ يَجِبُ ما قبله»^(١)، بمعنى: أنه ما كان للمرء من سيئات قبل إسلامه فحكمه العفو".

❁ أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختياري هذا الموضوعَ إلى عدّة أسباب، من أهمّها:

١- أنّ الأرضيّة التي قام عليها القولُ بإيمان فرعون هي نظريّة وحدة الوجود، ومن المعلوم أنّ لهذه النظريّة قبولاً واسعاً في الأوساط الصوفيّة، ممّا يعني أنّ المتصوّفة لا بدّ أنهم يعتقدون القولُ بإيمان فرعون، سواءً صرح الواحد منهم بذلك أم أضمره.

٢- أنّ لابن عربي الأندلسيّ مكانةً كبيرةً عند الصوفيّة، فهو عندهم سلطان العارفين ومحبي الدّين والشّيخ الأكبر والكبريت الأحمر، إلى غير ذلك من الأوصاف، ومن ثمّ فإنّ تبنيّه للقول بإيمان فرعون وحماسته له واستدلاله عليه ونصره إيّاه مظنّةٌ لانخداع طوائف من الصوفيّة ومن تأثر بهم بهذا القول.

٣- أنّنا شهدنا في الآونة الأخيرة حراكاً قوياً على مختلف الأصعدة

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧٨١٢)، والبيهقي في سننه الكبرى برقم (١٨٠٦٩) وغيرهما

من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. والحديث أصله في صحيح مسلم برقم (١٢١)،

ولفظه: "الإسلام يهدم ما قبله".

والمستويات تقوُّده دولٌ غربيَّة ولأهداف سياسيَّة، يهدف إلى إعادة إحياء التَّصوُّف في المجتمعات الإسلاميَّة، ودمج مبادئه السُّكُونِيَّة في الوجدان المجتمعي باعتباره النُّموذج الأمثل للإسلام المعتدل، المتماهي مع قِيَم العصر، والقادر على التَّعايش مع الآخرين، ممَّا يعني بالضرَّورة أنَّ كثيرًا من الأقوال الصُّوفيَّة الشاذَّة والممارسات المنحرفة ستظهر من جديد.

❖ هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضَّوء على القول بإيمان فرعون، وتتبع نشأته، والكشف عن أصله الفلسفي الذي تولَّد عنه، ومناقشة ما تمسك به أصحابه من دلائل تأوَّلوها على غير وجهها، وتعسَّفوا في تحميلها ما لا تحتمل.

❖ خطة البحث:

وتشتمل على مقدِّمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدِّمة، وفيها بيان أسباب اختياره، وهدفه، وخطته، ومنهجه، وإجراءاته. المبحث الأوَّل: نشأة القول بإيمان فرعون والباعث عليه، والمصنِّفات في هذه المسألة.

المبحث الثاني: أشهر القائلين بإيمان فرعون بين الإثبات والنفي.

المبحث الثالث: أدلة القائلين بإيمان فرعون والردِّ عليهم.

المبحث الرابع: حكم القول بإيمان فرعون.

خاتمة، وتتضمَّن أهم التَّنائج.

❁ منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي النقدي.

❁ إجراءات البحث:

١. عزو الآيات إلى مواضعها من المصحف الشريف بذكر اسم السّورة ورقم الآية.

٢. توثيق الأحاديث من مصادرها الأصليّة، فإن كان الحديث في الصّحّاحين أو أحدهما اكتفيتُ بمجرد العزو، وإن كان في غيرهما خرّجتهُ وذكرتُ حكم أهل الشّأن عليه إن وُجد.

٣. توثيق النّقول من مصادرها الأصليّة.

٤. ترك التعريف بالأعلام والأماكن ونحوها؛ لأنّ الأصل أنّ أمثال هذه البحوث موجهة لآساتذة على مستوى عالٍ من الإحاطة بالتخصّص.

٥. ذكر سنة الوفاة عند مرور الأعلام للمرّة الأولى ما لم يكن الواحد منهم حيّاً أو ذُكر عرضاً في سند أو خبر أو قصّة.

وفي الختام فإني أتقدّم بالشّكر الجزيل لجامعة القصيم ممثّلةً بعمادة البحث العلميّ على دعمها لهذا البحث.



المبحث الأول

نشأة القول بإيمان فرعون والباعث عليه ،

والمصنفات في هذه المسألة

القول بإيمان فرعون ونجاته من أعجب الأقوال التي تمرّ على الناظر، ومن أكثرها شذوذاً وغرابةً؛ ذلك أنّ دلائل بطلانه ومناقضته لما قرّرتّه نصوص الوحي في غاية الجلاء، بل "هذا عند الخاصّة والعامة أبين من أن يُستدلّ عليه بدليل؛ فإنه لم يكفر أحد بالله ويدّعي لنفسه الرّبوبيّة والإلهيّة مثل فرعون" (١)، ولهذا كان "أكفر الكفرة وأعظم العتاة المتمرّدين عليه" (٢)، وكان فسادُه معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام.

ثم إنّ الواقع يشهد بأنه "لم يظهر عن أحد بالتّصريح بأنه مات مؤمناً إلاّ عمّن فيه من التّفاق والزّنادقة أو التّقليد للزّنادقة والمنافقين ما هو أعظم من ذلك" (٣).

ويحسن ابتداءً استعراض الموضوع على النحو التالي:

❖ أولاً: نشأة القول بإيمان فرعون والباعث عليه.

لعلّ أقدم من أشار إلى وجود هذا القول هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبّي (٢٤٣هـ) حيث قال: "وقد تأوّل قوم أنّ الله جلّ ذكره عنى أن ينجّيه

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٢٧٩).

(٢) السّيل الجرار للشّوكاني (٤/٥٨٨).

(٣) جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٤).

ببدنه من النَّارِ إذا آمَنَ عند الغرق، وقالوا: إنما ذكر أن قومَ فرعون يدخلون النَّارَ ولم يذكر أنه يدخل فرعون النَّارَ وإنما قال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] ولم يقل فيردّها" (١).

وقد يُستشفّ من نفرد المحاسبيّ بهذا النّقل دون غيره ممن وصلتنا كتبهم من الإسلاميين -على اختلاف طوائفهم- تحديّد القائلين بذلك، وأنهم قوم من الصّوفيّة الذين كانوا يجالسونه.

غير أن هذا القول الذي حكاه المحاسبيّ ظلّ خاملاً لا يُعرف -وإن تبناه بعض الصّوفيّة كالحلاج (٣٠٩هـ) (٢)- منذ ذلك الحين حتى أطلّ القرن السابع، فنُفِخَتْ فيه الرُّوح من جديد على يد رأس الاتّحادية وإمام الحلوليّة ابن عربي الحاتمي، الذي تبناه وأشهره واستدلّ عليه، حتى إنّ شيخ الإسلام ابن تيميّة (٧٢٨هـ) - على الرّغم من خبرته بأقاويل النّاس وسعة اطلاعه على مقالاتهم - قال: "لم يسبق ابن عربيّ إليه -فيما أعلم- أحدٌ من أهل القبلة، بل ولا من اليهود ولا من النّصارى" (٣).

والسّؤال الملحّ الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما كان الباعث له على تبني هذا القول الصّادم؟! وعلى أيّ أساس اعتمد في إبرازه والانتصار له؟!!

والحقيقة أنّ القول ب(صحّة إيمان فرعون ثمّ نجاته في الآخرة) لم ينتج عن نظر اجتهاديّ خالص في نصوص المسألة، وإنما بناه ابن عربيّ وفرّعه عن أصل

(١) فهم القرآن للمحاسبي (٣٣٦).

(٢) انظر: الطّواسين للحلاج (١٩٢) [سورة مطبوع ضمن الأعمال الكاملة له].

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٧٩).

فلسفيّ أكبر هو القول بـ(وحدة الوجود)، وهذا هو رأس أمر القوم وأصل أصولهم^(١).

والمقصود بـ(وحدة الوجود) أنه ليس في العالم وجودان حقيقيّان وإنما هو وجودٌ واحد، وأنّ ثمة اندماجًا تامًّا بين الموجودات، وإن تباينت أسماؤها في الظاهر فسمّي بعضها إلهًا وبعضها عبدًا، فوجودُ هذا هو عينُ وجودِ ذلك ولا فرق، فالخالق هو المخلوق، والرّبّ هو العبد، والمتكلّم هو السّامع، والمعطي هو الآخذ وهكذا، وعلى هذا المعنى يحمل الاتّحادية قولَه تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، ويزعمون أنّ معنى قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أنه "سبق قضاؤه أن لا يُعبد سواه، وكلُّ عابِدٍ إنما يعبد الله سبحانه من حيث يدري ومن حيث لا يدري"^(٢)، إلى غير ذلك.

ويقولون أيضًا: إنه ليس للكائنات المتنوّعة وجود حقيقيّ قائم بذواتها، وإنما تشكّل عرضيّ قابِعٌ في الأوهام، وأنّ ما يشهد به الحسُّ من التّبائِن إنما هو باعتبار اختلاف التّجليات التّكوينيّة الصُّوريّة^(٣)، وأنّ "العبدُ إنما يشهد هذه المعاني إذا كان محجوبًا عن شهود الوحدة المطلقة في خياله، فإذا انكشف حجابُ قلبه رأى

(١) هذا بالنسبة إلى من يقول بـ(وحدة الوجود) على طريقة ملاحدة الصّوفيّة، أمّا من لا يقول بها فقد يكون بناه على القول بأنّ الإيمان هو المعرفة القلبية، أو قاله تقليدًا لابن عربيّ ومتابعةً له في كلامه على أدلّة المسألة، والعلم عند الله تعالى.

(٢) روح المعاني للآلوسي (١٥/١٢٤).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/١٢٤ و١٤٠ و٢٣١ و٣٦٤) و(١٠/٥٩) و(٣٥/٤٤)، مدارج السّالكيين لابن القيم (٣/١٣٩)، و(٣/٣٧٨)، روح المعاني للآلوسي (٢٧/١٦٧)، الفكر الصّوفي في ضوء الكتاب والسّنّة لعبد الرحمن عبد الخالق (٦٩).

ما ثمّ اثنين بوجه من الوجوه" (١).

قال أبو العلا عفيفي (١٣٨٦هـ): "لم يكن لمذهب وحدة الوجود وجودٌ في الإسلام في صورته الكاملة قبل ابن عربي، فهو الواضع الحقيقيّ لدعائه والمؤسس لمدرسته، والمفصل لمعانيه ومراميه، والمصور له بتلك الصورة النهائيّة التي أخذ بها كلّ من تكلم في هذا المذهب من المسلمين من بعده" (٢).

وهذه النظريّة التي آمن بها ابن عربي ونذر حياته للتّنظير لها والدّفاع عنها - مستغلّاً ثقافته الواسعة وخياله الجامح وبيانه الأخاذ - هي الخيط الدقيق الذي يتنظم جميع أفكاره ومعتقداته، وهي أيضاً المفتاح الذي لا يمكن فهم آرائه وآراء أتباعه - على الوجه الصحيح - إلاّ بواسطته، ومن ذلك تعظيم فرعون والقول بإيمانه بل وجعله أفضل الموحّدين بدعوى أنه صدق في قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] (٣).

وتنتهي هذه النظريّة - بعيداً عن تهويمات الصّوفيّة وعباراتهم المزخرفة - إلى إنكار الصّانع وإلى تكذيب الرّسالات وإبطال الشّرائع (٤)، ولهذا كان العزّ بن عبد السّلام (٦٦٠هـ) يقول في ابن عربي: "شيخٌ سوءٌ كذابٌ مقبوح، يقول بقدم العالم ولا يُحرّم فرجاً" (٥).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٤٥٠) بتصرّف يسير.

(٢) انظر: مقدّمة د. أبو العلا عفيفي على كتاب فُصوص الحِكم (٢٥).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٣/١٨٩)، الفكر الصّوفي في ضوء الكتاب والسّنّة لعبد الرحمن عبد الخالق (٣٩).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١١/٢٣٦).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/١٣١)، تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي

وبموجب الاطراد في إعمال هذا الأصل الفلسفي الكلي لم يقتصر ابن عربي على القول فقط بإيمان فرعون ونجاته، بل "عمد إلى جميع كفار الأرض فجعلهم مؤمنين موحدين عارفين واصلين!"^(١)، وإلى تصحيح عبادة العجل والجنّ والملائكة والنجوم والأوثان وغير ذلك^(٢)؛ إذ "الطُّرُق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق!"^(٣).

وقد نبّه شيخ الإسلام ابن تيمية في نصّ مهمّ له إلى أن أصحاب هذه النظريّة يصحّحون دعاوى الألوهية من أيّ صدرت، وعلى رأس هؤلاء فرعون، ولكنهم "إذا نافقوا المؤمنين وأظهروا الإيمان قالوا: إنه مات مؤمناً وإنه لا يدخل النار، وقالوا: ليس في القرآن ما يدلّ على دخوله النار"^(٤).

ثم إن سرّ اهتمام ابن عربي بفرعون وتوحيه بشأنه يكمن في ادّعائه الإلهية، وهو الشيء الذي انفرد به فرعون عن غيره من الكفار ورأى فيه ابن عربي تماهياً مع ما يقرّره من كون الخالق هو عين المخلوق^(٥).

وقد تعجّب الألوسي الكبير (١٢٧٠هـ) من كثرة الاعتراض على قول ابن عربي بإيمان فرعون مع أنّ له نظائر في قوله هذا أو أشدّ فقال: "وقد اعترض عليه

للبيقاعي (١٥٢).

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق (٧٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٢٤ و ٢٥٠).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبيقاعي (١٦/ ٣٧).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢٦٨).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢٦٨).

بذلك غير واحد، وهو عندي ليس بأعظم من قوله - قُدَّسَ سرُّه^(١) - بإيمان قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وكثيرٍ من أضرابهم ونجاتهم يوم القيامة، وقد نصَّ على ذلك في «الفُصُوص».

والعجب أنه لم يكثر معترضوه في ذلك كثرتهم في القول بإيمان فرعون!^(٢).

وقال أيضًا: "والعجب أن التشنيع على الشيخ الأكبر في هذه المسألة شائع بين كلِّ غادٍ ورائح، مع أنه اضطرب فيما هو أعظم منها من نجاة المهلكين غير قومي لوط وصالح، والآيات الدالة على عدم نجاة أولئك المهلكين أظهر في المراد من الآيات الدالة على كفر ذلك اللعين"^(٣).

قال العلامة ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ): "وأما الاتحادية فالتوحيد عندهم أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كلِّ موجود وحقيقته وماهيته، وأنه آية كلِّ شيء، وله فيه آية تدلُّ على أنه عينه، وهذا عند محققهم من خطأ التعبير، بل هو نفس الآية ونفس الدليل ونفس المستدلِّ ونفس المستدلِّ عليه، فالتعدد بوجود اعتباراتٍ وهمية لا بالحقيقة والوجود، فهو عندهم عينُ النَّاكحِ وعينُ المنكوح، وعينُ الدَّابحِ وعينُ المذبوح، وعينُ الأكلِ وعينُ المأكول، وهذا عندهم هو السرُّ الذي رمزت إليه هوامسُ الدهور الأوليّة، ورامت إفادته الهداية النبويّة، كما قاله محققهم وعارفهم ابن سبعين.

(١) هذه العبارة من الأدعية التي درج على الصوفيّة على استعمالها، وقد تسرّبت إلى قلم العلامة أبي الثناء في أكثر من موضع من تفسيره جرّاء تأثره بالمناخ الصوفي الذي كان سائدًا في زمانه، حتى أنه انتسب إلى الطريقة النقشبندية.

(٢) روح المعاني للآلوسي (١١/١٨٦).

(٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي (٩٣).

ومن فروع هذا التوحيد أنّ فرعون وقومه مؤمنون كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

ومن فروعه أنّ عبّاد الأصنام على الحقّ والصّواب، وأنهم إنما عبدوا عين الله سبحانه لا غيره.

ومن فروعه أنّ الحق أن لا فرق في التّحريم والتّحليل بين الأمّ والأخت والأجنبيّة، ولا فرق بين الماء والخمر، والزّنا والنّكاح، الكلّ من عين واحدة، بل هو العين الواحدة^(١) إلخ.

وعلى كلّ فإنّ فروع هذه النظريّة أكثر من أن تُحصى، ومنتهاها هدم النبوات وإبطال الشّرائع.

وغنّي عن البيان أنّ هذه النظريّة مستمدّة من ثقافاتٍ أخرى، فهي أجنبيّة عن دين الإسلام^(٢)، وأنّ مجرد عرضها كافٍ في بيان بطلانها وتهافتها؛ إذ هي "لا عقل ولا قرآن"^(٣)، بل هي هرطقة خالصة تصحّح الجمع بين النّقيضين وتجوّز وقوع المحالات^(٤)، ولا يمكن أن يؤمن بها سويّ إلا أن يركب مطيّة مكابرة المحسوسات، وقد اعترف القوم بأنّ علم وحدة الوجود "طور ما وراء طور العقل، وأنه مما تعلمه الرّوح بدون واسطة العقل!"^(٥).

(١) مدارج السّالكين لابن القيم (٣/٤٤٧).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيميّة (٢/٣٠٥)، تفسير المنار لرشيد رضا (٢/١٩٢)، مقدّمة أبي العلا عفيفي على الفصوص (٧)، عقيدة الصّوفيّة وحدة الوجود الخفيّة (٦٧).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٢٢٠).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٣١٢).

(٥) روح المعاني للآلوسي (٦/١٩٠) بتصرّف يسير.

والرّجل بعد أن بنى قوله في فرعون على تلك النظريّة المشؤومة رجع إلى الوحي محاولاً أن يجد في نصوصه ما يؤيد كلامه، ولو بإعمال معول التّأويل الباطنيّ في دلالاتها على ما سيأتي بيّنه بإذن الله.

ومن بوّابة ابن عربي كانت الانطلاقة الأولى أمام خلائق من الصّوفيّة الذين سلكوا طريقه واعتنقوا آراءه بتسليم مطلق، بعدما صار له في نفوسهم من التّعظيم والجلالة واعتقاد الولاية ما هو فوق الوصف، وتأمّل هذا النصّ العزيز من شيخ الإسلام ابن تيميّة لتدرك مدى ما كان للرّجل من المكانة والتّأثير، حيث يقول: "كنتُ قديماً ممن يحسن الظنّ بابن عربيّ ويُعظّمه لِمَا رأيتُ في كتبه من الفوائد، مثل كلامه في كثير من «الفتوحات» و«الكُنه» و«المحكّم المربوط» و«الدّرّة الفاخرة» و«مطالع النُّجوم» ونحو ذلك، ولم نكن بعدُ اطلّعنا على حقيقة مقصوده، ولم نُطالع «الفُصوص» ونحوه، وكنا نجتمع مع إخواننا في الله نطلب الحقّ ونتبعه ونكشف حقيقة الطّريق، فلمّا تبين الأمر عرفنا نحن ما يجب علينا"^(١).

يضاف إلى ذلك ما كان يُضيفه على نفسه وعلى كلامه وكتابات من هالات القداسة كقوله:

الله يعلمُ والدلائلُ تشهدُ
أني إمامُ العالمينَ محمدٌ^(٢)

وقوله:

خُصِّصْتُ بعلمٍ لم يخصَّ بمثله
سوايَ من الرّحمنِ ذي العرشِ والكرسي

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٤٦٤).

(٢) ديوان محيي الدّين ابن عربي (٢٠٩).

وأشهدت من علم الغيوب عجباً تصان عن التذكار في عالم الحسِّ
فيا عجباً أني أروح وأعتدي غريباً وحيداً في الوجود بلا جنس^(١)

ومما قاله في كتابه «الفتوحات المكيّة»: "جميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه، أُعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه، وهذا كله حتى لا نخرج عنه؛ فإنه أرفع ما يُمنح، ولا يعرف قدره إلا من ذاقه وشهد منزلته حالاً من نفسه وكلمه به الحق في سرّه؛ فإنّ الحق إذا كان هو المكلّم عبده في سرّه بارتفاع الوسائط فإنّ الفهم يستصحب كلامه منك، فيكون عينُ الكلام منه عينَ الفهم منك لا يتأخّر عنه"^(٢).

وقال أيضاً: "اعلم أنّ جميع ما أكتبه في تألّيفي ليس هو عن رويّة وفكر، وإنما هو عن نفثٍ في روعي من ملك الإلهام"^(٣).

وقال أيضاً: "والله ما كتبتُ منه [يعني: كتابه «الفتوحات»] حرفاً إلا عن إملاءٍ إلهي وإلقاءٍ ربّانيّ، أو نفثٍ روحانيّ في روعي كياني"^(٤).

ولا تقتصر دعوى الإلهام على معارف الكتاب -بزعمه- بل حتى ترتيبه كما قال: "إنّا ما قصدنا هذا الترتيب عن اختيار... فالله تعالى ربّ على يدنا هذا الترتيب فتركناه ولم ندخل فيه برأينا ولا بعقولنا"^(٥).

(١) ديوان محيي الدّين ابن عربي (٥٥٠).

(٢) الفتوحات المكيّة لابن عربي (٣/٣٣٤).

(٣) نقله عن الفتوحات عبد الوهاب بن أحمد الشّعراي في الكبريت الأحمر في بيان علوم الشّيخ الأكبر (٢٠) الذي اختصر فيه الفتوحات، ولم أتمكّن من العثور عليه في الأصل.

(٤) الفتوحات المكيّة لابن عربي (٣/٤٥٦).

(٥) المصدر السابق (٢/١٦٣).

وما دامت علومه - كما يزعم - فتوحاً ربّانيّة، وحصائلُ معارفه استمدادتٍ إلهاميّة، فكيف يمكن للصّوفي السّاذج الذي أُشرب قلبه تصديق هذه الدّعاوى أن تسوّل له نفسه ردّ كلام الشّيخ الأكبر أو معارضة تقريراته؟!

❖ ثانياً: المصنّفات في هذه المسألة.

حظيت هذه المسألة باهتمام كبير ما بين مؤيّد ومعارض، والذي تحصّل لي من البحث في الكتب والتفتيش في الفهارس مما أفرد فيها ما يلي:

- ١- «رسالة في الردّ على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون»: تأليف: شيخ الإسلام ابن تيميّة، المتوفّى سنة ٧٢٨هـ، وقد طبعت ضمن جامع الرسائل له.
- ٢- «رسالة في إيمان فرعون»، تأليف: جلال الدّين محمد بن أسعد الصّدّيقي الدّواني، المتوفّى سنة ٩٠٨هـ، وهي رسالة صغيرة مطبوعة انتصر فيها لقول ابن عربي الحاتمي.
- ٣- «رسالة في ردّ إيمان فرعون»، تأليف: أحمد بن سليمان بن كمال باشا، المتوفّى سنة ٩٤٠هـ.
- ٤- «القول المصّان عن البهتان في غرَق فرعون وما كان عليه من الطّغيان»، تأليف: عبد الرّحمن بن يوسف الأجهوري المالكي، المتوفّى سنة ٩٦١هـ.
- ٥- «تنزيه الكون عن اعتقاد إسلام فرعون»، تأليف: زين العابدين محمد بن محمد العمري سبط المرصّفي، المتوفّى سنة ٩٦٦هـ^(١).

(١) انظر: كشف الطّنون لحاجي خليفة (١/٤٩٥).

- ٦- «التأييد والعون للقائلين بإيمان فرعون»، تأليف: محمد بن عبد الرسول بن عبد السّيد الحسني البرزنجي، المتوفى سنة ١١٠٣هـ^(١).
- ٧- «رسالة في كيفية إيمان فرعون»، تأليف: محمد نور الدين الحسيني، المتوفى سنة ١٣٠٥هـ، وقد انتصر فيها لقول ابن عربي وهي غير مطبوعة^(٢).
- ٨- رسالة للملا محمد يعقوب البناني المتوفى سنة ١٠٩٨هـ، ذكرها محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري (١٣٥٣هـ)، وأشار إلى أنه لم يأت فيها بشيء يشفي الصدور!^(٣).
- ٩- رسالة للملا محمود الفاروقي الجونفوري، المتوفى سنة ١٠٦٢هـ، ذكرها محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري، وأشار كذلك إلى أنه لم يأت فيها بشيء يشفي الصدور!^(٤).
- ١٠- «توفيق العيون في حق إيمان فرعون»، تأليف: عبد الله بن عبد العزيز الباليكسري الرّومي الخلّوتي، المتوفى سنة ١١٩٧هـ، وقد انتصر فيها لقول ابن عربي^(٥).

- ١١- «فرّ العون ممن يدّعي إيمان فرعون»، تأليف: نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي الحنفي، المتوفى سنة ١٠١٤هـ، وقد ردّ في هذه

(١) انظر: إيضاح المكنون لإسماعيل باشا (٣/٢٢٠)، فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات

دار الكتب الظاهرية لصلاح الخيمي (٢/٣٤).

(٢) انظر: هدية العارفين لإسماعيل باشا (٢/٣٨٦).

(٣) انظر: فيض الباري للكشميري (٥/٢٤٨).

(٤) انظر: فيض الباري للكشميري (٥/٢٤٨).

(٥) انظر: هدية العارفين لإسماعيل باشا (١/٧٥٣).

الرّسالة على رسالة الجلال الدّواني، وهي مطبوعة.

١٢ - «رسالة في مبحث إيمان فرعون»، تأليف: محمد أفضل بن عبد الرحمن العبّاسي السّيدبوري، المتوفّى سنة ١١٢٤هـ^(١).

١٣ - «رسالة في إيمان فرعون»، تأليف: عبد النّبي بن عبد الله الأكبر آبادي^(٢).

١٤ - «الجانب الشّرقى في كفر فرعون الغرقى»، تأليف: قطب الهدى بن محمد الحسينى النّقشبندى، المتوفّى سنة ١٢٢٦هـ^(٣).

١٥ - رسالة في إيمان فرعون، تأليف: شمس الدّين نصوحى زاده الأسكدارى الرّومى، المتوفّى سنة ١٢٤٩هـ^(٤).

١٦ - «نتيجة التّوفيق والعون في الرّدّ على القائلين بصحّة إيمان فرعون»، تأليف: بدران بن أحمد الخليلي، المتوفّى بعد ١١٠٣هـ، وهي رسالة صغيرة طُبعت ضمن كتاب «رسائل وفتاوى في ذمّ ابن عربي الصّوفي».

١٧ - «العون لمن نفى إيمان فرعون»، تأليف: إدريس بن عبد العلي الحنفي النّكرامى، المتوفّى سنة ١٣٣٠هـ^(٥).

١٨ - «استمداد العون لإثبات كفر فرعون»، تأليف: عبد الله بن الصّدّيق

(١) انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنّواظر للطّالبي (٦/ ٨٠٥).

(٢) انظر: المصدر السّابق (٥/ ٥٨١).

(٣) انظر: المصدر السّابق (٧/ ١٠٧٠).

(٤) انظر: هدية العارفين لإسماعيل باشا (١/ ٥٥٧).

(٥) انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنّواظر للطّالبي (٨/ ١١٨٤).

الغُمّاري، المتوفى سنة ١٤١٣هـ، وهي رسالة صغيرة تقع في سبع صفحات، طُبعت في آخر كتاب «الجواب المفيد للسائل المستفيد» (١٢٢) تحت عنوان: ملاحق وضمائم.

المبحث الثاني

أشهر القائلين بإيمان فرعون بين الإثبات والنفي

هذا القول - وإن انتشر بين المتصوّفة منذ كان حتى الآن - ليس محلّ اتفاق بينهم، بل فيهم من لا يتردّد في ردّه وإبطاله، ويخطئ من يجعله قولاً لهم بعامة^(١)، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيميّة دقيقاً حين نسبّه إلى طائفة من الاتّحادية^(٢).

وسوف نذكر هنا أبرز القائلين به ممن اشتهر عنه ذلك أو نسب إليه ولم يثبت عنه، أمّا من ذكره عرضاً ككثير من شُراح «الفُصوص»^(٣) ونحوهم فلن نوردّه في جملة من نذكر.

ومن أشهر القائلين به من يلي:

-
- (١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق (٣٩).
- (٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٢٧٩)، والردّ على المنطقيين له أيضاً (٥٢٢).
- (٣) ومن هؤلاء: داود بن محمود القيصري في شرحه المسمّى مطلع خصوص الكلم في معاني فُصوص الحِكم (٢٨٨)، وملاً عبد الرحمن بن أحمد الجامي في شرحه المسمّى جواهر النُصوص في حلّ كلمات الفُصوص (٢٩٩)، ومحمود محمد غراب في شرحه للفُصوص (٣٩٢). وكذلك الجندي والكارزوني وعلي المهامي وعبد الله الرومي، ومحمد حسين بن تفضل الإله آبادي. انظر: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٢/٢٤٦)، نزّهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للطالبي (٨/١٣٥٨).

١. ابن عربي الحاتمي:

من الطبيعي أن تكون البداءة بابن عربيّ باعتباره أوّل من شهر القول بـ(إيمان فرعون) استهلالاً واستدلالاً، غير أنّ الناس قد تنازعوا في ثبوت ذلك عنه للأسباب التالية:

أ- أنّ الرّجل كان يُكثر في التّعبير عن آرائه من الإغراق في الرّمزيّة، ويحرص على ستر وجه أفكاره بأقنعة الغموض والهلاليّة، و"غموض أسلوبه واستغلاق معانيه قد صاراً مضرباً مثل... وترجع إلى الأساليب التي يعبر بها عن هذا المذهب، والطّرق الملتوية التي يختارها لسطه"^(١)، وهذا ما دفع الكمال ابن الزّمكّاني (٧٢٧هـ) - وغيره كثير - أن يقول: "وأنكر عليه قوم لأجل كلماتٍ وألفاظٍ وقعت في كتبه قد قصّرت أفهامهم عن إدراك معانيها"^(٢).

وهذا بطبيعة الحال وإن كان لا يسلم للكمال، إلّا أنّ المقصود الإشارة إلى أنّ كثيراً من كلامه مشكل للغاية.

ب- أنّ له تقريراتٍ أخرى يُفهم منها قوله بـ(هلاك فرعون وكونه من أهل النار)، وهو ما يتعارض مع القول بـ(إيمانه ونجاته الأخرويّة).

ج - أنّ من الناس من امتلأ قلبه بمحبّة هذا الرّجل وتعظيم أقواله واعتقاد ولايته، مما يصعب معه مخالفتُهُ.

ومن اللافت أنه لم يكن يكفّ عن تفخيم المعارف التي يوردها في كتبه باعتبارها فتوحات وكشوفات إلهاميّة لا يتلقّاها العارف إلّا حين يغيب عن

(١) مقدّمة أبي العلا عفيفي على كتاب فصوص الحكم (١٦) باختصارٍ يسير.

(٢) نفع الطّيب للمقري (١٧٨/٢).

الشاهد، وتنفصل روحه عن الحس لتتصل بمشكاة الحضرة القدسية التي تفيض على عقله من العلوم والمعارف بحسب منزلته وصفاء قلبه.

هذا شأنه في «الفتوحات»^(١).

وأما في كتابه «الفُصوص» فاستعمل أسلوباً آخر، حيث قال في مقدّمته: "أما بعد، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرّم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبیده -صلى الله عليه وآله- كتاب، فقال لي: هذا كتاب «فُصوص الحِكم» خذه واخرُج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السَّمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منّا كما أمرنا"^(٢).

(١) انظر: الفتوحات المكيّة لابن عربي (٤٨/٢).

(٢) انظر: فُصوص الحِكم لابن عربي (٤٧).

تنبيه: تأمل كيف يذكر هذه المبشرة -على حدّ تعبيره- في مطلع كتاب حشاه بالكفريات، وقد قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه (٢/٣٦٤): "ما تضمّنه كتاب فُصوص الحِكم وما شاكله من الكلام فإنه كفرٌ باطنًا وظاهرًا، وباطنه أفتح من ظاهره". وقال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣): "ومن أردت تواليه كتاب الفُصوص؛ فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر! نسأل الله العفو والنّجاة".

وقال الشيخ شرف الدين عيسى الزواوي المالكي في العقد الثمين للفاسي (٢/١٧٦): "ما تضمّنه هذا التّصنيف من الهذيان والكفر والبهتان فكُلّه تلبّيس وضلال وتحريف وتبديل، ومن صدّق بذلك أو اعتقد صحّته كان كافرًا ملحدًا صاعدًا عن سبيل الله تعالى".

وأشار الجلال السيوطي في التّحبير في علم التّفسير (٣٢٦) إلى أنّ كتاب الفُصوص كفرٌ كُله. كما أفتى جماعة بإتلاف نُسخه بالتّحريق والتّمزيق والغسل بالماء، وبتحريم مطالعة كتبه على العموم؛ لأنها مشحونة بما يخالف عقائد المسلمين. انظر: تاريخ ابن الوردي (٢/٣٢٥)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٢/١٧٢ و١٧٧)، تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (١٦٨)، الصّوء اللامع (٣/٣١ و٣٢)، الرّد على القائلين بوحدة الوجود (٣٨).

وما من شكّ في أنّ لمثل هذه الأساليب وقعاً عظيماً لدى كلّ من يعتقد ولايته من العامّة والخاصّة، ممن عرّف زهده واجتهاده في العبادة، وبانتهاجه إياها يكون قد نجح في تمرير آرائه وإغلاق كلّ باب مخالفة أو معارضة، والواحد من هؤلاء متى ما رأى في تقريراته ما يصادم حقائق القرآن لم يجروء على تخطّئته، وإنما طفق يقلّب كلامه ظهرًا لبطن باحثًا له عن مخرج ولو كان بعيدًا متكلّفًا! وكما قال بعضهم: "فأحسن الظنّ به، ولا تنتقد بل اعتقد، وللناس في هذا المعنى كلامٌ كثير والتّسليم أسلم، والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم" (١).

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي (٧٤٨هـ): "صنّف التّصانيف في تصوّف الفلاسفة وأهل الوحدة، فقال أشياء منكرة عدّها طائفة من العلماء مروقا وزندقةً، وعدّها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السّالكيين، وعدّها طائفة من مُتّشابه القول، وأنّ ظاهرها كفرٌ وضلالٌ وباطنها حقٌّ وعرفانٌ، وأنه صحيح في نفسه كبير القدر" (٢).

وبناءً على ما سبق فقد وقع النزاع في ثبوت ذلك عنه على أقوال:

القول الأوّل: إنه ثابت عنه، وإليه ذهب الأكثرون مستدلّين بما وقع في كتبه من الكلام الصّريح، ومن أوضحه قوله في الفصّ الموسويّ: "وكان [يعني: موسى عليه السّلام] قرّة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبّضه طاهرًا مطهّرًا ليس فيه شيء من الخبث؛ لأنه قبّضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئًا من الآثام، والإسلام يجب ما قبله" (٣).

(١) نفع الطّيب للمقري (١٦٨/٢).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٢٧٠/٦).

(٣) انظر: فُصوص الحكم لابن عربي (٢٠١).

وقوله أيضًا: "فنجّاه الله من عذاب الآخرة في نفسه"^(١)، وأنه "قد عمّته النّجاة حسًا ومعنى"^(٢)، ولم يكتفِ بهذا القدر بل زعم أن "هذا هو الظاهر الذي ورد به القرآن!"^(٣).

وقد صحّح نسبة هذا القول إليه جماعات، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤)، وشمس الدين ابن المحبّ المقدسيّ (٨٢٨هـ)^(٥)، والعلاء البخاريّ الحنفيّ (٨٤١هـ)^(٦)، ومفتي الديار اليمانية الحسين بن عبد الرحمن الأهدل (٨٥٥هـ)^(٧)، والشيخ إبراهيم بن محمد الحلبيّ الحنفيّ (٩٥٦هـ)^(٨)، والعلامة المتفنّن مرتضى الزبيديّ^(٩)، والعلامة المفسّر أبو الثناء الألوسي^(١٠)، والمحدث محمد أنور شاه الكشميري^(١١).

القول الثاني: أن الكلام ثابتٌ عنه لكنه فهم على غير وجهه، وأنّ "حاصل مقاله أن إيمانه معتبر عنده من حيث رفع الكفر، وإن كان غير معتبر من حيث التوبة"^(١٢).

(١) انظر: المصدر السابق (٢١٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢١٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢١٢).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٧٩).

(٥) انظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي (٢/١٨٩).

(٦) انظر: فاضحة الملحدين وناصحة الموحّدين لعلاء الدين البخاري (١٦٨).

(٧) انظر: كشف الغطاء للأهدل (١٨٨).

(٨) انظر: نعمة الدرعية في نصرّة الشريعة لإبراهيم الحلبي (٢٠٩).

(٩) انظر: إتحاف السادة المتّقين للزبيدي (٢/٢٤٥).

(١٠) انظر: روح المعاني للألوسي (١١/١٨٦) و (١١/١٨٦).

(١١) انظر: فيض الباري للكشميري (١/٢٤٦).

(١٢) المصدر السابق (٥/٢٨٤). وانظر كذلك: (٣/٧١).

وهذا التوجيه لا يساعد عليه كلام ابن عربي؛ لأنه صرّح فيما نقلناه عنه أنّاً بأنّ الله قبض فرعون "طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث، لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام، والإسلام يجب ما قبله"، وأنه "نجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه"، وأنه "قد عمّته النّجاة حسّاً ومعنى"، وهذا كلّ لا يتوافق مع دعوى ارتفاع اسم الكفر عنه بموجب الإيمان الظاهريّ.

وقد تأوّل بعض العلماء أنّ مراده بـ(فرعون: النّفس)^(١)؛ استناداً إلى بيتين يُنسبان إليه، وهما:

قلبي قُطبي وقالبي أجفاني سرّي خَصِرِي وَعَيْنُهُ عرفاني
روحي هرون وكليمي موسى نفسي فرعون والهوى هاماني

وعندي أنّ هذا التّأويل في غاية البعد لأمرين:

أ- أنّ ابن عربي كان يتكلّم على الآيات التي تحكي قصّة فرعون وغرقه، فالقول بأنه يقصد بـ(فرعون = النّفس) تمحّل ظاهره؛ إذ انتزع الكلام من سياقه ووضع في سياق آخر لا علاقة له به البتّة^(٢).

ب- أنّ هذين البيتين^(٣) لا يوجدان في ديوانه، ولا يُشبهان نفسَه الشعريّ فهو أعلى طبقةً وأحكم نظماً، وقد وجدتُ بعضهم قد نسبهما إلى الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلانيّ (٥٦١هـ)^(٤)، وبناءً على ذلك نقول: هل يصحّ أن يؤول كلام

(١) انظر: حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي للخفاجي (٥٧/٥)، نفع الطّيب للمقري (١٦٩/٢)، التّاج المكلّل للقنّوجي (١٦٦).

(٢) هذا التّفسير منقولٌ عن باطنية الصّوفيّة. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢٣٨/١٣).

(٣) هذان البيتان -على فرض كونهما بيتي شعر- لا يوافقان أيّاً من أوزان بحور الشعر العربيّ.

(٤) انظر: الفيوضات الرّبانيّة في المآثر وورد القادريّة (١٨١) باختلافٍ يسير.

الرَّجُلَ عَنِ الظَّاهِرِ القَرِيبِ إِلَى مَعْنَى آخِرٍ بَعِيدٍ اسْتِنَادًا إِلَى كَوْنِ ذَلِكَ المَعْنَى وَرَدَ فِي بَيْتَيْنِ لغيره؟!

القول الثالث: أن كلامه في هذه المسألة متناقض، فهو تارةً يثبت وتارةً ينفي، ومن ثمّ فلا يصحّ الجزم بأنّ القول بـ(إيمان فرعون) هو قوله، وممن ألمح إلى شيء من ذلك العلامةُ علي بن سلطان القاري الحنفيّ (١٠١٤هـ)، حيث أشار إلى "أنّ ابن عربيّ عارض نفسه لكونه جزم بإيمان فرعون أوّلاً ثمّ شكّ في حقّه بقوله في «الفتوحات»: أمره إلى الله!

بل صرّح في الباب الثّاني والسّتين من «الفتوحات» أنّ أهل النار أربعة طوائف من الكفار: وهم المتكبرون على الله كفرعون وأمثاله ممن ادّعى الرّبوبيّة لنفسه ونفاها عن غيره فقال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقال ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]^(١).

وعليه فإذا كان قد قال هذا الكلام في كتابه «الفتوحات المكيّة» الذي هو آخر كتبه تأليفاً^(٢) فكيف يُنسب إليه خلافه مما قاله أوّلاً؟!

وهذا الكلام له حظّ كبير من النّظر لو سلم من المعارض، غير أنّ من طالع

(١) انظر: الرّدّ على القائلين بوحدة الوجود للقاري (٨٧). وانظر الكلام بتمامه في الفتوحات المكيّة لابن عربي (٣٠١/١).

(٢) انظر: التّاج المكلّل للّقنّوجي (١٦٥).

قلّت: الذي يظهر أنّ جعله الفتوحات المكيّة هو آخر ما صنّفه ابن عربيّ -هكذا بإطلاق- فيه نظر، فقد استغرق في تأليفه ثلاثين سنة كتبه خلالها مرّتين، كما أنه ذكره في بعض كتبه كالفصوص مثلاً (٢٢٤). وانظر للاستزادة: كتاب «مؤلّفات ابن عربي: تاريخها وتصنيفها» لعثمان يحيى (٨٢).

«الفتوحات» وجد له كلامًا آخر يوافق كلامه في «الفصوص» إلى حدّ كبير، ومن ذلك قوله: "ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ صَدَّقَهُ فِي إِيمَانِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ءَأَكْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١] فدلّ على إخلاصه في إيمانه، ولو لم يكن مخلصًا لقال فيه تعالى كما قال في الأعراب الذين قالوا: ﴿ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] فقد شهد الله لفرعون بالإيمان، وما كان الله ليشهد لأحد بالصدق في توحيده إلا ويجازيه به.

وبعد إيمانه فما عصى، فقبله الله - إن كان قبله - طاهرًا، والكافر إذا أسلم وجب عليه أن يغتسل، فكان غرّقه غُسلًا له وتطهيرًا، حيث أخذه الله في تلك الحالة ﴿نَكَالَ الْأَخْرَجَ وَالْأُولَى﴾ [النّازعات: ٢٥]، وجعل ذلك عبرة لمن يخشى!

وما أشبه إيمانه إيمان من غرغره؛ فإنّ المُعْرِغَ موقنٌ بأنه مفارقٌ قاطعٌ بذلك، وهذا الغرق هنا لم يكن كذلك؛ لأنه رأى البحر يبسًا في حقّ المؤمنين فعلم أنّ ذلك لهم بإيمانهم، فما أيقن بالموت بل غلب على ظنّه الحياة، فليس منزلته منزلة من حضره الموت فقال: ﴿إِنِّي تَبْتُ أَكْفَنَ﴾ [النساء: ١٨] ولا هو من ﴿الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّاءُ﴾ [النساء: ١٨] - وأمره إلى الله تعالى -، ولما قال الله له: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢] كما كان قوم يونس " (١).

فهو في هذا النصّ وإن جعل أمر فرعون إلى الله تعالى إلا أنه لا يخفى ميله القويّ إلى القول بصحّة إيمانه ونجاته.

وقوله أيضًا: "... فصار الموت فيه شهادةً خالصةً بريئة لم تتخللها معصية،

(١) الفتوحات المكيّة لابن عربي (٢/٤١٠).

فقبضت على أفضل عمل وهو التلُّفُظُ بالإيمان، كلُّ ذلك حتى لا يقنط أحدٌ من رحمة الله - والأعمال بالخواتم -، فلم يزل الإيمان بالله يجول في باطنه...

ثم قوله تعالى في تميم قصته هذه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ أَيْدِينَا لَعَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]، وقد أظهرت نجاتك آية؛ أي: علامة على حصول النجاة، فغفل أكثر الناس عن هذه الآية وقضوا على المؤمن بالشقاء.

وأما قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] فما فيه نصُّ أنه يدخلها معهم، بل قال الله: ﴿أَدْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٤٦] ولم يقل: أدخلوا فرعون وآله.

ورحمة الله أوسع من حيث أن لا يقبل إيمان المضطرِّ، وأيُّ اضطرارٍ أعظم من اضطرار فرعون في حال الغرق والله يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]؟! فقرن للمضطرِّ إذا دعاه الإجابة وكشف السوء عنه، وهذا آمنٌ لله خالصًا وما دعاه في البقاء في الحياة الدنيا خوفًا من العوارض أو يحال بينه وبين هذا الإخلاص الذي جاءه في هذه الحال، فرجَّح جانب لقاء الله على البقاء بالتلُّفُظُ بالإيمان، وجعل ذلك الغرق ﴿نَكَالَ الْأَخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥]، فلم يكن عذابه أكثر من غمِّ الماء الأجاج، وقبضه على أحسن صفة، هذا ما يُعطي ظاهر اللفظ^(١).

القول الرابع: أنه مدسوس عليه، وإلى هذا ذهب عبد الوهَّاب بن أحمد الشعراي (٩٧٣هـ) الصُّوفي المعروف، حيث قال: "قد يكون ذلك الكلام الذي أنكره بعضهم على ذلك الوليِّ مثلًا مدسوسًا عليه في كتبه، أو مفترى عليه، كما وقع في كتب الشَّيخ محيي الدِّين ابن العربي رضي الله تعالى عنه؛ فإنهم دسُّوا عليه

(١) انظر: الفتوحات المكيَّة لابن عربي (٢/ ٢٧٧) باختصار.

جملةً من الأمور المخالفة لظاهر الشريعة في كتاب «الفتوحات المكيّة» التي ألفها رضي الله تعالى عنه، وفي «الفُصوص» أيضًا^(١).

وقال أيضًا -: "جميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوسٌ عليه كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكّة المشرفّة، ثم أخرج لي نسخةً «الفتوحات» التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطّه في مدينة قونيه، فلم أرَ فيها شيئاً مما كنتُ توقّفتُ فيه وحذفتُه حين اختصرتُ «الفتوحات»"^(٢).

وقال أيضًا: "ومن دعوى المنكر أنّ الشيخ يقول بقبول إيمان فرعون، وذلك كذبٌ وافتراء على الشيخ!"^(٣).

وقال أيضًا: "كذب وافترى من نسب إلى الشيخ محيي الدين أنه يقول بقبول إيمان فرعون!"^(٤).

ولا شك أن هذا الاستبسال في تبرئته نابع من شدة تعظيمه له واعتقاده لولايته؛ إذ "هو من أكبر معتقديه"^(٥)، ولا أدلّ على ذلك مما يسبغه عليه من النعوت الكمالية في تأليفه إلى حدّ أنه يقول: "وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لعلو مراقبه"^(٦).

(١) انظر: لطائف المنن والأخلاق للشّعراي (٢٣٥).

(٢) انظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشّعراي (٢٣)، وهو يشير إلى كتابه الذي سمّاه (لوائح الأنوار القدسيّة المنتقاة من الفتوحات المكيّة) وهو مطبوع.

(٣) انظر: المصدر السابق (٣٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٥٠٧).

(٥) فيض الباري للكشميري (٢٨٤ / ٥).

(٦) انظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشّعراي (٢٢).

وهذه الإشكالية العميقة الضاربة في تلافيف العقل الصوفي ناتجة عن تعاطيه مع كلام أئمتّه على طريقة (اعتقد ولا تتقد) و(واقبل ولا تسأل).

وقد ردّ عليه هذه الدعوى العلامة مرتضى الزبيدي حيث قال: "أنت خبيرٌ بأنّ كلام الشيخ في فتوحاته وفُصُوصه إذا جُمع يجيء أكثر من عشرة أوراق، ومثل هذا لا يحتمل الدس" (١).

كما ردّ عليه المحدث محمد أنور شاه الكشميري في مواضع من شرحه على صحيح البخاري فقال: "ونسب إلى الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى أنه اعتبر إيمان فرعون، قال الشعراني: وهذا مدسوس والشيخ رحمه الله تعالى بريء منه.

قلت: بل هو مختار الشيخ رحمه الله تعالى وليس بمدسوس، وقد نقل بحر العلوم في «شرح المشوي» عبارات عديدة للشيخ رحمه الله تدل على هذا المعنى" (٢).

وقال في موضع آخر: "وظني أن تلك النسبة صحيحة" (٣).

وقال في موضع ثالث: "والذي أظن أنه من كلام الشيخ الأكبر - وإن أنكره الشعراني-؛ لأني أعرف طريقه، وأميز كلامه من غيره" (٤).

قلت: ومما يؤيد كلام الكشميري أنّ ابن عربي تبنى الرأي نفسه في «الفُصُوص» وفي «الفتوحات»، كما أنّ «الفتوحات» قد طُبعت في العصر الحديث غير مرّة، منها طبعة دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٢٩هـ، التي

(١) إتحاف السادة المتّقين للزبيدي (٢/٢٤٦).

(٢) فيض الباري للكشميري (٣/٧١).

(٣) المصدر السابق (١/٢٤٦).

(٤) المصدر السابق (٥/٢٨٤).

طُبعت على نسخةٍ قوبلت على نسخة قونيه التي هي بخط المؤلف، ومع هذا فإنّ كلامه هذا موجودٌ فيها بعينه.

والشَّعرانيّ حين يحاول تنزيه ابن عربي عن هذا القول مدَّعيًا أنه ليس في نسخة قونيه يتناسى الحقيقة المُرّة، وهي أنّ الكفريّات في كتب الرّجل لا تنحصر في هذا القول فحسب بل هي أكثر من ذلك بكثير، وهذا القول من أخفّها وأهونها^(١)، وما أحرّاه بقول الأوّل:

كنا نداريها فقد مُزّقتْ واتّسع الخرقُ على الرّاقع

كالثوب إذ أنهج فيه البلى أعيّا على ذي الحيلة الصّانع^(٢)

٢. أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ): وقد نسب إليه القول بـ(إيمان فرعون) عبد الوهاب الشَّعراني، ولعلّه أوّل من نسبه إليه حيث قال: "قال شيخ الإسلام الخالدي رَحِمَهُ اللهُ: والشيخ محيي الدّين بتقدير صدور ذلك لم ينفرد به، بل ذهب جمع كثير من السلف إلى قبول إيمانه لِمَا حكى الله عنه أنه قال: ﴿ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] وكان ذلك آخر عهده بالدنيا.

وقال أبو بكر الباقلاني: قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال، ولم يردنا نصّ صريح أنه مات على كفره انتهى"^(٣).

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٥/٢).

(٢) الأمالي في لغة العرب للقالبي (٧٤/٣)، جمهرة الأمثال للعسكري (١٦٠/١)، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٢٧/٢٣).

(٣) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشَّعراني (٣٣).

وعزاه إليه مرتضى الزبيدي أيضًا^(١)، غير أن مما يُقطع به أنه لم ينقله عن شيء من كتب الباقلاني؛ لأنه اكتفى بعزو القول إليه دون أن يبين في أي كتاب قال الباقلاني ذلك خلافًا لعادته في التوثيق، في حين أنه لما نقل بعده مباشرة كلامًا للهِتيمي (٩٧٤هـ) أفصح عن المصدر فقال: "وقال ابن حجر المكي في «التحفة»".

وعليه فالغالب على الظن أن الشعراي هو مصدر الزبيدي في هذا العزو^(٢)، وعلى كل فالذي يظهر أن هذه النسبة غير صحيحة للأسباب التالية:

- أن الشعراي انفرد بهذه النسبة، ولم نجد أحدًا عزاها إلى الباقلاني إلا وهو يعتمد عليه إما صراحةً وإما بقرينة.

- أن هذا النقل المعزو إلى (شيخ الإسلام الخالدي) هو نقلٌ عن مجهول، فلا أحد يعرف هذا الرجل مع كثرة السؤال والتفتيش عنه، وقد جرت العادة أن هذا اللقب الفخم (شيخ الإسلام) لا يُطلق إلا على من ذاع صيته واشتهر علمه وفضله بحيث لا يُجهل مثله.

- ثم هل يمكن لرجل لُقّب بـ(شيخ الإسلام) أن يقع في مثل هذا الخطأ العلمي الكبير بنسبة قولٍ إلى "جمع كثيرٍ من السلف" مع أنه لم يقل به في حقيقة الأمر أحد من السلف؟!!

ج- أن الباقلاني من أئمة المتكلمين وأحد أساطين النظار، وقد كانت آراؤه

(١) انظر: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٢/٢٤٦).

(٢) للصفوية سوابق في الكذب على العلماء دفاعًا عن ابن عربي. انظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٢/١٨٣).

وكتبه محلّ عناية لدى العلماء الموافقيّ منهم والمخالف، ومن المعلوم أنّ من كان في مثل مكانته العلميّة يبعد بل يستحيل أن يتبنّى القول بـ(إيمان فرعون) دون أن ينقله عنه أحد على مدى خمسة قرون، حتى يجيء أحد مجاذيب الصّوفيّة في القرن العاشر فيعزّوه إليه.

ثمّ إنه كان قد قمع خصومه من المعتزلة والكراميّة والرافضة وغيرهم وأذاقهم العلقم بقلمه وبلسانه، فهل يمكن أن يتبنّى هذا القول الشاذّ الذي لم يقل به أحد من الطوائف حتى الروافض ثمّ يتركه هؤلاء دون تشنيع أو استطالة؟!

د- أنّ الموجود في كتب الباقلاني المطبوعة مخالف لهذا النّقل، فقد عرض لذكر فرعون في مناسبات كثيرة ولم نجد رائحة لهذا القول، بل على العكس من ذلك فهو تارة يُسمّيه باللّعين فرعون^(١)، وتارة يقرّنه بأئمّة الكفر قارون وهامان وأبي لهب وأبي جهل بن هشام، وعتبة وشيبة والوليد^(٢).

والذي يغلب على الظنّ بموجب هذه الأدلّة -والعلم عند الله- أنّ (شيخ الإسلام الخالدي) شخصيّة وهميّة لا وجود لها إلّا في خيال الشّعراي، دعاه إلى افتعالها حبّه لابن عربيّ وحرصه على الدّفاع عنه، ولم يجد أفضل من ادّعاء أنه مسبوق بهذا القول من قبل "جمع كثير من السّلف!"

وقد اختار الباقلانيّ بعينه لعلمه بسموّ مكانته عند العلماء وشدّة توقيرهم له، فإذا ما نسب القول إليه خفّ النّكير على ابن عربيّ.

وخوفاً من أن يُفتضح أمره افتعل هذا الكلام وذلك النّقل على لسان تلك

(١) انظر: الإنصاف للباقلاني (٢٨) و (١١٤) و (١٣٦) و (١٧٧).

(٢) انظر: الانتصار للقرآن للباقلاني (٢/٥٢٧).

الشخصية الوهمية التي اكتفى بتسميتها بـ(الخالدي) دون تمييز كي لا يُهتدى إليها، ولئلا يجترى عليه أحد بالتكذيب.

ولأنَّ النُّقل عن هذا المغمور الذي لا يُعرف (الخالدي) لن يكون له وزن استعاض عن ذلك بتلقيبه بـ(شيخ الإسلام) إمعاناً منه في الخداع والتضليل.

٣. جلال الدين الدواني (٩٠٨هـ): وهو من أشهر من تبني القول بـ(إيمان فرعون)، وصنّف في ذلك رسالة صغيرة للغاية، طُبعت باسم «رسالة في إيمان فرعون» "أتى فيها بما لا يُعدّ شيئاً عند أصاغر الطلبة"^(١) على حدّ تعبير العلامة أبي الثناء الألووسي.

وقد تولّى الردّ عليها العلامةُ عليّ القاري الحنفيّ برسالة سمّاها «فرّ العون من مدّعي إيمان فرعون».

وقد ذهب بعضهم إلى عدم صحّة نسبة تلك الرّسالة إلى الدواني، ومن هؤلاء أحمد بن محمد الخفاجي المعروف بالشّهاب (١٠٦٩هـ)، حيث قال: "وأما ما وقع في «الفُصوص» من صحّة إيمانه وأنّ قوله: ﴿ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] إيمانٌ بموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فمخالفٌ للنصّ والإجماع وإن ذهب إلى ظاهره الجلالُ الدواني رَحِمَهُ اللهُ، وله رسالةٌ فيه طالعتها وكنْتُ أتعجّب منها حتى رأيتُ في «تاريخ حلب» للفاضل الحلبي أنها ليست له، وإنما هي لرجل يُسمّى محمد بن هلال النّحويّ"^(٢).

(١) روح المعاني للألووسي (١٨٦/١١).

(٢) حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي للخفاجي (٥٦/٥).

ووافقه على ذلك الألوسي الكبير فيما نقله عنه ابنه نعمان (١٣١٧هـ)^(١).

٤. ابن حجر الهيثمي (٩٧٤هـ): من طالع كتب هذا الفقيه المكي لم يتطرق إليه شك في تصوفه واعتقاده بولاية ابن عربي وأضرابه، فهو يصفه بـ"الإمام العارف المحقق"^(٢)، ويرى استحباب مطالعة كتبه، ويشير إلى منزلتها فيقول: "كم اشتملت تلك الكتب على فائدة لا توجد في غيرها، وعائدة لا تنقطع هو اطل خيرها، وعجيبة من عجائب الأسرار الإلهية التي لا ينتهي مدد خيرها!"^(٣).

ويذكر أنّ من كراماته "أنه مكث على ثلاثة أشهر على وضوء واحد...، ووقع له ما هو أعظم من ذلك ومنه أنه لما صنّف كتابه «الفتوحات المكيّة» وضعه على ظهر الكعبة ورقاً من غير وقاية عليه فمكث على ظهرها سنة لم يمسه مطر، ولا أخذ منه الرّيح ورقة واحدة مع كثرة الرّيح والأمطار بمكة، فحفظ الله كتابه هذا من هذين الضّدين دليل أي دليل! وعلامة أي علامة على أنه تعالى قبل منه ذلك الكتاب وأثابه عليه وحمد تصنيفه له، فلا ينبغي التّعريض للإنكار عليه؛ فإنه السّم القاتل لوقته، كما شاهدناه وجربناه في أناسٍ حقّ عليهم من المقت وسوء العقاب ما أوجب لهم التّعريض لهذا الإمام العارف بالإنكار، حتى استأصل شأفتهم وقطع دابرهم، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم"^(٤).

كما عيّن بعض من عوقب -بزعمه- بسبب إنكاره فقال: "ولقد بالغ البقاعي في الإنكار وصنّف فيه مصنّفات كلّها صريحة في غاية التعصّب والميل عن سبيل

(١) انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان الألوسي (٣٨١).

(٢) الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي (٥٦/١).

(٣) الفتاوى الحديثية للهيثمي (٢١٠).

(٤) المصدر السابق (٢١٠) باختصارٍ يسير.

الاستقامة، ومن ثمَّ جُوزي بما مرَّ وبأقبح منه، وهو أنه ضُبط عليه في مناسباته فحُكِم بتكفيره وإهدار دمه، ولم يَبَق من ذلك إلَّا إزهاق روحه لولا استعان ببعض الأكابر حتى خلَّصه من تلك الورطة، واستتيب في الصَّالحيَّة بمصر وجدَّد إسلامه^(١).

وحين تكلم عليه وعلى الحلاج وغيرهما من الصُّوفيَّة أَرَدَف بقوله: "ونسأل الله... وأن يحشرنا تحت مواطئ أقدام هؤلاء الأئمة الأكابر الأخيار"^(٢).

وقد نسب إليه بعض الفضلاء المعاصرين ترجيح القول بإيمان فرعون^(٣)، إلَّا أنَّ في هذه النسبة شيئاً من المجازفة، فالرَّجل وإن كان لا يُخفي حبه لابن عربي واعتقاده به إلَّا أننا لم نجد فيما بين أيدينا من نصوصه ما يدلُّ على ذلك، فهو ينقل إجماع علماء الأُمَّة ومجتهديها على كفر فرعون^(٤)، ويقرُّ أنَّ "مذهب أهل الحقَّ أنَّ الإيمان لا يَنفَع عند الغرغرة، ولا عند معاينة عذاب الاستئصال"^(٥).

وحين نقل تقرير ابن عربيٍّ لإيمان فرعونَ واستدلَّاه عليه عقبَ بقوله: "ليس هذا الكلام مقرِّراً وإن كنا نعتقد جلالته؛ فإنَّ العصمة ليست إلَّا للأنبياء!"^(٦)، معللاً لذلك بأنه إنما "آمن عند نزول عذاب الاستئصال له ولقومه، والإيمان حينئذٍ غير نافع"^(٧)، وانتهى إلى أنه "إذا ثبت واتَّضح أنه لا يصحَّ إيمان

(١) المصدر السابق (٣٩).

(٢) الفتاوى الحديثية للهيتمي (٤١) باختصارٍ يسير.

(٣) انظر: موسوعة أهل السنة لدمشقيَّة (٢/٩٩٩).

(٤) انظر: الزَّواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/٥٤).

(٥) المصدر السابق (١/٥٤).

(٦) المصدر السابق (١/٥٧).

(٧) المصدر السابق (١/٥٥).

اليأس ثبت أن إيمان فرعون لا يصحّ" (١).

ولمّا سُئل "هل ورد في موت فرعون كافرًا حديث؟

أجاب: نعم، ورد فيه أحاديث" (٢).

ومع وضوح موقف الهيتمي في هذه المسألة إلا أنه - وبسبب تصوّفه - لم يستطع إخفاء تعاطفه الكبير مع ابن عربيّ وحرصه على التّهوين من شأن شذوذه في هذه المسألة، فهو يقول: "إيمان فرعون - الذي زعمه قوم - لا قطع على عدمه، بل ظاهر الآية وجوده، وألّف فيه مع الاسترواح في أكثره بعض محقّقي المتأخّرين من مشايخ مشايخنا...".

وبما تقرّر عُلِم خطأ مَنْ كَفّر القائلين بإسلام فرعون؛ لأنّنا وإن اعتقدنا بطلان هذا القول لكنه وإن وردت به أحاديث وتبادر من آيات أولّها المخالفون بما لا ينفع غير ضروري" (٣).

وفي موضع آخر يشير إلى أنّ قول ابن عربيّ بد(إسلام فرعون) "لا يقتضي كفرًا، وإنما غايته أنه خطأ في الاجتهاد، وهو غير قادح في صاحبه؛ إذ كلُّ من العلماء مأخوذ من قوله ومردود عليه إلا المعصومين" (٤).

ولا يفوته حين يخطئ القول المذكور أن يُذكّر بـ "جلالة قائله" و"أنّ العصمة

(١) المصدر السابق (٥٨/١).

(٢) الفتاوى الحديثيّة للهيتمي (٢٠٦). وانظر كذلك: (٢٠٧).

(٣) تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (٨٨/٩) بشيء من الاختصار.

تنبيه: هكذا في الأصل، وكأنّ في السّياق سقطاً والله أعلم.

(٤) الفتاوى الحديثيّة للهيتمي (٢٤١).

ليست إلا للأنبياء" (١).

٥. محمد بن عبد الرسول البرزنجي (١١٠٣هـ): سبقت الإشارة في المبحث الأول إلى أن البرزنجي ممن قال بد(إيمان فرعون)، وقد صنّف في ذلك كتاباً سمّاه «التأييد والعون للقائلين بإيمان فرعون»، كما ترجم كتاب «الجانب الغربي» للكازروني عن الفارسيّة إلى العربيّة وسمّاه «الجاذب الغيبي»، والكتاب مخصّص للردّ على الاعتراضات الموجّهة لهذا القول (٢)، وكلا كتابيه لم يُطبع.

وقد ذكر الزبيديّ خبراً لطيفاً في هذا الصّدّد لا بأس من إيرادِهِ حيث قال: "حكى لي بعض من أثق به من السّادة أنّ الإمام العلامة الشّيخ حسن بن أحمد باغتر الحضرمي حين وفد إلى المدينة -على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام- فاوض مع المذكور [يعني: البرزنجي] في هذه المسألة وأنّ عدم إيمانه مما أجمع عليه، وطال بينهما الكلام إلى أن انفصلا من غير مرام، فلما أصبح لقيه فأوّل ما فاتحه به أن قال له: السّلام عليك يا أخوا فرعون! فتغنّص السيّد جدّاً، وانحرف مزاجه على المذكور [يعني: باغتر] وعُرف منه ذلك، وشكاه عند بعض الناس فلاموه، فاعتذر لهم أي ما قلت شططاً! هو يقول بإيمان فرعون ويثبتته، والمؤمنون إخوة، فلم يتأذّى من أخوة فرعون وهو مؤمن عنده؟! فانقطعوا" (٣).

ولقد صدق شيخ الإسلام ابن تيميّة حين قال: "ما أخلق المحاجّ عن فرعون أن يكون بهذه المثابة؛ فإنّ المرء مع من أحبّ" (٤).

(١) الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيمتي (١/٥٧).

(٢) انظر: إتحاف السّادة المتّقين للزبيدي (٢/٢٤٦).

(٣) إتحاف السّادة المتّقين للزبيدي (٢/٢٤٦).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/٢٨٣).

٦. عبد الغني بن إسماعيل النَّابلسي الحنفيّ (١١٤٣هـ): هذا الرَّجل مشهور بتصوّفه، ينتمي إلى الطّريقة النَّقشبندية القادرية^(١)، وهو من القائلين بوحدة الوجود، وله في هذه المسألة رسالة مطبوعة سمّاها «إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود»، دافع فيها عن القائلين بذلك واصفاً إيّاهم بـ"أنهم العلماء المحقّقون، والفضلاء العارفون، أهل الكشف والبصيرة، الموصوفون بحسن السّيرة وصفاء السّريّة، كالشيخ محيي الدّين ابن عربي، والشيخ شرف الدّين بن الفارض، والعفيف التّلمساني، والشيخ عبد الحقّ بن سبعين، والشيخ عبد الكريم، وأمثالهم"^(٢).

ولم يتبنّ القول بـ(إيمان فرعون ونجاته في الآخرة) فحسب، وإنما كان من المنافحين عنه والمستدّلين له، كما يظهر ذلك جلياً في كتابه «لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنّة والمقطوع لهم بالنّار»^(٣).

٧. أحمد بن الصّدّيق الغمّاري (١٣٨٠هـ): ينحدر هذا الرَّجل من بيت علم معروف، وقد نشأ في بيئة يغلب عليها الطّابع الصّوفيّ، فأبوه مؤسس الطّريقة الصّدّيقية الدّرقاوية الشّاذلية في طنجة، وقد خلف أباه بعد وفاته سنوات عدّة^(٤).

وعلى الرّغم من اشتهاؤه بالاشتغال بالحديث وتمكّنه من علومه ودعوته المطلقة إلى الاجتهاد ونبد التّقليد، إلّا أنه لم يستطع الانفكاك من ربة التّصوّف، وله طوأم في هذا الباب، كما أنه شديد الدّفاع عن ابن عربي الذي يجري فيه على

(١) انظر: سلك الدّرر في أعيان القرن الثّاني عشر للمراي (٣/ ٣٠).

(٢) إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود للنّابلسي (٧).

(٣) انظر: لمعان الأنوار للنّابلسي (٣٩). وانظر كذلك: جواهر النّصوص في حلّ كلمات الفُصوص له أيضاً (٢/ ٣٠٠).

(٤) انظر: البحر العميق في مرويات ابن الصّدّيق للغمّاري (٤٩ - ٧٢).

سَنَنْ الطَّرِيقَةَ بِتَسْمِيَتِهِ بِ(الإمام الأكبر)^(١)!

وأما عن رأيه في أشهر كتبه فيقول: "و«الْفُتُوحَاتُ» و«الْفُصُوصُ» مشحونة بالمعارف الإلهية التي عجز أن يأتيَ بمثلها كبار العارفين لا بالطامات، نعم هي طامات على الجهلة؛ لأنها سبب في هلاكهم ووقوعهم في محاربة الله تعالى بمحاربة أوليائه..."^(٢).

ويقول أيضاً: "مسألة (إيمان فرعون) أَلْفَ فيها إثباتاً وانتصاراً للشيخ الأكبر العلامة الجامي، وردّ عليه ذلك المغفل عليّ القاري الحنفي بكتاب سماه «فَرَّ العون من مدّعي إيمان فرعون» مطبوع بالآستانة هو والأصل المردود عليه. ولكن انبرى له العلامة الصوفيّ المطَّلِع المتضلع من العلوم المعقولة والمنقولة محمد بن رسول البرزنجي، فألّف كتاباً لطيفاً سماه «التأييد والعون لمدّعي إيمان فرعون» أتى فيه بما يبهر العقول"^(٣)، ثم استرسل في تأييد هذا القول والاستدلال له.

المبحث الثالث

أدلة القائلين بإيمان فرعون والردّ عليهم

لا يستريب عاقل في أنّ الأدلة والبراهين على عدم إيمان فرعون من الكتاب والسنة أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولهذا حكى غير واحد انعقاد الإجماع على ذلك^(٤).

(١) انظر: الجواب المفيد للسائل المستفيد للغمّاري (٩٦).

(٢) المصدر السابق (٩٧).

(٣) المصدر السابق (٩٦).

(٤) انظر: الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/ ٥٤)، ردّ المحتار على الدرّ المختار لابن

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة مبيّنًا خطورة القول بإيمانه: "هذا القول كفرٌ معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام، لم يسبق ابن عربي إليه - فيما أعلم - أحدٌ من أهل القبلة، بل ولا من اليهود ولا من النصارى، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون" (١).

وقال أيضًا: "كفر فرعون وموته كافرًا وكونه من أهل النار هو ممّا علّم بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى؛ فإن أهل الملل الثلاثة متفقون على أنه من أعظم الخلق كفرًا، ولهذا لم يذكر الله تعالى في القرآن قصّة كافرٍ كما ذكر قصّته في بسطها وتثنيها، ولا ذكّر عن كافر من الكفر أعظم مما ذكر من كفره واجترائه وكونه أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة" (٢).

ولعلّ من المناسب أن نذكر أولًا ما تيسّر من أدلّة المسألة، ثم نعبّ بذكر ما تعلق به ابن عربيّ ومن دار في فلكه ممن يهرفون بما لا يعرفون، ولم يُعْرِهم به سوى أنه قول محبيّ الدّين وإمام العارفين، الإمام الأكبر والكبريت الأحمر!

✦ القسم الأوّل: الأدلّة على كفر فرعون وموته على ذلك.

من نظر في أدلّة المسألة بتجرّد لم يشكّ في ثبوت الإجماع وانعقاده على كفر فرعون وعدم نجاته، إذ لا يجد حرفًا وحدًا عن السلف ولا من بعدهم يخالف صريح القرآن والسنة حتى أطلّ القرن السابع فتنبّاه ابن عربيّ خارمًا بذلك الإجماع المتيقّن ومتلاعبًا بدلالات النصوص، ومن المعلوم أنه متى ما ثبت

عابدين (٤/ ٢٣١)، روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٨٤).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٧٩). وانظر كذلك: (٢/ ١٢٥).

(٢) جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٣).

الإجماع استغني به عن إيراد آحاد الأدلة.

ويمكن أن نقول قولاً كلياً، وهو أنه لم تأت في القرآن -الذي نزل لهداية الناس بلسان عربي مبين لا إبهام في معانيه ولا استغلاق في تراكيبه- آية تُثني عليه أو تُشيد بتوبته ونحو ذلك، وردت الآيات في ذمّه والتّحذير من سلوك طريقه باعتباره من أئمة الطّغيان ورؤوس الكفر، وهذا ما كان يفهمه المسلمون على مدى قرون كما سبق.

وعلى كل فلا بدّ من إمامة سريعة على أدلة المسألة:

الدليل الأوّل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوُرْدَ الْمَوْرُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾﴾ [هود: ٩٦ - ٩٩]

ودلالة هذه الآيات على موت فرعون على الكفر في غاية الظهور، إذ جمع الله له بين عقوبتي الدنيا والآخرة.

فهل هذه حال من قبل الله توبته ومنّ عليه بأن صعدت روحه إلى السماء طاهراً مطهراً ليلافي ربه ولم تُكتب عليه خطيئة كما يزعم ابن عربي؟!!

ثم أين فرح الله سبحانه بتوبة العبد ورجوعه إليه وهو قد جعل مثواه ناراً تلتظّي ورفده لعنة تلو أخرى؟! ألا يتعارض هذا بالكليّة مع ما ثبت في النصوص^(١)؟!!

(١) انظر: صحيح البخاري (٥/٢٣٢٤)، صحيح مسلم (٤/٢١٠٢).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكَبرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأُنزِلُ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصُرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ [القصص: ٣٨-٤٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا نصُّ في أن فرعون بعد غرقه ملعون، وهو في الآخرة مقبوح غير منصور، وهذا إخبار عن غاية العذاب" (١).

ثم متى كان القرآن العظيم يصف التائبين بكونهم من أئمة الكفر ومن الدعاة إلى النار؟!

ثم إذا كان فرعون قد مات على الإيمان فعلاً فكيف يزيد في عقوبته وخزيه الدنيوي المعجل بأن يتبعه بلعنات لا تفارق روحه الخبيثة، تاركةً له ذكراً قبيحاً ومقتاً كبيراً على أسنة الخلق كما هو مشاهد (٢)؟!

وهل يمكن أن يقال في من سيُقابل في الآخرة بالخزي والعار وباللعنة والنار بأنه من الناجين هناك؟!

قال العلامة البقاعي (٨٨٥هـ) في تفسيره لهذه الآيات: "فيا ليت شعري! أي صراحةً بعد هذا في أن فرعون عدوُّ الله في الآخرة كما كان عدوُّه في الدنيا؟! فلعنة الله على من يقول: إنه مات مؤمناً، وإنه لا صريح في القرآن بأنه من أهل النار،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٨٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٦١٧)، تفسير المراغي (٢٠/٦٣).

وعلى كل من يشك في كفره" (١).

وقال العلامة الألوسي: "هذه الآية أظهر دليل على عدم نجات فرعون يوم القيامة، وأنه ملعونٌ مُبَعَدٌ عن رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة" (٢).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَأْتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ ﴿ [يونس: ٨٨ - ٨٦].

وهذه الآيات صريحة في أن الله استجاب دعاء موسى وهارون بأن يزيد قلب فرعون وقلوب من معه قسوةً واستغلاقاً، وأن يختم عليها بالكفر، فلا تنشرح للحق ولا تقبل الهدى إلا حين لا ينفعها ذلك.

وظاهرٌ من دلالة السياق أن موسى وهارون لم يقصدا بـ(يؤمنوا) الإيمان النافع؛ لأنهما كانا يدعوان عليهم لا لهم بعدما ضاقا ذرعاً بما يواجهانه من عتوٍ وجحود، وإنما قصدا (إيمان الإكراه والاضطرار)، وهو الذي يلجأ إليه المتكبر مُرغماً صاغراً، ولكنه لا يجديه شيئاً؛ لأنه وقع بعد فوات الأوان، فترك ذلك في قلبه من الحسرة والألم ما قد يفوق ما يُعانيه من العذاب، إذ مُرِّغَ أنفُ كبريائه برغام الإقرار والرّضوخ لكن دونما جدوى، فخسر كبريائه ولم ينفعه إيمانه!

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغِيًّا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٤ / ٣٠٠).

(٢) روح المعاني للألوسي (٢٠ / ٨٤).

بَوًّا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾
 فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِّكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ
 ﴿١٢﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

ودلالة هذه الآيات من وجهين:

أ- أن ادّعاءه الإيمان قوبل بالاستفهام الإنكاريّ، ومن المعلوم أن هذا الاستفهام يحمل في تضاعيفه معنى الذّم، ولو كان إيمانه مقبولاً وتوبته صادقة لما قيل له ذلك وهو في ما هو فيه من الكرب العظيم^(١).

ب- أن الحكمة من إنجائه ببذنه - كما أخبر الله تعالى - هي أن يصبح "عبرةً وعلامةً لمن يكون بعده من الأمم لينظروا عاقبة من كفر بالله تعالى، ولهذا ذكر الله تعالى الاعتبار بقصة فرعون وقومه في غير موضع"^(٢)، كما قال: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦]، "ولو كان إنما مات مؤمناً لم يكن المؤمن مما يُعتَبَرُ بإهلاكه وإغراقه"^(٣).

قال العلامة الآلوسي: "ولهذه الآية وأشباهاها وقع الإجماع على كفر المخذول وعدم قبول إيمانه"^(٤).

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/١٩٠)، جامع الرسائل لابن تيمية

(٢٠٧)، روح المعاني للآلوسي (١١/١٨٢).

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية (٢٠٨).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٨٤).

(٤) روح المعاني للآلوسي (١١/١٨٤).

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

والآية صريحة أيضًا في إثبات كفره وعدم نجاته في الآخرة، إذ إن الله تعالى هو الحكم العدل، فإن عاقب فعقوبته على قدر الجرم وشناعته، فلمَّا أخبر بأنه قد أعدَّ لفرعون ومن معه أشدَّ أنواع العذاب علمنا أن كفرهم هو أشدَّ أنواع الكفر.

قال العلامة ابن القيم: "وهذا تنبيهٌ على أن فرعون نفسه في الأشدَّ من ذلك؛ لأنهم إنما دخلوا أشدَّ العذاب تبعًا له، فإنه هو الذي استخفهم فأطاعوه، وغرهم فاتبعوه، ولهذا يكون يوم القيامة أمامهم وفرطهم في هذا الورد قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]^(١)، ومن المعلوم أنه "ليس عذاب الرؤساء في النار كعذاب أتباعهم"^(٢).

فأين ما تدلُّ عليه هذه الآية الكريمة من القول بنجاته وأنه لقي الله ظاهرًا مطهرًا من الذنوب؟!!

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٣﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ١٢ - ١٤]، وقوله: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيسِ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

ووجه الدلالة من هذه الآيات أن الله تعالى ذكر فرعون في جملة المكذبين

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (٦٠٥).

(٢) المصدر السابق (٦٠٥).

بالرّسل، ومن المعلوم أنّ تكذيب الرّسل كفر بالاتّفاق، ولو كان إيمانه مقبولاً لما حُسر اسمه بين هؤلاء المستحقّين للعذاب.

الدّليل السّابع: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَاهُمْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

والآية تدلّ على كفر فرعون ومن معه؛ لأنّ الله تعالى وصفهم بـ(المُفْسِدِينَ)، وقد وجدنا بالتّبع أنّ هذا التّعبير القرآني لا يُستعمل إلّا في حق الكافرين، ومن ذلك قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله في أهل مدين: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُتِرْكُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقوله في قارون: ﴿ وَأَبْغَيْمَا عَاتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

الدّليل الثامن: قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

ووجه الدّلالة من الآيتين الكريمتين أنّ الله تعالى حذّر فيهما كفّار قريش من ردّ الرّسالة السّماويّة التي بعث بها محمّداً ﷺ، مذكراً إيّاهم بمصير فرعون حين جحد الحقّ واستكبر عن قبول ما جاء به موسى من الحقّ ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٥]، وهذه سنّته التي لا تتبدّل في الظّالمين المكذّبين جميعاً.

وهذا هو ما يقتضيه النظر الصحيح في مقصود الآيتين؛ ذلك أنه إذا كان من المسلم أن المقصود هو إنذار القوم وتحذيرهم من الاستمرار في الصدود عن قبول دعوة النبي ﷺ مع ظهور البيّنات، لئلا يصيبهم من أصاب من قبلهم ممن سلك هذا الطريق المشؤوم = فمنطق الأشياء يقضي بأن يذكّرهم بمصير من كابر في قبول الحق حتى نزل به العذاب الوبيل، لا بمصير من ختم له بالإيمان وبالنجاة من النيران، بحسب ادعاء ابن عربي.

الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنثِقُ حَدِيثَ الْجُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [البروج: ١٧ - ١٩].

ووجه الدلالة أن الله تعالى يسأل نبيه الكريم بتذكيره بما جرى للمكذّبين من البطش والنكال، وقرنه (فرعون) ب(ثمود) التي هي أمة مخذولة كافرة، دليل واضح على اشتراكهما في الكفر والتكذيب.

الدليل العاشر: عن عبد الله بن عمرو عن النبيّ صلي الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةً، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»^(١).

ووجه الدلالة من الحديث أن النبيّ ﷺ قرن فرعون بقارون وهامان وأبي

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٦٥٧٦)، وعبد بن حميد في مسنده برقم (٣٥٣)، والدارمي في سننه برقم (٢٧٢١)، وابن حبان في صحيحه برقم (١٤٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٨٢٣) وغيرهم.

والحديث قال فيه ابن عبد الهادي في تنقيح تحقيق أحاديث التعليق (١١٧/٢): "إسناده هذا الحديث جيد"، وصححه الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح برقم (٥٧٨).

بن خلف، وهؤلاء هم رؤوس الضلال الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه، فدلّ على أنه مثلهم، ولو كان مؤمناً ناجياً لم يكن لذكره ضمن هؤلاء معنى، بل هو مناقض لما سيق الحديث من أجله.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ): "انتفاء النور والبرهان والنّجاة والكيونة مع فرعونَ وهامانَ وقارونَ وأبيّ بنِ خلف يوم القيامة أوضح دليل على الكفر كما ترى" (١).

الدليل الحادي عشر: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله يحيى بن زكريّا في بطن أمّه مؤمناً، وخلق فرعونَ في بطن أمّه كافراً» (٢).

الدليل الثاني عشر: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدّسه في فرعون مخافة أن تُدرّكه الرّحمة» (٣).

ووجه الدلالة من الحديث أنّ جبريل حين أخبر النبي ﷺ بما فعل أفصح عن علة قيامه بذلك، ولم يستدرك بعدها ليقول: غير أنّ الرّحمة أدركته، أو غير أنّ

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤٤٩/٣).

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير برقم (١٠٥٤٣)، وجوّد إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٣/٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٨٣١) بمجموع طرقه.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٢٦١٨)، وعبد بن حميد في مسنده برقم (٦٦٤)، والإمام أحمد في مسنده برقم (٢٢٠٣) دون قوله: "مخافة أن تُدرّكه الرّحمة"، والترمذي في سننه - بلفظ مقارب - برقم (٣١٠٨) وغيرهم.

والحديث قال عنه الترمذي -: "حديث حسنٌ صحيح"، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠١٥).

الله قَبِلَ مِنْهُ إِيمَانَهُ؛ مما يدلُّ على حصول مراده بموت فرعون على ما عاش عليه من الكفر.

الدليل الثالث عشر: عن عبد الواحد بن سليم قال: قدمت مكة فلقيتُ عطاء بن رباح فقلتُ له: يا أبا محمد، إن أهل البصرة يقولون في القدر.

قال: يا بُنَيَّ، أتقرأ القرآن؟

قلتُ نعم.

قال: فاقرأ الزُخْرَفَ.

قال: فقرأتُ: ﴿حَمِّ ۝١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَكْتَابِ لَذِينَ الْعَلِيِّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ١ - ٤].

فقال: أتدري ما أمُّ الكتاب؟

قلتُ: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنه كتابٌ كتبه الله قبل أن يخلق السموات وقبل أن يخلق الأرض، وفيه: إن فرعونَ من أهل النار، وفيه تبتُّ يدا أبي لهب وتبَّ" (١).

❖ القسم الثاني: شُبُهَاتُ الْقَائِلِينَ بِإِيمَانِ فِرْعَوْنَ.

لم يجد القائلون بإيمان فرعون ونجاته بدءاً من التعسّف في الاستدلال بما هو أوهى من بيت العنكبوت، فركبوا مطية التأويل في صرف النصوص عن

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢١٥٥)، والبيهقي في القضاء والقدر برقم (٥٢٤)، والحديث صحّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

وجوهها وإخراجها من سياقاتها والتلاعب بمدلولاتها، وبطريقة عبثية باطنية لو قُبلت لجاز إبطال الشريعة وهدم ما جاءت به النبوة، وهو بالفعل ما انتهى إليه ابن عربي على حدّ قوله:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ فمرعى لغزلانٍ وديرٍ لرهبانٍ
وبيتٍ لأوثانٍ وكعبةٍ طائفٍ وألواحٍ توراةٍ ومصحفٍ قرآنٍ^(١)

وقوله:

عقدَ الخلائقُ في الإله عقائدًا وأنا اعتقدتُ جميعَ ما عقدوه^(٢)
وعلى كلِّ فقد تمسك هؤلاء بما يلي:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَبْغَهُمُ فرعونُ
وَجُنُودَهُ بَعْيًا وَعَدَوْا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو
إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠﴾ ءَأَلْكَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾ فَأَلْيَوْمَ
نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكْ ءَايَةً وَإِن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنَّا ءَائِنِنَا لَعَنِفُلُونَ ﴿١٢﴾﴾
[يونس: ٩٠ - ٩٢].

وقد أطال ابنُ عربي في الاستدلال بهذه الآيات، فقال: "إن الله صدّقه في إيمانه بقوله: ﴿ءَأَلْكَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]، فدلّ على إخلاصه في إيمانه، ولو لم يكن مخلصًا لقال فيه تعالى كما قال في الأعراب الذين قالوا:

(١) ديوان ابن عربي (١٢٥٩).

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي (٣/١٣٢)، الصّفيّة لابن تيميّة (١/٩٩)، تاريخ الإسلام للذهبي (٤٦/٣٧٧).

تنبه: الذي في الفتوحات: وأنا شهدتُ جميعَ ما اعتقدوه.

﴿ءَامَنَّا﴾: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، فقد شهد الله لفرعون بالإيمان، وما كان الله ليشهد لأحد بالصدق في توحيده إلا ويجازيه به...

وما أشبهَ إيمانه إيمانَ مَنْ غرغِر؛ فإنَّ المغرغِر موقنٌ بأنه مفارقٌ قاطعٌ بذلك، وهذا الغرغِرُ هنا لم يكن كذلك؛ لأنه رأى البحرَ يَبَسًا في حقِّ المؤمنين فعَلِمَ أنَّ ذلك لهم بإيمانهم، فما أيقنَ بالموت بل غلب على ظنِّه الحياة، فليس منزلته منزلة مَنْ حضره الموت فقال: ﴿إِنِّي تَبْتُ أَلْكَنَ﴾ [النساء: ١٨]، ولا هو من ﴿الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨] - وأمرُهُ إلى الله تعالى -، ولَمَّا قال الله له ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢] كما كان قوم يونس^(١).

وحاصل استدلاله من وجوه:

أ- أنه ادَّعى أنَّ في قوله تعالى: ﴿ءَأَلْكَنَ وَقَدِّ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١] تصديقًا لفرعون في إيمانه؛ بدليل أنَّ الله لم يتعقبه كما فعل مع الأعراب الذي ادَّعوا الإيمان!

وما ادَّعاه باطل؛ إذ الاستفهام هنا استفهام إنكار بلا شك، ومثل هذا الاستفهام متضمَّن لمعنى الذمِّ والتَّقرُّيع، فهو كافٍ بنفسه في بيان ردِّ توبة فرعون؛ لكونها "ليست هي التَّوبة المقبولة المأمور بها"^(٢).

(١) الفُتُوْحَاتُ المَكِّيَّةُ لابن عربي (٢/٤١٠) ببعض الحذف. وانظر كذلك: فصوص الحِجَمِ له أيضًا (٢١٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/١٩٠).

وهذه الآيات تُشبه إلى حدّ كبير قول الحقّ سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ٥٠﴾ أُنْزِلَ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُكُمْ بِهِ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ٥٢﴾ [يونس: ٥٠ - ٥٢]، التي تدلّ دلالة قاطعة على عدم انتفاعهم بالإيمان المتأخّر الذي أُلْحِثُوا إِلَيْهِ، وبموجب ذلك استحقّوا العذاب الأبديّ، كما تدلّ على أن الاستفهام المذكور فيها استفهام إنكاريّ توبيخيّ لا غير.

ثمّ إنّ هذه الآيات كافية في إبطال قوله "فقد شهد الله لفرعون بالإيمان، وما كان الله ليشهد لأحدٍ بالصدّق في توحيده إلّا ويجازيه به"؛ ذلك أنّ الله شهد لهؤلاء بالإيمان ولم يقبله منهم.

وإمعاناً في التلبّيس والتضليل زاد ابن عربيّ من كيسه أنّ الله شهد لفرعون "بالصدّق في توحيده"، فمن أين له العلم بشيء لم يذكر الله في كتابه والله يقول ﴿قُلْ ءَأَلَّ اللَّهُ أذُنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]!

ثمّ إنه لو كان إيمان فرعون مقبولاً - كما يدّعون - لدفع عنه العذاب كما دفع عن قوم يونس، فإنهم لما قُبِلَ إيمانهم مُتَّعُوا إِلَى حِينٍ (١).

كما أنّ الله بيّن الحكمة من إنجاء بدنه وهو كونه عظةً وعبرةً لمن خلفه، ولو كان إنما مات مؤمناً لم يكن المؤمنُ مما يُعتبر بإهلاكه وإغراقه (٢).

ب - أنه ادّعى أنّ إيمان فرعون ليس إيمان يائس كالمغرغر ونحوه؛ "لأنه رأى البحر يبساً في حقّ المؤمنين فعلم أنّ ذلك لهم بإيمانهم، فما أيقن بالموت بل

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨٤) بتصرّف.

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٨٤) بتصرّف.

غلب على ظنه الحياة"، فإيمانه إيمان رجاء وطمع لا إيمان يأس وقنوط^(١).

وابن عربي بهذا الاستدلال العبثي كان يسعى إلى الالتفاف على النصوص الدالة على عدم قبول الإيمان حال اليأس بمعينة أمر الآخرة حتى لا تنزل على فرعون، متعامياً عن كون ذلك من "العلم الضروري لكل من شَمَّ رائحة العلم من المسلمين وغيرهم"^(٢)، وهذا مأزق كبير ظل يلوح أمامه أينما توجه.

ولقد ضاق ذرعاً أحمد خيري (١٣٨٧ هـ) بهذه المغالطات الفجة التي يتعلّق بها ابن عربي وأتباعه فقال: "إن لم يكن هذا شيخ اليائسين فماذا يكون؟!"^(٣).

هذا على الرغم من تصوّفه!

وعلى كلّ فالتقرير الذي ذكره ابن عربي مناقض مناقضة صريحة لما بينه القرآن من أنّ ذلك الإيمان الذي أعلنه فرعون كان صرخة يائس يحاول التشبّث - لأجل النجاة - بأوهى الأسباب، حيث قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ﴾ [يونس: ٩٠]، و"في الإدراك (معنى: اللّحوق) و(معنى: بلوغ غاية الشّيء)"^(٤)، وعلى كلا المعنيين كان فرعون موقناً بالهلاك لا بالنجاة.

وإذا تقرّر كون إيمانه إيمانَ يأس عند نزول البأس فنقول: إنّ النصوص تدلّ بجلاء على عدم قبوله كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ

(١) انظر: لمعان الأنوار للنّابلسي (٣٩).

(٢) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي (١٢٨).

(٣) لمعان الأنوار للنّابلسي (٤٠) حاشية (١).

(٤) تفسير المنار لرشيد رضا (٥٤٣/٧). وانظر للاستزادة: جامع البيان للطبري (١١/١٦٢).

كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء: ١٨]، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَادَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥١﴾ أَتُرِيدُونَ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ بِهِ
 ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ
 إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ [يونس: ٥٠ - ٥٢]، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمْنَا
 بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا
 بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ [غافر: ٨٤ -
 ٨٥]، وقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ بِمَنَاصِبِ ﴿٣﴾﴾ [ص: ٣]،
 وقال النبي ﷺ: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" (١).

ولم يستثن الله تعالى من هذا السنن الإلهي العام الذي لا يتبدل ولا يتحوّل إلّا
 قوم يونس، كما قال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَأَمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا
 ءَأَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

وإذا كانت هذه الآية التي تشبث بها ابن عربي وغيره في الاستدلال على نجاة
 فرعون هي في الحقيقة "نصّ في ردّ توبة المُعاعين" (٢)؛ عَلِمَ مدى تلاعب هؤلاء
 بنصوص الوحي وتنكيسهم دلالاتها رأساً على عقب، وما دامت هذه طريقة
 استدلالهم فليس غريباً ادّعاؤهم "أنه ليس في القرآن آيةٌ تدلّ على عذابه!" (٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٥٣٧)، وأحمد في مسنده برقم (٦١٦٠)، وأبو يعلى في مسنده برقم
 (٥٧١٧)، وابن جبان في صحيحه برقم (٦٢٨) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 والحديث قال فيه الترمذي: "حسنٌ غريب"، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي،
 وشعيب الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند.

وانظر للاستزادة: شرح الصّدر بشرح حال الموتى والقبور للشّيوطي (٩٥).

(٢) المحرّر الوجيز لابن عطية (٣/١٤١).

(٣) جامع الرّسائل لابن تيمية (٢١٣).

الدليل الثاني: قوله تعالى ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [٤٦: غافر].

ووجه الدلالة في الآية الأولى أن الله ذكر أن فرعون يُورد قومه ولم يذكر أنه يردّها معهم، وفي الآية الثانية لم يُنصَّ على أنه يدخلها معهم فدلّ على صحّة إيمانه ونجاته في الآخرة^(١).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن "هذا تحريفٌ للكلم عن مواضعه، بل فرعون داخل في (آل فرعون) بلا نزاعٍ بين أهل العلم والقرآن واللغة"^(٢).

ثم استطرد فأتى -كعاداته- بما لا مزيد عليه حيث قال: "هذا من أعظم جهلهم وضلالهم، فإنه حيث ذُكر في الكتاب والسنة (آل فلان) كان فلانٌ داخلًا فيهم، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسِحْرِ﴾ [القمر: ٣٤]، وقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]، وقول النبي ﷺ: "اللهم صلّ على آل أبي أوفى"^(٣)، وقوله: "لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود"^(٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿كَذَٰبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: ١١]، ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾

(١) انظر: الفتوحات المكيّة لابن عربي (٢/٢٧٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٤٢٦)، ومسلم في صحيحه برقم (١٠٧٨)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٧٦١)، ومسلم في صحيحه برقم (٧٩٣)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿٤٢﴾ [القمر: ٤١ - ٤٢].

وقوله ﴿أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] متناولٌ له ولهم باتّفاق المسلمين، وبالعلم الضّروريّ من دين المسلمين.

وهذا بعد قوله تعالى حكايةً عن مؤمن من آل فرعون كان يكتُم إيمانه: ﴿أَنْقَلْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، والذي طلب قتله هو فرعون، فقال المؤمن بعد ذلك: ﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ﴾ [غافر: ٤١ - ٤٢]، والدّاعي إلى الكفر هو كافر كافرًا مغلظًا، فهذا فيه.

ووصفهم أيضًا بالكفر إلى قوله: ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٦﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦]، فأخبر أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب.

ثم قال: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ ﴿٤٨﴾ [غافر: ٤٧ - ٤٨] ومعلومٌ أنّ فرعون هو أعظم الذين استكبروا ثمّ هامان وقارون، وأنّ قومهم كانوا لهم تبعًا، وفرعون هو متبوعهم الأعظم الذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [الفصص: ٣٨]، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾ [النازعات: ٢٤]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَهُ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ

﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ [القصص: ٣٩ - ٤٢].

وهذا تصريح بأنه نبذه وقومه في اليمِّ عقوبةً الذي هو كفر، وأنه أتبعه وقومه في الدنيا لعنةً، ويوم القيامة هم من المقبوحين هو وقومه جميعاً.

وهذا موافق لقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاتَّبَعُوْهُ أَمْرٌ فِرْعَوْنٌ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسَّسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ [هود: ٩٦ - ٩٩]، فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا أمره، وأنه يقدّمهم؛ أي: يتقدّمهم إلى النار؛ لأنه إمامهم، لا مجرد سائق لهم، وأنه يوردهم النار، فإذا كان التابع قد ورد النار فإن من كان في مقدّمته - وهو متبوعه - يكون قد ورد قبله، ولهذا قال بعد ذلك ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤٢]، والتابع والمتبوع كما قال الله تعالى في تلك السورة عن فرعون وقومه: ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسَّسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١١﴾﴾ [هود: ٩٩] (١).

فاتضح من خلال ما سبق أنّ هذه "الآية التي ظنّوا أنها حجة لهم هي حجة عليهم" (٢) في الحقيقة.

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (٢١٣). وانظر للاستزادة في دخول الرجل في مفهوم آله: شرح مشكل الآثار للطحاوي (١٦/٦)، جلاء الأفهام لابن القيم (٢٠٤)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ (٣٣١)، المتواري على أبواب البخاري لابن المنير (٣٢٤)، المعتصر من المختصر للملطي (٥٥/١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨١/٢).

الدليل الثالث: أن "رحمة الله أوسع من حيث أن لا يقبل إيمان المضطرّ، وأي اضطرابٍ أعظم من اضطراب فرعون في حال الغرق، والله يقول: ﴿أَمَّنْ يُحِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]؟! (١).

والجواب عن هذا من وجهين:

أ- أن هذا القول من ابن عربي من القول على الله بلا علم، بل هو من الافتيات عليه، فالرحمة لله تعالى لا إليه، والله يقول: ﴿أَهْرَيْقِسُمُونَ رَحِمَتِ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ثم إن الذي أخبرنا في كتابه الكريم بأن رحمته وسعت كل شيء هو من أخبرنا فيه أيضًا - وفي مواضع متعدّدة - أنه لا يقبل الإيمان عند نزول البأس والمعاناة، فهل ابن عربي أعلم بالله من الله؟! ﴿قُلْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟

ب- أن الآية الكريمة لا علاقة لها بموضع البحث؛ إذ هي تتحدث عن الدعاء لا عن الإيمان، وقد بيّنت النصوص أن الأوّل مقبولٌ مستجاب حال الاضطراب دون الثاني، كما في قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَمِّ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢]، فعلم بذلك أن الاستدلال على الثاني بما ورد في الأوّل خلطٌ وتلبيسٌ.

ج - أن في الآية نفسها ما يشهد ببطلان استدلال ابن عربي، ذلك أنها نصّت

(١) انظر: الفتوحات المكيّة لابن عربي (٢/ ٢٧٧) باختصار.

على أن الله يجازي المضطرّ بـ(إجابة دعائه) و(كشفِ السوء عنه)، غير أننا إذا عدنا إلى ما جرى لفرعون وجدنا أن الله تعالى لم يكشف عنه السوء بل أماته غرقاً، فكيف يصحّ الاستدلال بأحد شقّي الآية دون الآخر.

وقد تنبّه ابنُ عربيّ إلى هذه الإشكاليّة العميقة التي تنسف استدلاله بالآية فلم يجد مناصباً من اللجوء إلى خيالات وأوهام لا وجود لها إلّا في عقله، فقال: "قَرَنَ للمضطرّ إذا دعاه (الإجابة) و(كشفَ السوء عنه)، وهذا آمنَ الله خالصاً، وما دعاه في البقاء في الحياة الدنّيا خوفاً من العوارض أو يحال بينه وبين هذا الإخلاص الذي جاءه في هذه الحال، فرجّح جانبَ لقاء الله على البقاء!"^(١).

الدليل الرابع: أن كلّ ما ورد فيه لفظ (فرعون) من الأحاديث والآثار الدالّة على كفره فالمقصود به أبو جهل، ومن ذلك حديث: «خَلَقَ اللهُ يحيى بنَ زكريّا في بطنِ أمّه مؤمناً، وخالقَ فرعونَ في بطنِ أمّه كافراً»، وقول عطاء عن أمّ الكتاب: «إنه كتابٌ كتبه اللهُ قبل أن يخلق السّموات وقبل أن يخلق الأرض، وفيه: إن فرعونَ من أهل النّار، وفيه تبتّ يدا أبي لهب وتبّ»^(٢).

والجواب عن هذا من وجوه:

أ- أن الأظهر أنه لا يصحّ شيء من الأحاديث التي ورد فيها تسمية أبي جهل (بفرعون)، بل كلّها معلولة، وعليه فإنّ حمل لفظ (فرعون) على أبي جهل ليس له ما يعضده أساساً.

ب- أنه لو سلّم بصحّة بعض ما روي في هذا الباب فإنّ حمل لفظ (فرعون)

(١) الفتوحات المكيّة لابن عربي (٢/٢٧٧).

(٢) لمعان الأنوار للنابلسي (٣٩)، وقد سبق تخريج الحديث والأثر.

على غير صاحبه خلاف الأصل، ومن المعلوم أنه لا يجوز الخروج عن الأصل إلا مع قرينة دالة على أن المقصود سواه، كحديث «هذا فرعونُ هذه الأمة»^(١) فقد حملناه على أبي جهل لوجود عدّة قرائن، منها تقييده بهذه الأمة.

جاء أن النبي ﷺ وإن شبهه أبا جهل الذي هو "رأس الكفار المكذبين له برأس الكفار المكذبين لموسى"^(٢) إلا أن من المقطوع به أنه كان أخفّ كفراً منه وأقلّ طغياناً، فكيف تصرف الإطلاقات عن المشبه به إلى المشبه دون قرينة؟!

المبحث الثالث

حكم القول بإيمان فرعون

لا ريب في أن هذا القول في ذاته قولٌ كفريٌّ؛ لتكذيبه صريح الكتاب والسنة، وفي القرآن وحده ما يدلّ على موت فرعون على الكفر في اثنتين وعشرين سورة^(٣)، كما أنه معارض للإجماع الثابت الذي حكاه غير واحد، وإن حاول بعضهم التشكيك فيه^(٤)، ثم هو مناقض لما علّم من الدين بالضرورة^(٥).

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى برقم (٦٠٠٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٦٦٩٧)، وأحمد في مسنده برقم (٣٨٢٤)، وأبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٣٢٨)، والبرّار في مسنده برقم (١٨٦١) وغيرهم من حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. والحديث قال فيه ابن حزم في المحلّي (٣٨٩/٩): "إسناده متكلم فيه".

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٨٤).

(٣) انظر: فاضحة الملحدين وناصحة الموحّدين للعلاء البخاري (١٦٨).

(٤) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٢٠٣)، الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/٥٦-٥٨)، روح المعاني للآلوسي (١١/١٨٧)، ردّ المحتار على الدرّ المختار لابن عابدين (٤/٢٣١)،

حاشية إعانة الطالبين على حلّ ألفاظ فتح المعين للبكري الدميّاطي (٤/١٣٥) وغيرها.

(٥) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٢٠٣).

ولمّا كان أهل السُّنة والجماعة يَجُوزون الانفكاك بين جهتي (العمل) و(العامل)، ويرون أنّ "التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق، لا يستلزم تكفير الشَّخص المعين حتى تقوم عليه الحُجَّة التي تُكفِّر تاركها"^(١)؛ كان تنزيلُ الحكم على صاحبه مشروطاً عندهم بثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه.

ولعلَّ التَّأويل -باعتباره مانعاً- هو أهمُّ ما ينبغي تحقيقُ القول فيه في هذا المقام؛ لأنه من المعلوم أنّ القائلين بـ(إيمان فرعون) ممَّن ذكرناهم لم يكونوا مكرهين على القول به ولا جهلاء بأدلة المسألة ونحو ذلك، وإنما اعتقدوا شيئاً ثمَّ ركبوا ظهر التَّأويل في تدعيم اعتقادهم.

وأهل السُّنة وإنَّ اتَّفَقوا على أنّ المتأوِّل معذورٌ بتأويله^(٢)، فليس مرادهم (كُلُّ تأويل)؛ لعلمهم أنّ ذلك سيكون معولاً لهدم الشرائع ومفتاحاً لاستحلال المحرّمات وباباً لتبديل الحقائق، وإنما أرادوا (التَّأويل السَّائغ) الذي يحتمله لسانُ العرب وله وجهٌ في العلم^(٣).

وعليه فالسُّؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يُعدُّ القول بـ(إيمان فرعون) ونجاته في الآخرة) من التَّأويل السَّائغ الذي يمنع من تكفير القائل به أم لا؟

والجواب عن ذلك أن يقال:

اختلف العلماء عموماً في هذه الجزئية على قولين:

القول الأوَّل: أنه لا يكفر؛ لأنَّ تأويله -وإن كان فاسداً- إلّا أنه غير قطعيّ

(١) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١/١٦٤).

(٢) انظر: الإيمان، حقيقته، خوارمه، ونواقضه لعبد الله الأثري (٢٧٠).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٠٤).

البطلان لتمسّكه بظاهر قوله تعالى ﴿ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] (١)، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك مهوّنًا من شأن المخالف في هذه المسألة فقال: "غايته أنه خطأ في الاجتهاد، وهو غير قادح في صاحبه!" (٢).

القول الثاني: أنه يكفر؛ لمناقضته النصّ والإجماع والمعلوم من الدين بالضرورة، ومن استعرض التأويلات التي اتّكأ عليه القائلون بـ(إيمان فرعون) في التعامل مع النصوص المحكمة الجليّة وجدها في غاية التّمحّل والتّحريف، بل قطع بأنها من جنس تأويلات الباطنيّة التي تُفَرِّغُهَا النّصوص من دلالاتها بصورة كليّة بحيث يصبح الظاهر لا قيمة له.

وهذا هو الأقوى.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: "كفر فرعون وموته كفرًا وكونه من أهل النار هو ممّا عُلِمَ بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى، فإنّ أهل الملل الثلاثة متّفقون على أنه من أعظم الخلق كفرًا، ولهذا لم يذكُر الله تعالى في القرآن قصّة كافر كما ذكر قصّته في بسطها وتثنيّتها، ولا ذكّر عن كافر من الكفر أعظم ممّا ذكر من كفره واجترائه وكونه أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة.

ولهذا كان المسلمون متّفقين على أنّ من توقّف في كفره وكونه من أهل النار فإنه يجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتِلَ كفرًا مرتدًا، فضلًا عمّن يقول إنه

(١) انظر: إغاثة الطالّبين للبكري الدّمياطي (٤/ ١٣٥)، بريقة محمودية في شرح طريقة محمّدية للخادمي (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر: الفتاوى الحديثيّة للهيتمي (٢٤١).

مات مؤمناً.

والشكُّ في كفره أو نفيه أعظمُ منه في كفر أبي لهب ونحوه، وأعظمُ من ذلك في أبي جهل وعقبة بن أبي معيط والنَّضْر بن الحارث ونحوهم ممن تواتر كفرهم ولم يُذكر باسمه في القرآن، وإنما ذُكر ما ذُكر من أعمالهم، ولهذا لم يظهر عن أحد بالتصريح بأنه مات مؤمناً إلا عمَّن فيه من النِّفاق والزُّنْدَقة أو التَّقْلِيد للزُّنَادِقة والمنافقين ما هو أعظم من ذلك كالاتِّحادية^(١).



(١) جامع الرسائل لابن تيمية (٢٠٣).

الخاتمة

وتتضمّن أهمّ النتائج

- وبعد أنّ منّ الله تعالى بالانتهاء من هذه الدّراسة فهذا عرض لأبرز النّتائج:
- ١- أنّ القول بـ(بصحّة إيمان فرعون ونجاته في الآخرة) قول باطل بصريح الكتاب والسّنة، وبالإجماع، وبالمعلوم من الدّين بالضرّورة.
 - ٢- أنّ أقدم من أشار إلى وجود هذا القول -فيما تمكّننا من الوقوف عليه- هو الحارث المحاسبي، وهو من أهل القرن الثّالث، ولم يعيّن القائلين به.
 - ٣- أنّ هذا القول -بالنّظر إلى شدّة وهن دليله- ظلّ محشورًا في زوايا الإهمال عدّة قرون حتى جاء ابن عربي فتبناه وانتصر له.
 - ٤- أنّ العامل الأساس في قبوله بعد خموله وحياته بعد موته لم ينشأ عن قوّة أدلّته وصحّة براهينه، وإنما وجود الأرضيّة الخصبة لتقبّله بانتشار التّصوّف ثمّ تلك الطّبيعة الآسرة لشخصيّة ابن عربي وكتابه.
 - ٥- أنّ الصّحيح هو ثبوت القول بـ(إيمان فرعون) عن ابن عربي.
 - ٦- أنّ هذا القول فرعٌ عن نظريّة وحدة الوجود التي آمن بها ابن عربي ونذر حياته لتوطيد أركانها.
 - ٧- أنّه على الرّغم من الجهود المبذولة على أيدي العلماء في إبطال هذا القول، إلّا أنّه ما زال يتنقّس في صدور بعض المعاصرين من المتصوّفة، وقد مرّ ذكر بعضٍ منهم في أثناء هذا البحث.
 - ٨- أنّ القائلين بـ(إيمان فرعون) لم يجدوا بُدًّا في سبيل الانتصار لقولهم

من ركوب متن التّأويلات الباطنيّة.

- ٩- أنّ الادّعاء بكون أبي بكر الباقلاني من القائلين ب(إيمان فرعون) مما لا يثبت، والمتهّم بنسبة ذلك إليه -والعلم عند الله- هو عبد الوهّاب الشّعراني.
- ١٠- أنه ليس كلّ الصوفيّة قائلين بهذا القول ومتبنّين له.
- ١١- أنّ هذا القول قول كفريّ بذاته؛ لتكذيبه صريح الكتاب والسّنة، ومعارضته للإجماع، ومناقضته للمعلوم من الدّين بالضرورة.
- ١٢- أنّ الرّاجح أنّ التّأويل في هذه المسألة هو تأويل غير سائغ لا يُعذر به صاحبه.



المصادر والمراجع

- ١- إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين، الزّبيدي، محمد بن محمد بن محمد، د.ط، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، اللكنوي، محمد عبد الحي بن عبد الحليم بن أمين الله. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، د.ط، بغداد، مكتبة الشرق الجديد، ١٩٨٩م.
- ٣- الاستقامة، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣هـ.
- ٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٥- إغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٦- الأمالي في لغة العرب، القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيدون. د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٧- الانتصار للقرآن، البلاقلاني، محمد بن الطيب بن محمد. تحقيق: د. محمد عصام القضاة، ط١، عمّان - بيروت، دار الفتح - دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٨- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، البلاقلاني، محمد بن الطيب بن محمد. تحقيق وتعليق: محمد زاهد الكوثري، ط٢، القاهرة، المكتبة

الأزهرية للتراث، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩- إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، النَّابلسي، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني. د.ط، دمشق، مطبعة العلم، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٠- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير. عناية وتصحيح: محمد شرف الدين ورفعت بيلكه الكليسي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١١- الإيمان: حقيقته، خوارمه، نواقضه، الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. ط١، الرياض، مدار الوطن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٢- البحر الزخار، البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، بيروت - المدينة، مؤسسة علوم القرآن - مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ.

١٣- البحر العميق في مرويات ابن الصديق، الغماري، أحمد بن محمد بن الصديق. د.ط، القاهرة، دار الكتبي، د.ت.

١٤- بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى. د.ط، مصر، مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ.

١٥- التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، القنوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي. ط١، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٦- تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٨- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، د. ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.

١٩- التّحبير في علم التّفسير، الشّيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. تحقيق: د. فتحي عبد القادر فريد، ط ١، د. م، دار العلوم، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٠- تحفة المحتاج في شرح المنهاج [وبهامشه حواشي الشرواني والعبادي]، الهيثمي، أحمد بن محمد بن بن حجر. د. ط، مصر، المكتبة التجاريّة الكبرى، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م.

٢١- تراثنا الفكري في ميزان الشّرع والعقل، السّقا، محمد الغزالي بن أحمد. ط ٥، مصر، دار الشّروق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢- تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى بن محمد. ط ١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٢٣- تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ(تفسير المنار)، الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد. د. ط، مصر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٤- مصرع التّصوّف (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، د. ط، مكة المكرمة، عباس أحمد

الباز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٥- تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، المقدسي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي. تحقيق: أيمن صالح شعبان، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٢٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلاً اللويحق، د. ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. د. ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.

٢٨- جامع الرسائل، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، الرياض، دار العطاء، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٩- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط ٢، الكويت، دار العروبة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٠- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، الألوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله. تقديم: علي السيد صبح المدني، د. ط، مصر، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣١- جمهرة الأمثال، العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل. د. ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢- الجواب المفيد للسائل المستفيد، الغماري، أحمد بن محمد بن الصديق. جمع وتخريج وتحقيق: بدر العمراني، ط ١، بيروت، دار الكتب

العلمية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٣- جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص، الجامي، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد. ط ١، مصر، المطبعة العامرية الشرعية، ١٣٢٣هـ.

٣٤- حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرّة العين بمهمات الدين، الدميّاطي، أبو بكر بن محمد شطا. د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.

٣٥- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر. د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت.

١. حاشية ردّ المختار على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار المعروفة بـ(حاشية ابن عابدين)، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز. د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٦- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٧- ديوان محيي الدين ابن عربي، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. د.ط، د.م، دن، د.ت.

٣٨- الرد على القائلين بوحدة الوجود، القاري، علي بن سلطان محمد. تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، ط ١، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٩- الرّد على المنطقيين، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام.

د. ط، بيروت، دار المعرفة، د. ت.

٤٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود بن عبد الله بن محمود. د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٤١ - الزّواجر عن اقتراف الكبائر، الهيثمي، أحمد بن محمد بن حجر. ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٢ - سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد بن نوح بن نجاتي. ط ١، الرياض، مكتبة المعارف، د. ت.

٤٣ - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المرادي، محمد خليل بن علي بن محمد، ط ٣، بيروت، دار البشائر الإسلامية - دار ابن حزم، ٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٤ - الجامع الصّحيح المعروف بـ(سنن الترمذي)، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٤٥ - سنن الدارمي، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل. تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السّبع العلمي، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

٤٦ - السنن الكبرى، النسائي، أحمد بن شعيب بن علي. تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٤٧ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: شعيب

- الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.
- ٤٨- السّيل الجرار المتدفّق على حدائق الأزهار، الشّوكاني، محمد بن علي بن محمد. تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٥هـ.
- ٤٩- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، الشّيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. تحقيق: عبد المجيد طعمة حليبي، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٥٠- شرح العقيدة الطّحاويّة، ابن أبي العزّ، علي بن علاء الدّين الصّالحي، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ.
- ٥١- شرح العقيدة الطّحاويّة، آل الشّيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد. تخريج: سليمان القاطوني، ط١، المنصورة، دار المودّة، ١٤٣١هـ-٢٠١١م.
- ٥٢- شرح فصوص الحِكم، الغراب، محمود محمد. د.ط، المؤلف، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٥٣- شرح مشكل الآثار، الطّحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- ٥٤- شُعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ.
- ٥٥- صحيح ابن حَبّان بترتيب ابن بلبان، البستي، محمد بن حبان بن أحمد. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

- ٥٦- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بـ(صحيح مسلم)، القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ٥٧- كتاب الفناء في المشاهدة [مطبوع ضمن رسائل ابن عربي]، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. وضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري، ط ١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٥٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد. د.ط، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.
- ٥٩- طريق الهجرتين وباب السّعادتين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: عمر بن محمود، ط ٢، الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٦٠- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الفاسي المكي، محمد بن أحمد بن علي. تحقيق: محمد حامد الفقي وفؤاد سيد ومحمود الطناحي، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٦١- عقيدة الصّوفيّة وحدة الوجود الخفيّة، تأليف: أحمد بن عبد العزيز القصير. ط ١، الرياض، مكتبة الرّشد، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٦٢- فاضحة الملحدين وناصحة الموحّدين، البخاري، محمد بن محمد بن محمد. تحقيق: محمد بن إبراهيم العوضي، ماجستير، السعوديّة: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أمّ القرى، ١٤١٤هـ.
- ٦٣- الفتاوى الحديثيّة، الهيثمي، أحمد بن محمد بن حجر. د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.

- ٦٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. تحقيق: محب الدين الخطيب، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- ٦٥- الفتوحات المكيّة في معرفه أسرار المالكية والملكية، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. د.ط، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، د.ت.
- ٦٦- فصوص الحِكم، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. تعليق: أبو العلا عفيفي، د.ط، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
- ٦٧- الفكر الصّوفي في ضوء الكتاب والسّنة، اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق. ط٣، الكويت، مكتبة ابن تيمية، د.ت.
- ٦٨- فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظّاهريّة، الخيمي، صلاح محمد. د.ط، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٦٩- فهم القرآن، المحاسبي، الحارث بن أسد بن عبد الله. تحقيق: حسين القوتلي، ط٢، بيروت، دار الكندي - دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
- ٧٠- فيض الباري على صحيح البخاري، الكشميري، محمد أنور شاه بن معظم شاه. تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٧١- الفيوضات الرّبانيّة في المآثر وورد القادريّة، ؟. مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د.ت.
- ٧٢- القضاء والقدر، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- ٧٣- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر [مطبوع بأسفل كتاب: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر]، الشعراي، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي. د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي، د.ت.
- ٧٤- كتاب الصّفديّة، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السّلام. تحقيق: محمد رشاد سالم، د.ط، الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٧٥- كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، القسطنطيني، مصطفى بن عبدالله المعروف ب(حاجي خليفة). د.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٧٦- كشف الغطاء عن حقائق التّوحيد وعقائد الموحّدين وذكّر الأئمّة الأشعريّين ومن خالفهم من المبتدعين، الأهدل، الحسين بن عبد الرّحمن بن محمد. د.ط، د.م، د.ن، د.ت.
- ٧٧- لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدّث بنعمة الله على الإطلاق المعروف ب(المنن الكبرى)، الشعراي، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي، عناية: أحمد عزّو عناية، ط١، دمشق، دار التّقوى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٧٨- لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار، النّابلسي، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني. تحقيق: أحمد خير، ط١، د.م، د.ن، ١٣٧٢هـ.
- ٧٩- المتواري على تراجم أبواب البخاري، ابن المنير، أحمد بن محمد بن منصور. تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الكويت، مكتبة المعلا، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- ٨٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان. د.ط، القاهرة - بيروت، دار الريان للتراث - دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- ٨١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط ٢، د.م، مكتبة ابن تيمية، د.ت.
- ٨٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٨٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٨٤- مسند أبي داود الطيالسي، الطيالسي، سليمان بن داود، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- ٨٥- مسند أبي يعلى، الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى. تحقيق: حسين سليم أسد، ط ١، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٨٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل. د.ط، مصر، مؤسسة قرطبة، د.ت.
- ٨٧- مشكاة المصابيح، التبريزي، محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد بن ناصر الدّين الألباني، ط ٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.
- ٨٨- مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحِكم، القيصري، داود بن

محمود بن محمد. د.ط، د.م، ميرزا محمد شيرازي المشهور بملك الكتاب، د.ت.

٨٩- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، المَلَطِي، يوسف بن موسى بن محمد. د.ط، بيروت - القاهرة - دمشق، عالم الكتب - مكتبة المتنبي - مكتبة سعد الدين، د.ت.

٩٠- المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، الموصل، مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٩١- المنتخب من مسند عبد بن حميد، الكسبي، عبد بن حميد بن نصر. تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط١، القاهرة، مكتبة السُّنَّة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩٢- موسوعة أهل السُّنَّة، دمشقية، عبد الرحمن بن محمد بن سعيد. ط١، الرياض، دار المسلم، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩٣- مؤلفات ابن عربي: تاريخها وتصنيفها، يحيى، عثمان. ترجمة وتحقيق وتقديم: د. أحمد محمد الطيب، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، د.ت.

٩٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

٩٥- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الطالبي، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي. ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٩٦- نعمة الدريرة في نصرة الشريعة، الحلبي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم.

تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، ط ١، الرياض، دار المسير، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٩٧- نفخ الطيب من عُصن الأندلس الرطيب، المقرّي، أحمد بن محمد بن أحمد. تحقيق: د. إحسان عباس، د. ط، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨ هـ.

٩٨- هديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم. د. ط، استانبول، وكالة المعارف الجليّة في مطبعتها البهيّة، ١٩٥١ م.

٩٩- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، الشّعراي، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي. د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التّاريخ العربي، د. ت.



فهرس الموضوعات

٢٦١.....	ملخص البحث.....
٢٦٢.....	المقدمة.....
٢٦٩.....	المسألة.....
٢٦٩.....	أولاً: نشأة القول بإيمان فرعون والباعثُ عليه.....
٢٧٨.....	ثانياً: المصنّفات في هذه المسألة.....
٢٨١.....	المبحث الثاني: أشهر القائلين بإيمان فرعون بين الإثبات والنفي.....
٣٠١.....	المبحث الثالث: أدلة القائلين بإيمان فرعون والردّ عليهم.....
٣٠٢.....	القسم الأول: الأدلة على كفر فرعون وموته على ذلك.....
٣١١.....	القسم الثاني: شُبهات القائلين بإيمان فرعون.....
٣٢٢.....	المبحث الثالث: حكم القول بإيمان فرعون.....
٣٢٦.....	الخاتمة.....
٣٢٨.....	المصادر والمراجع.....
٣٤١.....	فهرس الموضوعات.....



الإلهام عند الرافضة الإمامية

دراسة نقدية في ضوء عقيدة
أهل السنة والجماعة

د. عبد الرحمن علي محمد ذويب

أكاديمي أردني، أستاذ مساعد، قسم العقيدة
والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

تناولت الدراسة موضوع الإلهام عند الرافضة الإمامية، من خلال مصادرهم وأقوالهم، ودرستها دراسة مقارنة نقدية.

وكذا تناولت الدراسة موضوع الإلهام من منظور أهل السنة والجماعة، من جهة: تعريف الإلهام وأدلته، وحجتيه والفروق بينه وبين غيره من المصطلحات القريبة من معناه.

ومما تناولته الدراسة الإلهام عند الإمامية، من جهة: حقيقته وحجتيه وتطبيقاته، وغلوهم ودعواهم الباطلة فيه، من جهة زعمهم أن مصدر الإلهام معلوم، وهو الملك الذي يسد الأئمة، ومن هذا الوجه يعتبر مصدرًا وحجة.

ومما بينته الدراسة الأسباب التي دعت الإمامية إلى التصورات والأقوال الباطلة في موضوع الإلهام، وبيان فسادها.

ومما تناولته الدراسة، الرد على المزاعم الباطلة، في الإلهام عند الإمامية، ومن جهة: المنقول والمعقول، وبيان تناقضهم وفساد أقولهم، وكذلك الرد على دعوى عصمة الأئمة وبيان فسادها.

وأخيرًا: توصل البحث إلى أن قول الإمامية في إلهام الأئمة فاسد، وأن دعواهم لا تستند إلى دليل، بل هي شبهات ومقدمات فاسدة بنوا عليها نتائج باطلة.

د. عبد الرحمن علي محمد ذويب

dr.abedalrhman@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد أمر نبيه ﷺ بالتمسك بكتابه، والأخذ بما فيه علماً وعملاً، والأمر له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو أمر لأمته؛ فهو القدوة والأسوة الحسنة، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَمِمْكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزُّخْرُفُ: ٤٣].

والقرآن هو الحق المبين، وهو جبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ومن اتبع القرآن هداه الله وعصمه من الشقاء والضلال، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

في صحيح مسلم من حديث جابر الطويل، قوله ﷺ: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات. الحديث^(١).

(١) صحيح مسلم برقم (١٢١٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، ص ٨٨٦، دار إحياء

التراث العربي، بيروت.

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين، اتباع سيد المرسلين ﷺ، في كل ما أمر به، فهو لا يأمر إلا بخير الدنيا والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل بمنطوقها ومفهومها على وجوب اتباع الوحيين وطرح كل قول يخالف الكتاب والسنة دون شقاق أو عناد، وذلك حقيقة التوحيد.

ويتبين من ذلك أن العصمة لا تكون إلا باتباع كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لا بالعقليات الموهومة، ولا بالخيالات المزعومة التي يدعيها أصحابها من أهل الأهواء والبدع، ويعارضون بها ما جاء في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وتأتي هذه الدراسة لبيان حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية، ومناقشتهم والرد عليهم، في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

❖ مشكلة البحث:

يمكن إجمال مشكلة البحث فيما يلي:

محاولة إزالة اللبس الحاصل في مصطلح الإلهام عمومًا، ومن جهة أخرى بيان حقيقة الإلهام وحجتيه عند الرافضة الإمامية من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما المراد بالإلهام عند أهل السنة والجماعة وما حقيقته وحكمه؟
- ما مراد الرافضة بالإلهام؟

- هل يصلح الاحتجاج بالإلهام؟
- ما أسباب لجوء الرافضة إلى الاحتجاج بالإلهام؟
- ما شبهات الرافضة في الإلهام؟

❖ أهداف الدراسة:

- أولاً: الجمع والتحليل لموضوع الإلهام وما يتصل به من مسائل.
- ثانياً: دراسة للانحراف في باب الإلهام عند الرافضة الإمامية.
- ثالثاً: النقد والرد لدعاوى الرافضة الإمامية في الإلهام.

❖ الدراسات السابقة:

يوجد دراسات في موضوع الإلهام ومواقف المخالفين في حقيقته وحكمه، وهذه بعض تلك الدراسات:

- دراسة بعنوان: "موقف أهل السنة والجماعة والمخالفين من الإلهام والفراسة"، وهي رسالة ماجستير، من إعداد: عبير بنت عبدالله القصيمي؛ جامعة الملك سعود، وتناولت هذه الدراسة موقف أهل السنة والجماعة من إلهام والفراسة، وناقش دعاوى الصوفية في الإلهام ورد عليهم في هذا الباب.

- دراسة بعنوان: "دعوى الإلهام عند أهل الكتاب وموقف الإسلام منها"، وهي رسالة ماجستير، من إعداد: ندى محمد راجح اليماني، جامعة أم القرى. وهذه الرسالة مختصة بمناقشة الإلهام عند أهل الكتاب ورد دعواهم فيه.

- كتاب بعنوان: "أصول بلا أصول" للدكتور محمد بن أحمد إسماعيل

المقدم، مطبوع في دار ابن الجوزي، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، خصص فصلاً كاملاً في الإلهام، والرد على الصوفية في دعواهم.

وهذه الدراسات لم تتناول الإلهام عند الرفضة والرد على دعواهم الباطلة فيه، بل كان موضوعها الإلهام عند أهل السنة والجماعة وعند المخالفين مثل أهل الكتاب أو عند الصوفية، ولم أجد دراسة نقدية لموضوع الإلهام عند الرفضة الإمامية، والله أعلم.

❖ منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وذلك بجمع الأقوال والمسائل المتصلة بالإلهام عند الإمامية، ودراستها وتحليلها ونقدها على ضوء أصول أهل السنة والجماعة وقواعدهم في أبواب الاعتقاد.

❖ خطة البحث:

المقدمة: وفيها أهداف الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومشكلة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه التعريف بالرفضة الإمامية.

المبحث الأول: تعريف الإلهام والفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث.

المطلب الأول: تعريف الإلهام.

المطلب الثاني: الفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث.

المبحث الثاني: حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة وحكم الاحتجاج به.

- المطلب الأول: حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة.
- المطلب الثاني: استدلال أهل السنة والجماعة على الإلهام.
- المطلب الثالث: حكم الاحتجاج بالإلهام عند أهل السنة والجماعة.
- المبحث الثالث: حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية واستدلالاتهم.
- المطلب الأول: حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية وحججه.
- المطلب الثاني: تطبيقات وأمثلة الإلهام عند الرافضة الإمامية.
- المطلب الثالث: دعوى الرافضة الإمامية سماع كل إمام من الذي سبقه.
- المطلب الرابع: استدلالات الرافضة الإمامية على إلهام الأئمة.
- المبحث الرابع: أسباب القول بالإلهام عند الرافضة الإمامية.
- المطلب الأول: الغلو في الأئمة وفي الإمامة.
- المطلب الثاني: اتباع الهوى وترك التمسك بالنصوص الشرعية.
- المطلب الثالث: تصحيح بدعهم بدعوى أنها أخذت من طريق المعصوم الملهم.
- المطلب الرابع: الاستدلال الفاسد بالنصوص التي لا تدل على قولهم ولا على مذهبهم.
- المبحث الخامس: الرد على دعوى الإلهام عند الرافضة الإمامية.
- المطلب الأول: الرد على دعوى الرافضة الإمامية في تعريف الإمام وحقيقة الإلهام.

المطلب الثاني: الرد على الاستدلال الفاسد بالقرآن على إلهام الأئمة.

المطلب الثالث: رد دليلهم العقلي على عصمة الإلهام عند الأئمة.

المطلب الرابع: الرد على الرافضة الإمامية في دعواهم حجية ووجوب التحاكم إلى المعصوم الملهم.

الخاتمة.



التمهيد

التعريف بالرافضة الإمامية

بيّن ابن فارس أصل المعنى اللغوي لكلمة (رفض)، فقال: "الراء والفاء والضاد أصل واحد، ثم يشتقّ منه، يقال: رفضت الشيء: تركته. هذا هو الأصل"^(١).

وأما في الاصطلاح: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية التي رفض أتباعها خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ، وأن خلافة غيرهم باطلة^(٢).

وزعمت الرافضة النصّ على تنصيب الأئمة، وغلت فيهم وتولتهم دون غيرهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، قال ابن أبي العز الحنفي: "والرافضة تُوالي بدل العشرة المبشرين بالجنة، الاثني عشر إمامًا، أولهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويدعون أنه وصي النبي ﷺ، دعوى مجردة عن الدليل، ثم الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج ٢، ص ٤٢٢، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.

(٢) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ٣٣، ص ٣٦، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦ م. وانظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، ج ١، ص ٣٤٤، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن، ويغالون في محبتهم، ويتجاوزون الحد" (١).

❖ سبب تسميتهم بالرافضة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "سُموا رافضةً وصاروا رافضةً لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، فرفضه قوم، فقال: رفضتموني رفضتموني! فسُموا رافضة" (٢).

"ومن جملة الروافض الإمامية، وهم القائلون بإمامة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ نصًّا ظاهرًا، وتعيينًا صادقًا، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام" (٣).

❖ أهم أصول الرافضة الإمامية:

الأصل الأول: النص على الأئمة وأنهم معصومون، "وخاصة مذهب الرافضة الإمامية من الاثني عشرية ونحوهم هو إثبات الإمام المعصوم، وادعاء

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج ٢، ص ٧٣٦، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج ٢، ص ٩٦، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، ج ١، ص ١٦٢، الناشر: مؤسسة الحلبي، وانظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ص ٢٣، الناشر: عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ثبوت إمامة علي بالنص عليه، ثم على غيره واحداً بعد واحد، وهم وإن كانوا يدعون في ذلك نقلاً متواتراً بينهم؛ فقد علموا أن جميع الأمة تنكر ذلك" (١).

الأصل الثاني: التقية عند الرافضة، فيزعمون تحقق الخوف في حق أمير المؤمنين علي، ولذلك لجأ إلى التقية في أفعاله وأقواله (٢)، وهذا الخوف لازم الأئمة من بعده جيلاً بعد جيل.

ويلزم على اعتقاد تقية الأئمة لوازم باطلة، تدل على بطلان قولهم، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم، قال أبو المعالي الألويسي مبيّناً تناقض قولهم ولوازمه الباطلة: "وأما إمامهم في كل عصر فهو رجل كثير الخوف، يخشى من صفير الصافر، وبزعمهم أن جميع الأئمة كانوا أذلاء مغلوبين، يفترقون على الله الكذب، ولا يمكنهم إظهار الحق، ويخشون من محبيهم الذين يصلّون عليهم في صلواتهم، وأن خاتمهم - كما زعموا - أشدهم جبناً وأكثرهم خوفاً، وقد اختفى لما خوفه في صباه بعض الناس، وأنه لا يظهر على أحبائه ولا على أعدائه لمزيد خوفه، وقد طالت مدة غيبته، فتعطل بسببه الجهاد الذي هو ذروة الإسلام، وكذا سائر الحدود وغالب الأحكام" (٣).

(١) أصول التشيع - عرض ودراسة - السيد هاشم معروف الحسيني، ص ١٧٦، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦م، وانظر: التسعينية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، ج ٢، ص ٦٢٥، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين الموسوي، ص ١٨٥، ص ١٩٠، ط ٢، بيروت، ١٩٨٩م.

(٣) صب العذاب على من سب الأصحاب، محمود شكري الألويسي، تحقيق: عبد الله البخاري، ص ٤٨٠، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

❁ كثرة فرق الإمامية:

قال الرازي: "وبعض الروافض قد صنف كتابًا وذكر فيه ثلاثًا وسبعين فرقة من الإمامية"^(١).

❁ ما يتفق عليه الإمامية:

على الرغم من كثرة فرق الإمامية وتفرّقها إلا أن بينهم أمورًا اتفقوا عليها في مذهبهم، تُظهر مدى غلوهم وانحرافهم، منها ادّعاؤهم أنّ "الإمامة نص، وأن الأئمة معصومون، وأنهم يعلمون كل شيء حتى عداد الحصى والقطر والرمال وورق الأشجار، وأن كلهم لهم معجزات، وأن إمامة المفضول لا تجوز، وأن الصحابة ارتدت إلا ستة: سلمان وأبا ذر وعمرًا وحذيفة والمقداد وصهيباً"^(٢).



(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، ص ٥٦، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة، محمد بن أسعد الصديقي الدوّاني، جلال الدين، تحقيق: عبد الله حاج علي منيب، ص ٣٨٨، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، الطبعة:

الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

المبحث الأول

تعريف الإلهام والفرق بين الإلهام والوحي

والفراسة والوسوسة والتحديث

المطلب الأول

تعريف الإلهام

✽ أولاً: تعريف الإلهام في اللغة:

تعود كلمة الإلهام إلى الأصل الثلاثي (لهم)، ويرجع معناه إلى الابتلاع، قال ابن فارس: "اللام والهاء والميم أصل صحيح يدل على ابتلاع شيء، ثم يقاس عليه، تقول العرب: التهم الشيء: التقمه ومن هذا الباب الإلهام"^(١).

والإلهام في اللغة يرجع إلى عدة معانٍ:

المعنى الأول: الإلقاء قاله غير واحد، "أن يلقي الله في النفس أمراً، يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده"^(٢). قال ابن فارس: "كأنه شيء ألقى في الروح فالتهمه. قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]"^(٣). وقال الرازي كذلك: "الإلهام) ما يُلقى في الروح"^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ٥، ص ٢١٧.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢، ص ٥٥٥، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ج ٤، ص ٢٨٢، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ٥، ص ٢١٧.

(٤) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص ٢٨٦، الناشر: المكتبة العصرية

المعنى الثاني: قاله الأزهري، وهو أن الإلهام بمعنى التلقين، "ويقال: ألهم الله فلاناً الرشد إلهاماً؛ إذا ألقاه في روعه فتلقاه بفهمه"^(١)، وألهمه الله تعالى خيراً: لقيه إياه^(٢).

المعنى الثالث: قاله التهانوي، وهو أن الإلهام لغة: الإعلام مطلقاً^(٣).

✽ ثانياً: تعريف الإلهام في الاصطلاح:

عُرف الإلهام بتعريفات متقاربة في المعنى تدل على ما يقع في القلب من علم ويطمئن له من غير استدلال ولا نظر، وهنا أذكر أهم هذه التعريفات:

- الإلهام: ما يلقي في الروع بطريق الفيض^(٤). وقيل: الإلهام: ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة^(٥).

- الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(١) انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج٦، ص١٦٩، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص١١٦٠، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ج١، ص٢٥٦، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

(٤) بطريق الفيض؛ أي: بلا اكتساب وفكر ولا استفاضة، بل هو وارد غيبي ورد من الغيب. انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ج١، ص٢٥٧.

(٥) التعريفات، الجرجاني، ص٣٤، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، وانظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، تحقيق:

محمد إبراهيم عبادة، ص٧٦، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى،

- الإلهام: ما يبدو في القلب من المعارف بطريق الخير ليفعل وبطريق الشر ليترك^(١).

- الإلهام: ليس إلا عبارة عن خاطرة من جنس هذه الخواطر التي تعرض لكل إنسان^(٢) فهو: "اسم لما يهجس في القلب، من الخواطر بخلق الله في قلب العاقل، فيتنبه بذلك، ويتفطن فيفهم المعنى بأسرع ما يمكن، ولهذا يقال: (فلان ملهم)؛ إذا كان يعرف بمزيد فطنته، وذكائه ما لا يشاهده، والإلهام فلا يجب إسناده ولا استناده إلى المعرفة بالنظر في الأدلة"^(٣)

- الإلهام: هو تخايل يقع في القلب، قد يكون ذلك من الله، وقد يكون من وسوسة الشيطان، وليس على أحدهما دليل يدل عليه، ولأن من يدعي الإلهام يمكن خصمه أن يدعي خلافه^(٤)

وأدق هذه التعريفات التعريف الأخير؛ لأنه عبر بالتخايل عما يقع في القلب،

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، والتوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٦٠، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ص ٨٣، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

(٢) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجموعة من الباحثين، ج ٤، ص ٣٧٨، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ.

(٣) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ص ١٧٣، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ج ٨، ص ٢٩، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية،

١٤١١هـ - ١٩٩١ م.

والتخايل هو الاشتباه وعدم القطع بالمصدر، فلا يمكن بحال الجزم بأن الإلهام المعين ربانيٌّ، ولو أننا يمكن أن نستشعر - بشيء من القرائن - بأنه رباني، ولكن يبقى الاشتباه وعدم الجزم به قائماً، "لأن ما يقع في قلبه محتمل بين وحي الله تعالى أو الشيطان، كما أن خبر المخبر يحتمل الصدق والكذب، والمحتمل لا يكون دليلاً، وإنما رجح القائل به جهة الصدق بحسن الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً^(١)."

المطلب الثاني

الفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث

الفرق بين الإلهام والوحي:

يشارك الإلهام والوحي في أصل المعنى، من جهة الإعلام في الخفاء والسرعة فيه، قال الأنباري: "ثم يكون الوحي بمعنى الإلهام كقوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ [النحل: ٦٨]؛ أراد: ألهمها، وكقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [٤] بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ [الزلزلة: ٤-٥] أراد: ألهمها"^(٢).

ولكن هذا الاشتراك لا يمنع من وجود فروق بين الوحي والإلهام، وهذه الفروق أجملها فيما يلي:

- الوحي مختص بالمتكلم الحقيقي، وهو الله تعالى، وله صور متنوعة

(١) تقويم الأدلة في أصول الفقه، الدبوسي الحنفي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، ص ٣٨٨، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ج ٢، ص ٣٤١، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ومعلومة، "فالكلام الإلهي يصل إلى القلب النبوي، فما أنزل صورته ومعناه ولا يكون إلا بواسطة جبريل فهو الكلام الإلهي، وما نزل معناه على الشارع فعبّر عنه بكلامه فهو الحديث النبوي، وهذا قد يكون بغير واسطة، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وقد يكون بواسطة نزول الملك؛ أي: بنزوله من الصورة الملكية إلى الهيئة البشرية، وقد يكون بنفثه في قلبه بأن يلقي معناه من غير أن يتمثل بصورة: (أنّ روح القدس نفث في روعي)، أما الإلهام فهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده: ﴿قُلْ إِنِّي رَأَيْتُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْعُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨] (١).

- الإلهام تابع للوحي من غير عكس (٢).

- الإلهام من الكشف المعنوي، والوحي من الشهودي المتضمن للكشف المعنوي؛ لأنه إنما يحصل بشهود الملك وسماع كلامه، والوحي من خواص النبوة والإلهام أعم، والوحي مشروط بالتبليغ دون الإلهام (٣).

❁ الفرق بين الإلهام والفراسة:

يوجد فرق بين الفراسة (٤) والإلهام، فالفراسة تعتمد على الصور وتتفرس

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، ج ١، ص ٢٨٠، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٢٨٠.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، ص ١٧٣.

(٤) الفراسة: وهي نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له وينفذ إلى العين فيرى ما لا يراه غيرها.

انظر: الروح، ابن قيم الجوزية، ص ٢٤٠، دار الكتب العلمية - بيروت

فيها، أما الإلهام فلا يعتمد على الصور ولا على كسب من الإنسان، بل هو شيء يقذفه الله في القلب بدون اكتساب من العبد، و"الفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور، (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)^(١)، فالفرق بين الإلهام والفراسة أنها كشف الأمور الغيبية بواسطة تفرس آثار الصور، والإلهام كشفها بلا واسطة"^(٢). "والفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة"^(٣).

❁ الفرق بين الإلهام والوسوسة:

يوجد فرق بين الإلهام والوسوسة، من جهة الواسطة والمتسبب بها ونوع المأمور به والأثر الذي ينتج عنها، وبيان هذه الفروق فيما يلي:

الأول: الفرق من جهة المتسبب والواسطة فيه، فالفجور بواسطة الشياطين، والتقوى بواسطة الملك.

الثاني: الفرق من جهة نوع المأمور به، فإن كان المأمور به تقوى الله فهو من إلهام الوحي، وإن كان المأمور به من الفجور فهو من وسوسة الشيطان.

الثالث: الفرق من جهة الأثر، فما كان من الملك أثمر إقبالاً على الله، وإنابة

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣١٢٧)، قال الألباني: الحديث ضعيف. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، ج ٤، ص ٢٩٩، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، ج ١، ص ٢٨٠.

(٣) تفسير القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، ج ١، ص ٤٨، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ

إليه، وذكرًا له، وهمّة صاعدة إليه، وما أثمر ضد ذلك فهو من إلقاء الشيطان، ومنها أن ما أورث أنسًا ونورًا في القلب وانشراحًا في الصدر، فهو من الملك، وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان، ومنها أن ما أورث سكينه وطمأنينه، فهو من الملك، وما أورث قلقًا وانزعاجًا واضطرابًا فهو من الشيطان^(١).

❁ الفرق بين الإلهام والتحديث:

يوجد فرق بين التحديث والإلهام، فالتحديث خاص لبعض أوليائه، والإلهام عام في المكلفين وغير المكلفين، قال ابن القيم: "التحديث أخص من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشد الذي حصل له به الإيمان، فأما التحديث فالنبي ﷺ، قال فيه: (إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر)^(٢)، يعني من المحدثين، فالتحديث إلهام خاص، وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧]، وإما من غير المكلفين، كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨] فهذا كله وحي إلهام^(٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج ١٧،

ص ٥٢٩، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة

العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، وانظر: الروح، ابن قيم الجوزية ص ٢٥٦.

(٢) صحيح البخاري، برقم (٣٦٨٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد

المعتصم بالله البغدادي، ج ١، ص ٦٨، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة،

المبحث الثاني

حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة وحججته

المطلب الأول

حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة

تناول أهل السنة والجماعة موضوع الإلهام بالبحث والنظر من جهة حقيقته وحججته، وذلك من خلال نصوص الوحيين الكتاب والسنة، وتميز قولهم بالوسطية والاعتدال بين غلو الغالين وتقصير الجافين، وما ذاك إلا لأنهم أسعد الناس بالتمسك بالدليل وفهمه على الوجه الصحيح، وأبعد الناس عن التكلف والتنطع والغلو.

ومما تجدر الإشارة إليه قول أهل السنة في الإلهام: إنه ليس علماً يكتفى به عن الوحي، وإنما هو ثمرة للعلم والتقوى، فلا يجوز أن يتعارض مع الشرع أو يعتمد عليه باعتباره حجة.

قال ابن الجوزي: "إن الإلهام للشيء لا ينافي العلم ولا يتسع به عنه، ولا ينكر أن الله عزَّ وجلَّ يلهم الإنسان الشيء، كما قال النبي ﷺ: (إن في الأمم محدثين، وإن يكن في أمتي فعمر)^(١)، والمراد بالتحديث إلهام الخير، إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه، وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة للعلم والتقوى"^(٢). وقال أيضًا مؤكِّدًا هذا المعنى

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٦٨٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٢) انظر: تلبس إبليس، ابن الجوزي، ص ٢٨٥، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،

لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

بقوله: "لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس؛ أمن الإلهام للخير أو وسوسة من الشيطان"^(١).

والتحديث والإلهام قد يوافق الحق وقد يخالفه، بل الذي يغلب على الناس وسوسة الشياطين، فلا بد من عرض كل ما يرد على القلب على الشرع المنزل؛ إذ الإلهام ليس فيه العصمة، قال شيخ الإسلام: "والمحدث ليس بمعصوم بل يقع له الصواب والخطأ، ولهذا يحتاج أن يزن بالميزان النبوي المعصوم جميع ما يقع له؛ أي لغير الأخذ من مشكاة النبوة، فهذا حال محدث السابقين الأولين وهو عمر بن الخطاب وهو أفضل من غيره، والصدّيق أكمل منه وأتم مقامًا، فهذا حال خير السابقين الأولين وأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين"^(٢).

وقد بيّن العلماء أنواع الإلهام الذي يرد على القلب، وأنه ليس نوعًا واحدًا، "فتارة يكون من جنس القول والعلم والظن والاعتقاد، وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب، فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب، وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر"^(٣).

(١) تلبّيس إبليس، ابن الجوزي، ص ٢٨٦.

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، ص ٣٨٨، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة:

الثالثة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

(٣) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ج ٢، ص ٩٩، الناشر: دار

العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

المطلب الثاني

استدلال أهل السنة والجماعة على الإلهام

واستدل أهل السنة والجماعة على الإلهام بأدلة نشير إلى بعضها على النحو

التالي:

أولاً: قوله عزَّجَلَّ: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٨]، وتفسير الآية على

وجهين:

الأول: البيان والإرشاد، والثاني: الجعل والإلزام، قال الطبري: "فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شر أو طاعة، أو معصية^(١)." وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن الله جعل فيها ذلك^(٢)؛ أي: جعل فيها فجورها وتقواها، أو ألزمها الفجور والتقوى.

والقول الثاني هو ما رجحه كثير من العلماء، "وهو أولى من القول الأول؛ لأن الإلهام في اللغة فوق التعريف والإعلام، قال الزجاج: عدلها للفجور، ووقفها للتقوى ويحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا هو الوجه لتفسير الإلهام؛ لأن التبيين والتعليم والتعريف دون الإلهام يوقع في قلبه، ويجعل فيه، فإذا أوقع الله في قلب عبده شيئاً، فقد ألزمه ذلك الشيء، كما ذكره سعيد بن جبير، وهذا صريح في أن الله تعالى خلق في المؤمن تقواه، وفي الكافر فجوره"^(٣).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج ٢٤،

ص ٤٥٤، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ج ٢٤، ص ٤٥٥.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير الآية: "فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى للنفس، والفجور يكون بواسطة الشيطان، وهو إلهام وسواس، والتقوى بواسطة ملك، وهو إلهام وحي، هذا أمر بالفجور، وهذا أمر بالتقوى، والأمر لا بد أن يقترن به خبر، وقد صار في العرف لفظ الإلهام إذا أطلق لا يراد به الوسوسة، وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين إلهام الوحي وبين الوسوسة"^(١). وشيخ الإسلام رجح القول الثاني في الآية، بناء على أن الإلهام في المشهور استعماله في إلهام القلوب، وليس البيان، فقال: "قيل: هو البيان العام، وقيل: بل ألهم الفاجر الفجور والتقي التقوى، وهذا في تلك الآية أظهر؛ لأن الإلهام استعماله مشهور في إلهام القلوب لا في التبيين الظاهر الذي تقوم به الحجة، وقد علم النبي ﷺ حصيناً الخزاعي لما أسلم أن يقول: (اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي)^(٢)، ولو كان الإلهام بمعنى البيان الظاهر لكان هذا حاصلًا للمسلم والكافر"^(٣).

علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، ج ٤، ص ٤٩٥، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، وانظر: تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ج ٦، ص ٢٣٣، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١٧، ص ٥٢٩.

(٢) رواه أحمد، برقم (١٩٩٩٢)، وإسناده عند أحمد صحيح على شرط مسلم، قاله الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند، انظر: مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، ج ٣٣، ص ١٩٧، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، والترمذي، كتاب الدعوات، رقم (٣٤٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١٦، ص ١٤٥.

والشاهد من ذلك دلالة الآية على وقوع الإلهام القلبي للخلق عامة، فهو سبحانه يقلب القلوب كيف يشاء ويلهمها ما يريد، والله يلهم التقوى ويقذف في قلوب المؤمنين الإيمان ويلزمهم إياه، يلهم الفجور لأهلها بواسطة الشياطين، فالخلق خلقه والأمر أمره لا يخرج أحد عن سلطانه.

ثانياً: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال، يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر)^(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: (قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم)^(٢).

قال ابن حجر في شرح الحديث: "وقوله: (وإن يك في أمتي)، قيل: لم يورد هذا القول مورد الترديد؛ فإن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وُجد في غيرهم، فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد، كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء، وقيل: الحكمة فيه أن وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم، حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي واحتمل عنده ﷺ أن لا تحتاج هذه الأمة... والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات"^(٣).

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٦٨٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٢) صحيح مسلم، برقم (٢٣٩٨)، ج ٤، ص ١٨٦٤.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، ص ٥٠، ٥١، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ. وقال

والشاهد في الحديث لفظة: (مُحَدَّثُونَ) و(مُكَلَّمُونَ)، فما المقصود بهما في الحديث؟

والجواب:

أولاً: المحدّثون: بفتح الدال جمع (مُحَدَّثٌ)، واختلف في معناه، وبيان ذلك فيما يلي:

- التحديث بمعنى: الإلهام، ذكره مسلم عن ابن وهب، قال: ملهّمون. وقال غيره: (محدّثون): قوم مصيبون إذا ظنوا، فكأنهم حدّثوا بشيء فقالوه^(١)، وفي نفس السياق، قال ابن حجر في معنى المحدث: "الملهّم، قاله الأكثر، قالوا: المحدث بالفتح، هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملائكة الأعلى؛ فيكون كالذي حدّثه غيره به، وملهّمون وهي الإصابة بغير نبوة^(٢)."

البيهقي: "عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: ما كنا ننكر ونحن متوافرون أن السكينة تنطق على لسان عمر. وعن عبد الله بن مسعود: ما رأيت عمر قط إلا وكأن بين عينيه ملكاً يسدده، وعن عبد الله بن عمر قال: كان عمر يقول القول فنتنظر متى يقع؟ وفي قراءة أبي بن كعب: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدّث)، وقرأها ابن عباس كذلك في بعض الروايات عن النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قيل: كيف يحدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه، وذلك يوافق ما روينا عن علي وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم. انظر: الاعتقاد والهداية، البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ص ٣١٤، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، ج ٧، ص ٤٠٢، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، ص ٥٠.

- والمحدث هو الملهم المخاطب^(١).
- والتحديث التفرس بمعنى الفراسة^(٢).
- التحديث هو خاطر الذي يرد على القلب، "أما حديث التحديث، فليس فيه أن التحديث أمر زائد على خاطر، وإنما يمتاز المحدث عن غيره بكثرة الخواطر الحققة في خواطره، فيكون تفرسه أكثر صواباً من غيره^(٣).
- محدثون؛ أي: ملهَمون، وكذلك يحدثون؛ أي: يلهَمون حتى تنطق ألسنتهم بالحكمة كما كان لسان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ينطق بما كان ينطق به منها^(٤).
- ويلاحظ في التعريفات أنها متقاربة المعنى وغير متعارضة، ومرجعها إلى النظر في صفات الملهَمين وما يترتب على هذه الصفات، والذي يهمنا هنا أن أكثر العلماء حملوا الحديث على معنى الإلهام.
- ثانياً: المكلّمون: أي تكلمهم الملائكة بغير نبوة، وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، ولفظه: (قيل: يا رسول الله وكيف يحدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه)^(٥). ويحتمل رده إلى المعنى الأول؛ أي: تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلّمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام^(٦). وقال القاضي، وقال ابن القابس

(١) جامع الرسائل، ابن تيمية، ج ٢، ص ٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، ص ٥٠.

(٣) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ج ٤، ص ٣٧٥.

(٤) شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج ٤، ص ٣٣٧، الناشر: مؤسسة

الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، ص ٥٠.

وغيره: معناه: تكلمهم الملائكة، كما جاء في الحديث الآخر: (يكلّمون). وقال البخاري: معناه: يجرى على ألسنتهم الصواب^(١).

ومما أود التنبيه إليه عدة أمور في هذه المسألة:

- المكلّم: هو الملهّم، بمعنى أن الملائكة تكلمهم في نفوسهم، وتقذف في نفوسهم، وهذا الكلام من غير سماع صوت الملك في الخارج، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن أنواع الوحي: "ويكون لغير الأنبياء ويكون يقظة ومناماً، وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت في نفس الإنسان، ليس خارجاً عن نفسه يقظة ومناماً، كما قد يكون النور الذي يراه أيضاً في نفسه، فهذه الدرجة من الوحي التي تكون في نفسه من غير أن يسمع صوت ملك في أدنى المراتب وآخرها، وهي أولها باعتبار السالك"^(٢)، وهذا الذي رجحه الحافظ ابن حجر كما سبق.

- قد يستدل بتكليم الملائكة للمكلّمين بحديث: "قالوا: يا رسول الله، كيف محدّث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه" إلا أن الحديث ضعيف^(٣).

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض، ج٧، ص٤٠٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٢، ص٣٩٨.

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه برقم (٦٧٢٦). ويبيّن الطبراني أن مدار الحديث على أبي سعد خادم الحسن انظر: المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ج٧، ص١٨، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، وقال الهيثمي في الحديث: "وفيه أبو سعد خادم الحسن البصري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات" انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ج٩، ص٦٩، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م. وقال الذهبي في الميزان: عن أبي سعد خادم الحسن: لا يُدرى من ذا وخبره باطل. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٤، ص٥٢٩، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط١،

- يحمل لفظ (مكلمين) على أنه كناية عن كثرة موافقتهم للصواب، وكأن الملائكة تخبرهم بالحق والصدق، وهذا يضاهاي المروي "عن عبد الله بن مسعود: ما رأيت عمرَ قطُّ إلا وكأنَّ بين عينيه ملكاً يسدده"^(١).

- قد يحمل لفظ (مكلمين) على معنى تكليم الملائكة، على نحو ما جاء في تكليم الملك للثلاثة؛ الأقرع والأبرص والأعمى من بني إسرائيل في الحديث المشهور، المخرَّج عند البخاري^(٢) ومسلم^(٣)، وسياق الحديث يدل على أن الملك تجسّد لهؤلاء الثلاثة ليبتلّيهم بأمر من الله تعالى، والذي يظهر لي في تكليم الملائكة في حال تجسدها لا يدخل في مسمى الإلهام؛ لأن للإلهام من جهة اللغة والاصطلاح هو ما يلقي في القلب أو ما يقذف في القلب، في حين أن تكلم الملائكة -وهي متجسدة- مع الملهم يجعل الأمر مشهودًا ومعلومًا، وهذا لا يجتمع مع حقيقة الإلهام، الذي يسمى الوحي الباطن، والله أعلم.

المطلب الثالث

حكم الاحتجاج بالإلهام عند أهل السنة والجماعة

من المعلوم أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإذا كان تصور الإلهام صحيحًا من جهة حقيقته، كانت الأحكام المتعلقة به من جهة الاحتجاج والصحة صحيحة، وإذا تقرر أن الإلهام هو الاشتباه والتخايل الذي يقع في القلب، ولا

١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

(١) انظر: الاعتقاد والهداية، البيهقي، ص ٣١٤.

(٢) صحيح البخاري (٦٦٥٣)، باب لا يقول: ما شاء الله وشئت، كتاب الأيمان والنذور.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٦٤)، ج ٤، ص ٢٢٧٥.

يقطع بأنه من عند الله تعالى، فقد يكون من الله تعالى أو من الشيطان أو من النفس، ولا علامة قطعية على تعيين واحد منها، وهو ظن في نفس صاحبه، لذا يُعلم أنه ليس بحجة؛ إذ الشرع مبناه القطع، وظهور الدليل في الناس، وعدم اختصاص الدليل بفرد أو طائفة، فلذلك لا يُبنى على الإلهام حكم شرعي أصلاً، ولا يجوز الحكم به بين الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لأن الحكم بالإلهام بمعنى أنه من ألهم أنه صادق حكم بذلك بمجرد الإلهام، فهذا لا يجوز في دين المسلمين" (١).

وهنا أشير إلى أبرز الأقوال في حجية الإلهام:

القول الأول: أنه حجة مطلقاً على الملهم وغيره وهو قول الصوفية والرافضة (٢).

القول الثاني: أنه ليس بحجة مطلقاً.

القول الثالث: أنه خيال لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها، وأنه حجة في حق الملهم دون غيره، ويتفرع منه القول بأنه يُعتدّ به في الترجيح بين الأدلة إذا وافقه سبب ظاهر، أو يعمل به في الأمور الجائزة عند فقد الحجج كلها وفي ما يجوز العمل به من غير علم (٣).

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، ج ٨، ص ٦٩.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، ج ٢، ص ٩٩، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت. وانظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج ٨، ص ٢٩. وانظر: التعريفات، الجرجاني، ص ٣٤، وانظر: الفتوحات المكية، ابن عربي، ج ١، ص ١٣٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.

(٣) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، ج ١،

أما القول الأول فإنه ساقط من جهة النظر والسمع، وقد ناقش الأصوليون^(١) هذا القول وبيّنوا فسادَه بما لا مزيد عليه، وبيّن أهل العلم أن النبي ﷺ لم يحكم بالإلهام بل اعتمد على البينة وحكم بها، وكذلك صنع عمر الملهَم رضى الله عنه ولم يحكم بإلهامه، بل كان معتمداً على النص والشرع، قال الذهبي: "وأما قولك: معرفة القضايا بالإلهام بمعنى أنه من أُلهم أنه صادق حكم بذلك بمجرد الإلهام؛ فلا يحل الحكم بهذا في دين الإسلام، ولو كان الإلهام طريقاً كان الرسول أحق من قضى به، وكان الله يوحى إليه من هو صاحب الحق، فلا يحتاج إلى بينة، فإن قلت: معناه أنه يلهم الحكم الشرعي، فهذا أيضاً: لا بد فيه من دليل شرعي، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: (قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر)^(٢)، ومع هذا فلم يكن يجوز لعمر أن يحكم بالإلهام ولا يعمل بمجرد ما يلقي في قلبه، حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإن وافقه قبله وإن خالفه رده"^(٣).

ص ٣٣٠، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، وانظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز - عبد الله ربيع، ج ٣، ص ٤٥٦، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث - توزيع المكتبة المكية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، وانظر: التقرير والتحبير، ابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، ج ٣، ص ٢٩٥، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، وانظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، ج ٢، ص ٩٤.

- (١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، ج ٣، ص ٣٥٨، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- (٢) صحيح البخاري، برقم (٣٦٨٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.
- (٣) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص ٥١٠.

والقول بحجية الإلهام مطلقاً فتح لباب الزندقة والباطل، ويلزمه لوازم باطلة ومستقبحة، قال ابن حزم: "فإن الإلهام دعوى مجردة من الدليل، ولو أعطي كل امرئ بدعواه المعرأة، لما ثبت حق ولا بطل باطل، ولا استقر ملك أحد على مال، ولا انتصف من ظالم، ولا صحّت ديانة أحد أبداً؛ لأنه لا يعجز أحد عن أن يقول: ألهمت أن دم فلان حلال، وأن ماله مباح لي أخذه، وأن زوجه مباح لي وطؤها، وهذا لا يُنك منه، وقد يقع في النفس وساوس كثيرة لا يجوز أن تكون حقاً..."^(١).

وأعظم ما يرد به على من قال بحجية الإلهام إلزامهم ببطلان دعواهم بنفس الحجة، قال أهل التحقيق: "ويكفي من الرد عليهم أن يقال لهم: ما الفرق بينكم وبين من ادعى أنه ألهم ببطلان قولكم ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا"^(٢).

وأما القول الثالث: فيعمل بالإلهام عند فقد الحجج الشرعية كلها، ويكون الإلهام حجة في حق نفسه، يرجح به بعض الأمور والمسائل، قال شيخ الإسلام: "والذين أنكروا كون الإلهام طريقاً شرعياً على الإطلاق أخطؤوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق، ولكن إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحاً وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى، فالإلهام مثل هذا دليل في حقه؛ قد يكون أقوى من كثير من

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ج ١، ص ١٧.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج ٢، ص ٩١، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، وانظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج ٨، ص ٢٩، وانظر: الاعتصام، للشاطبي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، ج ١، ص ٣٦١، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

الأقيسة الضعيفة والأحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه" (١).

✽ خلاصة ما سبق:

إن إنكار أصل الإلهام لا ينبغي، فالإلهام يندرج في باب كرامات الأولياء التي يثبتها أهل السنة والجماعة، وقد تواترت أدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح في إثبات ذلك، ولكن لا يلزم من إثبات أصله ووقوعه إثبات حجته؛ إذ إثبات الحجية يحتاج إلى دليل، ولا دليل عليه.

وينبغي على ذلك أن الإلهام ليس بحجة ولا يعتبر دليلاً في الأحكام، بل يجب أن يُعرض على الكتاب والسنة، فما وافقهما يصحُّ الأخذ به، وما خالفهما يردّ، وفي هذا سدّ لباب التّقوّل على الشرع، وإغلاق لباب الشر والضلال أمام الخلق، ولكن يبقى الحديث عن قول بعض العلماء بأن المجتهد والفقهاء قد يستأنس بالإلهام عند فقد جميع أدلة الترجيح في المسألة، فله أن يرجح بالإلهام، ما لم يستطيع الوصول إليه بالدليل والبرهان، ويكون ذلك خاصة له دون أن يحتج به على غيره، وبشرط حسن القصد والتقوى، وهذا المعنى قد يندرج في عموم حديث النبي ﷺ: (البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) (٢).

(١) جامع الرسائل، ابن تيمية، ج ٢، ص ٩٤، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ٢٠، ص ٤٢.

(٢) مسند أحمد (١٨٠٠٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، ج ٢٩، ص

٥٣٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، وقال النووي: حديثٌ

المبحث الثالث

حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية واستدلالاتهم

المطلب الأول

حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية وحججته

تفسر الرافضة الإلهام بأنه النكت في القلوب^(١)، أو القذف في القلوب^(٢)، ويعتقد الرافضة في علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان ملهَمًا ومحدّثًا، ولهم روايات مزعومة عن علي رضي الله عنه؛ منها أنه قال: (الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون)^(٣)، وكذلك الأئمة من بعده محدثون إلى قيام الساعة.

ويعتقدون أن الإلهام يكون بوساطة الملك الذي يقذف في قلوب الأئمة، وينكت في أسماعهم، ويُطلعهم على ما يريد الله تعالى إعلامهم به من العلوم الربانية، فالملائكة - في زعمهم - مخالطة لهم، تحدّثهم ويسمعون منها، ويدل على ذلك: رواية حمران بن أعين، قال: "قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان محدّثًا، فخرجت إلى أصحابي فقلت: جئتكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ محدّثًا. فقالوا: ما

حسن، انظر: رياض الصالحين، النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ص ٢٠٨، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨.

(١) الأصول من الكافي، الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ج ١، ص ٢٦٤، دار صعب، بيروت، ط ٤.

(٢) انظر: الأصول من الكافي، الكليني، ج ١، ص ٢٦٤.

(٣) الأصول من الكافي، الكليني، ج ١، ص ٢٧١.

صنعت شيئاً! ألا سألته: من كان يحدثه؟ فرجعت إليه فقلت: إني حدثت أصحابي بما حدثني فقالوا: ما صنعت شيئاً! ألا سألته من كان يحدثه؟ فقال لي: يحدثه ملك، قلت: تقول: إنه نبي؟ قال: فحرك يده^(١). وتحديث الملك للإمام الملهم من طرق المعرفة المعتبرة عند الإمامية، فمعرفة الإمام عند الإمامية منحصرة في طريقين:

الطريق الأول: ما توارثوه عن الرسول ﷺ وعن علي رضي الله عنه، وتناقلوه عنهما جيلاً بعد جيل، فعلى هذا فالأئمة لا ينطقون إلا بالوحي المأخوذ مشافهة من المعصوم.

الطريق الثاني: القذف في القلوب والنكت في آذان الأئمة؛ وهو عبارة عن تحديث الملك أو الخلق الذي هو أعظم من جبريل وميكائيل ﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: ٢]، وهو الذي يخبرهم ويسددهم ويفقههم.

ويدل على ذلك رواية مزعومة "لأبي عبد الله، قال: قلت: أخبرني عن علم عالمكم. قال: ورثه من رسول الله عليه السلام ومن علي عليه السلام. قال: قلت: إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم ويُنكت في آذانكم. قال: أو ذاك"^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنهم يعتبرون ما يُقذف في قلوب الأئمة من إلهامات تكون بواسطة الملك، بحيث لا اشتباه فيها؛ لأن وحي الملك -في زعمهم- يصحبه السكينة والوقار، ويؤيئه الله للإمام حتى يعلم أنه حق، بخلاف وحي الشيطان الذي يفرع منه الإمام وينفر، فضلاً عن أن الشيطان لا يتعرض للأئمة

(١) انظر: الأصول من الكافي، الكليني، ج ١، ص ٢٧١.

(٢) الأصول من الكافي، الكليني، ج ١، ص ٢٦٤.

لعصمتهم ومكانتهم.

ثم كيف يمكن أن يتعرض الشيطان للأئمة والله تعالى هو الذي يسدّدهم ويؤيّدهم ويقذف في قلوبهم ما يشاء من علم بواسطة هذه الإلهامات الغيبية ويحصلون منها على اليقين والإدراكات؟ "فالإمام يجب أن يكون مؤيّدًا من عند الله؛ أي أن علومه وإدراكاته تحصل في نفسه بواسطة اليقين والإلهامات الغيبية، ويكون الله هو المتكفل بأموره"^(١).

وهذه الإلهامات عندهم معصومة، فلا أثر لنفس الإمام، ولا مجال للعوارض النفسية فيها، فالإمام مصون عن الضلالة والمعصية، بل تنعكس في قلبه بلا اضطراب ولا خلل، بمعنى أنه "لا يخطئ في تلقّي المعارف الإلهية والإلهامات الرحمانية، وأن متن الواقع ينعكس في قلبه، دون اضطراب أو تدخّل النفس التي تغيره إلى صورة أخرى وتفسره على نحو آخر"^(٢).

ومن مسلّمات مذهبهم منع اجتهاد الإمام، ويقولون: هو معصوم في أحكامه، فهو نائب عن الرسول ﷺ، فيجب أن يكون مثله معصومًا في معرفة ظاهر الشرع وباطنه، ويجب علمه التام بالحوادث النازلة والمستجدة، فهو يرفع الخلاف الحاصل في الأمة، وهذا لا يكون إلا بالإلهام والعصمة، فقالوا: "وما ثبت للإمام من بعده هو عين ما كان للنبي، فلا بد وأن يكون عاليًا بخفايا تلك الشريعة، محيطًا بمحتويات ذلك النظام إحاطة كاملة، لا عن طريق الاجتهاد

(١) انظر: معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، ج ١، ص ٢٥٩، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

(٢) معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، ج ١، ص ٢٥٥.

الناشئ عن التفكير والاستنتاج؛ لأن ذلك لا يمنع الخطأ في كثير من الأحيان^(١).
ويتبين مما سبق أن إلهام الأئمة مصدره معلوم، وهو الله تعالى، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يلتبس بغيره أو يختلط على الإمام؛ فهو المؤيد المعصوم من الله تعالى، وينبني على هذا أنه حجة معتبرة، وذلك من وجهين:

الأول: القطع بأنه من الملك، فلا احتمال لوحي شيطاني، أو خاطر نفسي، أو غير ذلك؛ لأن الله تعالى يسد هؤلاء الأئمة بالملائكة، ولأن وحي الملك يتميز بالسكينة والوقار بخلاف وحي الشيطان الذي ينفر ويفزع منه الإمام، فضلاً عن معتقدتهم أن الشيطان لا يمكن أن يتعرض للأئمة.

الثاني: لأن الإلهام وقع في محل معصوم وهو الإمام الذي لا يجوز عليه الخطأ والمعصية والنسيان.

وبناء على ذلك فالإلهام حجة معتبرة على الملهم نفسه وعلى غيره، بحيث يجب على عموم الناس أتباعه فيما يصدر عنه، وقد نصوا على مساواة الأئمة للرسول في أمر التشريع والحلال والحرام، فهم سواء لا ينطقون إلا بالوحي وبالحق، وهم معصومون فيما يقولوا ويفعلوا، وهذا يستوجب اعتقاد التفويض والتسليم لهم فيما يقولون في أمور الدين، وقد بَوَّب الكليني: "باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أمر الدين"^(٢).

وتعتبر هذه العقيدة من مسلمات المذهب؛ وذلك لكثرة الروايات الدالة على هذا المعنى وتواترها الذي يمنع تأويلها أو التكذيب بها، بل إن المكذب بها -

(١) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ٢٣٧.

(٢) انظر: الأصول من الكافي، الكليني، ج ١، ص ٢٦٦.

عندهم- يخرج من دائرة الإمامية بالكلية، ونصوا على ذلك بقولهم: "الأئمة صلوات الله عليهم لا يتكلمون إلا بالوحي... وهذا من ضروريات دين الإمامية"^(١).

ولم يتوقف غلو الرافضة على الإلهام القلبي، بل تعداه بمراحل، فهم يعتقدون أن الملائكة تكلمهم وتخاطبهم كما تخاطب الأنبياء والرسل، "والمعتقدات الأصيلة الشيعية في أئمتهم حول نزول الوحي والملائكة عليهم، وأنه لا فرق بينهم وبين أنبياء الله ورسله؛ حيث إنهم يخاطبون ويكلمون، ويقذف في قلوبهم، ويلقى في مسامعهم، وتنزل عليهم الملائكة، جبرئيل ومن دونه وفوقه، ويناجيهم الرب جل وعلا. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً"^(٢)

وهذا تسبب في إشكال مفاده تحديد الفرق بين النبي والإمام، "وقد اعتبر الرافضة استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال، وكذا الجمع بينهما، وقالوا: ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامية"^(٣). وذلك بسبب الروايات^(٤) التي فيها أن الإمام يسمع صوت الملائكة، وتخاطبه ويعاين

(١) انظر: بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٣٥، ص ٢٩، إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.

(٢) الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة، إحسان إلهي ظهير، ص ١٤٠، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان.

(٣) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ج ١، ص ٢٨٩، دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨ هـ.

(٤) كثيرة هي الروايات التي تدل على هذا المعنى، منها ما يروونه "عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: إن الملائكة لتنزل علينا في رحالنا، وتنقلب على فرشنا، وتحضر موائدنا، وتأتينا من كل نبات في زمانه، برطب ويابس، وتنقلب علينا أجنحتها، وتنقلب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا في وقت كل صلاة، فتصلها معنا، وما من يوم يأتي علينا، ولا ليل، إلا وأخبار أهل الأرض عندنا، وما يحدث

صورة الملك والأرواح، ونحو ذلك من أنواع الخرافات، فلا يكون بعد هذا ثمَّ فرقٌ بين النبي الإمام.

التعليق:

إن الإلهام عند الإمامية خاص بالأنبياء والأئمة من آل البيت، وإن الإمام يصل إلى العلم والمعرفة عن طريق الخبر إلى المعصوم أو عن طريق الإلهامات المعصومة.

اعتبار الإمامية الإلهامَ حجةً شرعيةً بناءً على كونه من عند الله تعالى قطعاً؛ لأن الذي يقذف في قلوب الأئمة ويحدثهم هو الملك، فلا يمكن أن يلتبس بغيره من وحي الشياطين أو حديث نفس ونحوه، لذا يجب -عندهم- تحاكم الناس إلى الملهم.

المطلب الثاني

تطبيقات وأمثلة الإلهام عند الرافضة الإمامية

تمثل الإمامية على الإلهام عند الأئمة بمعرفة الواقع في ضمائر بعض العباد، وما يكون قبل كونه، وهذا العلم منبثق من طريقين؛ إما من طريق الفراسة، وإما عن طريق الإلهام من الله تعالى، "ولقد ورد في بعض الروايات أن الإمام الصادق وغيره كانوا يعرفون ضمائر بعض الأفراد ويخبرون بما في النفوس، والشيععة لا

فيها". انظر: الخرائج والجرائح، سعيد بن عبدالله الراوندي، ج ٢، ص ٨٥٢، مؤسسة نور، ط ٢، ١٤١١هـ. ومنها أيضاً: "أن جعفرًا وأباه الباقر جاءهما جبريل وملك الموت بصورة شيخ طويل جميل أبيض الرأس واللحية، ورجل آدم حسن الوجه والشيمة، وكان الأول جبريل، والثاني ملك الموت". انظر: الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة، إحسان إلهي ظهير، ص ١٣٨.

تمنع من ذلك، ولا تراه مستحيلاً، لجواز كونه عن طريق الفراسة وصفاء النفس، أو عن طريق الإلهام من الله سبحانه، وليس الإلهام من مختصات الأنبياء^(١).

وبوساطة هذه الإلهامات يطلع الإمام على الملكوت وعلى نفوس الأشياء ويسيطر عليها، وهذا ليس من نافلة القول في الإمام، بل هو شرط في الإمام، وهذا الشرط متى فُقد فلا إمامة بدونه، وبعبارة أخرى يقولون: "الإمامة قوة الهيّة في نفس الإمام يحصل بواسطتها على الاطلاع على ملكوت ونفوس الأشياء ويسيطر عليها، فمن كانت فيه هذه القوة كان هو الإمام، ومن خلا منها لم يكن إماماً"^(٢).

وهذه الأوصاف جعلت الإمام عندهم فوق منزلة الرسل أو مساوياً لهم، ولا يخفى مدى الغلو والضلال في هذه الأقوال وهذه التصورات الباطلة.

وخلاصة ما سبق: أن الإمامية يعتقدون في الإمام أنه يطالع الملكوت، ويطلع على نفوس الأشياء وحقائقها وبواطنها، ويسيطر عليها، وهذا شرط في الإمام لا يجوز أن يتخلف، ويمثلون على الإلهام بمعرفة ما لم يقع، ومعرفة بواطن بعض البشر وما تخفي ضمائرهم.

المطلب الثالث

دعوى الرافضة الإمامية سماع كل إمام من الذي سبقه

تعتقد الإمامية سماع كل إمام من الذي سبقه إلى أن يصلوا إلى رسول الله ﷺ، الذي أخبر هؤلاء الأئمة كل ما يحتاجون إليه في أمر الدين وحوادث الدنيا، "فالرئيس الثاني يأخذ العلم من الأول ولا نصيب لكليهما في أمر الغيب؛ لأنه من

(١) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ٢٣٩.

(٢) معرفة الإمام، محمد الحسين الطهراني، ج ١، ص ٢٥٧.

مختصاته سبحانه^(١)، وهذا ما يطلق عليه مذهب التعليمية^(٢)، فيزعمون أن علم الباطن لم يطلع عليه إلا الأئمة، ويمثلون على ذلك بإعلام النبي ﷺ لعلي "بمعلومات تتعلق بأمور الدين وبعض الشؤون الأخرى، كانت عن طريق النبي لا غير، فلقد كاشفه ببعض الحوادث التي ستمر على الناس في مستقبل الزمان، وأخبر عنها الإمام قبل وقوعها بعشرات السنين، كما أخبر بقتله وقتل ولديه وما جرى عليهما، وقيام الدولتين الأموية والعباسية، وجرائم الحجاج الثقفي وأخباره، وعن التار والزنج..."^(٣).

ويلزم الرافضة أن الرسول ﷺ كاشف الأئمة بجميع الحوادث إلى قيام الساعة؛ لأن الأئمة حفظة الدين والدنيا إلى قيام الساعة، وكل عاقل يعلم بطلان ذلك؛ فمن المعلوم أن النبي ﷺ لم يخبر الأئمة بكل الحوادث، فهذا غير ممكن؛ لأن حوادث الدنيا متجددة الأفراد، وهي باقية إلى قيام الساعة، وهذا يلزم منه الإخبار ببعض الحوادث دون بعض، وعلى ذلك فليس كل الحوادث سيكون فيها وحي، فسيضطر الإمام إلى الاجتهاد فيها للوصول إلى الحق، ومعلوم أن الاجتهاد لا يؤمن الخطأ فيه، وبذا يُعلم بطلان زعمهم.

والحاصل أن هذه الحالة خارجة عن محل البحث، فالموضوع مخصص للإلهام الذي في القلب.

(١) انظر: أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ٢٣٧.

(٢) التعليمية: "نسبة إلى التعلم من الإمام المعصوم. وترك الرأي ومقتضى العقل" انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١١، ص ٦٢، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م.

(٣) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ٢٣٨.

المطلب الرابع

استدلالات الرافضة الإمامية على إلهام الأئمة

❁ أولاً: شبهاتهم القرآنية:

استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، فقالوا: تدل الآية على أن: "الإمام يجب أن يكون مؤيداً من عند الله، أي أن علومه وإدراكاته تحصل في نفسه بواسطة اليقين والإلهامات الغيبية، ويكون الله هو المتكفل بأموره" (١).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] على أن مقام اليقين لا يمكن الوصول إليه إلا بالانكشاف، وهذا لا يكون إلا بالإلهام.

فقالوا: "ولأن الإمامة تستلزم امتلاك مقام اليقين، ومقام اليقين كما ذكر ليس ميسوراً دون انكشاف الملكوت وحقيقة الأشياء، وبناءً على هذا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤَيِّدُهُ كُلَّ لِحْظَةٍ بِانْكَشَافِ الْمَلَكُوتِ وَالْهُدَايَةِ بِأَمْرِ اللَّهِ" (٢).

واستدلوا كذلك على عدم اختصاص الأنبياء بالإلهام بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فقالوا: إن الإلهام ليس خاصاً بالأنبياء، بل هو عام في الأنبياء وغيرهم بما فيهم الأئمة (٣).

(١) انظر: معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، ج ١، ص ٢٥٩.

(٢) انظر: نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥٩.

(٣) انظر: أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ٢٣٩.

❦ ثانيًا: روايات عن الأئمة تدل على إلهام الأئمة:

ومما استدلوا به: رواية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾ [الطارق: ١]، "فمن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾ قال: السماء في هذا الموضوع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، والطارق الذي يطرق الأئمة من عند ربهم مما يحدث بالليل والنهار، وهو الروح الذي مع الأئمة يسددهم" (١).

وفي رواية أخرى "عن الحارث النضري قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أخبرني عن علم عالمكم؟ قال: ورثه من رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال: قلت: إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم وينكت في آذانكم قال: أو ذاك" (٢). ونحوها من الروايات.

المبحث الرابع

أسباب القول بالإلهام عند الرافضة الإمامية

المطلب الأول

الغلو في الأئمة وفي الإمامة

مما لا يخفى على كل منصف غلو الإمامية في باب الإمام والأئمة، وهذا الغلو يعلم بمجاوزتهم الحد المشروع في المحبة هؤلاء الأئمة إلى ما لا يشرع من عقائد وأقوال، بل يتعدى الأمر في أقوالهم ومعتقداتهم إلى مخالفة بدهيات الدين وقواطع الشريعة.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٥، ص ٤٨.

(٢) الأصول من الكافي، الكليني، ج ١، ص ٢٦٤.

ولا يمكن الإحاطة بكل مظاهر الغلو في باب الإمامة عندهم؛ فهذا باب واسع يصعب حصره، ولكن نشير إلى بعض الوجوه:

الوجه الأول: قولهم "لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين، وإن الإمام يعلمه جبرائيل، فإذا مات بدل مكانه مثله"^(١). وقالوا: الإمام يجب أن يكون معصوماً؛ لأنه الحافظ للشريعة، "فلا بد من وجوده في كل عصر ولا تخلو منه الأرض"^(٢).

الوجه الثاني: قولهم في الأئمة: إنهم في مرتبة عليا لا يصل إليها أحد، وإن الله خصّهم بالكمال لتحمل المهام المناطة بهم، ومن أعظم هذا المهام المزعومة أنهم نواب عن الرسول ﷺ - على حد زعمهم -، وذلك يستوجب أن يشاركوه ﷺ في العصمة والإلهام؛ حتى يقوموا بواجبهم تجاه الأمة بأسرها، "فالأئمة مميّزون عن غيرهم، جمعوا أفضل الصفات وبلغوا أسمى مراتب الكمال التي يمكن أن يبلغها الإنسان"^(٣)، فضلاً على قولهم: إن الأئمة محدّثون تحدّثهم الملائكة، ولهم روايات مزعومة عن علي رضي الله عنه أنه قال: (الأئمة علماء صادقون مفهمون محدّثون)^(٤).

وقد نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير رَحْمَةُ اللَّهِ شَيْئاً من عقائدهم وغلوهم في الإمام والأئمة، فقال: "ورفعوا أئمتهم فوق الأنبياء والرسل، وجعلوهم كسيد

(١) تلبس إبليس، ابن الجوزي، ص ٢٢.

(٢) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ٢٣٢.

(٣) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ١٧٨.

(٤) الأصول من الكافي، الكليني، ج ١، ص ٢٧١.

المرسلين، وحتى فضلوهم عليه، حيث رووا هذه الرواية المكذوبة على علي رضي الله عنه، عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار...، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسول - عياداً بالله - بمثل ما أقروا لمحمد صلى الله عليه وآله...، ولقد حملت مثل حمولته وهي حمولة الرب، وأن رسول الله يدعى فيكسي وأدعى فاكسي...، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله وأودي عنه، وثم هذه الخصال ليست بخاصة لعلي رضي الله عنه، فقط بل يزعمون أن الأئمة الاثني عشر كلاً منهم متصف بمثل هذه الأوصاف^(١).

الوجه الثالث: من البدهي أن من اعتقد في الأئمة كل هذا الغلو والباطل سيوجب على الخلق الرجوع إلى أقوال الأئمة وتحكيمها في الدين والدنيا "فالإمامة عند الإمامية ليست إلا الأخذ بقول الإمام، والرجوع إليه في مشاكل الحياة، والافتداء بسيرته المثلى وأخذ معالم الدين عنه"^(٢).

ويتبين مما سبق أن القول بإلهام الأئمة هو نتيجة الغلو ومجاوزة الحد والدليل، وقد علم بصريح الوحين تأكيد النهي عن الغلو والتنطع في الدين، وأنه سبب هلاك الأمم السالفة، وأن بعض فئات الأمة سيتبعونهم في الغلو ويزين لهم الشيطان ذلك.

(١) الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير، ص ٦٧.

(٢) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص ١٧٧.

المطلب الثاني

اتباع الهوى وترك التمسك بالنصوص الشرعية

الناظر في مقالة الإلهام عند الإمامية يجد أنها جاءت نتيجة ترك التمسك بالأدلة، واتباع الأهواء، فكل من ترك الدليل وصدف عنه؛ وقع في التخبط والزيغ، فالعصمة تكمن في اتباع الوحيين، وعدم الخروج عنهما، وقد سبقت الإشارة إلى حقيقة قول الإمامية في الإلهام، وأن ما قالوه لا يدل عليه دليل صحيح، ولا عقل سليم، وأن حقيقة قولهم مبني على الهوى واستحسان باطل.

وقد ذم الله اتباع الأهواء في كثير من الآيات، قال ابن حزم: "قد حرم الله تعالى ذلك -أي: اتباع الأهواء- قال عزَّجَلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، فمن حكم في دين الله عزَّجَلَّ بما استحسنت وطابت نفسه عليه دون برهان من نص ثابت أو إجماع فلا أحد أضل منه" (١).

قال ابن القيم: "وينقسم الناس إلى صنفين: إما متبع للذكر والدليل والبرهان، وإما متبع لهواه. قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتباع الهوى، فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى" (٢).

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ج ١، ص ١٤٥.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ج ٢، ص ٨٨، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

وسياق الآيات هو في أهل الشرك الذين لم يستجيبوا لله ولرسول الله ﷺ ولم يتبعوه فيما جاء به، إلا أن أهل البدع والأهواء يشتركون^(١) معهم في هذه الصفة، وهي ترك التسليم للنص واتباع الأهواء، قال شيخ الإسلام "وأهل البدع... إنما اتبعوا أهواءهم، فإن أحدهم يتبع محبة نفسه، وذوقها ووجدها وهواها، من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فلو اتبع العلم والكتاب المنير لم يعبد إلا الله بما شاء، لا بالحوادث والبدع"^(٢).

وأكد الشاطبي هذا المعنى فقال: "... اتباع الهوى، ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك"^(٣).

والمقصود مما سبق أن من أسباب دعوى إلهام الأئمة عن الإمامية هو اتباع الأهواء وعدم الرجوع إلى الأدلة التي تنقض بدعهم عامة وبدعة الإلهام خاصة.

المطلب الثالث

تصحيح بدعهم بدعوى أنها أخذت من طريق المعصوم المهتم

ينسب الإمامية أقوال أئمتهم إلى النبي ﷺ، "فالإمامية يُسندون كل ما صحَّ عندهم عن بعض أئمتهم إلى النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ"^(٤)، ويستدلون على ذلك برواية

(١) وليس معنى ذلك تكفير أهل البدع بإطلاق، بل البدع على نوعين: مكفّرة ومفسّقة، والبدع المكفّرة يجب فيها مراعاة وجود الشروط وانتفاء الموانع في تكفير المعين، كما هو منهج أهل العلم.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، ج ١٠، ص ٥٩٢.

(٣) الاعتصام، الشاطبي، ج ٣، ص ١٠٢.

(٤) التحصيل من المحصول، سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي، تحقيق: عبد الحميد

مزعومة أن جعفر الصادق قال: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي (حديث) رسول الله ﷺ، فلا حرج عليكم إذا سمعتم مني حديثاً أن تقولوا: قال رسول الله ﷺ" (١).

وبناء على ذلك فأقوال الأئمة -عندهم- هي نفس أقول الرسول الله ﷺ، بمعنى أن كل إمام سمع من الذي قبله، إلى أن ينتهي إلى قول المعصوم ﷺ، وما قالوا ذلك إلا ليتسنى لهم الكذب على الأئمة والتلفيق في الدين.

وفساد هذه الدعوى ظاهر، بحيث إن الأقوال المنسوبة إلى أئمتهم لا تثبت نسبتها إليهم، فضلاً عن نسبتها إلى الرسول ﷺ، قال شيخ الإسلام: "لا سبيل إلى العلم بصحتها؛ إذ لا أسانيد معلومة ومحفوظة عندهم، فضلاً عن علم غيرهم بها، وانتشار الكذب والتقول على الأئمة بلا علم" (٢)، ومن جهة أخرى نسبوا هذه الأقوال إلى الرسول ﷺ لترويح باطلهم على الناس وتزيينه لهم، ومعلوم أن النبي ﷺ لم يخص علياً (٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعلم دون غيره من الصحابة.

والمقصود من ذلك أن من دوافع القول بإلهام الأئمة هو إضفاء الحجية على قول الأئمة، وجعل أقوال الأئمة بمنزلة أقوال الشارع من جهة الاحتجاج.

علي أبو زنيد، ج ٢، ص ١١٤، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(١) الفائق في أصول الفقه، محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي الشافعي، تحقيق: محمود نصار، ج ٢، ص ١٦٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، ج ٨، ص ١٣٦.

(٣) رد شيخ الإسلام على هذه الدعوى الباطلة في كتابه، منهاج السنة، ابن تيمية، ج ٨، ص ١٣٦.

المطلب الرابع

الاستدلال الفاسد بالنصوص التي لا تدل

على قولهم ولا على مذهبهم

من المعلوم أن كل صاحب قول يحرص على تأييده بالأدلة والبراهين، ويدّعي فيها الصحة والحجية، وكذلك الحال في قول الإمامية، فهم يستدلون له بشبهات ظنوها أدلة، وهي مقدمات فاسدة بنو عليها نتائج فاسدة، وما ذلك إلا بسبب جهلهم وأهوائهم، وسيأتي الكلام على أدلتهم ومناقشتها في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

المبحث الخامس

الرد على دعوى الإلهام عند الرافضة الإمامية

المطلب الأول

الرد على دعوى الإمامية في تعريف الإمام وحقيقة الإلهام

زعمت الإمامية أن الأئمة ملهَمون، وأنهم معصومون عن الخطأ، ويجب على الخلق أتباعهم، فخالفوا جماهير المسلمين في حقيقة الإلهام، وفي أثره المترتب عليه، وهنا أشير إلى بعض الوجوه التي تدل على فساد قولهم:

❖ الوجه الأول: الرد على تعريف الإمام عند الإمامية

الإمام عند الرافضة شخص معصوم معين من قبل الله تعالى، مفترض الطاعة على الخلق، فهذا معنى مخترع لا وجود له في لغة العرب، ولا في معاني آيات القرآن الكريم، وقد استدلوا على هذا المعنى بآيات لا تدل على مقصدهم، مثل

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، نحوها من الآيات.

والمقصود الصحيح من الآيات هنا معناه واحد، وهو القدوة في الخير أو الشر...، والله عَزَّجَلَّ الذي ذكر لفظ (إمام) و(أئمة) في القرآن الكريم أورد اللفظ ذاته في المؤمن والكافر، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال واصفًا الكفار الملعونين: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الفصص: ٤١].

فلو كان لفظ (أئمة) علمًا على الأوصياء، ومنصبًا إلهيًا من الله تعالى؛ لما جاز استخدام اللفظ ذاته في صنف ممن يدعون إلى النار^(١).

❖ الوجه الثاني: الرد على الإمامية في حقيقة الإلهام:

قالوا: الإلهام النكت في القلوب بواسطة الملك، وعليه لا يوجد اشتباه في مصدره، لذا هو حجة معتبرة.

ويمكن الردّ على هذه الدعوى بعدة أمور؛ منها:

- إن الله في كتابه أمر باتباع الوحي المنزل على رسوله ﷺ، واتباع سنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والتحاكم إليها، والصدور عنها، ففيها الهدى وفيها العصمة

(١) انظر: ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، ص ١٤٦، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ -

والغنية، ولا يوجد دليل على صحة إلهام أحد سوى الأنبياء صلوات الله عليهم.
 - الروايات المنسوبة إلى الأئمة لا تثبت بها الحجة؛ فهي غير متصلة إلى قائلها، فضلاً عن نسبتها إلى رسول الله ﷺ.

- عدم إمكانية تمييز مصدر الخاطر الوارد على القلب، فلا يعلم كونه من إلقاء الملك أو غيره، ولو طُلب من صاحبه دليل على أنه وحي ملك لم يستطع أن يأتي بدليل ذلك، بل لو قوبل بدعوى إلهام مخالف ومبطل لما جاء به لم يستطع ردها، فيبقى الحكم بالإلهام حكماً بالظن والتخريص والوهم، والشرع مبناه على العلم والبرهان واليقين.

- الحكم بالقطع على مصدر الإلهام بأنه من الملك لا يكون إلا باعتقاد عصمة الملهم، وهذا باطل، فيكون المزوم باطلاً كذلك.

المطلب الثاني

الرد على الاستدلال الفاسد بالقرآن على إلهام الأئمة

أولاً: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] على وجوب أن يكون الإمام مؤيداً من عند الله وملهمًا.

والجواب:

سياق الآيات هو في الحديث عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأنهم أئمة يُقتدى بهم، وأن الله أوحى إليهم فعل الخيرات والدعوة إليه، قال الطبري: "وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله

في اتباع أمره ونهيه، ويُقتدى بهم، ويتبعون عليه" (١). وقال أيضًا: "وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك. ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا" (٢).

ثانيًا: استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤] وجعلوا مقام اليقين لا يمكن الوصول إليه إلا بالانكشاف، وهذا لا يكون إلا بالإلهام.

والجواب:

هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة، وهي جمع إمام، والإمام الذي يؤتمّ به في خير أو شر، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يؤتمّ بهم، ويهتدى بهديهم" (٣). وقد نص العلماء على وجهين في تفسير الآية لا يخرجان عن معنى الاقتداء، فإما أنهم رؤساء في الخير تبع للأنبياء، وإما أنهم أنبياء (٤).

وأكد ذلك القرطبي فقال: "أي رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. ومعنى (بأمرنا)؛ أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي، فكأنه قال: يهدون بكتابنا، وقيل: المعنى: يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بإرشاد

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج ١٨، ص ٤٥٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج ١٨، ص ٤٥٧.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج ٢٠، ص ١٩٤.

(٤) انظر: تفسير الماوردي، الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج ٤،

ص ٣٦٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الخلق، ودعائهم إلى التوحيد" (١).

ثالثاً: استدلووا بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَلِفِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، على أن الإلهام ليس خاصاً بالأنبياء، بل هو عام في الأنبياء وغيرهم بما فيهم الأئمة.

والجواب:

أن يقال: "إن الوحي في كلام العرب معناه الإلهام، ويكون على أقسام:

وحي بمعنى إرسال جبريل إلى الرسل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ووحي بمعنى الإلهام؛ أي ألهمتهم وقذفت في قلوبهم.

ووحي بمعنى الإعلام في اليقظة والمنام. قال أبو عبيدة: أوحيت بمعنى

أمرت" (٢).

وتفسر الآية على عدة وجوه، قال القرطبي: "واختلف في هذا الوحي إلى أم موسى، فقالت فرقة: كان قولاً في منامها، وقال قتادة: كان إلهاماً، وقالت فرقة: كان بملك يمثل لها، قال مقاتل أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام، وأجمع الكل على أنها لم تكن نبيه، وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور، خرجه البخاري

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج ١١، ص ٣٠٥،

الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٦، ص ٣٦٣.

ومسلم" (١).

رابعاً: استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١].

فقالوا: السماء في هذا الموضع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، والطارق الذي يطرق الأئمة من عند ربهم مما يحدث بالليل والنهار، وهو الروح الذي مع الأئمة يسدّدهم.

الجواب:

تفسيرهم للآية تفسير باطل لا يُعتدّ به شرعاً ولا لغة، بل هو من جنس تفسيرات الباطنية التي تعتمد على الأهواء، والصحيح ما قاله أهل التفسير بأن الله تعالى: "أقسم بالسماء وبالطارق الذي يطرق ليلاً من النجوم المضيئة، ويخفى نهاراً، وكل ما جاء ليلاً فقد طرق" (٢).

وقال السمعاني في الآية: "الطارق هاهنا هو النجم، وأما في لغة العرب فالطارق هو كل ما يطرق ليلاً، وقد قيل: هو الذي يطرق ليلاً كان أو نهاراً" (٣).

وخلاصة المعنى: قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١] قسمان: السماء قسم، والطارق قسم. والطارق: النجم. وقد بينه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [النجم الثاقب: ٢ - ٣] (٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٣، ص ٢٥٠، انظر: تفسير الماوردي، الماوردي، ج ٤، ص ٢٣٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ج ٢٤، ص ٣٥١.

(٣) تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ج ٦، ص ٢٠٢، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٢٠، ص ١.

التعليق:

أولاً: "وجود الإلهام لا نزاع فيه، فأفراد العالم كلها تحت حكم الله تعالى، يُلهم كلاً منها ما أراد، ومن ذلك القلوب، فالباري جل جلاله كما يلهم جميع الكائنات ما أراد، فهو يلهم القلوب كلها، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصى، ولكن هذا الإلهام هو عبارة عن خاطر من جنس هذه الخواطر التي يجدها الإنسان في نفسه"^(١). فهذا القدر صحيح، وأما القول بأن الإلهام علم معصوم ويجب الرجوع إليه ونحو ذلك من الأباطيل فلا.

ثانياً: جميع ما ورد في القرآن في معنى الإمام والأئمة ليس فيه المعنى المبتدع الذي عند الإمامية، بل غاية الأمر أنهم اعتمدوا على لفظة واردة في الآيات فحملوها على المعنى الذي عندهم، فما استدلوا به ليس بصريح في الدلالة على قولهم، بل لا يشير إلى قولهم البتة، لا من قريب ولا من بعيد.

ثالثاً: لما فقد الإمامية بغيتهم من الأدلة على أقوالهم، توجهوا إلى التفسير الباطني للآيات، الذي لا يعتمد على اللغة ولا على السياق ولا على الشرع، بل هو محض افتراء، كما في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾ [الطارق: ١].

المطلب الثالث

رد دليلهم العقلي على عصمة الإلهام عند الأئمة

قالت الإمامية بعصمة الأئمة بدعوى أن الإمام هو من يقتدى به، فلو لم يكن معصوماً للزم اتباعه في المعصية والقبیح، والله تعالى يستحيل عليه أن يأمرنا بالقبیح، قال الموسوي: "الإمام لا بد أن يكون مقتدى به؛ لأن لفظ الإمامة مشتق

(١) انظر: آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلبي اليماني، ج ٤، ص ٣٨٠.

من معنى الاقتداء والاتباع، وإذا ثبت وجوب الاقتداء به وجب أن يكون معصوماً؛ لأنه إذا كان غير معصوم لم نأمن من بعض أفعاله أن يكون قبيحاً، ويجب علينا موافقته فيه من حيث وجوب الاقتداء به، وفي استحالة تعبدنا بالأفعال القبيحة دليلٌ على أن من أوجب علينا الاقتداء به لا بد أن يكون ذلك منه مأموناً، ولا يكون كذلك إلا وهو معصوم^(١).

والرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول: بيان الغاية الصحيحة من نصب الإمام، وعدم اشتراط عصمته لتحقق المصالح المناطة به، فضلاً عن فقد الدليل على صحة دعواهم التي تدل على بطلانها، "والمعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام، ودرء المفاسد، وحفظ الأمن، والنظر في مصالح العامة، وغير ذلك، وليس من شرط بقاءه في الحكم أن يكون معصوماً، ولم يطالبه الشرع بإصابة عين الحق حتماً في كل قضية، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقدر الإمكان، ولا مانع بعد ذلك أن يخطئ ويصيب كبقية الناس، وادعائهم أنه لا يجوز عليه الخطأ يكذبه العقل والواقع.

وكذلك زعمهم أنه لا بد من إمام معصوم للناس، فإنه لا يكفي إمام واحد؛ فإن البلدان متباعدة، ووجود إمام واحد في كل عصر لا يكفي للجميع، فوجب إذًا أن يكون في كل بلد إمام معصوم^(٢).

(١) الشافي في الإمامة، الشريف المرتضي، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ج١،

ص٣٠٩، مؤسسة الصادق، طهران، ط٢، ١٩٨٦م.

(٢) فرق معاصرة، غالب بن علي عواجي، ج١، ص٣٧٨.

الوجه الثاني: عدم وجود دليل على دعوى العصمة عند الأئمة، فقالوا: الإمامة مستلزمة للعصمة، فلا تثبت الإمامة إلا وتثبت العصمة معها، وهو ما نص عليه الموسوي فقال: "إذا ثبت أن أمير المؤمنين - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إمام فقد ثبت بالدليل العقلي أنه معصوم عن الخطأ والزلل"^(١)، وهو قول باطل، وما يبنى عليه باطل كذلك، ومذهب الإمامية لا يعتمد على الدليل والبرهان، بل ليس له أساس علمي، فكل ما عندهم يقوم على مغالطات ومقدمات باطلة، وبيان ذلك "أنهم في مذهبهم محتاجون إلى مقدمتين؛ إحداهما: عصمة من يضيفون المذهب إليه من الأئمة، والثانية ثبوت ذلك النقل [عن الإمام]. وكلتا المقدمتين باطلة"^(٢).

فلا يوجد دليل من القرآن ولا من السنة الصحيحة ولا من العقل على عصمة أحد بعد الأنبياء، وكذلك لا يوجد عندهم أسانيد صحيحة إلى الأئمة تدل على أقوالهم، فدعواهم منقطعة الإسناد، فلا وثوق بها أصلاً.

وقد أكد الإمام الشاطبي بطلان دعوى العصمة عند الإمامية، وذلك لفقد الدليل النقلية والعقلي عليها، بل لا يعدو ما يستدلون به أن يكون شبهات لا تقوى أمام الدليل، فقال: "إن الإمامية من الشيعة تذهب إلى وضع خليفة دون النبي ﷺ، وتزعم أنه مثل النبي في العصمة، بناء على أصل لهم متوهم، فوضعوه على أن الشريعة أبداً مفتقرة إلى شرح وبيان لجميع المكلفين، إما بالمشافهة أو بالنقل ممن شافه المعصوم.

وإنما وضعوا ذلك بحسب ما ظهر لهم بادي الرأي، من غير دليل عقلي ولا نقلي، بل بشبهة زعموا أنها عقلية، وشبهه من النقل باطلة، إما في أصلها، وإما في تحقيق

(١) تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين الموسوي، ص ١٨٤، ط ٢، بيروت، ١٩٨٩ م.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، ج ٤، ص ١٩.

مناطقها. وتحقيق ما يدعون وما يرد عليهم به مذكور في كتب الأئمة، وهو يرجع في الحقيقة إلى دعاوٍ إذا طولبوا بالدليل عليها سُقط في أيديهم؛ إذ لا برهان لهم من جهة من الجهات... فإن طولبوا بالدليل على العصمة لم يأتوا بشيء، غير أن لهم مذهباً يُخفونه، ولا يظهره، ولا لخواصهم؛ لأنه كفر محض ودعوى بغير برهان^(١).

الوجه الثالث: قوع الخلاف والتناقضات في الأقوال المنسوبة إلى الأئمة، فلو كانت ناتجة عن إلهامات معصومة لما وقع الخلاف والتناقض بينهم في أعظم مسائل الدين عندهم، وهو تعيين الأئمة، وهذا معلوم بلا مرية، وقد نص عليه غير واحد من أهل العلم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هب أن علياً كان معصوماً، فإذا كان الاختلاف بين الشيعة هذا الاختلاف، وهم متنازعون هذا التنازع، فمن أين يعلم صحة بعض هذه الأقوال عن عليّ دون الآخر، وكل منهم يدعي أن ما يقوله إنما أخذه عن المعصومين، وليس للشيعة أسانيد متصلة برجال معروفين مثل أسانيد أهل السنة حتى يُنظر في الإسناد وعدالة الرجال، بل إنما هي منقولات منقطعة عن طائفة عرف فيها كثرة الكذب وكثرة التناقض في النقل، فهل يثق عاقل بذلك؟"^(٢).

قال الشهرستاني مؤكداً وجود الخلاف بينهم في تعيين الإمام بعد جعفر الصادق: "ثم إن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - على رأي واحد، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها، حتى قال بعضهم: إن نيفاً وسبعين فرق من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة، ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة. وهم متفقون في الإمامة وسوقها إلى جعفر بن محمد الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومختلفون في المنصوص عليه

(١) انظر: الاعتصام، الشاطبي، ج ١، ص ٢٥٨.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، ج ٤، ص ١٨.

بعده من أولاده، إذ كانت له خمسة أولاد^(١).

الوجه الرابع: تكذيب واقع الحال لدعوى عصمة الأئمة، فقولهم بعصمة الأئمة وأنهم ملهمون، يقوم بهم الدين والدنيا، وطاعتهم فرض لازم على الخلق، وقد رد ابن حزم على هذه الترهات، بقوله: "لا سيّما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد علي والحسن والحسين رَضَوَاللَّهِ عَنْهُمْ ما أمروا قط في غير منازل سكتناهم، وما حكموا على قرية فما فوقها بحكم، فما الحاجة إليهم؟ لا سيما مذمّة عام وثمانين عامًا، فإنهم يدعون إمامًا ضالًّا لم يخلق كعقناء مغرب، وهم أولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة، لم يعجز عن مثلها أحد، وأيضًا فإن الإمام المعصوم لا يعرف أنه معصوم إلا بمعجزة ظاهرة عليه، أو بنص تنقله العلماء عن النبي ﷺ على كل إمام بعينه واسمه ونسبه، وإلا فهي دعوى لا يعجز عن مثلها أحد لنفسه أو لمن شاء، ولقد يلزم كل ذي عقل سليم أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف، الذي ترتفع عقول الصبيان عنه، وما توفيقنا إلا بالله عزَّجَلَّ"^(٢).

وليس الغرض هنا تتبع شبهاتهم في الإمامة والعصمة، وإنما الإشارة إلى أن قولهم بعصمة الأئمة في الإلهام هو فرع عن قولهم بالعصمة، فإذا أبطلنا الأصل بطل الفرع، وهو عصمة الإلهام عند الأئمة.

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ج ١، ص ١٦٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج ٤، ص ٧٩.

المطلب الرابع

الرد على الإمامية في دعواهم حجبية ووجوب

التحاكم إلى المعصوم الملهم

ودعوى العصمة تضاهي المشاركة في النبوة، فالمعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذا من خصائص الأنبياء، وهذه الدعوى تناقض قواطع الدين التي دلت على وجوب اتباع الوحيين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. قال شيخ الإسلام معلقاً على الآية الكريمة: "فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، فمن أثبت شخصاً معصوماً غير الرسول أوجب رد ما تنازعا فيه إليه؛ لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسول. وهذا خلاف القرآن، وأيضاً فإن المعصوم تجب طاعته مطلقاً بلا قيد، ومخالفه يستحق الوعيد، والقرآن إنما أثبت هذا في حق الرسول خاصة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، فدل القرآن في غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم، فالرسول ﷺ هو الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار، وبين الأبرار والفجار، وبين الحق والباطل، فمن اتبعه فهو السعيد، ومن خالفه فهو الشقي. وليست هذه المرتبة لغيره. (١)

(١) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ج٦، ص ١٩٠.

والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو منهج الصحابة رضوان الله عليهم فكان مرجعهم وإمامهم وصدورهم إلى كتاب الله لا يحيدون عنه ولا يتركونه وهم الذين تربو على مائدة الرسالة، ويؤكد هذا المعنى موقف علي رضي الله عنه أنه قبل التحاكم إلى كتاب الله في الفتنة التي جرت بينه وبين معاوية رضي الله عنهم جميعاً.

قال ابن حزم في سياق إلزام الإمامية بموقف علي رضي الله عنه، فقال: "وجدنا علياً رضي الله عنه إذ دعي إلى التحاكم إلى القرآن أجاب وأخبر أن التحاكم إلى القرآن حق، فإن كان علي صواباً في ذلك فهو قولنا، وإن كان أجاب إلى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه، ولو كان التحاكم إلى القرآن لا يجوز بحضرة الإمام لقال علي حينئذ: كيف تطلبون تحكيم القرآن وأنا الإمام المبلّغ عن رسول الله ﷺ؟ فإن قالوا: إذ مات رسول الله ﷺ فلا بد من إمام يبلغ الدين، قلنا: هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته" (١).

وغاية ما يجب اعتقاده في هؤلاء الأئمة أن يعاملوا كبقية الأئمة والخلفاء، فلا يوجد دليل يخصصهم بأشياء دون غيرهم، فمن أهل البيت "من كان خليفة راشداً تجب طاعته كطاعة الخلفاء قبله وهو علي، ومنهم أئمة في العلم والدين يجب لهم ما يجب لنظرائهم من أئمة العلم والدين كعلي بن الحسين، وأبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق. ومنهم دون ذلك" (٢).

وقد حكم أهل العلم على دعوى عصمة أحد بعد الرسول ﷺ بالضلال، وذلك لمصادمتها صريح القرآن، قال شيخ الإسلام "...كأئمة الضلال الرافضة

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج ٤، ص ٧٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١٩، ص ٦٩.

الإمامية، حيث جعلوا في كل وقت إمامًا معصومًا تجب طاعته، فإنه لا معصوم بعد الرسول، ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء" (١).

ويتبين مما سبق نقض دعوى العصمة لغير الأنبياء، ويترتب على ذلك نقض دعوى الإلهام المعصوم، فهو جزء من قضية العصمة، فليس ثمّ ما يدل على العصمة، ولا ما يدل على عصمة الإلهام، بل دل الكتاب والسنة على خلافها.



(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١٩، ص ٦٩

الخاتمة

مما لا شك فيه خطورة دعوى حجية الإلهام عند الإمامية، فاعتباره حجةً مطلقاً بلا قيد أو شرط فتحّ لباب الكذب على الله عزَّجَلَّ وعلى ورسوله ﷺ، بدعوى الإلهام، فكل واحد بإمكانه أن يدّعي ما يشاء فيما يشاء، بلا رقيب ولا حسيب، وهذا شرٌّ مستطير، وهو سبب ضلال الأمم السالفة من أهل الكتاب كاليهود والنصارى.

ومن واجب العلماء حثُّ الأمة أفراداً وجماعات على اتباع نصوص الوحيين، والتمسك بهما، والتحذير من البدع وأسبابها، مثل الغلو في الدين، وترك السنة والاتباع، والاستدلال الفاسد للنصوص، فظهور البدع والخرافات سبب من أسباب تراجع الأمة وتخلفها وضعفها الذي يحرص عليه أعدائها.

✦ أبرز النتائج:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها:

- بيان حقيقة الإلهام الذي يقع في القلوب، وأنه تخايل لا يقطع بمصدره، ولا سبيل للجزم بأنه من عند الله تعالى، وينبني على ذلك عدم اعتباره حجة عند أهل السنة والجماعة.

- ظهور فروق بين الإلهام والألفاظ المقاربة له في المعنى، مثل: الوحي، والفراسة، والتحديث، ونحو ذلك.

- بطلان زعم الرافضة الإمامية حجية الإلهام عند الأئمة وعصمتهم.

- فساد استدلال الرافضة الإمامية على إلهام الأئمة، فكل ما استدلوا به لا

يعدو أن تكون شبهات لا تثبت أمام البراهين والحجج.

✿ أبرز التوصيات:

- لزوم مذهب أهل السنة والجماعة في سائر أبواب الدين، وخاصة في أبواب الاعتقاد، فمذهبهم يمتاز بالوسطية، والسلامة من التناقضات والاضطرابات، بخلاف مذاهب أهل الأهواء والبدع.

- تضافر الجهود في تمييز مقالات أهل السنة والجماعة وإظهار مذهبهم وأدلتهم والدفاع عنها، والرد على المخالفين وبيان تناقضاتهم وتهافت استدلالاتهم.

- دراسة موضوع الإلهام عند اليهودية أو الإلهام في الديانات الوضعية. وأخيراً أقول: هذا ما أمكن إيراده وتيسر جمعه واستيفائه في هذا الموضوع، وإني لأرجو الله تعالى بمنه وفضله التجاوز والعفو عن الخطأ والتقصير.



المصادر والمراجع

١. آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجموعة من الباحثين، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ.
٢. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٣. أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦ م.
٤. الأصول من الكافي، الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار صعب، بيروت، ط ٤.
٥. الاعتصام، بالشاطبي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٦. الاعتقاد والهداية، البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ.
٧. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

٩. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٠. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.

١١. البداية والنهاية، ابن كثير، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م.

١٢. بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.

١٣. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٤. التحصيل من المحصول، سراج الدين محمود الأزْمَوِي، تحقيق: عبد الحميد علي أبو زيد، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٥. التسعينية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٦. تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز - عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء

- التراث - توزيع المكتبة المكية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
١٧. تفسير القرآن الكريم = التفسير القيم لابن القيم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.
١٨. تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٩. تفسير الماوردي، الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠. التقرير والتحجير، ابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٢١. تقويم الأدلة في أصول الفقه، الدبوسي الحنفي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٢. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
٢٣. تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين الموسوي، بيروت، ١٩٨٩ م.
٢٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.

٢٥. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، الناشر: عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٦. ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
٢٧. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٨. جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٩. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٣٠. الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة، محمد بن أسعد الصديقي الدوّاني، جلال الدين، تحقيق: عبد الله حاج علي منيب، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣١. الخرائج والجرائح، سعيد بن عبد الله الراوندي، مؤسسة نور، ط ٢، ٥١٤١١هـ.
٣٢. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٣٣. الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة،

- إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان.
٣٤. الروح، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٥. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٣٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
٣٧. الشافي في الإمامة، الشريف المرتضي، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة الصادق، طهران، ط ٢، ١٩٨٦ م.
٣٨. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
٣٩. شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٤٠. شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.
٤١. صبب العذاب على من سب الأصحاب، محمود الألوسي، تحقيق: عبد الله البخاري، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٢. الفائق في أصول الفقه، محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي الشافعي، تحقيق: محمود نصار، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤٣. فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
٤٤. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٤٥. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر التعريفات، الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٤٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.
٤٧. الفتوحات المكية، ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨ م.
٤٨. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤٩. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
٥٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى

الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥١. لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٥٢. مجمع الزوائد، الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٥٣. مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

٥٤. مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٥٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٥٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٧. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨ هـ.

٥٨. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد،

- وآخرين، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٥٩. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
٦٠. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٦١. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٦٢. معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٦٣. الملل والنحل، الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.
٦٤. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب.
٦٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦٦. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

٦٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٩. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.



فهرس الموضوعات

- ملخص البحث ٣٤٥
- المقدمة ٣٤٦
- التمهيد التعريف بالرافضة الإمامية ٣٥٢
- المبحث الأول: تعريف الإلهام والفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث ٣٥٦
- المطلب الأول: تعريف الإلهام ٣٥٦
- أولاً: تعريف الإلهام في اللغة ٣٥٦
- ثانياً: تعريف الإلهام في الاصطلاح ٣٥٧
- المطلب الثاني: الفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث ٣٥٩
- المبحث الثاني: حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة وحجتيه ٣٦٣
- المطلب الأول: حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة ٣٦٣
- المطلب الثاني: استدلال أهل السنة والجماعة على الإلهام ٣٦٥
- المطلب الثالث: حكم الاحتجاج بالإلهام عند أهل السنة والجماعة ٣٧١
- المبحث الثالث: حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية واستدلالاتهم ٣٧٦
- المطلب الأول: حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية وحجتيه ٣٧٦
- المطلب الثاني: تطبيقات وأمثلة للإلهام عند الرافضة الإمامية ٣٨١
- المطلب الثالث: دعوى الرافضة الإمامية سماع كل إمام من الذي سبقه ٣٨٢
- المطلب الرابع: استدلالات الرافضة الإمامية على إلهام الأئمة ٣٨٤
- المبحث الرابع: أسباب القول بالإلهام عند الرافضة الإمامية ٣٨٥

- المطلب الأول: الغلو في الأئمة وفي الإمامة ٣٨٥
- المطلب الثاني: اتباع الهوى وترك التمسك بالنصوص الشرعية ٣٨٨
- المطلب الثالث: تصحيح بدعهم بدعوى أنها أخذت من طريق المعصوم الملهم ٣٨٩
- المطلب الرابع: الاستدلال الفاسد بالنصوص التي لا تدل على قولهم ولا على مذهبهم ٣٩١
- المبحث الخامس: الرد على دعوى الإلهام عند الرافضة الإمامية ٣٩١
- المطلب الأول: الرد على دعوى الإمامية في تعريف الإمام وحقيقة الإلهام ٣٩١
- الوجه الأول: الرد على تعريف الإمام عند الإمامية ٣٩١
- الوجه الثاني: الرد على الإمامية في حقيقة الإلهام ٣٩٢
- المطلب الثاني: الرد على الاستدلال الفاسد بالقرآن على إلهام الأئمة ٣٩٣
- المطلب الثالث: رد دليلهم العقلي على عصمة الإلهام عند الأئمة ٣٩٧
- المطلب الرابع: الرد على الإمامية في دعواهم حجية ووجوب التحاكم إلى المعصوم الملهم ٤٠٢
- الخاتمة ٤٠٥
- أبرز النتائج ٤٠٥
- أبرز التوصيات ٤٠٦
- المصادر والمراجع ٤٠٧
- فهرس الموضوعات ٤١٦

**«الطقوس الدينية»
في الخطاب الحدائي
دراسة تحليلية نقدية**

د. ندى بنت حمزة بن عبده خياط

أكاديمية سعودية، أستاذ مشارك، قسم الدراسات
الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة

ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى عرض مفهوم الطقوس عند الحدثيين العرب عرضاً تحليلياً ونقدياً، من خلال دراسة كتاباتهم عن الطقوس الدينية، وبيان مفهوم الطقوس في الطرح الفكري الغربي أولاً، وبيان معناها عند الحدثيين العرب عبر استعراض أهم تعريفاتهم للطقوس، ثم عرض وظائف الطقوس وفق النظرة الحدائية، مجمّلةً في الوظيفة الرمزية والوظيفة الاجتماعية والوظيفة النفسية.

وقد عرضت الدراسة جملة من التطبيقات الحدائية في توظيف المصطلح على جملة من العبادات مثل الصلاة والحج واحكام الجنائز، واستعرضت أهم الملاحظات النقدية على هذا التوظيف، عبر قراءة تفكيكية للفعل الحدائبي في هذا المجال، رابطة ذلك بالجزور الغربية الفلسفية لهذا الفكر.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

- أن مصطلح (الطقوس) هو مصطلح جديد في فضاءنا الفكري، وليس من إنتاج ثقافتنا العربية أو الإسلامية، بل هو من المصطلحات المستوردة من العالم الغربي.
- أن وظائف العبادات في الخطاب الحدائبي تختزل في ثلاثة أدوار؛ هي: الوظيفة الرمزية، والوظيفة الاجتماعية، والوظيفة النفسية.
- ينطلق أهل الحدائبة في كتاباتهم النقدية للإسلام من الخلفية المادية التي لا تؤمن بدين خارج نطاق التاريخ، لذلك جاءت رؤيتهم للعبادات في الإسلام متناسقة ومنسجمة تماماً مع المفهوم الغربي للطقوس الدينية.

- سمة النقد الحدائلي للعبادات في الإسلام هي أنه كان نقدًا منفتحًا على المناهج النقدية المعاصرة المستمدة من علوم النفس والاجتماع الإنساني الغربية، دون اعتبار لخصوصيتها الثقافية ونسبيتها الزمكانية.

د. ندى بنت حمزة بن عبده خياط

nada4100@gmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيد ولد آدم ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن ما تشهده الساحة الفكرية المعاصرة من هجمة شرسة على ثوابت الدين وتفريغ لمضامينه باستخدام أحدث المناهج النقدية المعاصرة المستمدة من علوم النفس والاجتماع الإنساني - وخصوصاً مناهج ما بعد الحداثة - في هذه السنوات الأخيرة التي نعيشها = لهو أمرٌ جللٌ، يستلزم استنفاراً من المختصين والمهتمين بالشأن الديني؛ لتحليل ونقد ما يُنتج من أفكار، وما يُستحدث من مفاهيم، وما يُصاغ ويُستجلب من مصطلحات غريبة، من قبل أدياء الحداثة العربية المعاصرة، من بيئتها التي أنتجتها، دون مراعاة لخصوصيتها المعرفية التي أفرزتها، وتطبيقها كما هي على هذا الدين الحنيف؛ لإفساد عقيدته وللتشكيك في صحته وطمس حقيقته، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

ورغبة في المشاركة في التصدي لهذا الجيش الجرار الذي يعصف بالأفكار، عازمت على دراسة بعض هذه الأفكار، ومن بينها مصطلح (الطقوس الدينية) الذي يستخدمه الحدائبيون لنزع القداسة عن العبادات الإسلامية؛ رغبة منهم في القضاء على الإسلام وتنحيته عن واقع المسلمين المعاش.

وقد وقفت على عدة كتابات ودراسات حديثة للعبادات في الإسلام، منها ما أفرد في مؤلف خاص ككتاب: طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهيّة، للمؤلف: عبد الرحيم بوهاها^(١).

وكتاب ليلة القدر في المتخيل الإسلامي، للمؤلف: بسام الجمل^(٢).

وكتاب الموت وطقوسه من خلال صحيح البخاري ومسلم، للمؤلفة: رجاء بنت سلامة^(٣)، وفي المقابل لم أقف على دراسة خاصة في معالجة هذا الموضوع ونقده،

لذلك اخترت دراسة هذا الموضوع تحت عنوان: (الطقوس الدينية في الخطاب الحدائي: دراسة تحليلية نقدية).

وعن خطتي في البحث:

فقد رسمتُ لبحثي خطة مكونة من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول خصصته لتعريف الطقوس وبيان علاقتها بالمعتقد.

والمبحث الثاني خصصته لبيان وظائف الطقوس في الخطاب الحدائي.

والمبحث الثالث ذكرت فيه نماذج وتطبيقات عملية لتوظيف الحدائين لمصطلح الطقوس على العبادات في الإسلام.

والمبحث الرابع ذكرت فيه ملاحظات نقدية على استخدام الحدائين

(١) سيأتي التعريف به في أثناء البحث.

(٢) سيأتي التعريف به في أثناء البحث.

(٣) سيأتي التعريف بها في أثناء البحث.

لمصطلح الطقوس على العبادات في الإسلام.

ثم الخاتمة وقائمة بالمراجع وفهرس للمحتويات.

وقد رسمت لبحثي منهجاً حاولت الالتزام به، وهذه أبرز ملامحه:

- الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي في بيان مفهوم (الحدائث) و(الدين) و(الطقوس) في الفكر الغربي من خلال المراجع المعتمدة.
- الاعتماد على المنهج الوصفي في عرض طريقة توظيف الحدائث للمصطلح بذكر نماذج من كتابات بعض رموزهم، من غير استقصاء، فإن ذلك مما لا تتحمله طبيعة هذا البحث المختصر، مع الالتزام بالمنهجية العلمية في تسجيل أقوالهم وعدم اجتزائها.
- عرض أبرز الملاحظات النقدية على أقوالهم مع التزام العدل والإنصاف.
- تخريج الأحاديث بعزوها وبيان الحكم عليها.
- التعريف بالأعلام بشكل مختصر.
- وأسأل الله جل في علاه أن يوفقني ويتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، وأن يستعملني في مرضاته سبحانه، إنه نعم المولى ونعم النصير.



التمهيد

قبلولوج في تفاصيل البحث يحسن هنا أن نمهد له بذكر مفهوم الحداثة، ثم بيان معنى الدين وما يشتمل عليه من مكونات أساسية في الفكر الغربي المعاصر.

إن معنى الحداثة يستحضر فكرة قيام عصر جديد على أنقاض القديم، عهد من التقدم غير المحدد، وللحداثة مدافعون عنها متحمسون، كما أن لها من ينتقدها بشدة حتى في الغرب نفسه.

ولفهم المصطلح لا بد من دراسة وتتبع ظهوره داخل المجتمع المدروس، ففي الفضاء العربي نجد أن الحداثة تعني عند البعض (النهوض بأسباب العقل والتقدم)، وعند آخرين هي (ممارسة السيادة الثلاث عن طريق العلم والتقنية: السيادة على الطبيعة، والسيادة على المجتمع، والسيادة على الذات)، والبعض يقصرها على (قطع الصلة بالتراث) و(طلب الجديد) و(محو القدسية عن العالم) و(العقلنة) و(الديمقراطية) و(حقوق الإنسان) و(قطع الصلة بالدين) و(العلمانية)^(١)، فالحداثة تختلف بحسب رؤى وطموحات أصحابها واتجاهاتهم الفكرية، ويمكن أن تعرّف بأنها: محاولات فكرية - إما في التنظير وإما في الممارسة - تحاول أن تتخذ من الأنموذج الغربي مثلاً أعلى يُحتذى به، في مساره الفلسفي وفي تحولاته الفكرية، في قراءة التاريخ والتراث وتحديد مفهوم النهضة والتقدم بوعي أو بغير وعي أحياناً.

يسعى أدياء الحداثة في مقارباتهم الفكرية وأطروحاتهم الفلسفية عند

(١) انظر: ص ٢٣ روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، و ص ١١٧ أو هام الهوية.

دراستهم للدين الإسلامي وقراءتهم لنصوص الوحيين أن يدرسوا الدين على أنه ظاهرة بشرية تُطرح على بساط الدرس والمعالجة كأى ظاهرة إنسانية أخرى، تخضع لتحويلات وتغيرات نقدية وجذرية، في محاولات وتوسلات حثيثة منهم؛ لإعادة ترتيب المشهد الإسلامي وفق القيم العالمية وهيمنة النموذج الثقافي الفكري الأجنبي.

ولأجل ذلك حاول أصحاب هذا الاتجاه الحدائثي إخضاع النص الشرعي بمكوناته العقدية والعبادية لعملية تحديث مستمرة، عبر استخدام ترسانة ضخمة من المناهج الحديثة والعلوم الإنسانية المعاصرة، وإنزالها على الدين الإسلامي لفك غموضه وإزالة لُبسه؛ لتحليل البنى المكونة له - كما يزعمون^(١) - كسائر الأديان الأخرى، دون اعتبار لخصوصية هذا الدين، ولا مراعاة لتفرده وتمائزه عن غيره من سائر الأديان.

وقد اهتم الفكر الغربي المعاصر اليوم بدراسة الأديان باعتبارها ظاهرة من الظواهر الإنسانية المرتبطة بسياقاتها الاجتماعية والثقافية والتاريخية، وذلك لما لها من أهمية وحضور في نفس الإنسان، والأديان من أهم مكونات الشخصية الأساسية كما يقول علماء النفس والاجتماع، فالدين لا يمكن نزعهِ واستئصاله من المجتمعات؛ لأنه "ما إن يُطرد من حياة بعض المجتمعات بسبب سيطرة

(١) تقول أمال قرامي: "فالإسلام مثله مثل أي دين آخر، ليس منظومة عقدية دينية نظرية منغلقة بقدر ما هو تمثيل بشري وممارسة اجتماعية يومية متغيرة، تتأثر بطروف الواقع التاريخي وبأحوال الناس وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والسياسية، فيتحول الدين نتيجة ذلك إلى ظاهرة اجتماعية لها دلالتها ووظائفها. ولئن حاول البعض قصر مفهوم الإسلام على العقيدة والعبادات فإن معاينة الواقع أثبتت أن الدين مفهوم ثقافي عام يتجاوز حدود العقائد والطقوس" ص ١٣٢ الإسلام الآسيوي.

النزعة العقلانية العلمانية في العصور الحديثة؛ حتى يعود بقوة من جديد في حياة تلك المجتمعات، لذلك لا يمكننا أن نتصور مجتمعاً انتفى المقدس من حياة جميع فئاته"^(١).

فالدين دائم الحضور، ولا توجد لحظة تاريخية عاشها الإنسان من غير دين، فالإنسان هو "كائن متدين"^(٢) بامتياز.

يقول غوستاف لوبون الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي في كتابه: (الآراء والمعتقدات) في الإيمان إنه: "يتبدل موضعاً ولكنه لا يموت أبداً، لأن احتياج الإنسان إلى الاعتقاد هو عنصر نفسي مسيطر كاللذة والألم"^(٣).

ومن المستحسن ذكره هنا وقبل الولوج في تفاصيل هذه الورقة بيان معنى الدين في المفهوم الغربي، وبيان مكوناته الأساسية التي اشتمل عليها، وهو المعنى الذي يُجمع عليه أدعياء الخطاب الحدائثي العربي.

إن تعريف الدين في الفكر الغربي المعاصر يتضح من خلال البحث في كتابات علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا^(٤)، فنجد أن معنى الدين عند مؤسس علم الاجتماع دور كهايم^(٥) (ت ١٩١٧م) هو: "نظام متسق من المعتقدات

(١) ص ٢٧٦ متخيل النصوص المقدسة في التراث العربي الإسلامي، حمادي المسعودي.

(٢) ص ١٩ الدين والتدين.

(٣) ص ١٥ الآراء والمعتقدات.

(٤) الإنثروبولوجيا أو الإنتربولوجيا: هو الفرع الذي يهتم بعلم الإنسان ويجعله محور البحث الفلسفي فيما يتعلق به من الجوانب الفكرية والمعرفية والجوانب العلمية والنفسية. انظر: (١/ ٧٤)، موسوعة لالاند الفلسفية.

(٥) شخصية فرنسية تُعد من أهم الشخصيات الفكرية الغربية في إنشاء علم السوسولوجيا، من مؤلفاته: الأخلاق المهنية والأخلاق المدنية، انظر: ص ١١٤-١٢٥ خمسون عالمًا اجتماعيًا

والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة، يجيء عزلها عن الوسط الدنيوي، وتحاط بشتى أنواع التحريم، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة تدعى كنيسة^(١).

ويرى أيضًا أن طبيعة تكوين الظواهر الدينية تنقسم "إلى قسمين أساسيين: العقائد والطقوس، الأولى هي حالات الفكر وتظهر في التمثلات، والثانية هي أشكال معينة من الفعل، وبين هذين المستويين يوجد الفاصل بين الفكر والعمل"^(٢).

فالدين في الفكر الحديث مركب من أمرين أساسيين؛ هما: المعتقد والطقس المعبر عن المعتقد، يقول رائد علم الأنثروبولوجيا جيمس فريزر^(٣) (ت ١٩٤١م) في أثناء تعريفه للدين: "الدين كما أفهمه هو عبارة عن استرضاء أو استمالة قوى تفوق قوة الإنسان، يعتقد أنها توجه وتتحكم بسير أمور الطبيعة والحياة البشرية"^(٤).

وفي بيان هذا المعنى يقول فراس السواح^(٥): إن الدين هو "عملية استرضاء

أساسياً (المنظرون المؤسسون).

(١) ص ٤٧ الأشكال الأولية للحياة الدينية.

(٢) ص ٥٠ المرجع السابق.

(٣) عالم إسكوتلندي، ألف كتابه المشهور (الغصن الذهبي) (The Golden Bough)، وهو عبارة عن دراسة في السحر والدين، وضح فيه أن كثيرًا من الأساطير الدينية و الشعائر الدينية أصلها منذ أيام ظهور الزراعة في عصر ما قبل التاريخ، وأن التطور العقلي البشري مر بثلاث مراحل: السحر البدائي، والدين، والعلم. انظر: التعريف به ص ٦ وما بعدها من مقدمة المترجم لكتاب الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين).

(٤) ص ٧٩ المرجع السابق.

(٥) كاتب ومفكر وباحث سوري في الميثولوجيا وتاريخ الأديان، ولد في مدينة حمص السورية

وطلب عون أعلى من الإنسان، يُعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية، وهذه العملية تنضوي إلى عنصرين، واحد نظري والآخر تطبيقي عملي. فهناك الاعتقاد بقوى عليا، يليه محاولات لاسترضاء هذه القوى، ولا يصح الدين بغير توفر هذين العنصرين"^(١).

وستلقي هذه الورقة بإذن الله الضوء على معنى الطقوس، وستبين الدور الحدائي في نزع القداسة وزعزعة الثواب وأنسنة الطقوس بحسب الأمزجة والأهواء، ودون اعتبار لخصوصية هذا الدين وتعاليمه، وكيف يحصل كل ذلك وفق سياسة العرض والطلب في سوق عالم الأفكار المعاصر.

المبحث الأول

تعريف الطقوس وعلاقتها بالمعتقد

يعرض هذا المبحث معنى الطقوس في المعاجم الفلسفية الغربية، فهذه المفردة مستوردة من الثقافة الغربية ومأخوذة عنها.

أما عند البحث عن مفهوم الطقوس في المعاجم فإننا لا نجد لها تعريفاً في المعاجم اللغوية العربية القديمة ككتاب: (العين) للفراهيدي وكتاب (تهذيب اللغة) للأزهري وكتاب (لسان العرب) لابن منظور وكتاب (مقاييس اللغة) لابن

عام ١٩٤١م، يعمل أستاذاً بدرجة (بروفيسور) في جامعة بكين للدراسات الأجنبية منذ عام ١٩٧٦، وهو مختص بدراسة الحضارة العربية وتاريخ الأديان في الشرق الأدنى، ولمزيد من التعريف به راجع: حوار مع المفكر السوري فراس السواح، حاوره: عبد الستار الكفيري، بتاريخ ٨/١٢/٢٠١٣م، على موقع مجلة الآوان على الشبكة العنكبوتية.

(١) ص ٢٣ دين الإنسان.

فارس وكتاب (تاج العروس) للزبيدي، في حين أننا نجد معنى الطقوس في المعاجم الحديثة مثل (المعجم الوسيط)، وفيه أن كلمة طقوس تشير "إلى الكيفية التي يتم بها أداء الأنشطة المقدسة وتنظيمها في إطار احتفالي، ويشار بها في الديانة المسيحية إلى النظام الذي تتم به الشعائر والاحتفالات الدينية المقدسة"^(١)؛ أي أن معناها خاص بالدين المسيحي.

أما في المعاجم الفلسفية ومعاجم علم الاجتماع وغيرها فإننا نجد أن مفردة الطقس في اللغتين الفرنسية والإنجليزية هي كلمة: (Rite)، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية: (Ritus)، وجاء معناها في قاموس لاروس أنها: "مجموع الأنشطة والأفعال المنظمة التي يتخذها جماعة ما خلال احتفالاتهم"^(٢)، فالطقوس إذن ممارسات جماعية ولها صبغة احتفالية كما يظهر من هذا التعريف.

وقد توسع معجم مصطلحات علم الاجتماع في ترجمة وبيان معنى الطقوس (Rites)، وذكر أن معناها هو: (الشعائر)، وأن كلاً من جيمس فريزر، ولوسيان ليفي بروهل^(٣)، وكلود ليفي ستروس^(٤)، قد ذكروا في عدد من الكتب المخصصة

(١) ص ١١ (مادة: ط ق س) المعجم الوسيط.

(٢) Rite: mot dérive du Latin "Ritus", 1486, in Larousse, Dictionnaire de la langue française, Ed 1988 , p 1652.

(٣) لوسيان ليفي-بريل توفي سنة ١٩٣٩م، فيلسوف وعالم اجتماع، وأثنولوجي فرنسي. له بحوث في العقلية البدائية. كان أستاذاً بجامعة السوربون، أهم كتبه (الوظائف العقلية في المجتمعات البدائية)، و(العقلية البدائية)، انظر: ص ٦٠٩ معجم الفلاسفة.

(٤) يعد من أهم الأثنولوجيين الفرنسيين الذين لهم تأثير ملحوظ في تطور العلوم الإنسانية عامة والأبحاث الأثنوبولوجية على وجه التحديد، وله عدة مؤلفات من بينها: الأثنوبولوجيا

للسحر والعقلية البدائية أو الفكر الهمجي أن الطقوس: "مجموعة من الأفعال المتكررة والمقتنّة، غالبًا ما تكون احتفالية وذات طابع شفوي أو حركي أو وضعي، وذات صبغة رمزية وترتكز هذه الأفعال على الإيمان بقوة الكائنات الفعالة أو بالقدرات المقدسة، التي يسعى الإنسان للتواصل معها"^(١)، وعلى هذا التعريف تكون الطقوس عبارة عن ممارسات وأقوال قد تكون احتفالية وقد لا تكون، تهدف لاتصال الإنسان بكائن أعلى وأسمى.

وجاء في ذات هذا المعجم أيضًا أن الطقوس صنفان؛ هما: "طقوس إيجابية كالصلاة والتبرع، أو سلبية كالمحرمات والممنوعات، أو بالتكفيرية بالإحالة إلى التطهير أو التكفير عن الذنوب"^(٢).

وقد ذكر الكاتب الألماني قوفمان في مقاربتة السوسيوولوجية^(٣) للممارسات في حياة الناس "أن الناس كائنات طقوسية بكل امتياز، ولا يمكنهم العيش معًا إلا بواسطة طقوس تنظم مبادلاتهم الرمزية المختلفة"^(٤)، فالطقوس إذن من أخص

البنائية. توفي سنة ٢٠٠٩م، انظر: ص ٣٥٠-٣٥٣ خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا (المنظرون المعاصرون).

(١) ص ١٥٣-١٥٤ معجم مصطلحات علم الاجتماع.

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) السوسيوولوجيا: تعني دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها تشكل مجالًا لمؤثرات طبيعية خاضعة لقوانين على غرار قوانين الظواهر الفيزيائية والبيولوجية. انظر: (٣/١٣٠٨) موسوعة لالاند الفلسفية.

(٤) Goffman, Erving, les rites d'interaction, (trad. de l'anglais par Alain

Kihm,) Paris

Minuit, coll «le sens commun», 1974, p 240

خصائص الإنسان ولها أهمية بالغة في تنظيم حياته مع الآخرين.

وقال رائد علم الاجتماع المعاصر ماكس فيبر^(١) (ت ١٩٢٠م): "يمكن أن نسمي علاقات الناس بالقوى فوق طبيعية، والتي يعبر عنها بالصلاة والتضحية والتبجيل طقسًا وديانة"^(٢).

إذن علاقة الناس بالله وارتباطهم به وفق نظام العبادات هو معنى الطقس والدين عند أبرز علماء الاجتماع الغربيين.

وجاء في قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور أن أصل مادة (Rite) هي: (العادات). وذكر القاموس قول عالم اللسانيات والأنثروبولوجيا سايبير^(٣) (ت ١٩٣٩م): أن هذه الكلمة تدل "على مجموع الأنماط السلوكية التي يحملها التراث وتعيش في الجماعة"^(٤)، وذكر أن "هناك مفهومين يحتلان مكان الصدارة بين تعريفات العادة؛ وهما: الامتثال الجماعي المعياري على نحو أو آخر،

(١) عالم ألماني ولد سنة ١٨٦٤م، ويُعد من أهم مفكري القرن العشرين وأحد أكثر علماء الاجتماع تأثيرًا في العالم، من أشهر مؤلفاته: الأخلاق البروتستانتية، وكتاب الاقتصاد والمجتمع، انظر: ص ٢٤٣ وما بعدها خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا (المنظرون المؤسسون).

(٢) Weber.M, Economie et Societe, Pion, 1995, Tom 2, P 172

(٣) إدوارد سايبير ولد بألمانيا سنة ١٨٨٤م، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو عالم لسانيات وإنثروبولوجي، وله تأثيره الأقوى على علم اللسانيات في الولايات المتحدة، من مؤلفاته: أنثروبولوجيا وثقافة، وكتاب اللغة مدخل لدراسة الكلام، انظر: ص ٥٣٩-٥٤٠ معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا.

(٤) ص ٢٤٧ قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفلكور.

والتراث التاريخي" (١).

وجاء في المعجم الفلسفي لمراد وهبة أن مصطلح (Rite): "يدل على أسلوب العبادة والجنائز والموايد" (٢).

وجاء في موسوعة علم الاجتماع أن ترجمة (Ritual) هو: (الشعيرة أو الشعائري)، وأن الشعيرة هي: "نمط متكرر في الغالب من السلوك، يتم أدائه في مواقيت مناسبة، وقد يتضمن استخدام رموز. ويعتبر الدين واحداً من الميادين الاجتماعية الرئيسة التي يتم فيها ممارسة الشعائر، وإن كان نطاق الشعائر قد يمتد إلى جوانب علمانية ودينية في الحياة اليومية أيضاً" (٣).

فالطقوس إذن تأتي بمعنى العبادات والعبادات والشعائر أيضاً، ومن خصائصها وسماتها الرغبة في الاتصال بالمقدس عبر الصلاة والدعاء والذكر وغيرها من الأعمال، وأنها تحافظ على انضباط حياة الناس وانتظامهم في جماعة واحدة.

ويذهب الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون إلى أن المؤمن المتعصب لو "نفي إلى بادية ليس فيها ما يذكره بدينه لضعف إيمانه بسرعة، فالذي يجعل الزهاد والمبشرين حافظين لإيمانهم هو كونهم يتلون كتب الدين كل يوم، ويقضون أوقاتهم بالصلاة والتسبيح، والذين أوجبوا القساوسة أن يتلو كل نهار كتاب الفرض الكنسي هم من الواقفين على أحوال النفس وتأثير التلقين

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) ص ٣٩٥ المعجم الفلسفي.

(٣) (٢/٧٣٤-٧٤٣٥) موسوعة علم الاجتماع.

والتكرار فيها" (١).

ويهدف التقرير السابق إلى بيان ما للطقوس التي يلقتها رجال الدين للناس من دور مركزي ومباشر في استمرار بقاء المعتقدات في أثناء تلقيهم للناس أمور الدين، وتذكيرهم بضرورة ممارسة العبادات، وهذا الدور مهم جداً للمحافظة على الأديان وضمان استمرارها.

ويبين غوستاف لوبون أيضاً أن المعتقدات تثبت: "بتأثير العدوى النفسية والتلقين المكرر، ومن مقومات هذين الركيزين نعد الصور والتماثيل والحج والطقوس والتراتيل والموسيقى والوعظ والإرشاد.. إلخ" (٢).

إن صلة الطقس بالمعتقد تكون إذن من نوع الدعم والمساندة وأن كلاً منهما تمدّ الأخرى بالقوة والثبات والاستمرار.

ويقول عبد الجواد ياسين (٣) في شرح العلاقة بين هذين العنصرين: "فإذا كان المعتقد حالة ذهنية، فإن الطقس حالة فعل من شأنها إحداث رابطة. وإذا كان

(١) ص ٢٠٣ الآراء والمعتقدات.

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) هو كاتب مصري علماني، ولد سنة ١٩٥٤م، وتخرج من كلية الحقوق في جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦، وتدرج في سلك النيابة العامة والقضاء منذ تخرجه، له مؤلفات في الفكر السياسي تتركز حول نقد التراث الإسلامي، ونقد العقل الديني، وهي من ضمن المشاريع العربية لإعادة تأويل التراث الإسلامي؛ منها: (السلطة في الإسلام من جزأين)، و(الدين والتدين). راجع: حوار مع المستشار عبد الجواد ياسين "الدين أم التدين؟ التفكير من خارج الإطار"، حاوره: محمد الخراط، بتاريخ ١٧/٧/٢٠١٤م، على موقع مؤسسة (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث).

المعتقد مجموعة من الأفكار المتعلقة بعالم المقدسات، فإن الطقس مجموعة من الأفعال المتعلقة بأسلوب التعامل مع ذلك العلم، إنه اقتحام على المقدس وفتح قنوات دائمة معه" (١).

ويقول عالم الاجتماع والأنثروبولوجي الفرنسي روجيه باستيد (٢) (ت ١٩٧٤م): "إن كل طقس ليس إلا تكراراً لأسطورة الأصول" (٣).

فالطقوس في الفكر الغربي إذن هي ممارسات تعبدية تعبيرية عن المعتقدات والأديان والأصول، وهي اتصال بالإله المعبود الكامن خارج الطبيعة وفوقها، وينبغي فهمها ودراستها وفق الإطار المادي الذي يحركهم وينطلقون منه في تشكيل رؤاهم الفلسفية.

وقد حذا أدياء الحداثة في الواقع العربي حذو مفكري الغرب في وجوب دراسة الإسلام بصفته ظاهرة دينية، وإجراء نفس عمليات التفكيك والحفر عليه، وباستخدام نفس الأدوات في تركيبته المكونة من العقائد الدينية والطقوس.

ويصرح الحداثيون بأن العقائد ونصوص الوحيين قد تعرضت لعمليات التحديث بشكل كبير جداً -زعموا-، في حين أن الطقوس مع أهميتها وعلاقتها الوطيدة بالمعتقد الديني وشدة ارتباطها به لم تحظ بمثل هذا الاهتمام، فمن

(١) ص ٥٤ الدين والتدين.

(٢) شملت أعماله الأنثولوجيا الدينية، والطب النفسي الاجتماعي، وظواهر الثقافة. وقد تركّزت بحوثه على الظاهرة الدينية وخاصة الطقوس، إذ انكبّ على تحليل الطقوس الدينية في باهيا، والديانات الإفريقية في البرازيل عامة. انظر: ص ٢٧٣ وما بعدها معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا.

(٣) Roger Bastide, Sociologie des mutations religieuses, p 157

الضروري إعادة قراءتها من جديد لتتماشى مع أفكار الحدائنة العالمية اليوم.

ويبين ذلك الباحث محمد حمزة^(١) صاحب كتاب (إسلام المجددين) في معرض حديثه عن ضرورة تحديث الطقوس الإسلامية، فيقول: "ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تبقى هذه الطقوس بمعزل عن المساءلة وإعادة النظر بدعوى عدم إخضاعها للاجتهاد الإنساني"^(٢).

وإلى هذا المعنى يذهب طارق حجي^(٣) في مقال له بعنوان: (الشعائر الإسلامية في الدراسات المعاصرة) فيصريح قائلاً: "إن النظام الشعائري في الإسلام لا زال صاحب النصيب الأقل تمامًا في الدرس لو قارناه بمحاولات درس القرآن والسنة النبوية أو الفقه الإسلامي أو السياسة الإسلامية، سواء كان

(١) باحث حدائني تونسي، ويعمل محاضرًا بالجامعة التونسية، مختصّ في قضايا الفكر الإسلامي، له عديد من الكتب المنشورة، من بينها: (السنة النبوية: إشكاليّة التدوين والتشريع)، و(إسلام المجددين) وغيرهما. لمزيد من تعرف فكره راجع مقالاً بعنوان: (إسلام المجددين لمحمد حمزة مانيفست للتجديد في الإسلام) للكاتب: خالد غزال، بتاريخ: ٢٠١٣/١٢/٨م، مجلة الأوان على الشبكة العنكبوتية.

(٢) ص ٨١ إسلام المجددين.

(٣) كاتب صحفي ومفكر ليبرالي مصري، ولد عام ١٩٥٠م في مدينة بورسعيد، تخرج في كلية الحقوق بجامعة عين شمس، ثم حصل على الماجستير والدكتوراة من جامعة عين شمس وجامعة جينيف بسويسرا، وحصل على العديد من الأوسمة والجوائز، من أبرزها جائزة غرينزان كافور الإيطالية، وهي إحدى أهم الجوائز الأدبية في العالم، وجائزة Grinzane Cavour في الأدب عام ٢٠٠٨م، كما حصل على جائزة Grinzane إحدى أكبر الجوائز الأدبية في العالم، التي مُنحت لأربع شخصيات أدبية، حصل كل منهم بعد ذلك على جائزة نوبل في الأدب. راجع حوار مع طارق حجي، حاوره: فيصل خاجه، بتاريخ: ٢٠١٣/١٢/٨م، مجلة الأوان على الشبكة العنكبوتية.

هذا داخل الكتابات الاستشراقية أو الكتابات العربية المعاصرة حديثة كانت أو تقليدية.

فهذه الكتابات لا تولي اهتماماً مناسباً، ولا تحاول فهم العلاقات التي تربطه بالنظام العقدي الإسلامي أو بنظامه السردي، وإذا حاولت فليس عبر المنهجيات الحديثة وإنما عبر منهجيات رثة اجتماعية وتاريخية^(١).

ويرى عبد الرحيم بوهاها^(٢) في كتابه (طقوس العبور في الإسلام) أن السبب في عدم إجراء عمليات التحديث على الطقوس في الإسلام هو أن "المؤسسة الدينية ترفض أي محاولة لإعادة النظر في الطقوس لموقفها المبدئي المعارض لكل أشكال التغيير، واكتسب فقه العبادات قداسة تمنع من إعادة النظر فيه"^(٣).

وذكرت رجاء سلامة^(٤) أن دراستها للموت وطقوسه في مقدمة كتابها

(١) كتبه بتاريخ: ٢/٨/٢٠١٦م، موقع إضاءات على شبكة العنكبوتية.

(٢) باحث حدائثي ومدّرس في الجامعة التونسية، نشر كتاباً بعنوان "الإسلام الحركي" عن دار الطليعة في بيروت، وذلك ضمن سلسلة "الإسلام واحداً ومتعدداً" التي أشرف عليها عبد المجيد الشرفي، ولمزيد من التعريف به وبكتابه راجع مقالاً بعنوان: (تقديم كتاب عبد الرحيم بوهاها طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهيّة)، للكاتب: بسام الجمل، بتاريخ: ١٦/٩/٢٠١٣م، موقع مؤسسة (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث) على الشبكة العنكبوتية..

(٣) ص ٣٨-٣٩ طقوس العبور في الإسلام.

(٤) رجاء بنت سلامة باحثة وكاتبة حديثة تونسية، ولدت سنة ١٩٦٨م، وحصلت على شهادة دكتوراة الدولة في اللغة والآداب والحضارة العربية بأطروحة عنوانها: (العشق والكتابة: قراءة في الموروث)، بتونس، وهي أحد الأعضاء المؤسسين لرابطة العقلايين العرب، ولجمعية (بيان الحريات بفرنسا)، وللجمعية الثقافية التونسية للدفاع عن اللائكية. وهي حالياً محللة

(الموت وطقوسه من خلال الصحيحين البخاري ومسلم) = مختلفة عن الكم الهائل من الكتب الصفراء، والتي تتحدث عن عذاب القبر وأشراط الساعة وأهوال يوم القيامة والعوالم الأخروية..؛ لأن هذه الكتب عندما تعرض هذه الأحداث تعرضها (محوّلة الأفراد والجماعات إلى كائنات تحمل وجهين مترابطين: فهي ذوات مرتعشة متشككة خائفة من النجاسة أو الحرام، أو فقدان الإيمان، وهي آلات صماء لا تني تؤدي الطقوس والشعائر، لتؤثت بها تشككها وقلقها وخوفها من النجاسة أو الحرام، أو فقدان الإيمان"^(١)).

إذن جاء الدور عند أدعاء الحدائة على تفكيك الطقوس الإسلامية لتقويضها وزحزحة قداستها من خلال علوم الإنسان الحديثة، وهو ما سنلقي الضوء عليه في المباحث الآتية.

المبحث الثاني

وظائف الطقوس في الخطاب الحدائى

يعمد الخطاب الحدائى إلى تسطيح أهمية العبادات في الإسلام، ويغيب دورها الحقيقي في تزكية النفوس وتهذيبها، ويطمس جمالها ويخفي مواطن حسنها وبهائها بطريقة ساذجة وفجّة، ويعتبرها مجرد ممارسات طقوسية تقوم بوظائف وأدوار لتثبيت المعتقدات ولاستبقاء الأديان حية في نفوس معتنقيها،

نفسية، كما تعمل رئيسة تحرير لمجلة الأوان. ولمزيد من التعريف بها وبفكرها راجع مقالاً بعنوان: رجاء سلامة بين مقاومة القمع والتهديد بالقتل، للكاتب: عبد الدائم السلامي، بتاريخ ٢٥ / ١ / ٢٠١٥م، جريدة الحياة.

(١) ص ٩-١٠ الموت وطقوسه.

ويغض الطرف عن مواطن الحسن والكمال والجمال التي احتوتها، فالعبادات في الإسلام - من وجهة نظر أدياء الحداثة - ليست مبنية على حكم وعلل، وليس لها دور في إصلاح البشرية وانتشالهم من الإغراق في وحل هذا الوجود المادي الضيق للارتقاء بها إلى فسحة وسعة الاتصال باللهم الحق تبارك وتعالى عبر سلم العبودية.

والعبادات في نظر هؤلاء الحداثيين ليست معقولة أصلاً، كما يقول محمد عابد الجابري^(١): "فليست العبادات في أي دين في متناول العقل. وما يميز العبادات أنها من المنقول لا من المعقول"^(٢). فإذا كانت ليست معقولة فمن السهل إذًا تجاوزها والقفز عنها كما يحلو لهم.

والناظر في كتابات هؤلاء القوم يجد أن وظائف الطقوس تختزل في ثلاثة أدوار رئيسة؛ وهي: الوظيفة الرمزية، والوظيفة الاجتماعية، والوظيفة النفسية، وسنوضح في هذا المبحث كل دور من هذه الأدوار من خلال أقوال هؤلاء الحداثيين وكتاباتهم.

١- الوظيفة الرمزية: ويعنون بها طبيعة علاقة الإنسان بالآلهة، فالطقوس هي: "مجموعة من الحركات تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى

(١) مفكر حدائي مغربي، عمل أستاذًا للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، ويعد من أشهر المفكرين العرب، وكتب العديد من الأبحاث، وأبرزها رباعيته في نقد العقل العربي التي عقدت من أجل مناقشتها المؤتمرات والندوات. انظر: ص ١٦٢ أعلام الفكر العربي.

(٢) ص ١١٤ فهم القرآن الحكيم، القسم الثالث.

عقد صلة مع العوالم المقدسة"^(١)؛ لاستجداء المعونة منها وطلب التواصل معها، "وتعتبر الشعائر حمّالة شبكة من الرموز"^(٢). إذ الهدف منها كما تقول آمال قرامي^(٣): "يكمن في الخلاص الأبدي في الدار الآخرة لكل مؤمن، إذ ينظر إلى الفرائض الدينية على أنها وسيلة لنيل النجاة الأبدية، وتحقيق الخلاص المنشود. فالمؤمن يجسّد من خلال التكرار الشعائري اليومي المنظومة القيمية المحورية التي تضمنها النصّ القرآني، كما أنه يحاول أن يسترجع الخطاب النبوي الخاص بالفرائض؛ أي أنه يقوم بعملية تمثّل لما يعتقد أن الرسول كان يقوم به من حركات وإشارات وطقوس قولية. وهكذا تفضي ممارسة الطقوس والشعائر الدينية إلى وصل المؤمن بالشخصية المركزية محمد وبزمن الدعوة، كما أنها تطبع جسده بطابعها المميز"^(٤). وهذا مما لا ترتضيه أستاذة الحضارة الإسلامية؛ لأنه لا يتناسب مع حدائتها العالمية، ولا يتماشى مع كلام أساتذة علم الاجتماع الغربي الذين تأخذ عنهم، ومن أبرزهم دوركهايم، فقد عبر عن هذه الوظيفة الرمزية للطقوس بقوله: "جميع تجليات الظاهرة الدينية - مهما اختلفت وتعددت - تعود في جوهرها إلى حالة نفسية واحدة، وتقوم بمهمة ثابتة، هي الارتقاء بالإنسان إلى

(١) ص ١٢٩ الأسطورة والمعنى.

(٢) ص ٥٣ الإسلام الآسيوي.

(٣) أستاذة بالجامعة التونسية، أنجزت أطروحتين تحت إشراف عبد المجيد الشرفي؛ الأطروحة الأولى لنيل شهادة التعمّق في البحث، تحت عنوان: قضية الرّدّة في الفكر الإسلامي، والأطروحة الثانية لنيل دكتوراة الدولة تحت عنوان: الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دراسة جندرية. لمزيد من التعريف بها راجع حوارًا أجرته معها قناة العربية بتاريخ: ١٤٣٨/٥/٧ هـ، برنامج (منارات) على موقع القناة على الشبكة العنكبوتية.

(٤) ص ٥٢-٥٣ الإسلام الآسيوي.

عالم علوي فوق عالمه الذي ينتمي إليه، وجعله يعيش حياة أرفع من حياته الاعتيادية"^(١).

ويقول المستشرق الفرنسي كازنوبا (ت ١٩٢٦ م): "إن الإنسان يلجأ إلى الطقوس لاستعادة التوازن المفقود، ليتقي الدنس أو يتخلص منه. إن المحرمات، التطهيرات، طقوس العبور، هي ردود فعل دفاعية ضد هذه التهديدات"^(٢).

وتطبق هذه المفاهيم الغريبة -للأسف الشديد- على تفاصيل العبادات في الإسلام بتسطيح بالغ، ودون اعتبار لصدق مرجعيتها الدينية، وأنها عبادات منزلة من عند الله تعالى، يفعلها المؤمن ويقوم بها لنيل رضوان الله، وللحصول على السعادة في الدنيا والآخرة.

وعلى سبيل المثال سنذكر هنا بعضاً من تلك النماذج في تعامل هؤلاء الحدائين مع بعض هذه العبادات، كقضية الطهارة والغسل في الإسلام، فنجد أنهم يستحضرون هذه المعاني الفلسفية مباشرة، ويستنجدون بها في كتاباتهم التحديثية للإسلام، فنجد أن صاحب كتاب (طقوس العبور في الإسلام) عندما يتحدث عن شعيرة الغسل في الإسلام مثلاً يراها: "تخليصاً للروح مما يتعلّق بها من ثوابت المادة، وتأهيلاً لها لملاقاة الله إلى الدخول إلى الفضاء المقدس ومباشرة العبادة ومحاورة الإله"^(٣). ويغفل عن أن الغسل هو ارتداء لوسام الإيمان كما في الحديث: (الطَّهْوَرُ شَطْرُ الْإِيْمَانِ)^(٤)، وهو أمر يحبه الله تعالى

(١) ص ٣٣ الأشكال الأولية للحياة الدينية.

(٢) Cazeneuve, Sociologie du rite, p143.

(٣) ص ٣٠٠ طقوس العبور في الإسلام.

(٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة برقم: (٢٢٣).

ويريده منا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ويقول صاحب هذا الكتاب أيضًا في شعيرة الذبح في الإسلام كالأضحية والعقيقة: إنها هي "والولائم بأنواعها، تستجيب للمبدأ العام من حيث إنها قرابين تقدم إلى الله؛ تقريبًا إليه وشكرًا على نعمه، وطلبًا للمباركة والعناية منه...، ويرجع احتفاظ الإسلام بطقس القران إلى أهميته في الفكر الديني عمومًا، والتصاقه في الذهن البشري بمفهوم التدين والعبادة. فالأسطورة^(١) الإسلامية تروي حادثتي تضحية أوليتين حدثتا مع قبائل وهابيل، إحداهما نباتية وأخرى حيوانية. إضافة إلى حادثة القران البشري مع إبراهيم وابنه الذبيح. مما يؤكد تأصل هذه الظاهرة في التاريخ البشري وتطورها تاريخيًا، واستقرارها في شكلها النهائي أضحية حيوانية ذات وظيفة مزدوجة: استغفارية واستعطافية في آن^(٢).

وعلى هذا الطرح الحدائثي نجد أن الذبح هو مجرد استعطاف للإله وطلب مغفرته واستلهام القوة منه، وهي وظيفة رمزية بحثة لهذا الطقس في الإسلام، مأخوذة من الأساطير القديمة، ولا صحة لها من الأساس، ولا قيمة موضوعية لها أصلًا.

٢- الوظيفة الاجتماعية: ويقصد بهذه الوظيفة أن الطقوس تتسم بتنظيم

(١) إن منشأ الدين في الفكر الحديث هو الإحساس بوجود عالم ما وراءني، ويعبر الإنسان عن هذا الإحساس بالطقوس والأساطير. انظر: ص ١٤٥ الأسطورة والمعنى. ويقول مؤرخ الأديان مرسيا إلياد: "تمثل الأسطورة أو الحكاية المقدسة مجالاً رمزيًا لتجلي المقدس، بفضلها يتم الحكم عن الكيفيات الأولى التي أتت بها الموجودات إلى الوجود". Eliade.m, Aspects du mythe, Gallimard, 1963, p 16

(٢) ص ٣٠٥ طقوس العبور في الإسلام.

المجتمع وتقوم بدور فاعل في ضبط أفراده والمساهمة في تعايش الإنسان واندماجه في جماعة دينية معينة، وأن لهذه الطقوس قدرة على القيام بمهمة الالتحام بين أفراد المجتمع واستقراره وتحديد هويته.

ويعبر صاحب كتاب (الاجتماع الديني) عن هذا المعنى بقوله: "الدين هو مجموعة من العقائد والطقوس التي تنظم حياة الإنسان الاجتماعية، بحيث يعتقد أن مصدرها مقدس. وهو عقيدة وعمل يشترك في اعتقادها ومزاولتها مجموعة من الأفراد يكون منهم مجتمع خاص مستقر ودائم"^(١).

ويشرح هذا المعنى بمزيد تفصيل عبد الجواد ياسين في كتابه (الدين والتدين) فيقول في المعتقد إنه: "شأن جمعي لأكثر من سبب؛ أولاً: من غير الممكن أن يقوم كل فرد من أفراد الجماعة بصياغة معتقد خاص به، وثانياً: أن دوام واستمرار أي معتقد يتطلب إيمان عدد كبير من الأفراد به، وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه. ومن هنا نفهم لماذا يسعى عدد كبير من مؤسسي الأديان وأصحاب الفلسفات الكبرى إلى التبشير بأفكارهم بين الناس وحثهم على اعتناقها؛ ذلك أنهم يجدون في هذا السعي ضمانتهم الوحيدة لحياة معتقداتهم واستمرارها"^(٢).

وهذا المعنى الاجتماعي يستحضره الخطاب الحداثي في تعامله مع الإسلام، فيقول صاحب كتاب (طقوس العبور في الإسلام): "فالمجتمعات التقليدية تبني ثقافتها وقيمها على أساس ديني، فيصبح الدين المصدر الأساسي

(١) ص ٨٣ الاجتماع الديني ومفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية.

(٢) ص ٤٨-٤٩ الدين والتدين.

الذي يمدّ المجتمع بمبادئه وقيمه ومواقفه من العالم والإنسان والأشياء والكون^(١). فالمحافظة على المظهر الخارجي للتدين في المجتمع الإسلامي "كما تجسّمه الطقوس، محافظة على الثقافة الدينية ذاتها، وتكون مواجهة الانحرافات الطقوسية، صدًا للانحرافات القيمية والأخلاقية، ومنعًا عن مظاهر الانزياح عن الخصوصية الدينية. بهذا الشكل تصبح الطقوس ضامنة لصدور الدين وفعله في المجتمع، وتتولى بذلك مهمة الرقابة الاجتماعية على السلوك والفعل وحماية الأخلاق الدينية من أجل ضمان وحدة المجتمع وبقائه"^(٢).

وتضرب آمال قرامي مثلاً على هذا الدور الاجتماعي من خلال حديثها عن صلاة الاستسقاء قائلة: "إن معنى الطقس لا يكمن في نجاعته بقدر ما يكون في الإشباع الذي يحققه. فصلاة الاستسقاء مثلاً قد لا تجلب المطر لكنها تحدث لحمة بين الجموع المحتشدة وتوحد مشاعرهم في لحظة مخصوصة"^(٣). فهي ليست -في نظرهم- سبباً ولا وسيلة مشروعة للحصول على المطر، يخرج فيها المؤمنون متواضعين مبتدلين متذللين خاشعين لخالفهم وبارئهم، ولا سنة مؤكدة فعلها النبي ﷺ وأمر بها إذا تأخر نزول المطر، إنما هي مجرد احتشاد لأجساد ومشاعر المؤمنين في وقت مخصوص!.

وعندما يتحدث أركون^(٤) عن أركان الإسلام كالصلاة والزكاة يقول إنهما:

(١) ص ٣١١ طقوس العبور في الإسلام.

(٢) ص ٣١١-٣١٢ المرجع السابق.

(٣) ص ١٢٩ الإسلام الآسيوي.

(٤) مفكر حدائثي جزائري صاحب مشروع نقد العقل الإسلامي، شغل كرسي تاريخ الفكر الإسلامي بجامعة السوربون ومديراً لمعهد الدراسات العربية والإسلامية بها لسنوات

"عملان يقدمهما القرآن على أساس أنهما محض دينين. ولكن لا يغيب عن أنظارنا أن لهما وظيفة حاسمة من حيث الدمج الاجتماعي والسياسي للفرد. فعندما يصلي الفرد علنيًا وراء النبي أو مع مجموعة من المسلمين، أو عندما يدفع ضريبة تغير اسمها لكي تصبح صدقة أو زكاة بدلًا من مَعْرَم، فإن عمله هذا يكتسب أهمية دينية في الوقت الذي يؤدي فيه الوظيفة الاجتماعية السياسة نفسها. إن ذلك يعني كسر العصبية أو التضامنيات التقليدية، والتخلّي عن الآباء والزوجات والأطفال، من أجل الانضمام إلى الجماعة الجديدة"^(١)، فحفاظًا على لحة المجتمع وللأهمية السياسية في المحافظة على المجتمع المسلم التقليدي جرى العمل بأركان الإسلام من صلاة وزكاة وغيرهما كما يرى أركون!!

بل يذهب صاحب كتاب (الإسلام السني) إلى مساهمة فقهاء الإسلام في تجسيد هذا الدور الاجتماعي للطقس، وهو ما حدث مع: "سائر العبادات من طهارة وزكاة وصوم وحج، فقد استغل الفقهاء إشارة القرآن إليها لبنوا منظومة فقهية في العبادات، لا تستجيب لمقاصد الرسالة بقدر ما تعكس حدود تفكيرهم وصورة مشاغلهم الاجتماعية في سياقات تاريخية معينة"^(٢).

فالفقهاء -في زعمه- هم من شرعوا للناس هذه العبادات بكل تفاصيلها،

عديدة، وعمل أستاذًا زائرًا في العديد من العواصم الأوروبية والأمريكية، وجلّ مؤلفاته باللغة الفرنسية، وترجم البعض منها إلى العربية وإلى لغات أخرى، توفي سنة ٢٠١٠م. انظر: ص ١٣٩ أعلام الفكر العربي.

(١) ص ٦٧ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

(٢) ص ١٠٨-١٠٩ الإسلام السني.

وضمّنها في منظومتهم الفقهية، وقدموها على أنها من عند الله، وهي ليست كذلك.

٣- الوظيفة النفسية: يرى أصحاب الخطاب الحدائثي أن ممارسة العبادات في الإسلام هي قضية نفسية، واستجابة لدوافع نفسية ولرغبات الداخلية؛ لأن فرويد^(١) أصّل لهذه الفكرة عند قوله: "إن الأصل الذي تنبع منه الأفكار الدينية هو ضرورة الدفاع عن النفس ضدّ تفوّق الطبيعة الساحقة"^(٢). فممارسة العبادات هي مجرد ردود أفعال بشرية تهدف إلى حماية النفس وطمأننتها لإسكات القلق الوجودي الداخلي.

وإلى هذا المعنى يذهب عالم النفس كارل غوستاف يونغ^(٣) (ت ١٩٦١م) عندما يتحدث عن الوظيفة النفسية للطقوس في كتابه (الدين في ضوء علم النفس)، فيقول: "إذا جاءني مريض كاثوليكي، نصحت له بالاعتراف والمناولة لكي يدافع عن نفسه من غائلة الخبرة المباشرة، أما إذا جاءني مريض بروتستانتي فما كانت النصيحة مفيدة له؛ لأن العقيدة والطقوس غدت في البروتستانتية باهتة وخافتة، حتى لقد فقدت تأثيرها إلى حد كبير. يضاف إلى ذلك أن الكاهن البروتستانتي قد خضع لتدريب علمي في معاهد لاهوتية قضت على براءة الإيمان"^(٤).

(١) سيغموند فرويد هو طبيب أعصاب ملحد ولد بالنمسا سنة ١٨٥٦م، وهو مؤسس مدرسة التحليل النفسي، من أهم مؤلفاته: الطوظم والتابو، وكتاب مُستقبل وهم، توفي سنة ١٩٣٩م. انظر: ص ٢٣٥ وما بعدها خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا (المنظرون المؤسسون).

(٢) ص ٢١ وما بعدها مُستقبل وهم.

(٣) عالم سويسري ولد سنة ١٨٧٥م ويُعد مؤسس علم النفس التحليلي، أهم مؤلفاته: كتاب (الأنماط النفسية)، وكتاب (رموز الروح)، انظر: ص ١٥ وما بعدها علم النفس التحليلي.

(٤) C.G. Jung, Psychology and Religion (in The Collected Works), p 44

كما أن عالم الاجتماع النفسي إريك فروم^(١) (ت ١٩٨٠م) أشار إلى هذا الدور السيكولوجي الذي تقوم به هذه الممارسة الدينية - في زعمهم - قائلاً: إنها "تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر التي تظهر عن طريق السلوك. ومهما تكن الأسباب، دينية أم اجتماعية، فهناك أسباب أخرى لا واعية تتداخل معها. وعلى سبيل المثال ينتقي البعض بعض الشعائر والطقوس ويحيطها بهالة من الاحترام والتقديس أكثر من غيرها، تساعدهم في الوقوف أمام الغزو الثقافي الغربي، الذي دخل مع الاستعمار إلى البلدان الأفريقية والآسيوية"^(٢).

وتقول آمال قرامي: "إن قيمة الطقوس مرتبطة في الواقع بمدى قدرتها على سدّ حاجات المرء الأساسية مثل حاجته إلى تحرير النفس من إكراهات الواقع اليومي، ورغبته في التخفيف من حدّة الاضطرابات النفسية التي يعانيتها ورغبته في السكنينة"^(٣).

فالطقوس هي "المرحلة النهائية لعملية إزالة الشعور بالذنب، الطويلة والمعقدة. فالناس يصرفون فيها انفعالاتهم لأنهم يتقربون فيها من المقدس الذي يكتسب منه المؤمن التكفير عن الخطايا"^(٤).

ومن التطبيقات العملية للحدائين على العبادات في الإسلام نجد أن الكاتب

(١) عالم اجتماعي شهير ولد سنة ١٩٠٠م، وكان تلميذاً مباشراً لألفريد فيبر عالم الاجتماع الألماني المعروف، من أهم مؤلفاته: التحليل النفسي والدين، اللغة المنسية: مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير، انظر: ص ٥ وما بعدها الإنسان المستلب وآفاق تحرره.

(٢) Erick Fromm, Psychoanalyse et religion, Paris, 1968, P 138

(٣) ص ١٢٩-١٣٠ الإسلام الآسيوي.

(٤) ص ١٧٧ في إشكالية المقدس.

والباحث التونسي بسام الجمل^(١) صاحب كتاب: (ليلة القدر في المتخيل الإسلامي) يتحدث عن ممارسة المؤمنين للعبادة في هذه الليلة المباركة قائلاً: "إن المسلمين في تعلقهم بليلة القدر يعبرون عن رغبة دفينة في الإنسان عامة، وهي إرادة التخلص من المنزلة الوجودية المعطاة عبر بناء عالم الآلهة والصعود إليه والاتصال به من ناحية، ومحاولاته المتجددة في كل عصر ومصر ودين لقهر حقيقة الموت من ناحية أخرى"^(٢). فليست هي ليلة من أعظم ليالي السنة، ولا العبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر، وليست هي ليلة نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، وعلى هذا فلا يجب علينا فيها شكر ربنا وحمده على ما وهبنا فيها وتمن علينا بها من فضل ونعمة بنزول هذا الكتاب العزيز الكريم.

بل إن العبادة في هذه الليلة في هذا الخطاب الحدائثي البائس هي مجرد قضية نفسية عمل بها المسلمون وأنشأها لهم علماءهم، فيقول هذا الكاتب: "غير أننا نرى أن ليلة القدر ليس لها وجود إلا في الذهنية الإسلامية. وبعبارة أخرى: إن

(١) باحث وكاتب تونسي حاصل على الدكتوراة في الآداب واللغة العربية من جامعة منوبة، يشغل أستاذاً مساعداً بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس. له مجموعة من الأعمال المنشورة من بينها: كتاب (أسباب النزول) الذي صدر عن المركز الثقافي العربي بالشراكة مع مؤسسة مؤمنون بلا حدود في طبعته الثانية ٢٠١٣. وكتاب (الإسلام السنّي) الذي صدر عن دار الطليعة ورابطة العقلايين العرب، بيروت، ٢٠٠٦، وكتاب (ليلة القدر في المتخيل الإسلامي)، ويشرف بسام الجمل على التحكيم العلمي لبحوث قسم الموروث الديني بمؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، انظر: ص ١٧٦ ليلة القدر في المتخيل الإسلامي.

(٢) ص ١٥١ ليلة القدر في المتخيل الإسلامي.

كان لليلة القدر من حقيقة فهي بالتأكيد حقيقة نفسية جمعيّة يتوارثها جيل بعد جيل. وهي قابلة لشئى ضروب التغيّر في أشكالها والتوسّع في مداها، وذلك بفعل ما يمكن أن يتدرج في هذا الغرض من أخبار ينشئها العلماء المسلمون بدءاً، وتتغذى منها هذه الذهنية منتهى^(١)، فيمكن النظر لها بفهم آخر جديد يتوافق مع أفكار الحداثة العالمية اليوم.

هكذا يتعامل الخطاب الحدائى مع العبادات في الإسلام، فهي عبارة عن طقوس تؤدى وظائف متعددة رمزية واجتماعية ونفسية، وليست من الحقائق في شيء، وليست منزلة من عند الله تعالى، إنما هي موروث تقليدي ساهم في إنتاجه الفقهاء وعلماء الإسلام، وتشكل وفق رؤاهم ليحكموا زمام السيطرة على المجتمعات.

المبحث الثالث

تطبيقات عملية على العبادات في الإسلام

يقسم الخطاب الحدائى العبادات في الإسلام إلى مستويات، فمنها ممارسات وطقوس يومية كالوضوء والصلاة، ومنها ممارسات وطقوس موسمية كالحج والصيام والأعياد الإسلامية، ومنها ممارسات وطقوس ترتبط بأحداث ومناسبات معينة تتعلق بحياة الإنسان ووفاته، ويُعبر عنها بطقوس العبور^(٢)،

(١) ص ١٥٠ المرجع السابق.

(٢) "طقوس العبور" هي ترجمة للمصطلح الفرنسي "Rites de passage" الذي استعمله أول مرة عالم الاجتماع الفرنسي أرنولد فان قيني في كتاب له صدر سنة ١٩٠٩م بعنوان (طقوس العبور). وفيه بيّن أنّ طقوس العبور ثلاثة أضرب؛ هي: طقوس التجميع، (مثل الزواج) وطقوس الانفصال، (مثل الموت) والطقوس الهامشيّة، (مثل الحمل والخطوبة، انظر: =

كوليمة الزواج، أو العقيقة للمولود، أو الصلاة على الميت ودفنه وتكفينه.

وفي هذا المبحث سنقف على بعض الأمثلة لهذه الكتابات التحديثية العبثية التي تطبق على العبادات في الإسلام؛ ليتصور القارئ كيف يكون التعامل الحدائلي مع العبادات في الإسلام، وكيف تقرأ العبادات في هذا الخطاب الحدائلي المضلل.

المثال الأول (الصلاة): التي تُعد الركن الثاني من أركان الإسلام، وتأتي بعد الشهادتين في الأهمية والمركزية الإسلامية، وأي محاولة تشكيكية في فرضيتها هي قضاء على جوهر الإسلام وأسه، تُقرأ هذه الفريضة المعلومة من الدين بالضرورة على أنها مجرد طقس فُرض في حادثة الإسراء والمعارج التي هي حادثة أسطورية، ليست جديدة بأي ثقة أصلاً^(١).

يقول عبد المجيد الشرفي^(٢): إن الصلاة "تبقى الصيغة المثلى لصنفين من المسلمين: من يعتقد بوجوبها على نحو ما رسخته السنة الثقافية، ومن تسمح له ظروفه بأدائها بالطريقة المعهودة، إلا أن أصنافاً أخرى من الناس ممن أعرضوا عن الصلاة أو يعيشون تمزقاً بين الواقع والمنشود، ألا يحق لها أن تكون وفيّة لما يأمرها به دينها من دون الالتزام بما قرره السلف في هذا الشأن بكل تفاصيله"^(٣).

ص ٣٣-٣٤ طقوس العبور في الإسلام.

(١) انظر ص ٦٢ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

(٢) مفكر تونسي ولد سنة ١٩٤٢م، وهو العميد السابق لكلية الآداب بالجامعة التونسية، وأستاذ كرسي الحضارة العربية والإسلامية ومقارنة الأديان بها، كما أن الشرفي يعدّ مشرفاً إدارياً على سلسلة (معالم الحدائلي). انظر: ص ١٠٤-١٠٨ أعلام الفكر العربي.

(٣) ص ٦٣ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

فالصلاة - في نظره - ليست واجبة ولا منزلة من عند الله، ومن يريد أداءها معتقداً وجوبها فله ذلك، وهو يفترض في حديثه هنا أنه يوجد أصناف أعرضوا عنها ولا بأس بإسقاطها عنهم؛ لكي لا يشعروا بالنقص أو الدونية أمام العالم المادي الغربي اليوم.

ويمكن هنا للقارئ الكريم أن يلاحظ البون الشاسع بين النظرة الإسلامية للعبادات وأنها تكليف من رب العالمين يجب على المسلم التسليم له تسليمًا يقتضي اعتقاد وجوبها على كل من انطبقت عليه شروط وجوبها، وبذل الوسع في أدائها وفق شروطها التي وضعها الله لها = وبين ما يجنح إليه الطرح الحدائثي من معالجة تسطيحية للعبادات (الطقوس) - في تسميته - تختزلها في مسألة الضمير، فيجعل غاية العبادات وهدفها الذي يسعى إليه هو راحة الضمير.

وعلى هذا فلا مانع في ظل هذا التصور من التعدي على صورة هذه العبادة وتفصيلها لتناسب شريحة من البشر، وهل يوجد أضل ممن ينازع الله في الأمر والحكم؟ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويمتدح صاحب كتاب (إسلام المجددين) طريقة الشرفي هذه في التعامل مع العبادات في الإسلام قائلاً: "إن الدعوة إلى التجديد في مجال تطبيق الطقوس الإسلامية محاولة واعية وجريئة من هذا المفكر، للخروج من حالة النفاق التي تسود المجال العمومي، وهي دعوة كذلك كي لا تنزاح العبادات عن جوهرها الحقيقي بالخصوص، وهي تلك العلاقة المتفردة التي تربط المؤمن بالله، والتي

تكَلّست بفعل عوامل شتى نفسية وحضارية^(١)، فيكفي إذن من المؤمن فكرة الارتباط بالله دون حاجة إلى مثل هذه الطقوس والشعائر.

ويرى بسام الجمل تلميذ الشرفي أن الحادثة التي فُرِضت فيها الصلاة أشبه: "بالقصة الفنية التبريرية، أشبه منه بالحقيقة التاريخية. وما اختلاف المذاهب السننية في ضبط جزئيات الركوع وكيفيات القيام وهيئات السجود إلا نتيجة الآثار المتضاربة المنسوبة إلى الرسول في باب الصلاة"^(٢)، ويقول أيضًا: "إن طريقة أداء الصلاة وأحكامها على النحو الذي قرره الفقهاء تمثل اختيارًا معينًا - من جملة اختيارات أخرى ممكنة - عملوا على فرضه وإلزام المؤمنين به؛ لأنه معبر عنهم عن مراد الله، ولأن الحاجة إلى توحيد الطقوس وأنماط التبعّد من شروط الحفاظ على وحدة الجسم الاجتماعي في ظرف كان يُحتز فيه من الاختلاف والتنوع أشد الاحتراز"^(٣)، فقضية أداء الصلاة - في نظره - ما هي إلا تعبير عن حاجة الفقهاء إلى بناء المجتمع المسلم والمحافظة على استمراره وضمّانه وحدته.

ويقرر أركون في هذا المقام أيضًا أنه: "ليس من الضروري أن يحتشد الناس جماعات لإقامة الصلاة، إن الصلاة مسألة شخصية في الإسلام، كما في الديانات التوحيدية الأخرى، كل الداء يأتي من الخلط الذي وقع لأسباب تاريخية بين الاستعمال السياسي للدين والفضاء الشخصي للمتدين"^(٤).

(١) ص ٨١ إسلام المجددين.

(٢) ص ١٠٦-١٠٧ الإسلام السنني.

(٣) ص ١٠٧ المرجع السابق.

(٤) ص ٨٥ مجلة الهدى المغربية، سبتمبر ١٩٨٦م، ضمن حوار أجرته معه المجلة الفرنسية

الأسبوعية: لوفيل أبسترفاتور (عدد: ٧، فبراير ١٩٨٦م).

ويلاحظ القارئ الكريم في النصوص السابقة نوعاً متكرراً بكثرة في محاولات الحدائين لتحديد النصوص الشرعية، والتفلت من مقتضياتها، وذلك من خلال توظيف التحليل الاجتماعي والسياسي للنصوص، وصولاً إلى الزعم بأن تلك الأحكام مرتبطة بالظرف السياسي والاجتماعي، الذي استفاد منه الفقهاء في تدعيم السلطة السياسية، ومثل هذا التحليل متكرر بكثرة في الخطاب الحدائي.

والحق أن للعبادات الشرعية حكماً اجتماعية وصحية وجسدية لا شك فيها، لكن جعل هذه الحكيم هي علة العبادة بحيث يزول حكمها بزوال العلة، هو تفرغ للعبادات (الطقوس في زعمهم) من روحها، الذي هو التقرب والتعبد لله جل وعلا؛ فإن علاقة العبودية بين العبد وخالقه تستلزم التسليم له بأداء العبادات، سواء عُرفَتْ حكمتُها أم لم تُعرف.

وبالنسبة لقراءة سورة الفاتحة بداية كل ركعة في اليوم بحيث لا تقل قراءتها عن سبع عشرة مرة على الأقل في اليوم لا تُعجب أركون؛ لأنها -كما يعبر- بمثابة: "بروتوكول القراءة الطقسية أو الشعائرية، بالطبع فإن هذه القراءة هي وحدها الصالحة أو الصحيحة من وجهة نظر الوعي الإسلامي، فالمسلم إذ يكرر الكلمات المقدسة للفاتحة يُعيد تحيين أو تجسيد اللحظة التدشينية التي تلفظ أثناءها النبي بكلمات الفاتحة لأول مرة، وهذا يعني أنه يلتقي من جديد بالحالة العامة للخطاب الخاص بالمنطوقة الأولى. إنه يلتقي بالمواقف الشعائرية، والتواصل بالميثاق الذي يربطه بالله. كما ويستبطن كل التعاليم الموحى بها والمكثفة في الآيات السبع لسورة الفاتحة. وهي آيات تشفع له عند الله يوم القيامة، وتنقذ روحه، آيات منفتحة على الدين كله. ولا يعود هناك أي معنى

للمسافة التاريخية الحقيقة التي تفصل شخصاً بربرياً يعيش في جبال الأطلس، أو شخصاً باكستانياً، أو يوغسلافياً... إلخ، عن النبي" (١).

فالصلاة ليست انضمام العبد - طوعاً لا كرهاً - وتسابقه عبر قافلة العابدين الراجين الخائفين إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ أهدنا الصراط المستقيم ٦ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ٧ ﴿ [الفاحة: ٥-٧].

وللصادق النهوم (٢) رؤية أخرى عجيبة وغريبة في فهم الصلاة، ولا أخفي على القارئ ترددي كثيراً في نقلها؛ لشدة سخفها وسذاجتها، ورجحت نقلها وعرضها هنا ليكتمل تصور المشهد الهزلي للموقف الحدائثي من الصلاة التي هي (عمود الدين) (٣)، فهو يذهب إلى أن الصلاة أسلوب فعال جداً "يضمن

(١) ص ١١٩-١٢٠ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

(٢) ولد في مدينة بنغازي عام ١٩٣٧، درس جميع مراحل التعليم بها إلى أن انتقل إلى الجامعة الليبية، ومن ثم عُين معيداً في كلية الآداب. أعد أطروحة الدكتوراة في (الأديان المقارنة) بإشراف الدكتورة بنت الشاطي في جامعة القاهرة، وانتقل بعدها إلى ألمانيا، وأتم أطروحته في جامعة ميونيخ بإشراف مجموعة من المستشرقين الألمان، درّس مادة الأديان المقارنة بمسمى أستاذ مساعد بقسم الدراسات الشرقية بجامعة هلنسكي بفنلندا، وتوفي سنة ١٩٩٤م، من مؤلفاته: (إسلام ضد الإسلام)، (الإسلام في الأسر: من سرق الجامع وأين ذهب يوم الجمعة؟). لمزيد من التعريف به راجع: موقع وزارة الثقافة والمجتمع المدني الليبية على الشبكة العنكبوتية.

(٣) ورد في سؤال معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَمَا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ)، ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ

صحة الجسم والعقل، إلى مراحل متقدمة من العمر. وقد عرفه العرب في لغتهم الحديثة باسم (اليوغا)، لكن كلمة اليوغا نفسها معناها بالعربي: الصلاة^(١)، فالصلاة هي نوع من أنواع تنظيم التنفس ودقات القلب على حد تعبيره، ويعيب على الفقهاء بأنهم لم يكتشفوا ذلك قائلًا: "الفقه الإسلامي - الذي يسمي نفسه علمًا - لم يشهد طوال تاريخه تجربة علمية واحدة لاختبار علاقة الخشوع بطريقة التنفس، واستكشاف المعنى الكامن وراء حركات الصلاة، وهي تجربة كان من شأنها أن تقود المصلي المسلم إلى مواضع الكنز"^(٢). ومعنى كلامه هنا أن كل علماء المسلمين وكل نتاجهم الفقهي لم يذكر هذا الفهم الجديد والمعنى الحدائثي للصلاة، فجميعهم كانوا جاهلين وساذجين ومغفلين عن هذا المغزى والمعنى العميق للصلاة، إلى أن جاء الصادق النيهوم وكشف هذا المعنى لهم، وبيّن أن الصلاة هي مجرد ضبط للتنفس ونوع من أنواع رياضة اليوغا.

إن للصلاة ذوقًا ووجدًا وجمالًا يغيب عن أديعاء الحائثة كما قال الرسول ﷺ: (وجعلت قرّة عيني في الصلاة)^(٣) وقال: (قم يا بلال فأرحنا بالصلاة)^(٤)،

النَّارَ، وَصَلَاةَ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (بِعَمَلُونَ)، ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟)، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ). رواه أحمد: ٥/٢٣١، والترمذي برقم: (٢٦١٦) وصححه، والنسائي في الكبرى برقم: (١١٣٩٤)، وابن ماجه برقم: (٣٩٧٣)، والطبراني في الكبير: ٢٠/١٣٠، ١٣١ برقم: (٢٦٦)، والحاكم: ٢/٤١٢، برقم: (٤١٣)، وصححه على شرطيهما، ووافقه الذهبي.

(١) ص ١٢٧ الإسلام في الأسر.

(٢) ص ١٣٤ المرجع السابق.

(٣) رواه النسائي (٣٩٣٩) وصححه الحاكم (١٧٤/٢) ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ ابن

ومن وقع أسيراً في شباك المادة تحجب عنه رؤية الحقائق ولا يدرك معانيها ولا يفهم بعدها الروحي.

المثال الثاني (الحج): وكما هو معلوم في أصول الدين أن هذه الشعيرة هي الركن الخامس من أركان الإسلام، وأنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يحج إلى البيت الحرام مرة في عمره متى استطاع إلى ذلك سبيلاً، لكن هذه الشعيرة تطرح في الخطاب الحدائلي بعيدة عن مقاصدها وأهدافها.

وعلى سبيل البيان لهذا الفهم الحدائلي لشعيرة الحج نجد أن أركون يصرح بأن الحج من شعائر العرب في الجاهلية، فلا حاجة لنا إلى أداء مناسكه كما نعرف، ويصرح قائلاً: "إن التاريخ يعلمنا أن الإسلام قد احتفظ بالكثير من الشعائر الخاصة بالدين العربي السابق عليه. فمثلاً شعيرة الحج إلى مكة، والإيمان بالجن، والتصورات الأسطورية المشكلة عند الشعوب القديمة، والكثير من القصص ذات العبرة، كل ذلك مرتبط بثقافات سابقة على الإسلام. ولكن القرآن يستولي من جديد على أنقاض الخطاب الاجتماعي القديم هذا، من أجل بناء قصد أيديولوجي جديد"^(٢). فالحج - في زعمه - مأخوذ من التصورات الجاهلية الميثية القديمة، فالإسلام بنى وأسس خطابه على ما في أذهان العرب من تصورات بسيطة ساذجة ولا حاجة لنا الآن إلى الإبقاء عليه كما كان.

إن كون الإسلام هو دين الله وكون التشريعات التي جاء بها الأنبياء قبل

حجر في فتح الباري ٣/ ١٥ و ١١/ ٣٤٥.

(١) رواه أبو داود برقم: (٤٩٨٦) وصححه الألباني برقم: (٤٩٨٥).

(٢) ص ١٤١ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

محمد ﷺ قد تشابه مع تشريعات الإسلام = لهو دليل على وحدة المصدر الذي ينهلون منه جميعاً، فهذه الفكرة هي فكرة صائبة لا إشكال فيها، لكن الزعم بأن شريعة الحج هي من تراث (دين العرب) وتصوير ذلك بأن الإسلام أخذ هذه الشعيرة من البشر سخافة لا يقول بها من له أدنى معرفة بعلم تاريخ الأديان.

ويرى عبد المجيد الشرفي في شعيرة الحج أيضاً أنها قد احتوت على رواسب ذهنية ميثية ضاربة جذورها في القدم، كرجم الشياطين وذبح الهدى، وهي أمور نفسية وتفرغ للمكبوت، ويصور موقف المسلم الحديث على أنه متبرم من كل ذلك في قوله: "إننا لا ننكر ما تمثله عملية الرجم من تفرغ للمكبوت ومن تصريف للعنف في اتجاه بريء، ولعلّ الإنسان محتاج إلى ذلك احتياجاً دائماً. ولكن هل ينبغي أن يتبرّم المسلم المعاصر بالرجم ويقوم به رغم ذلك؟ ألا يحق له في هذه الحال أن يغلب الصدق مع النفس على مجاراة ما ليس مقتنعاً به تمام الاقتناع؟" (١).

وقد صرح بهذا النحو أيضاً الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي في قوله لصحيفة اللوموند الفرنسية بأن (الحج رمز من رموز الجاهلية الأولى، حيث كانوا يعبدون الأحجار، داعياً التونسيين إلى توفير أموالهم للبناء والأعمار" (٢)، فلا داعي إذن لإضاعة الأموال في هذه الشعيرة أصلاً، ويمكن الاستعاضة عنها بما ذكره أركون من الحج الروحاني العقلي.

فقد فرق أركون بين نوعين من الحج هما: الحج الشرعي والحج العقلي،

(١) ص ٦٥ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

(٢) جريدة الخبر التونسية بتاريخ ٦/١/٢٠٠٧م.

فالمسلم إذا لم يكن يمتلك القدرة المادية على أداء الحج، بإمكانه أن يحج وهو في بيته، عن طريق الروح والفكر والعقل. فالحج هو بالنية الصافية والمقصد الروحاني، وليس بالضرورة بأداء الطقوس الشكلانية المعروفة^(١)، فهي ليست مهمة في نظره.

ويقول أركون أيضاً: "فقد يحج المرء ويؤدي جميع الطقوس بحذافيرها يومياً، ولا يكفّ مع ذلك عن الغش أو الأذى أو الإساءة بمجرد عودته من الحج. بل إن الحج قد يزيده صلفاً وغروراً وثقة بالذات، فيمعن في ارتكاب الأخطاء معتقداً أن ذنوبه ستغفر له كلها لمجرد أنه حج. وقد لا يؤدي الإنسان أي طقس من الطقوس ومع ذلك يظل أخلاقياً في تصرفاته ومحبباً للعدالة والحقيقة، وفاعلاً للخير قدر المستطاع"^(٢).

فالمسألة عند ادعاء الحدائى هي مسألة أخلاق، وليست مسألة عبادة مفروضة بأركانها وواجباتها من عند الله تعالى، ومطلوب من المسلم أداؤها كما جاءت في نصوص الوحيين.

ويظهر بجلاء ضلال التصور الحدائى للطقوس حين تفرغ من إلزاميتها التعبديّة، فالطرح الحدائى يجنح بالعبادات فيصورها وسائل محدودة الهدف والغاية محصورة في الإصلاح الأخلاقي، وعلى هذا يحصل التفلت من نصوص الوحيين بهذه الطريقة السافرة.

(١) راجع اللقاء الصحفي الذي أجري معه بعنوان: (محمد أركون، وذكريات أداء مناسك الحج

الفقهي والعقلي) جريدة الرياض العدد ١٥٤٤٥، بتاريخ ٢٨/١٠/١٤٣١هـ.

(٢) ص ٢٦ نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية.

أما سيد قميني^(١) فله فهم آخر للحج، فالحج في نظره هو نوع من الطقوس الجنسية المعروفة لدى الجاهلية، فيقول: (الوقوف بعرفة من أهم مناسك الحج الجاهلي، فكانوا يتجهون إلى هناك زرافات ذكوراً وإناثاً، يبيتون ليلتهم حتى يطلع عليهم النهار. وإن العقل ليتساءل أمام مشهد ألوف الرجال والنساء يتجهون إلى الجبل ليبیتون هناك جميعاً حتى الصباح: ما وجه القدسية في هذا الطقس؟ إن لم يكن من قبل ذلك تجمّعاً لممارسة طقس الجنس الجماعي طلباً للغيث والخصب"^(٢).

بل حتى شرب ماء زمزم عنده "من الطقوس المثيرة في الحج الجاهلي، ولا معنى لها إلا في ضوء احتفالات الخصب والجنس"^(٣).

وكذلك حلق الشعر، يقول فيه: "لا يمكن فهمه بالمرّة، إلا في ضوء طقوس الخصب الجنسية القديمة، والذي كان بديلاً عن الجنس الجماعي"^(٤)، لأن معنى حلق هو: "ارتفع وطار في التفسيرات الفرويدية رمز للفعل الجنسي"^(٥). فالحج هو فعل وسلوك جنسي بكل تفاصيله، بدءاً من الوقوف بعرفة، وحتى الحلق بعد الطواف في نهايته، وتلقى هذه الدعوى بلا دليل، ولا أدنى تحرّ للدقة أو مراعاة

(١) كاتب مصري علماني من مواليد سنة ١٩٤٧م، صدر للقمني العديد من الكتب والدراسات؛ منها: (الحزب الهاشمي وكتاب رب الزمان). راجع مقالاً بعنوان: سيد قميني المفترى والمفترى عليه، للكاتب: محمد عبد الرحمن، بتاريخ: ٢٨/٨/٢٠١٦م، جريدة اليوم السابع على الشبكة العنكبوتية.

(٢) ص ١٦٢-١٦٣ الأسطورة والتراث.

(٣) ص ١٦٤ المرجع السابق.

(٤) ص ١٦٥ المرجع السابق.

(٥) هامش (١) ص ١٦٥ المرجع السابق.

للموضوعية أو احترام لعقول المخاطبين من عموم المسلمين، ممن يعرف الحج وقد أدى أو شاهد هذه الشعيرة.

لهذا الحد وصل الانحراف الحدائلي، ولنا أن نتصور أن مثل هذا الهراء والتسطيح لعبادة الحج مما تسطر وتملأ به الصفحات. إن مثل هذا الهراء لو أُورد على عوام المسلمين لمجته فطرهم السليمة، فلا يصدر هذا العبث -الذي يسمى تحليلاً- إلا من خيال جانح مغرق في الضلال، لا يقيم وزناً للدليل ولا الاستدلال الشرعي ولا العقلي.

المثال الثالث (الموت): هو مرحلة الانتقال الطبيعية للإنسان، للوصول إلى اليوم الآخر والحياة الخالدة، فهو للمؤمن قرب من الله وانتقال لعالم أرحب وأكثر فسحة وسعة من عالم المادة الذي يعيشه الآن، وقد أولى الإسلام هذه الحقيقة عنايةً واهتماماً كبيراً في النصوص الشرعية، بذكر تفاصيلها ومراحلها، من مرحلة الاحتضار وتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه، إلى مرحلة الدفن وما بعدها.

لكن كل هذه التفاصيل لا تناسب أمزجة أصحاب الخطاب التحديثي للإسلام ولا تروق لهم، يقول صاحب كتاب طقوس (العبور في الإسلام): "تتصل طقوس الموت في كل مجتمع بثقافة المجموعة وبعقائدها وبتصوراتها الدينية الأسطورية"^(١). "ويبدو أن فكرة الروح وخلودها التي أكدها الإسلام واستغلها لتأسيس بعض طقوس الموت لم تكن أمراً محدثاً، فقد كان أغلب العرب في الجاهلية يعتقدون أن الإنسان يتكون من جسد هو الجسم أو المادة،

(١) ص ٢٣٣ طقوس العبور في الإسلام.

ومن شيء لطيف ليس بمادة هو الروح أو النفس"^(١). والإسلام تأسس على اعتقادات العرب وطبيعة تصوراتهم، فجاء بقضية خلود الروح وبقائها.

وحقيقة الروح وحقيقة خلودها خلف هذا الجسد المادي لا تناسب حدائته الغربية التي أنتجت فكره، وطمست على عقله، فهو لا يرى وجود أمر آخر خلف هذا الجسد المادي، ووجود حياة أخرى ممتدة خارج إطار الزمان والمكان النسبيين.

وهكذا بجرة قلم وبدون أي دليل شرعي أو عقلي تلغى حقيقة ضخمة، وهي حقيقة الروح التي يشهد لوجودها العقل والشرع، ولا يُقدم الكاتب أي مستند علمي لإنكار الروح سوى أن العرب كانوا يؤمنون بوجودها!!

وتقول رجاء سلامة في كتابها (الموت وطقوسه في الصحيحين): "وليست طقوس الموت في الإسلام ذات طابع إلزامي كما هو شأن الصوم والصلاة، أغلب ما فيها من الأحكام يتراوح بين الندب والإكراه.. كما تتسم طقوس الموت كما وصفها الصحيحان بالبساطة، فهي لا تستجيب لجميع حاجيات المجموعة الدينية إلا إذا تعقدت"^(٢). وذكرت أن "طقوس الموت كما صورها الصحيحان تحمل بصفة عامة طابع البداوة العربية ذات المؤسسات البسيطة، ولكنها تعكس أيضًا موقف الرسول منها"^(٣).

وتقول: "لم ير الرسول داعيًا لتغيير الطقوس المتعلقة بجثة الميت، فاحتفظ

(١) ص ٢٣٦ المرجع السابق.

(٢) ص ٢٤٤ الموت وطقوسه.

(٣) ص ٢٤٥ المرجع السابق.

بالطقوس الجاهلية، وهي التسجية والغسل والتكفين والدفن، ولم يتصور نمطاً آخر للطقوس الجنائزية^(١)، وهي تريد تصوّراً وبعداً حدائثياً لكل هذه الأمور، وترمي إلى نتيجة تود الوصول إليها، وهي أنه لا داعي لبقاء كل هذه الممارسات الدينية كما قررها محمد ﷺ، وأنه يمكننا تجاوزها، وهكذا يظل استمرار البشرية في المحافظة على الجزء الحق من تشريعات الدين الحق الواحد الذي دعا له جميع الأنبياء، يظل هذا التشابه مقلماً لأدعياء الحدائث، فكلما لاحظوا شيئاً منه صوروا الأمر على أنه اقتباس من البشر.

وللتأكيد على هذه النتيجة تقول رجاء سلامة أيضاً: "يبدو أن طقوس الموت لم تستقر كغيرها من الطقوس، ولم تتضح إلا بعد وفاة الرسول، ولكننا نلاحظ تردداً كبيراً حول الكثير من جزئياتها.. فلم يكن الصحابة -فيما يبدو- على علم دقيق بها.. ولا يدري المسلمون على وجه الدقة ماذا فعل بالرسول عند موته، فقد ذكر تكفينه ولم يذكر غسله والصلاة عليه"^(٢).

فكأنه لم يمت أحد في زمان الرسول ﷺ ولا في زمن أصحابه رضوان الله عليهم، لذلك لم يكونوا يعلمون ماذا يفعل بالميت. بل تزعم أيضاً أنه لم يُنقل إلينا كيفية غسل النبي ﷺ ولا كيفية تكفينه ولا الصلاة عليه ولا تفاصيل كل ذلك!

وما أجهل أدعياء الحدائث بالنصوص الشرعية التي ذكر فيها كل ذلك، ولكن الجاهل ينكر ما لا يعلمه.

(١) ص ٢٤٥ المرجع السابق.

(٢) ص ٢٤٦ المرجع السابق.

وبهذه الانتقائية يتعامل الحداثيون مع الحقائق والأخبار المؤكدة، فهذه الكاتبة التي خصصت كتابها للحديث عن الموت في الصحيحين تغض الطرف عن مجموعة كبيرة من الأبواب التي عقدها الإمامان البخاري ومسلم رحمهما الله، ومنها: (باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، و(باب الكفن بغير قميص)، في كتاب الجنائز في صحيح البخاري، و(باب في كفن الميت) في كتاب الجنائز في صحيح مسلم، وكلاهما ذكر صفة غسله وكفنه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وتقول أيضًا: "لصلاة الجنازة مضمون سياسي. فهي إعلان عن انتماء الميت للمجموعة الإسلامية أو تذكير به، وهي دلالة على ولاء الميت والأحياء المصلين عليه للإمام، وحرمان الأشخاص اللاجتماعيين والأعداء من طقوس الموت؛ حماية للمجموعة وتأكيدًا لوحدها وسلطتها"^(١). فينبغي التخلص من هذا المضمون السياسي إذن، وإلغاء الصلاة على الأموات من المسلمين؛ حتى لا نحرم غيرهم من المشاركة السياسية في العصر الحديث، ولا نفرق بين المسلمين وغيرهم في التعامل.

وهكذا تختزل الكاتبة شعيرة الصلاة على الجنائز في الجانب السياسي فقط، ملغية كل الحكم الأخرى، وملغية أساس هذه العبادة وهو التعبد وطلب المغفرة للميت.

وتقول هذه الكاتبة أيضًا: "لقد بقيت أهم الطقوس الإسلامية من غسل وتكفين وصلاة ودفن، وما زالت القبور الإسلامية مفتوحة على باطن الأرض

(١) ص ٢٤٩ المرجع السابق

تسمح للإنسان بالتحول من العضوي إلى المعنوي، وتسمح له بالعودة إلى التراب؛ لأنه خلق في النشأة الأسطورية من تراب^(١).

ثم تقول: "ولعل تشريعاتنا اليوم لا تجيز للفرد اختيار نمط آخر غير الدفن رغم إجازتها له التبرع بأعضائه بعد موته. ولئن شاعت عادة حرق الموتى في أوروبا وأمريكا وبدت حلاً عملياً ملائماً لمشكل ضيق الأرض بأحيائها وأمواتها، فإنها لا تجد رواجاً في بلادنا"^(٢)، وهذا بسبب تمسكنا بمنهج الإسلام في التعامل مع الميت وتطبيقنا لما ورد في النصوص الشرعية التي تريد منا الكاتبة أن نتجاوزها؛ لأنه قد عفا عليها الزمن في عصرنا اليوم، عصر ما بعد الحداثة، عصر غياب الأسس ونسيية الحقائق.

فالدفن في تصور الكاتبة ليس تعبدًا لرب خلق الإنسان، وهو أعلم بمصلحته وله الخضوع فيما أمر، إنما هو (طقس) ولّى زمانه بسبب ضيق الأرض وقلة القبور. هكذا تجعل هذه العبادة سطحية في الخطاب الحدائبي، وتُفرِّغ من مضمونها التشريعي، وبهذا العبث اللامنهجي واللاموضوعي يتعاملون معها.

المبحث الرابع

ملاحظات نقدية

ولإتمام هذا البحث لا بد من وقفة لمناقشة وتفكيك ما لهذا الخطاب الحدائبي في باب العبادات في الإسلام وكيف أن أصحابه يعتبرونها طقوساً دينية بكل ما يحمله مصطلح الطقوس من مضامين ومعانٍ سلبية في الفكر الغربي،

(١) ص ٢٣٦ المرجع السابق.

(٢) ص ٤٤ المرجع السابق.

وكيف أنهم يجرونها على باب العبادات في الإسلام.

ولا بد لنا هنا أيضًا من بيان للموقف المسبق الذي يتبناه هؤلاء، الذي يوجه أقلامهم وكتابتهم ويحرك أفكارهم ورؤاهم بعيدًا عن الحيادية والموضوعية في أثناء دراستهم للإسلام، وطرحهم لقضاياهم على بساط الدرس.

إن النموذج الثقافي الغربي هو المسيطر على فكر هؤلاء القوم، وهو الذي يضغط باتجاه إحداث هذه الفوضى الفكرية والإسقاطات المنهجية على فهمهم للإسلام، وهو موقف يضغط لقراءة الدين وفق قيم وتصورات الحداثة العالمية، لمحاولات تتجه نحو إعادة ترتيب المشهد الإسلامي وفق هذه الرؤى والنماذج المستوردة، التي أصبحت هاجسًا يؤرق مضاجعهم لإحداث هذا التغيير، يقول عبد المجيد الشرفي: "فالإنسان اليوم محتاج إلى أن يفهم دينه وعقيدته فهمًا يتلاءم وثقافته العلمية والتاريخية والنفسانية والاجتماعية، أو على الأقل لا يتنافى معها"^(١).

لذلك يستنجد هؤلاء بكل ما لاه فلاسفة الغرب ومفكروهم في دراستهم للأديان والتسوية بينها جميعًا دون تمييز بين دين وآخر، وتفسيرها بأنها ظواهر إنسانية كباقي الظواهر الحياتية الأخرى الاجتماعية والنفسية والاقتصادية. وجميعها تطرح على بساط الدرس والنقد والدحض، ويطبق المنهج التاريخي عليها، وتُفسر جميعها بأنها ظواهر دينية تأثرت بمعطيات الزمان والمكان.

إن الأرضية المادية هي المنطلق الأساسي الخصب الذي ينطلق منه أدعياء الحداثة في تعاملهم مع العبادات الإسلامية، باعتبارها مجرد طقوس تقوم بأدوار متعددة ووظائف حيوية مهمة؛ للحفاظ على تماسك الجماعة المسلمة، وبقاء

(١) ص ٤٤ الإسلام والحداثة.

واستمرار الدين الإسلامي كما هو. لذلك لا بد من تفتيته وادعاء تأثره بالأديان والثقافات الأخرى حيناً، وادعاء تعرضه لعادات المجتمع وممارساتهم التاريخية حيناً آخر، وأن تصلب هذا الدين أمام عجلة التغيير كان بسبب جمود المؤسسة الدينية وأدوار الفقهاء الذين فرضوا على الناس هذه الشعائر الدينية؛ لإحكام السيطرة والمحافظة على رسوخ الدين واستمراره في مختلف العصور الإسلامية. إن هذه الرؤى المادية الضاغطة على هؤلاء في قراءة الإسلام وما اشتمل عليه هي رؤى غارقة في النسبية، وتجعل الإنسان لا يؤمن بحقيقة موضوعية.

يقول محمد الشرفي في كتابه (إسلام المجددين) وهو يحكي طبيعة هذه الرؤيا: "الحدائبة علاوة على أنها التخلص من حالة الوصاية فإنها تمرّد على ما عدّ قدرًا محتومًا"^(١). ويقول أيضًا: "إن الحدائبة تؤدي حتمًا إلى النسبية الشاملة، في مجالات العلوم والفنون والفلسفة والأخلاق، وحتى في مجال العقيدة"^(٢)؛ "لأن الإنسان الحديث لا يؤمن بالحقيقة المطلقة، هو ينطلق من فهم جديد يرى للحقيقة وجوهاً عديدة، وكيفما قلبتها ظهر لك منها وجه قد يكون عنك مخفيًا. الحقيقة بهذا المفهوم تاريخية مثلها في ذلك مثل تاريخية الإنسان الذي أنتجها"^(٣).

الإنسان الحديث إذن - في زعم أدعياء الحدائبة - لا يسلم البتة بوجود حقائق موضوعية ناجزة، ولو كانت هذه الحقيقة هي الدين، بل إن الدين المتمثل في

(١) ص ٢٧ إسلام المجددين.

(٢) المرجع السابق وبنفس الصفحة.

(٣) ص ٦١ المرجع السابق.

الوحي المنزل في نظر هذا الخطاب الحدائثي ليس هو حقيقة مطلقة، فكل الأمور نسبية غارقة في تاريخيتها، فالخطاب الحدائثي يسعى إلى تجاوز التسليم بالوحي أصلاً، ويجهد بكل السبل في زحزحته ونقضه وردّه، ونزع القداسة عنه، إذ الحدائثة توجب على الإنسان المعاصر فهماً مختلفاً جديداً لكل شيء، وعدم التسليم لأي مطلق أو ثابت ولو كان من عند الله، وهو ما يتبجح به أركون قائلاً: "الوحي ليس كلاماً معيارياً نازلاً من السماء"^(١)، فإذا لم يكن الوحي نازلاً من السماء فحيثئذ يمكن لهؤلاء الحدائثيين العبث بمحتواه ونصوصه وأركانه وعقيدته، وتفريغ ذلك من كل معاني القداسة والتعالّي.

إن الهدم الكامل لمفهوم الحقيقة الموضوعية في الفكر الحديث هو هدر لجميع المعارف والعلوم من الأساس، وهو ما تفتنّ له بعض مفكري الغرب ومنهم الفيلسوف كارل ياسبرز^(٢) حيث قال: "إن النزعة التاريخية التي تجعل كل شيء نسبياً ستدمر معنى الحياة، ولن يكون في وسعنا أن نقيم علاقة بين الحقيقة الخالدة والتاريخ بغير إفساد الحقيقة، ما دام التاريخ يعلمنا أن نشك في كل شيء، وألا نؤمن بشيء، ولهذا يتعين علينا أن نؤكد دائماً بكل وضوح أن ما هو حق لا تقتصر حقيقته على عصر أو زمن معين، ولا تنحصر قيمته داخل حدود تاريخية ضيقة، وما لا يصدق على كل العصور والأزمان بصورة مطلقة شاملة فليس من

(١) ص ٨٥ القرآن والتفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

(٢) فيلسوف ألماني وطبيب نفساني ولد سنة ١٨٨٩ م، ويعد من أهم دعاة الوجودية الألمانية، من مؤلفاته: (العقل والوجود وكتاب في الحقيقة)، توفي كارل ياسبرز ببال سنة ١٩٦٩ م. انظر:

ص ٧٣٨ وما بعدها معجم الفلاسفة.

الحق في شيء" (١).

إن الدين الإسلامي بكل ما اشتمل عليه من عقائد وعبادات وشرائع وأخلاق هو حقيقة موضوعية ثابتة لا علاقة لها بحدود التاريخ وقيود الزمان والمكان، ليس كسائر الأديان الأخرى التي طرأ عليها التغير والتبدل وخضعت لمشروطة الزمان والمكان.

وجوهر الدين الإسلامي قائم على أساس التسليم وفكرة الطاعة المطلقة التي هي المحك الحقيقي الذي يميز العبد المؤمن من غيره، فالعبودية هي الخضوع والاستسلام لله تعالى، وفي بيان هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. فأقسم: أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليماً، وهذا حقيقة الرضا بحكمه، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، ومتى خالطت القلب بشاشة الإيمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين، وحيي بروح الوحي، وتمهدت طبيعته وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة، وتلقى الإسلام بصدر منشرح = فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء

(١) ص ٤٧ تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية.

المحجوب لله ورسوله" (١).

وهذا التسليم والرضا بالدين ليس تسليمًا اعتباريًا يتخذه المسلم لخرافة أو دجل أو ضعف عقل أو قلة بحث أو محدودية تفكير أو تصور، إنما هو تسليم موافق للعقل وموافق للفطرة، ومن نظر في دلائل النبوة والأسس العقلية المحكمة التي بني عليها الإسلام ازداد إيمانه وتسليمه لهذا الدين، وازداد يقينه بحاجة البشرية إليه، باعتباره منهج حياة يسمو بالنفوس في مدارج الكمال والراقي الإنساني بعبادة هذا الإله المتفرد بالكمال والجمال والعظمة.

إن العبادة في الإسلام إذاً ضرورة صلبة يحتاج إليها الإنسان؛ ليخضع وينقاد إلى خالقه، وهي شعور وجداني واحتياج فطري قبل أن تكون أعمالاً وأقوالاً وممارسات شكلانية، وعندما يختارها المؤمن فإنه يقوم بها من غير سخط ولا إكراه، والمبدأ هو ما رسمه النص القرآني: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إن العبادة في الإسلام تشريف لهذا الإنسان وتكريم له بالانتساب والانتظام في فلك الخضوع لله تعالى: ﴿إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. وهذا ما يمنح المؤمن معاني القوة والعزة عندما يضاف العبد إلى الله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥] ويعطى لحياته المعنى.

إن العبادة تجعل الإنسان مفعماً بالحياة والأمل والطمأنينة والسلام:

(١) (١٨٩/٢) مدارج السالكين.

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨]، فلا يأنف من عبادة الرحمن إلا عديم الذوق فاقد جمال الحياة.

والعبادة بكل أشكالها هي مسابقة وتنافس في الخيرات للفوز بالجنات ونيل أعلى الدرجات: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. فالعبد المؤمن في ميدان سباق ومحاولة للفوز بأعلى الجنان استجابة لأمر ربه: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، فجسد المؤمن في الأرض وروحه معلقة في السماء.

والغاية العظمى من العبادة هي الإيمان بالحياة الخالدة ولقاء الله في الدار الآخرة: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. فليست الحياة الدنيا في نظر المؤمن هي النهاية، وليست هي كل شيء. ٤.

إن حياة الإنسان المؤمن في هذه الدنيا هي حياة ترقب وشوق وانتظار لما يجاوزها، بخلاف غير المؤمن الذي يعمل لأجل هذا الحيز المادي المحدود، ويرى أن الدنيا هي الحيز الوحيد الذي يتحرك في فلكه ويعيش لأجله، لكن معضلة الموت وما بعده لا زالت تقلق برهبتها فكره وترهق عقله، فكيف يموت الفيلسوف والفلكي والفيزيائي والطبيب والكبير والصغير ولم يصمد أحد أمام هذا الحقيقة المطلقة ولا يعلم عن سرها أحد.

فبالرغم من عظم هذا التقدم الهائل والمذهل في وسائل التحكم والتمكن والسيطرة في فهم المادة واكتشاف أسرارها، وبالرغم من حجم هذا التضخم

المستمر في المكتشفات والمعلومات والحاسب والإلكترونيات وخدمتها للإنسان، وتحقيق الارتقاء والرفاهية الحياتية، وتحسين مستوى جودة الحياة في أعلى مستوى متصور = إلا أنها لم تقدم جوابًا حول حيرة معنى هذا الوجود الإنساني وقلق ورهبة المصير بعد الموت.

لكن المفهوم الإسلامي للعبادة يعطي الإنسان أبعادًا روحية مطلقة، ويفتح له أفاقًا رحبة تسكن من قلقه الوجودي، وتغلق حيرته، وتجعله يسلم لقدر الله العجيب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].



الخاتمة

الحمد لله ذي الفضل والنعم، والصلاة والسلام على الرسول الأمين صاحب الرسالة الخاتمة وصاحب الدين القويم، الذي تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه البررة، ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين،

أما بعد؛ ففي ختام هذه الجولة التي تعرضت الدراسة فيها لبيان مفهوم الطقوس عند الحدائثيين، وذكرت نماذج من توظيفهم للمصطلح على العبادات في الإسلام، وعرضت أبرز الملاحظات النقدية والشرعية عليها، آن الأوان لتسجيل أهم النتائج والتوصيات، التي كان من بينها:

١- أن الدين في المفهوم الغربي يتكون من عنصرين أساسيين؛ هما: المعتقد والطقوس الخاصة بالمعتقد، وكل منهما يدعم الآخر ويقويه.

٢- أن مفهوم الطقوس الدينية هو مفهوم غربي، معناه العبادات والعادات والشعائر والممارسات الدينية.

٣- أن مصطلح الطقوس هو مصطلح جديد في فضاءنا الفكري، ليس من إنتاج ثقافتنا العربية أو الإسلامية، بل هو من المصطلحات المستوردة من العالم الغربي.

٤- أن وظائف العبادات في الخطاب الحدائثي تختزل في ثلاثة أدوار هي: الوظيفة الرمزية والوظيفة الاجتماعية والوظيفة النفسية.

٥- أن المحددات والمعالم التي ينطلق منها الحدائثيون في كتاباتهم النقدية للإسلام هي الخلفية المادية التي لا تؤمن بدين خارج نطاق التاريخ، لذلك

جاءت رؤيتهم للعبادات في الإسلام متناسقة ومنسجمة تمامًا مع المفهوم الغربي للطقوس الدينية.

٦- أن نقد الحداثيين للعبادات في الإسلام كان نقدًا منفتحًا على المناهج النقدية المعاصرة المستمدة من علوم النفس والاجتماع الإنساني الغربية، دون اعتبار لخصوصيتها الثقافية ونسبيتها الزمكانية.

٧- يحاول الحداثيون نزع الثقة في العبادات الإسلامية بأكملها، فهي -في زعمهم- من وضع الفقهاء الذين ألزموا الناس بالخضوع لأحكامهم؛ حفاظًا على مقتضيات الاجتماع الديني على حساب الحرية الفردية.

٨- أهمية فتح قنوات تواصل علمي ومعرفي، وعقد حلقات نقاش وحوار من أهل التخصص الشرعي والفكر الأصيل مع شرائح واسعة من النخب الثقافية وصناع القرار وطلاب الجامعات؛ للتأصيل العلمي والتأطير المنهجي.

٩- التركيز في أثناء تدريس فقه العبادات على بيان الحكم والعلل، وألا يدرس الفقه مجردًا، كما أوصي بإبراز الجانب الجمالي للتشريع الإسلامي، والجانب الجمالي في العبادات خاصة، والتركيز عليه في الطرح الفكري الإسلامي.

١٠- أن الاهتمام بدراسة أفكار أدياء الحداثة والوقوف على مؤثرات فكرهم وتتبع تشكله وفهم محركاته أمر مهم للدارس؛ يثريه ويقدم له معرفة معاصرة لما يستجد في عالم الأفكار، ويثير عقله ويستحثه على السعي لمزيد من التحليل والفهم، ومن ثم النقد والرد، وهو مهم للمكتبة العربية: بإضافة قيمة معرفية حديثة للبحوث والدراسات الفكرية المعاصرة.

١١- أوصي باهتمام الأقسام الشرعية في الجامعات بأن يوجهوا طلبة الدراسات العليا إلى دراسة أفكار ما بعد الحداثة، لكشف أصول أفكار المفكرين العرب الحداثية ومنطلقاتهم؛ ليتحقق دحضها وتحصين الشباب منها.

١٢- أن تكون هناك دراسات ميدانية لمواقع التواصل الاجتماعي؛ لمعرفة ورصد مدى تأثير شباب المسلمين بأفكار الحداثة العربية المعاصرة، وللوقوف على مدى تأثيرهم بأعلام الفكر العربي الحدائبي الذين اعتمدوا المناهج الغربية في التعامل مع الدين والتراث.

والله أعلى وأحكم وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الباحثة



فهرس المراجع

- القرآن الكريم.
- الاجتماع الديني ومفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، أحمد الخشاب، مكتبة القاهرة الجديدة، ط٢، ١٩٦٤م.
- الآراء والمعتقدات، غوستاف لوبون، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، القاهرة، دار العالم العربي، ط٤، ٢٠١٦م.
- الأسطورة والتراث، سيد القمني، القاهرة، المركز المصري لبحوث الحضارة، ط٣، ١٩٩٩م.
- الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، فراس السواح، دمشق، دار علاء الدين، ط٨، ١٩٩٧م.
- الإسلام الآسيوي، آمال قرامي، ضمن سلسلة الإسلام واحدًا ومتعددًا، بيروت، دار الطليعة، رابطة العقلايين العرب، ط١، ٢٠٠٦م.
- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، بيروت، دار الطليعة، ط٢، ٢٠٠٨م.
- الإسلام السني، بسام الجمل، ضمن سلسلة الإسلام واحدًا ومتعددًا، بيروت، دار الطليعة، رابطة العقلايين العرب، ط١، ٢٠٠٦م.
- الإسلام في الأسر من سرق الجامع وأين ذهب يوم الجمعة، الصادق النهيوم، رياض الريس للكتب والنشر، ط٣، ١٩٩٥م.

- إسلام المجددين، محمد حمزة، ضمن سلسلة الإسلام واحدًا ومتعددًا، بيروت، دار الطليعة، رابطة العقلايين العرب، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- الإسلام والحداثة، عبد المجيد الشرفي، تونس، دار الجنوب، ط ٣، ١٩٩٨ م.
- الأشكال الأولية للحياة الدينية، إميل دوركايم، لندن، ١٩١٥ م.
- الإنسان المستلب وآفاق تحرره، إيريك فروم، ترجمة: حميد لشهب، الرباط، شركة نداكوم للطباعة والنشر.
- الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، جيمس جورج فرايزر، ترجمة: نايف الخواص، سوريا، دار الفرقد، ط ١، ٢٠١٤ م.
- أعلام الفكر العربي: مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، د. السيد ولد أباه، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، ٢٠١٠ م.
- أوهام الهوية، داريوش شايفان، ترجمة: محمد علي مقلد، بيروت، دار الساقى، ط ١، ١٩٩٣ م.
- تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية، كارل باسبرز، ترجمة: عبد الغفار مكايي.
- تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري، بيروت، دار الساقى، ط ١، ١٩٩٩ م.
- خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا: المنظرون المعاصرون، جون سكوت، ترجمة: رشا جمال، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، ٢٠١٢ م.
- خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا (المنظرون المؤسسون)، تحرير: جون

سكوت، ترجمة: رشا جمال، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١،
٢٠١٢م.

- دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، فراس السواح،
سوريا، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ط٤، ٢٠٠٢م.

- الدين والتدين التشريع والنص والاجتماع، عبد الجواد ياسين، المغرب،
الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

- روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، د. طه عبد
الرحمن، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م.

- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،
بيروت، دار الفكر.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محي الدين
عبد الحميد، دار الفكر.

- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق:
أحمد شاكر وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق: محمد
فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- طقوس العبور: دراسة في المصادر الفقهية، عبد الرحيم بوهاها، تقديم:
عبدالمجيد الشرفي، لبنان، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠٠٩م.

- علم النفس التحليلي، كارل غوستاف يونغ، ترجمة: نهاد خياطة، سوريا، دار الحور للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٧م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة.
- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الساقى، ط٣، ١٩٩٦م.
- فهم القرآن الحكيم، القسم الثالث، محمد عابد الجابري، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ط١، ٢٠٠٩م.
- في إشكالية المقدس أو تحولات التغيير الاجتماعي السيكولوجية، نور الدين طوالبى، ترجمة: وجيه البعيني، بيروت-باريس، منشورات عويدات، ١٩٨٨م.
- قاموس مصطلحات الإنثولوجيا والفولكور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، مصر، دار المعارف، ١٩٧٢م.
- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، ط٢، ٢٠٠٥م.
- ليلة القدر في المتخيل الإسلامي، بسام الجمل، سوريا، دمشق، مؤسسة القدموس الثقافية، توزيع: خطوات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.
- متخيل النصوص المقدسة في التراث العربي الإسلامي، حمادي المسعودي، تونس، دار المعرفة للنشر، ط١، ٢٠٠٧م.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٧، ٢٠٠٣م.
- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.
- مُستقبلٌ وهم، سيغموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط٤، ١٩٩٨م.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، مصر، مؤسسة قرطبة.
- معجم الأثنولوجيا والأنتروبولوجيا، بيار بونت وميشال ايزار وآخرون، ترجمة: د. مصباح الحمد، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجد)، ط٢، ١٤٣٢هـ.
- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط٣، ٢٠٠٦م.
- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، القاهرة، دار قباء الحديثة، ط٥، ٢٠٠٧م.
- معجم مصطلحات علم الاجتماع، جيل فيريول، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الأسعد، مراجعة وإشراف: بسام بركة، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط١، ٢٠١١م.
- المعجم الوسيط، بيروت، دار الأماج للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.
- المقدس والمجتمع، نور الدين زاهي، المغرب، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١١م.

- الموت وطقوسه من خلال صحيح البخاري ومسلم، رجاء بنت سلامة، القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
- موسوعة علم الاجتماع، جوردون مارشال، محمد الجوهري أحمد زايد، ترجمة: محمد محيي الدين ومحمود عبدالرشيد وعدلي السمري وهناء الجوهري، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، ط٢، ٢٠٠٧م.
- موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م.
- موسوعة لالاند الفلسفية، لأندرية لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، بيروت، مكتبة عويدات، ط٢، ٢٠٠١م.
- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الساقى، ٢٠١٣م.

✻ المراجع الأجنبية

- C.G. Jung, Psychology and Religion (in The Collected Works).
- Cazeneuve, Sociologie du rite, , Paris, PUF, 1971.
- Roger Bastide, Sociologie des mutations religieuses, Paris, PUF, 1970.
- Eliade.m, Aspects du mythe, Gallimard, 1963.
- Weber.M, Economie et Societe, Pion, 1995, Tom 2.
- Erick Fromm, Psychoanalyse et religion, Paris, 1968.
- Larousse, Ed 1988. Dictionary of the French language, -
- Goffman, Erving, les rites d'interaction, (trad. de l'anglais par Alain Kihm,) Paris,
- Minuit, coll «le senscommun», 1974.

✻ الصحف والمجلات والمقالات والأبحاث والبرامج التلفزيونية:

- جريدة الخبر التونسية بتاريخ ٦ / ١ / ٢٠٠٧ م.
- جريدة الرياض العدد ١٥٤٤٥، بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٤٣١ هـ.
- مجلة الهدى المغربية، عدد سبتمبر سنة ١٩٨٦ م.
- مقال بعنوان: (الأسطورة والطقس)، فراس السواح على الشبكة العنكبوتية.
- مقال بعنوان: (الشعائر الإسلامية في الدراسات المعاصرة)، طارق حجي، بتاريخ: ٢ / ٨ / ٢٠١٦ م، على الشبكة العنكبوتية.
- حوار مع طارق حجي، حاوره: فيصل خاجه، بتاريخ: ٨ / ١٢ / ٢٠١٣ م، على موقع مجلة الآوان على الشبكة العنكبوتية.
- حوار مع المفكر السوري فراس السواح، حاوره: عبد الستار الكفيري، بتاريخ ٨ / ١٢ / ٢٠١٣ م، على موقع الآوان على الشبكة العنكبوتية.
- مقال بعنوان: (إسلام المجددين لمحمد حمزة مانيفست للتجديد في الإسلام) للكاتب: خالد غزال، بتاريخ: ٨ / ١٢ / ٢٠١٣ م، على موقع مجلة الآوان على الشبكة العنكبوتية.
- مقال بعنوان: (تقديم كتاب عبد الرحيم بوهاها طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهيّة)، للكاتب: بسام الجمل، بتاريخ: ١٦ / ٩ / ٢٠١٣ م، موقع مؤسسة (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث) على الشبكة العنكبوتية.

- مقال بعنوان: رجاء سلامة بين مقاومة القمع والتهديد بالقتل، للكاتب: عبد الدائم السلامي، بتاريخ ٢٥ / ١ / ٢٠١٥ م، جريدة الحياة.
- مقال بعنوان: (سيد قمني المفترى والمفترى عليه) للكاتب: محمد عبد الرحمن، بتاريخ: ٢٨ / ٨ / ٢٠١٦ م، جريدة اليوم السابع على الشبكة العنكبوتية.
- حوار مع المستشار عبد الجواد ياسين (الدين ام التدين؟ التفكير من خارج الإطار)، حاوره: محمد الخراط، بتاريخ ١٧ / ٧ / ٢٠١٤ م، على موقع مؤسسة (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث) على الشبكة العنكبوتية.
- حوار مع آمال قرامي، قناة العربية بتاريخ: ٧ / ٥ / ١٤٣٨ هـ، برنامج (منارات) على موقع القناة على الشبكة العنكبوتية.



فهرس المحتويات

٤٢١	ملخص البحث
٤٢٣	المقدمة
٤٢٦	التمهيد
٤٣٠	المبحث الأول: تعريف الطقوس وعلاقتها بالمعتقد
٤٣٩	المبحث الثاني: وظائف الطقوس في الخطاب الحدائبي
٤٥٠	المبحث الثالث: تطبيقات عملية على العبادات في الإسلام
٤٦٥	المبحث الرابع: ملاحظات نقدية
٤٧٣	الخاتمة
٤٧٦	فهرس المراجع
٤٨٤	فهرس المحتويات



- Hajji, dated 2/8/2016, on the Internet.
68. Interview with Tārek Hajji, Interviewed by: Faisal Khaja, dated 8/12/2013, on the website of the online magazine "Al-Awān".
 69. Interview with the Syrian thinker Firas al-Sawah, Interviewed by: Abdul Sattar al-kufiri, on 8/12/2013, on the website of the online magazine "Al-Awān".
 70. An Article entitled: (Islam of reformers of Muhammad Hamza Manifest for reformation in Islam) By: Khaled Ghazal, dated: 8/12/2013, on the website of the online magazine "Al-Awān".
 71. An Article entitled: (Presentation of the book of Abdul Rahim Bouhaha: 'Ritual of passing in Islam: a study in the sources of jurisprudence'), by: Bassam Jamal, dated 16/9/2013, the site of the Foundation of the (Believers without Borders for Studies and Research) on the Internet.
 72. An Article entitled: (Rajā' Salamah between the resistance to repression and the threat of death), by: Abdul-Dā'im al-Salāmī, dated 25/1/2015, Al-Hayan newspaper.
 73. An Article entitled: (Sayed Qimni The Slanderer and Slandered One) by: Mohammed Abdul Rahman, dated: 28/8/2016, the seventh day newspaper on the Internet.
 74. An Interview with the Counselor Abdul Jawaad Yassin (Religion or Religiosity? Thinking from outside the framework), discussed by Mohammed Al-Kharrat on 17/7/2014, on the website of the Foundation of the (Believers without Borders for Studies and Research) on the Internet.
 75. An Interview with Āmāl Qarāmī, Al-Arabiya TV, 7/5 / 1438 AH, "Manarat" program on the channel 's website.



- Society), Morocco, Casablanca, Africa East, 2011 CE.
49. Rajā' Bint Salāmah, *Al-Maut wa al-Ṭuqūs Min Khilāl Ṣaḥīḥai al-Bukhārī wa Muslim* (Death and Rituals through Ṣaḥīḥ al-Bukhari and Muslim), Cairo, Dār Ro'yah for Publishing and Distribution, 2009 CE.
 50. Gordon Marshall; Mohamed al-Goharī; Ahmed Zayed, *Encyclopedia of Sociology*, Translated by: Mohamed Mohieddin; Mahmoud Abdel-Rashid; 'Adly Al-Samrī and Hanā' Al-Goharī, Review and Presented by: Mohammed Al-Goharī, 2nd edition, 2007 CE.
 51. Badawī, Abdul Rahmān, *Mausū'at al-Falsafah* (Encyclopedia of Philosophy, Beirut, Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st edition, 1984 CE.
 52. Lalande, André, *Lalande's Philosophical Encyclopedia*, Translated by: Khalil Ahmad Khalil, Beirut, Maktabat 'Uweidāt, 2nd edition, 2001 CE.
 53. Muhammad Arkoun, *Naḥwa Tārīkh Muqāran Li al-Adyān al-Tauḥidiyyah*, translated by: Hashim Ṣāleh, Beirut, Dār al-Sāqī, 2013 CE.

References in Languages Other Than Arabic

54. C.G. Jung, Psychology and Religion (in The Collected Works).
55. Cazeneuve, Sociologie du rite, , Paris, PUF, 1971.
56. Roger Bastide, Sociologie des mutations religieuses, Paris, PUF, 1970.
57. Eliade.m, Aspects du mythe, Gallimard, 1963.
58. Weber.M, EconomieetSociete, Pion, 1995, Tom 2.
59. Erick Fromm, Psychoanalyseet religion, Paris, 1968.
60. Larousse, Ed 1988.Dictionary of the French language,-
61. Goffman, Erving, les rites d'interaction, (trad. de l'anglais par Alain Kihm,) Paris
62. Minuit, coll «le senscommun», 1974.

Newspapers, Magazines, Articles, Researches and Television Rrograms:

63. Al-Huda Journal of Morocco, September 1986 CE.
64. Al-Khabar Newspaper of Tunisia dated 6/1/2007.
65. Al - Riyadh Newspaper, Issue No. 15445, dated 28/10/1431 AH.
66. An article entitled: (Myth and Weather), by: Firas Al-Sawaḥ on the Internet.
67. An Article entitled: (Islamic rituals in contemporary studies), Tārek

35. Hulterantz, Ake, *Qāmūs al-Inthologiā wa al-Folklore*, Translated by: Mohamed al-Gohary and Hassan al-Shami, Egypt, Dār al-Ma'āref, 1972 CE.
36. Arkoun, Muhammad, *Al-Qur'ān Min al-Tafsī al-Maurūth Ilā Taḥlīl al-Khitāb al-Dīnī*, Translation and Commentary: Hashim Şāleh, Beirut, Dār Al Talī'ah, 2nd, 2005 CE.
37. Al-Jamal, Bassam, *Lailat al-Qadr Fī al-Mutakhayal al-Islamī*, Syria, Damascus, Mu'ssasat al-Qadmūs al-Thaqāfiyah, Al-Qadmūs Cultural Foundation, Distribution: Khaṭawāt li al-Nashr wa al-Tawzī'i, 1st edition, 2007 CE.
38. Hamādī, al-Mas'ūdī, *Mutakhayal al-Nuṣuṣ al-Muqaddasah Fi al-Turāth al-'Arabī al-Islāmī*, Tunis, Dāa Al-Ma'rifahli al-Nashr, 1st edition, 2007 CE.
39. Ibn Qayyim al-Jawziyy-a, Muhammad bin Abu Bakr, *Madārij al-Sālikīn Baina Manāzili Iyyāka Na'budu Wa Iyyāka Nasta'in*. Edited by: Muhammad al-Mu'taṣim bi-Allah, Beirut, Lebanon, Dār al-Kitāb al-'Arabī, 7th edition, 2003 CE.
40. Al-Ḥākīm, Abu Abdullah al-Nīsāpūrī, *Al-Mustadrak 'Alā al-Ṣaḥīḥain*, Investigation: Mohammad Fu'ād Abdul-Bāqī, Beirut, Dār al-Fikr, (n.d.).
41. Freud, Sigmund, *Musaqbal wahm*, translation: George Tarabishi, Beirut, Dār al-Talī'ah, 4th edition, 1998 CE.
42. Al-Shaibānī, Ahmad bin Hanbal, *Musnad Al-Imām Ahmad Ibn Hanbal*, Publisher: Cairo, Mu'assasat Qurtubah, (n.d).
43. Pierre Bonte, Michel Izard and others, *Dictionary of Ethnology and Anthropology*, Translation: dr. Miṣbāḥ al-Ḥamad, Beirut, the university institution for studies, publishing and distribution (Majd), 2nd edition, 1432 AH.
44. Tarabishi, George, *Mu'jam al-Falāsifah* (The Dictionary of Philosophers), Beirut, Dār al-Tali'ah, 3rd edition, 2006 CE.
45. Wahbah, Murād, *Al-Mu'jam al-Falsafī* (The Philosophical Dictionary), Cairo, Dar Qubā' al-Hadithah, 5th edition, 2007 CE.
46. Ferriol, Gilles, *Mu'jam Muṣṭalaḥāt 'Ilm al-Ijtimā'* (Dictionary of Sociology), Translation and Presentation: Ansām Mohamad As'ad, Review and Supervision: Bassām Barakat, Beirut, Maktabat wa Dār Al-Hilal, 1st edition, 2011 CE.
47. *Al-Mu'jam al-Wasīṭ*, Beirut, Dār Al-Amwāj for Printing and Publishing, 1987 CE.
48. Zāhī, Nouruddīn, *Al-Muqaddas wa al-Mujtama'* (The Holy and

- and contributor, Translated by: Rasha Jamal, Beirut, Arab Network for Research and Publishing, First Edition, 2012 CE.
22. Al-Sawaḥ, Firās, *Dīn al-Insān, Baḥath Fi Māhiyat al-Dīn wa Mansha' al-Dāfi' al-Dīnī*, Syria, Damascus, Dār al-'Ala'uddin, 4th edition, 2002 CE.
 23. Yassin, Abdel Gawad, *Al-Dīn wa al-Tadayun: Al-Tashrī' wa al-Naṣṣ wa al-Igtimā*, Morocco, Casablanca, Arab Cultural Center, (n.d).
 24. Dr. Taha Abdul Rahman, *Rūḥ al-Ḥadāthah: al-Madkhal Ilā Ta'sīs al-Ḥadāthah al-Islamiyyah*, Casablanca, Arab Cultural Center, 2006 CE.
 25. Ibn Majah, Muhammad bin Yazid al-Qazwini, *Sunan Ibn Majah*, Investigation: Mohammad Fu'ād Abdul-Bāqī, Publisher: Beirut, Dār al-Fikr, (n.d.).
 26. Abu Daūd, *Sunan Abi Dawūd*, Edited by: Mohammad Mohiuddin Abdul Ḥamīd, Beirut, Dār al-Fikr, without details.
 27. Al-Tirmidhī, Muhammad bin 'Īsā, *Sunan al-Tirmidhi* (Al-Jāmi' al-Ṣaḥīḥ), Edited by: Ahmad Shāker and others, Beirut, Dār Iḥyā' al-Torāth, (n.d.).
 28. Muslim, Muslim bin al-Hajjāj al-Qusheirī, al-Nisābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim*, Investigation: Mohamad Fouād Abd al-Bāqī, Beirut, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, (n.d.).
 29. Buhāhā, Abdul Rahim, *Tuqūs al-'Ubūr: Dirāsah fī al-Maṣādir al-Fiqhiyyah*, Presented by: Abdul Majeed al-Sharafī, Lebanon, Beirut, Arab Publishing Foundation, First Edition, 2009 CE.
 30. Jung, Carl Gustav, *Ilm al-Nafs al-Taḥlīlī*, Translated by: Nehād Khiyātah, Syria, Dār al-Hoor for Publishing and Distribution, 2nd edition, 1997 CE.
 31. Al-'Asqalānī, Ahmad bin 'Alī bin Ḥajar. *Fatḥ al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Edited by: Muhibb al-Dīn al-Khatīb, Beirut, Dār al-Ma'rifah, (n.d.).
 32. Arkoun, Mohammad, *Al-Fikr al-Islamī, Naqd wa Ijtihād*, Translated by: Hashim Saleh, Beirut, Dār al-Sāqī, 3rd edition, 1996 CE.
 33. Al-Jābrī, Muhammad 'Ābid, *Fahm al-Qur'ān al-Ḥakīm, al-Qism al-Thālith*, Casablanca, Moroccan Publishing House, First Edition, 2009 CE.
 34. Tawalibī, Nouruddin, *Fī Ishkāliyyat al-Muqaddas, Aw Taḥawulāt al-Taghayur al-Ijtimā'ī al-Sekolojiyyah*, Translated by Wajih El-Bu'ainī, Beirut-Paris, 'Uwaidāt Publications, 1988 CE.

- Arab Rationalists, 1st edition, 2006 CE.
7. Al-Sharafī, Abdul Majīd, *Al-Islam Bain al-Risālat wa al-Tārīkh*, Beirut, Dār al-Talī‘ah, Second Edition, 2008 CE.
 8. Al-Gamal, Bassam, *Al-Islam al-Sunnī, Dhimm Silsilat: Al-Islam Waḥīdan wa Muta‘addidan*, Beirut, Dār al-Talī‘ah, Association of Arab Rationalists, 1, 2006.
 9. Nahūm, al-Ṣādiq, *Al-Islam Fī al-Asr, Man Saraq al-Jāmi‘ wa Ain Dhahab Yaum al-Jumu‘ah?* Rīyaḍ al-Rayis li al-Kutub wa al-Nashr, 3rd edition, 1995 CE.
 10. Hamza, Muhammad, *Islāmu al-Mujaddidīn, Dhimm Silsilat: Al-Islam Waḥīdan wa Muta‘addidan*, Beirut, Dār al-Talī‘ah, Association of Arab Rationalists, First Edition, 2007 CE.
 11. Al-Sharafī, Abdul Majīd, *Al-Islam wa al-Ḥadāthah*, Tunisia, Dār al-Janoub, third edition, 1998 CE.
 12. Emile, Durkheim, *Al-Ashkāl al-Awaliyyah li al-Ḥayāt al-Dīniyyah*, London, 1915 CE.
 13. Erich, Fromm, *Al-Insān al-Mutalib wa Āfāq Taḥarrurihī*, (The Dispossessed Man and the Prospects of His Liberation), Translation: Hamid Leshab, Rabat, Sharikah Nada-kom li al-Ṭibā‘ah wa al-Nashr.
 14. Frazer, James George, *The Golden Bough: A Study in Magic and Religion*, Arabic version Translated by: Nayef al-Khawas, Syria, Dar al-Farqad, 1st edition, 2014 CE.
 15. Abāh, Dr. al-Sayyid Walīd, *A‘lām al-Fikr al-Arabī, Madkhal Ilā Khāritat al-Fikr al-Arabī al-Rāhinah*, Beirut, The Arab Network for Research and Publishing, First Edition, 2010 CE.
 16. Shayegan, Dariush, *Awhām al-Huwiyyah*, Translated by: Muhammad Ali Muqalid, Beirut, Dār al-Sāqī, First Edition, 1993 CE.
 17. Jaspers, Karl, *Tārīkh al-falsafah Bi Nazrah ‘Ālamiyyah*, Translated by: Abdul Ghaffar Makkawi, (n.d.).
 18. Haidari, Ibrahim, *Tragedy of Karbala Sociology of the Shiite Discourse*, Beirut, Dār al-Sāqī, first edition, 1999 CE.
 19. Scott, John, *Fifty Key Sociologists: The Contemporary Theorists, editor and contributor*, Translated by: Rasha Jamal, Beirut, Arab Network for Research and Publishing, First Edition, 2012 CE.
 20. Scott, John, *Fifty Key Sociologists: The Contemporary Theorists, editor and contributor*, Translated by: Rasha Jamal, Beirut, Arab Network for Research and Publishing, First Edition, 2012 CE.
 21. Scott, John, *Fifty Key Sociologists: The Formative Theorists, editor*

culture, rather it's from the imported terminologies from the Western world.

The acts of worship has three functions in the modernist discourse: the symbolical function, the social function and the psychological function.

The modernists base their books that criticizes Islam on materialistic foundations that do not believe in religions outside of the historical sphere. That's why their view of Islamic acts of worship is totally consistent and coherent with Western understanding of religious rituals.

The distinguishing feature of the modernist critique of acts of worship in Islam is that it's a critique open to the modern critique methodologies based on Western psychological and social sciences without looking to our cultural specificity and its relativity in place and time.

Index of Sources and References

1. The Holy Qurān.
2. Al-Khashāb, Ahmad, *Al-Ijtimā'u AL-dīnī, Mafāhīmuhu al-Nazariyyah wa Taṭbīqātuhu al-Āmaliyyah*, Maktabat al-Qāhirah al-Jadidah, 2nd edition, 1964 CE.
3. Gustav Le Bon, *Al-Ārā'u wa al-Mu'taqadāt*, Arabic translation: 'Adel Zu'aier, Cairo, Dār al-Ālam al-'Arabī, 4th edition, 2016 CE.
4. Al-Qimnī, Sayyid, *Al-Ustūrah wa al-Turāth* (Myth and Heritage), Cairo, Egyptian Center for Civilization Research, 3rd edition, 1999 CE.
5. Al-Sawaḥ, Firās, *Al-Oṣṭūrah wa al-Ma'nā, Dirāsāt Fī al-Mythologiyā wa al-Diyānāt al-Sharqiyyah*, Damascus, Dār al-'Ala'uddin, 8th edition, 1997 CE.
6. Qarāmī, Āmāl, *Al-Islam al-Āsiyawī, Dhimm Silsilat: Al-Islam Waḥīdan wa Muta'addidan*, Beirut, Dar Al Tali'ah, Association of

Religious Rituals in the Modernist Discourse An Analytical and Critical Study

Prepared by: *Dr. Nada bint Hamzah bin Abduh Khiyat*

*Saudi Academic, Associate Professor at the Department of
Islamic Studies in the College of Arts and Humanities at
Taibah University*

nada4100@gmail.com

Abstract

The study aimed to display the understanding of rituals by modernist Arabs in an analytical and critical way by studying their writings about religious rituals. It explained the understanding of the rituals in western intellectual circles firstly. After that it explained its meaning according to modernist Arabs by mentioning their most important definitions of rituals and the functions of the rituals according to the modernist view in general which is symbolic, social and psychological functions.

The study presented a number of modernist applications when using their terminology on different acts of worship like the prayer, the pilgrimage and the funeral rulings. It also reviews the most important critical observations on their employment through a reconstructive reading on how the modernist act in this area by linking their ideology to its western philosophical roots.

The most important results of the research were:

The terminology (rituals) is a new terminology in our intellectual space and it's not rooted in our Arabic and Islamic

- Hārūn, Dār al-Fikr, 1399 AH, 1979 AH.
63. Al-Tehrānī, Muhammad al-Hussein al-Husseinī, *Ma'rifat al-Imām, Dār al-Maḥjġat al-Baydhā'*, Beirut, 1st edition, 1996 CE.
64. Al-Shahristānī, *Al-Milal wa al-Niḥal*, Mual-Ḥalabī, (without details of publication and date).
65. Al-Ḍahabī, *Al-Muntaqā Min Manhaji al-I'tidāl Fī Naqḍi Kalām Ahli al-Rafḍi wa al-I'tizāl*, Investigation: Muḥibbu al-Dīn al-Khaṭīb, (without details of publication, place and date).
66. Ibn Taimiyyah, *Minhāj al-Sunnah al-Nabawiyyah Fī Naqḍi Kalām al-Shī'ah al-Qadariyyah*, Investigation: Mohammad Rashād Sālim, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, first edition, 1406 AH 1986 CE.
67. Al-Tahnawī, Mousū'at Kashāf Iṣṭilāḥat al-Funūn wa al-ULūm (Encyclopedia of Terms of Arts and Sciences), Edited by: 'Ali Daḥrouj, Publisher: Lebanon Publishers Library, Beirut, 1st edition 1996 CE.
68. Al-Dhahabī, *Mizān al-'Itidāl Fī Naqḍi al-Rijāl*, Investigation: Muhammad al-Bejāwī, Beirut, Lebanon, Dār al-Ma'rifah li al-Ṭibā'ah, First Edition, 1382 AH- 1963 CE.
69. Ibn al-Athīr, *Al-Nihāyah Fī Gharīb al-Ḥadīth wa al-Athar*. Investigation: Tāhir Aḥmad al-Zāwī; Mahmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī. Beirut, Al-Maktab-a al-Ilmiyyah, 1399 AH- 1979 CE.
70. Al-Wāḥidī, *Al-Wasīṭ Fī Tafsīr al-Qur'ān al-Majīd*, Edition. Sheikh Adel Ahmed Abdul Muqawad, Sheikh Ali Mohamed Moawad, Dr. Ahmed Mohamed Sira, Dr. Ahmed Abdul Ghani Al-Gamal, Dr. Abdul Rahman Aweys, Publisher: Dar Al-Kuttab Al-Alami, Beirut, Lebanon.



- Resalah li al-Ṭibā‘ah wa al-Nashri wa al-Tawzī‘i, Beirut, Lebanon, 8th edition, 1426 AH.
50. Al-Hanafī, Abdul Aziz bin Ahmad bin Mohammad, ‘Alā’uddin al-Bukhārī, *Kashfu al-Asrār Sharḥ Uṣūl al-azdawī*, Publisher: Dār al-Kitab al-Islami, edition: No details of edition and date of publication.
51. Al-Kafawi, Ayoub bin Mousā al-Husseini, *Al-Kulliyāt*, Edited by: ‘Adnān Darwish; Mohammad al-Miṣrī, Publisher: Al-Resalah Foundation – Beirut, (n.d.).
52. Ibn Manzhūr, *Lesān Al-'Arab*, Publisher: Beirut, Dār Ṣādir, Third Edition, 1414 AH.
53. Al-Haythamī, *Majma‘u al-Zawā'id*, Investigation: Hossām al-Dīn al-Qudsī, Maktabat al-Qudsī, Cairo, 1414 AH, 1994 CE.
54. Ibn Taymiyyah, al-Ḥarrānī, *Majmū' al-Fatāwā*, Investigation: Abd al-Rahmān bin Muhammad bin Qāsim, , King Fahd Complex for Printing the Holy Quran, Madina, Saudi Arabia, 1416 AH-1995 CE.
55. Al-Rāzī, *Mukhtār al-Ṣiḥāḥ*, Edited by: Yousuf al-Sheikh Mohammad, Publisher: Al-Maktabat al-‘Aṣriyyah – Al-Dār al-Namūzajiyah, Beirut - Ṣaida, Edition: Fifth, 1420 AH / 1999 CE.
56. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, *Madārij al-Sālikīn Baina Manāzil Iyyāka Na‘budu Wa Iyyāka Nasta‘īn*. Edited by: Muhammad al-Mu‘taṣim Bi-Allah, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 3rd edition, 1416 AH – 1996 CE.
57. Al-Qārī, Mulla ‘Alī, *Mirqāt al-Mafātīḥ Sharḥ Mishkāt al-Maṣābīḥ*, Ali al-Kari, Publisher: Dār al-Fikr, Beirut- Lebanon, edition: First, 1422 AH- 2002 CE.
58. Al-Qefarī, Nāṣer bin ‘Abdu Allah bin ‘Ali, *Mas'alatu al-Taqrīb Bain Ahli al-Sunnah wa as-Shī‘ah* (The Issue of reconciliation between Sunnis and Shiites), Publishing House: Dār Taiba for Publishing and Distribution, edition: Third, 1428 AH.
59. Aḥmad bin Ḥanbal (d. 241 AH), *Musnad al-Imām Aḥmad bin Ḥanbal*, Edited by: Shu‘aib al-Arna‘ūt; ‘Ādil Marshūd and others, Mu’assas-at al-Resālah, first edition, 1421 AH. M-2001 CE.
60. Al-Ṭabrānī, Sulimān bin Aḥmad. *Al-Mo‘jam Al-Awsaṭ*, Investigation: Tariq bin 'Awaḍ Allah bin Mohammad; Abd al-Mohsen Al-Hussainī, Publisher: Cairo: Dār Al-Haramin,(n.d.).
61. Al-Suyūṭī, *Mu‘jam Maqālīd al-‘Ulūm Fī al-Ḥudūd wa al-Rusūm*, by: Muhammad Ibrahim Ubādah, Publisher: Maktabat al-Adab, Cairo, Egypt, First Edition, 1424 AH – 2004 CE.
62. Ibn Fāris, *M'ujam Maqāyīs al-Lughah*, Edited by: Abd al-Salām

- Resalah, Beirut, First Edition, 1412 AH -1992 CE.
36. Al-Albānī, *Silsilat al-Aḥādīth al-Ḍa'īfah wa al-Maḍḍū'ah wa Atharūha al-Sayyī' 'Alā al-Ummah*, Riyāḍ, Dār al-Ma'ārif, Riyadh-Saudi Arabia, edition: First, 1412 AH, 1992 CE.
 37. Al-Murtadhī, al-Sharīf, *Al-Shafī Fī al-Imāmah*, Investigation: 'Abdul-Zahrā' al-Hussainī al-Khatīb, : Mu'assasat al-Ṣādiq, Tehrān, 2nd edition, 1986 CE.
 38. Ibn Abī al-'Izz, al-Hanafī, *Sharḥ al-'Aqīqah al-Ṭaḥawīyyah*, Investigation: Al- Sho'aib al-Arna'ūt; 'Abd Allah bin 'Abd al-Moḥsin al-Turkī, Publisher: Mu'assasat al-Resalah, Beirut, Edition: 10th, 1417 AH, 1997 CE.
 39. Ibn al-Najjar al-Ḥanbalī, *Sharḥ al-Kawkab al-Munīr*, Edited by: Muhammad al-Zuhailī & Nazīh Hammad, Maktaba-t al-Obeikān, 2nd Edition, 1418 AH - 1997 CE.
 40. Al-Ṭaḥāwī, *Sharḥ Mushakil al-Āthār*, Investigation: Al-Arna'ūt, Shu'aib, Beirut, Mu'assasat al-Risālah, first edition, 1415 AH- 1994 CE.
 41. Al-Alousī, Mahmoud, *Ṣabbu al-'Aẓāb 'Alā Man Sabba al-Aṣḥāb*, Investigation: Abdu Allah al-Bukhari, Publisher: Aḍwā' al-Salaf, Riyadh, 1st edition, 1417 AH- 1997 CE.
 42. Al-Armawī, Mohammad bin Abdul Rahīm bin Mohammad al-Hindī al-Shafī'ī, *Al-Fā'iq Fī Uṣūl al-Fiqhi*, Edited by: Mahmoud Naṣṣār, Publisher: Dār al-Kutub al-'Imīyyah, Beirut - Lebanon, first edition, 1426 AH- 2005 CE.
 43. Ibn Ḥajar, Faṭḥu al-Bārī, Dār al-Ma'arifah, Beirut, 1379 AH.
 44. Awājī, Ghaleb bin 'Alī, *Firaq Mu'āṣirah Tantasibu Ilā al-Islam wa Bayān Mawqif al-Islam Minhā*, Al-Maktabah al-'Aṣriyyah al-Ḍahabīyya li al-Nashri wa al-Tawzī'i wa al-Taswīqi, Jeddah, 4th Edition, 1422 AH- 2001 CE.
 45. Al-Askari, Abu Hilal, *Al-Furūq al-Lughwiyyah*, Investigation: Muhammad Ibrahim Sālim, Publisher: Dār al-'Elm wa al-Thaqāfah li al-Nashri wa al-Tawzī'i, Cairo, Egypt, (n.d.).
 46. Al-Jurjānī, *Al-Ta'rīfāt*, Publisher: Dār al-Kutub al-'Elmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition 1403 AH-1983 CE.
 47. Ibn Hazm, *Al-Fiṣal Fi al-Milal wa al-Ahwā' wa al-Niḥal*, Cairo, Maktab-at Al-Khānjī, (n.d.).
 48. Ibn 'Arabī, *Al-Futūḥāt al-Makkiyyah*, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, Beirut, 1st edition, 1998 CE.
 49. Al-Firouzabadi, *Al-Qāmūs al-Muḥīṭ*, Publisher: Mu'assasat al-

22. Ibn al-Jawzī, *Talbīs Iblīs*, Publisher: Dar al-Fikr for Printing and Publication, Beirut, Lebanon, edition: First Printing, 1421 AH, 2001 CE.
23. Al-Mūsawī, 'Alī bin al-Ḥusain, *Tanzīh al-Anbiyā'*, Biarut, 1989 CE.
24. Al-Azharī, Muhammad bin Ahmad bin al-Harawī, Abu Manṣūr, *Tahzīb al-Lughah*, Investigation: Muhammad 'Awadh Mur'ib, Beirut, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, First Edition, 2001 CE.
25. Al-Munāwī, *Al-Tawqīf 'Alā Muhimmāt al-Ta'rīf*, Publisher: Dār 'Ālam al-Kutub, Investigation: Abdul Khāliq Tharwat, Cairo, edition: First, 1410 AH-1990 CE.
26. Al-Khadhir, Mohammad Sālim, *Thumma AbṢaratu al-Ḥaḥiqah* (Then I saw the truth), edition: second, 1428 AH- 2007 CE.
27. Al-Ṭabarī, Abu Jāfar, *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qurān*, Edited by: Ahmad Muhammad Shāker, Publisher: Mu'assasat al-Risalah, 1st edition, 1420 AH-2000 CE.
28. Ibn Taymiyyah, Jāmi' al-Rasāyil, Investigation: Dr. Mohammad Rashād Sālim, Dār al-'Aṭā', Riyadh, edition: First 1422 AH - 2001 CE.
29. Al-Qurṭubī, *Al-Jāmi' Li Aḥkām al-Qurān*, Edited by: Ahmad al-Bardouni & Ibrāhīm Aṭfīsh, Publisher: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah (Egyptian Book House), Cairo, second edition, 1384 AH, 1964 CE.
30. al-Dawānī, Muhammad bin As'ad al-Siddīqī, Jalal al-Dīn, *Al-Ḥujaj al-Bāhirah Fī Iḥḥām al-Ṭā'īfah al-Kāfirah al-Fājirah*, Investigation: Abdullah Hāj 'Alī Munīb, Publisher: Maktabat al-Imām al-Bukhārī, First edition, 1420 AH.
31. Al-Rāwandī, Sa'eid bin 'Abd Allah, *Al-Kharā'ij wa al-Jarā'ih*, Noor Foundation, 2nd edition, 1411 AH.
32. Ibn Taymiyyah, *Dar' Ta'āruḍ al-'Āql Wa al-Naql*, Investigation: Dr. Mohammad Rashād Sālim, Kingdom of Saudi Arabia, Imam Muhammad bin Saūd Islamic University, Second Edition, 1411 AH-1991 CE.
33. Eḥsān Ilāhī Dhahīr, *Al-Raddu 'Alā Dr. 'Abdul Waḥīd Waḥfī in his book "Bain al-Shī'ah wa al-Sunnah" (Between the Shiites and the Sunnis)*, Publisher: Idārah Tarjuman al-Sunnah, Lahore – Pakistan, (n.d.).
34. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, *Al-Rūḥ* (The Spirit), Publisher: Dār al-Kutub al-'Elmiyyah, Beirut, (n.d.).
35. Al-Anbārī, Muhammad, *Al-Zāhīr Fī Ma'ānī Kalimāt al-Nās*, , Revealed by: Hatim Ṣāleḥ Al-Dhamin, Publisher: Mu'assasat al-

10. Al-Majlisī, Mohammad Baqir, *Biḥār al-Anwār, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī*, Beirut, 3rd edition, 1403 AH.
11. Ibn Kathīr, *Al-Bidāyah Wa al-Nihāyah*, Publisher: Dār al-Fikr, 1407AH, 1986 CE.
12. Ibn Taymiyyah, *Bughyat al-Murtād Fī al-Raddi 'Alā al-Mutafalsifah wa al-Qarāmiṭah wa al-Bāṭiniyyah*, edited by: Mūsā al-Duwayyish, Publisher: Maktabat al-'Ulūm wa al-Ḥikam, Al-Madinah al-Munawwarah, Saudi Arabia, 3rd edition, 1415 AH, 1995 CE.
13. Al-Isfrāyīnī, *Al-Tabṣīr Fī al-Dīn Wa Tamyiz al-Firqah al-Nājiyah 'An al-Firaqī al-Hālikīn*, Investigation: Kamāl Yūsuf Al-Ḥūt, Beirut, 'Ālam al-Kutub, first edition, 1403 AH- 1983 CE.
14. Al-Armawī, Serājuddīn Mahmūd, *Al-Taḥṣīl Min al-Maḥṣul*, Edited by: Abdul Hamīd 'Ali Abu Zunaid, Mu'assasat Al-Resalah Li al-Tibā'ah wa al-Nashri wa al-Tawzī'i, Beirut, Lebanon, First edition, 1408 AH.
15. Ibn Taymiyyah, *Al-Tis'iniyyah*, Investigation: Muhammad bin Ibrāhīm al-'Ajlān, Publisher: Maktabah al-Ma'ārif li al-Nashri wa al-Tawzī'i, Riyadh, Saudi Arabia, First Edition, 1420 AH – 1999 CE.
16. Al-Zarkashī, *Tashnīf al-Masāmi' Bi Jam'i al-Jawām'i li Tājuddin al-Subkī*, Investigation: Sayid 'Abdu al-'Azīz-'Abdu Allah Rabī', Maktabat Qurtubah li al-Bahthi al-'Ilmī wa 'Iḥyā' al-Turāth, Distribution: Al-Maktabat al-Makkiyyah, 1st edition, 1418 AH- 1998 CE.
17. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, *Tafsīr al-Quran al-Karīm = Al-Tafsīr al-Qayyim li Ibn al-Qayyim*, Edited by: The Office of Arab and Islamic Studies and Research, Publisher: Dār wa Maktabat Al-Hilal- Beirut, First Edition, 1410 AH.
18. Al-Sam'ānī, *Tafsir Al-Qurān*, Investigation: Yāsir bin Ibrāhīm and Ghunaim bin 'Abbās bin Ghunaim, Publisher: Dār Al-Waṭan, Riyadh, Saudi Arabia, First Edition, 1418 AH.
19. Al-Māwardī, *Tafsīr al-Mawardī*, Investigation: Al-Sayyid bin Abd al-Maqsoud bin 'Abd al-Raḥīm, Beirut, Lebanon, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, (n.d.).
20. Ibn Amīr al-Ḥājj, known as Ibn al-Muwaqqit al-Hanafī, *Al-Taqrīr wa al-Taḥbīr*, published by: Dār al-Kutub al-'Elmiyyah, second edition, 1403 AH-1983CE.
21. Al-Dabbūsī al-Hanafī, *Taqwīm al- Adillah fi Uṣūl al-Faḥi*, Edited by: Khalīl Muḥiuddin al-Mais, Publisher: Dār al-Kutub al-'Elmiyyah, First edition, 1421 AH-2001 CE.

revelation.

The study also refuted the false claims of the Imamate sect about revelation with textual and intellectual evidences as well as their contradictions and false claims. It also refuted their doctrine that the imams are infallible.

In the end, the research reached the conclusion that the doctrine of the Imamate sect about the revelation to the imams is false, and that their claims are not based on evidences, but rather on doubts and false presumptions that lead them to invalid results.

Index of Sources and References

1. A Team of Researchers, *Āthār al-Sheikh al-'Allāmah al-Mu'allimī, Abd al-Rahmān bin Yaḥyā al-Yamānī*, Dār Ālam al-Fawā'id Li al-Nashr wa al-Tawzī', 1st edition, 1434H.
2. Ibn Hazm, *Al-Iḥkām Fī Uṣūl al-Aḥkām*, edited by Sheikh Ahmad Muhammad Shākir, Publisher: Dār al-Āfāq al-Jadīdah, Beirut, (n.d.).
3. Al-Ḥusainī, al-Sayyid, Hāshim Ma'rūf, *Uṣūl al-Tshyyu'*, Dār al-Ta'aruf Li al-Matbū'āt, 2006 CE.
4. Al-Kulainī, *Al-Uṣūl Min al-Kāfī*, edited by: 'Alī Akbar Ghaffārī, Dār Ṣa'ab, Beirut, 4th edition, (n.d.).
5. Al-Shāṭibī, *Al-I'tiṣām*, Dār al-Fikr, edited by: Mohammad bin Abdul Rahmān al-Shuqair, Publisher: Dār Ibn al-Jawzī Li al-Nashr wa al-Tawzi', Saudi Arabia, 1st edition, 1429H - 2008.
6. Al-Baihaqī, *Al-I'tiqād wa al-Hidāyah*, Edited by: Ahmad 'Eṣām al-Kātib, Publisher: Dār al-Afāq al-Jadīdah, Beirut, First Edition, 1401 AH.
7. Al-Rāzī, *I'tiqādāt firaq al-Muslimīn wa al-Mushrikīn*, edited by: 'Alī Sāmī al-Nashār, Publisher: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, (n.d.).
8. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, *I'lām al-Muwaqqi'in 'An Rabb al 'Ālamīn*. Edited by: Mashhūr Hasan al-Salmān. Dammam, Dār Ibn al-Jawzī, Saudi Arabia, 1st edition, 1423 AH.
9. Al-Qādhī, 'Iyādh bin Mūsā bin 'Iyādh, *Ikmāl al-Mu'lim Bi Fawāyid Muslim*, rdited by: Yaḥyā Ismā'īl, Publisher: Dār al-Wafā Li al-Nashr wa al-Tibā'ah wa al-Tawzī', Egypt, edition: First, 1419 AH.

**Revelation according to the Imamate Rafidah
A Critical Study in the Light of Ahl us-Sunnah
wal-Jama'ahs Creed**

Prepared by: *Dr. Abdurrahman Ali Muhammad Dhuwayb*

*Assistant Professor in Creed and Contemporary Ideologies
at the Fundamentals of Religion College in Imam
Muhammad bin Saud University*

dr.abedalrhman@gmail.com

Abstract

This study addressed the subject of revelation according to the Imamate Rafidah sect from their sources and sayings in a critical and comparative way.

The research approached the subject from Ahl us-Sunnah wal-Jama'ah's point of view. It mentioned the definition of revelation and its evidences, as well as its validity and the differences between it and other terminologies with similar meaning.

The study explained the revelation according to the Imamate sect from the following perspectives: its reality, validity, implementations, their exaggerations and false claims about it. It also studied their doctrine that the origin of the revelation is well known to them, which is that an angel supports the imams, and from that point of view they say that the revelation is a reliable source and proof.

The research also explained the reasons that made the Imamate sect adopting these false perceptions and utterances regarding the



97. Al-Ḥalabi, Ibrahim bin Mohammed bin Ibrahim. *Ne‘mat al-Dharī‘ah Fi Nuṣrat al-Sharī‘ah*, Text verification: Ali Reza bin Abdullah bin Ali Reza, first edition, Riyadh, Dar Al-Masir, 1419 AH- 1998 CE.
98. Al-Maqqarī, Ahmed bin Mohammed bin Ahmed, *Nafḥu al-Ṭīb Min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, Investigation: dr. Ihsan Abbas, without edition number, Beirut, Dar Ṣader, 1388 AH.
99. Al-Baghdadī, Ismail Pasha bin Mohammed Amin bin Mir Saleem, *Hadiyyat al-Ārifīn Asmā’ al-Mu’allifīn wa Āthār al-Muṣannifīn*, without edition number, Istanbul, the Great Knowledge Agency in its gorgeous press, 1951 CE.
100. Al-Sha‘rānī, Abdul Wahhab bin Ahmed bin Ali, *Al-Yawāqīt wa al-Jawāhir Fī Bayān ‘Aqā’id al-Akābir*, Beirut, Dār Iḥyā’ al-Torāth al-Arabī; Mu’assasat al-Tārīkh al-‘Arabī, without the edition number and date of printing.

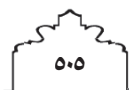


- edition, 1393 Ah- 1973 CE.
85. Al-Tayālīsī, Suleiman ibn Dawood, *Musnad Abu Dawood Tayyalsi*, Beirut, Dar al-Ma'rifah, without edition number and date.
 86. Al-Muṣīlī, Ahmad bin 'Alī bin Al-Muthanna, *Musnad Abu Ya'lā*, Investigation: Hussein Salim Asad, Publisher: Damascus, Dār Al-Ma'mūn Li al-Torāth, 1st edition, 1404 AH-1984 AD.
 87. Al-Shaibānī, Ahmad bin Nuhammad bin Ḥanbal, *Musnad Al-Imām Ahmad bin Hanbal*, Publisher: Cairo, Mu'assas-at Qurtuba, (n.d).
 88. Al-Tabrizi, Mohammed bin Abdullah, *Mishkat al-Maṣābīḥ*, Investigation: Mohammed bin Nasser al-Din Al-Albanī, third edition, Beirut, Al-Maktab al-Islamī, 1985 CE.
 89. Al-Qaesarī, Dawood bin Mahmoud bin Mohammed, *Maṭla'u Khuṣuṣ al-Kalim Fi Ma'ānī Fuṣūṣ al-Hikam*, Mirza Mohammed Shirazi famous as King of writers, (n.d).
 90. Al-Maṭṭiy, Yusuf ibn Mūsa ibn Muhammad, *Al-Mu'taṣar Min al-Mikhtaṣar Min Mushkil al-Āthar*, without the edition number, Beirut - Cairo - Damascus, the world of books - Al Mutanabbi Library - Sa'ad al-Din Library, without printing date.
 91. Al-Ṭabrānī, Suliman Ahmad bin Ayyubin *Al-Mo'jam Al-Kabīr*, Investigation: Hamdi bin Abdul Majid al-Salafī, second edition, Mouṣil, Zahra Library, 1404 AH- 1983 CE.
 92. Al-Kassi, 'Abd bin Humaid bin Naṣr, *Al-Muntakhab Min Musnad Abd bin Humaid*, Text verification: Ṣubḥi al-Badri al-Samurrā'ī and Mahmoud Mohammed Khalil al-Ṣa'īdi, first edition, Cairo, Al-Sunna Library, 1408 AH- 1988 CE.
 93. Dimashqiyyah, Abdul Rahman bin Mohammed bin Sa'īd, *Mausū'ah Ahl al-Sunnah*, first edition, Riyadh, Dar Muslim, 1418 AH- 1997 CE.
 94. Yahya, 'Uthman, *Mu'allafāt Ibn 'Arabi, Tārīkhuha wa Taṣnīfuha* (Ibn 'Arabi's Works: History and Classification), Translation, Investigation and Presentation: Ahmed Mohamed al-Tayyib, without edition no., Cairo, Egyptian Public Authority, no date of publication.
 95. Al-Dhahabī, Muhammad bin Ahmad bin 'Uthman, *Mizān al-'Itidāl Fī Naqdi al-Rijāl*, Investigation: Ali Mohamed Moawadh and Adel Ahmed Abdel Mawgoud, first edition, Beirut, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1995 CE.
 96. Al-Ṭālibi, Abdul Ḥayy bin Fakhruddin bin Abd al-'Ali. *Nuzhat al-Khawaṭir wa Bahtaj al-Masāmi'e wa al-Nawāzīr*, 1st edition, Beirut, Dar Ibn Hazm, 1420 AH- 1999 CE.

74. Al-Sha'rānī, Abdul Wahhab bin Ahmed bin Ali, *Al-Kibrīt al-Aḥmar Fī Bayān 'Ulūm al-Shaokh al-Akbar* [printed below the book: *Al-Yawāqīt wa al-Jawāhir Fī Bayān 'Aqā'id al-Akābir*], Beirut, Dār Iḥyā' al-Torāth al-Arabī; Mu'assasat al-Tāriḫ al-'Arabī, without the edition number and date of printing.
75. Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Halim bin Abd al-Salam, *Kitāb al-Safadiyyah*, Investigation: Mohammed Rashad Salem, without edition number, Riyadh, Dar al-Fadilah, 1421AH- 2000 CE.
76. Al-Qoṣṭanīnī, Mustafa bin Abdullah known as (Haji Khalifa), *Kashf al-Dhunūn 'An Asāmī al-Kutub wa al-Funūn*, without the edition number, Beirut, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1413 AH-1992 CE.
77. Al-Ahdal, Hussein bin Abdul Rahman bin Mohammed, *Kashf al-Ghiṭā' 'An 'Haqā'q al-Tawḥīd wa 'Aqā'id al-Muwahidīn wa Dhikr al-A'immah al-Ash'ariyyīn wa Man Khālafahum Min al-Mubtadi'īn*, without details of printing, publisher and date of publication.
78. Al-Sha'rānī, Abdul Wahab bin Ahmed bin 'Ali, *Laṭā'if al-Minan wa al-Akhlāq Fī Wujūb al-Taḥaddut*, Enāyah, Ahmad Azzou Enaya, first edition, Damascus, Dar al-Taqwa, 1425 AH-2004 CE.
79. Al-Nabulsi, Abdul Ghani bin Ismail bin Abdul Ghani, *Lama'Ān al-Anwār Fī al-Maqtū'e Lahum Bi al-Jannah wa al-Maqtū'e Lahum Bi al-Nār*, Text verification: Ahmed Khairy, first edition, without place of publication and publisher, 1372 AH.
80. Ibn al-Munayyir, Ahmed bin Mohammed bin Mansour, *Al-Mutawārī 'Alā Tarājīm Abwāb al-Bukhārī*, Investigation: Ṣalah al-Dīn Maqbool Ahmed, Kuwait, Maktabat al-Mu'alla, 1407 AH- 1987 CE.
81. Al-Haythami, 'Ali ibn Abu Bakr ibn Sulaiman, *Majma'u al-Zawā'id wa Manba'u al-Fawā'id*, without edition number, Cairo - Beirut, Dar al-Rayyan for Heritage - Dar al-Kitab al-Arabi, 1407 AH.
82. Ibn Taimiyyah, Ahmad bin Abd al-Halīm bin Abd al-Salām, *Majmū' Fatāwā Shaikh al-Islam Ahmad Ibn Taimiyyah*, Edited by: Abd al-Rahmān bin Muhammad bin Qāsim, 2nd edition, Maktabat Ibn Taimiyyah, without the place and date of publication.
83. Ibn 'Aṭiyyah, Abdul Ḥaqq bin Ghālib bin 'Abdul Rehman, *Al-Muharrar al-Wajīz Fī Tafṣīr al-Kitāb al-'Azīz*, Investigation: Abd al-Salām Abd al-Shāfi, First Edition, Beirut, Dār al-Kuttab al-'Ilmiyyah, 1413 Ah- 1993 CE.
84. Ibn Qayyim, Muhammad bin Abu Bakr Ayyub, *Madārij al-Sālikīn Baina Manāzilī Iyyāka Na'budu Wa Iyyāka Nasta'in*. Edited by: Muhammad Ḥāmid al-Feqī, Beirut, Dār al-Kitāb al-'Arabī, 2nd

63. Al-Bukhari, Mohammed bin Mohammed bin Mohammed, *Fādhiḥat al-Mulḥidīn wa Nāṣiḥat al-Muwaḥḥidīn*, Text verification: Mohammed bin Ibrahim al-‘Awadhi, MA, Saudi Arabia: Faculty of Da'wa and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, 1414 AH.
64. Al-Haitmi, Ahmad bin Mohammad bin Hajar. *Al-Fatāwa al-Hadithiyah*, Beirut, Dar Al-Fikar, without edition number and date of printing.
65. Al-‘Asqalānī, Ahmad bin ‘Alī bin Ḥajar. *Fatḥ al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Edited by: Muḥibb al-Dīn al-Khaṭīb, Beirut, Dār al-Ma‘rifah, without edition number and date of printing.
66. Ibn Arabi, Muhammad bin Ali bin Muhammad, *Al-Futūḥāt al-Makkiyah Fī Ma‘rifat Asrār al-Malikiyah wa al-Malkiyah*, Cairo, Dār al-Kitāb al-Arabi al-Kubrā, without edition number and date of printing.
67. Ibn Arabi, Muhammad bin Ali bin Muhammad, Fuṣūṣ al-Ḥikam, Annotated by: Abu al-‘Alā ‘Afifī, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, without edition number and date of printing.
68. Al-Yousuf, Abdul Rahman bin Abdul Khaliq, *Al-Fikr al-Sufi Fī Dhaw’ al-Kitāb wa al-Sunnah*, Third Edition, Kuwait, Ibn Taymiyyah Library, (n.d.).
69. Al-Khiyami, Ṣalāh Mohammed, *Fahāris ‘Ulūm al-Qurān al-Karīm Li Makḥṭuṭāt Dār al-Kutub al-Dhāhiriyyah*, (Indexes of the Sciences of the Holy Quran for Manuscripts of the Dar al-Kutub al-Zahiriyyah), without the edition number, Damascus, Arabic Language Complex, 1403 AH- 1983 CE.
70. Al-Muḥāsibī, Harith bin Asad bin Abdullah, *Fahm al-Koran*, Investigation: Hussein al-Quwatli, 2nd edition, Beirut, Dar al-Kindi-Dar al-Fikar, 1398 AH.
71. Al-Kashmiri, Mohammed Anwar Shah bin Moazzam Shah, *Faidh Al-Bārī Alā Ṣaḥīḥ al-Bukhari*, Investigated by: Mohammed Badr Alam Al-Merthi, 1st edition, Beirut, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1426 AH- 2005 CE.
72. *Al-Fuyūdhāt al-Rabbaniyah Fī al-M’āthir wa wird al-Qadroyah*, Egypt, Mustafa al-Babi al-Halabi Library & Printing Company, without printing date.
73. Al-Bayhaqī, Ahmad bin al-Husayn bin ‘Ali, *Al-Qadhā’ wa al-Qadar (Fate and Destiny)*, Text verified by: Mohammed bin Abdullah Āl-‘Āmer, first edition, Riyadh, Obeikan Library, 1421 AH- 2000 CE.

- Ṭaḥawiyyah*, fourth edition, Beirut, Al-Maktab al-Islamī, 1391 AH.
52. Āl al-Sheikh, Ṣaleh bin Abdul Aziz bin Mohammed, *Sharḥ al-‘Aqīdah al-Ṭaḥawiyyah*, Takhrīj: Suleiman Al-Qatouni, first edition, Mansoura, Dār al-Mawaddah, 1431 AH - 2011 CE.
 53. Al-Gorāb, Mahmoud Mohammad. *Sharḥ Fuṣūṣ al-Ḥikam*, 1405 AH- 1985 CE, (No Publication Details).
 54. Al- Ṭaḥāwī, Ahmad bin Mohammad bin Salamah, *Sharah Mushkil al-Āthār*, Investigation: Shoaib al-Arna’ūt, , Publisher: Mu’assasat al-Risalah, 1408 AH - 1987 CE.
 55. Al-Baihaqī, Ahmad bin al-Ḥussein bin ‘Alī, *Shu‘ab al-Imān*, Investigation. Mohammed Sa’īd Basiouni Zaghloul, first edition, Beirut, Dār Al-kutub Al-‘Ilmiyyah, 1410 AH.
 56. Al-Bustī, Mohammad bin Hibban bin Ahmad, *Ṣaḥīḥ Ibn Hibban Bi Tarīb ibn Balibban*, Investigation: Sho‘aib Arnaout, second edition, Beirut, Mu’assasat al-Risālah, 1414 AH- 1993 CE.
 57. Al-Qusheirī, Muslim, bin al-Hajjāj bin Muslim *Al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar Bi Naql al-‘Adl ‘An al-‘Adl Ilā Rasūl-Allah (pbuh) known as (Ṣaḥīḥ Muslim)*, investigation: Mohamad Fouād Abd al-Bāqī, Beirut, Dār Iḥyā’ al-Torāth al-‘Arabī, (No Details of date and edition number).
 58. Ibn Arabi, Mohammad bin Ali bin Mohammad. *Kitāb Al-Fanā’ Fī al-Mushāhadah*, [printed within the letters of Ibn Arabi], Annotated by: Mohammed Abdul Karim Nimri, first edition, Beirut, Dār Al-kutub Al-‘Ilmiyyah, 1421AH- 2001 CE.
 59. Al-Sakhawi, Mohammad bin Abdul Rahman bin Mohammad, *Al-Dhaw’ al-Lāmi’ Fī Tarjamat al-Qarn al-Tāsi’*, Beirut, Manshūrāt Dār Maktabat al-Ḥayāt, without details of the edition and Date.
 60. Ibn al-Qayyim, Muhammad bin Abu Bakr bin Ayoub, *Tarīq al-Hijratin wa Bāb al-Sa‘ādatin*, Investigation: ‘Umar bin Mahmoud, 2nd edition, Publisher: Dammam, Dār Ibn al-Qayyim, 1414 AH – 1994 AD.
 61. Al-Fāsī, AL-Makkī, Mohammed bin Ahmed bin Ali, *Al-‘Iqd al-Thamīn Fī Tarīkh al-Balad al-Amīn*, Investigation: Mohammed Hamed al-Feki and Fouad Sayed and Mahmoud al-Tanahi, Without the edition number, Beirut, Mu’assasat al-Risālah, 1406 AH- 1986 CE.
 62. Al-Qusayyir, Ahmad bin Abdul Aziz, *‘Aqīdat al-Ṣufiyyah Waḥdat al-Wujūd al-Khafiyyah*, 1st edition, Riyadh, Maktabat al-Rushd, 1424 AH- 2003 CE.



- AH- 1995 CE.
40. Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Ḥalīm bin Abd al-Salām, *Al-Radd ‘Alā al-Mantiqyyīn*, Beirut, Dār al-Mā‘rifah, without the edition number and date of printing.
 41. Al-Alūsī, Mahmoud bin Abdullah bin Mahmoud, *Rūḥ al-Ma‘ānī Fī Tafsīr al-Qurān al-Karīm wa al-Sab‘I al-Ma‘ānī*, Beirut, Dar Iḥyā’ al-Torāth al-‘Arabī, without the edition number and date of printing.
 42. Al-Haitamī, Ahmed bin Mohammed bin Hajar, *Al-Zawājir ‘An Iqtiraf al-Kabā’ir*, First edition, Beirut, Dar Al-Fikar, 1407 AH- 1987 CE.
 43. Al-Albānī, Mohammad bin Nūḥ bin Najātī, *Silsilat al-Aḥādīth al-Ṣaḥīḥah wa Shai’ Min Fiqhīhā*, Riyāḍ, Maktabat al-Ma‘ārif, (without details of edition and year).
 44. Al-Mardāwī, Mohammed Khalil bin Ali bin Mohammed, *Silk al-Dorar Fī A’yān al-Qarn al-Thānī ‘Ashar*, third edition, Beirut, Dar al-Bashā’er al-Islamiyyah- Dar Ibn Hazm, 1408 AH- 1988 CE.
 45. Al-Tirmidhī, Muhammad bin ‘Isā bin Sawrah, *Al-Jāmi‘ al-Ṣaḥīḥ known as (Sunan al-Tirmidhi)*, Investigation: Ahmad Shāker & others, Beirut, Dār Iḥyā’ al-Torāth al-‘Arabī, (without details of edition and year).
 46. Al-Dārimī, Abd Allah bin Abd al-Rahmān bin al-Fadhl, *Sunan al-Dārimī*. Edited by: Fawwāz Ahmad Zmorli; Khālīd Al-Sab‘u al-‘Alamī. 1st edition, Beirut, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1407 AH.
 47. Al-Nasa’ī, Ahmad bin Shu‘aib bin ‘Alī, *Al-Sunan al-Kubrā*, Investigation: Dr. Abdul Ghaffar Sulaiman al-Bundari; Hasan Sayyid Kasrawī, 1st edition, Publisher: Beirut, Dār Al-kotob Al-‘Ilmiyyah, 1411 AH-1991CE.
 48. Al-Dhahabī, Muhammad bin Ahmad bin ‘Uthmān, *Siyar A’lām al-Nubalā’*, Edited by: Shu‘aib al-Arnāout, Mohammad Na‘īm al-‘Arqasūsī. Beirut, Mu’assasat al-Risālah, 9th edition, 1413 AH.
 49. Al-Shokānī, Mohammad bin ‘Ali bin Mohammad. *Al-Sail al-Jarrar al-Mutadaffiq ‘Alā Ḥadā’iq al-Azhār*, Text verification: Mahmoud Ibrahim Zāyed, first edition, Beirut, Dār Al-kotob Al-‘Ilmiyyah 1405 AH.
 50. Al-Suyooṭī, Abdul Rahman bin Abu Bakr bin Mohammed, *Sharḥ al-Ṣudoor Bi Sharḥ Ḥāl al-Maotā wa al-Quboor*, Investigation: Abdul Majeed Te‘mah al-Ḥalabī, 1st edition, Beirut, Dar Al-Ma‘refah, 1417 AH- 1996 CE.
 51. Ibn Abī al-‘Izz, ‘Ali bin Alā’ al-Dīn al-Ṣalihi, *Sharḥ al-‘Aqīdah al-*

29. Ibn al-Qayyim, Muhammad bin Abu Bakr bin Ayyub, *Jalā' al-Afhām Fī Fadhl al-Ṣalāt 'Alā Muhammad Khair al-Anām*, Investigation: Shu'aib Arnaouṭ and Abdul Qader Arnaouṭ, second edition, Kuwait, Dār Al-'Orubah, 1407 AH- 1987 CE.
30. Al-Alusī, Nu'mān bin Mahmoud bin Abdullah. *Jalā' al-'Ainain Fī Muḥākamat al-Aḥmadain*, Introduced by: 'Ali Sayyid Suboh al-Madani, without the edition number, Egypt, Madani Press, 1401 AH- 1981 CE.
31. Al-'Askari, Hassan bin Abdullah bin Sahl, *Jamharat al-Amthāl* (Aphorisms), without edition number, Beirut, Dar Al-Fikar, 1408 AH- 1988 CE.
32. Al-Ghumārī, Ahmad bin Mohammad bin Siddīq, *Al-Jawāb al-Mufīd li al-Sā'il al-Mustafīd*, collection, verification and investigation of: Badr Al-'Omrāni, first edition, Beirut, Dar Al Kutub al-'Ilmiyyah, 1423 Ah- 2002 CE.
33. Al-Jāmī, Abdul Rahman bin Ahmed bin Mohammed, *Jawāhir al-Nuṣūṣ Fī Halli Kalimāt al-Fuṣūṣ*, First edition, Egypt, Al-Maṭba'ah al-'Āmiriyyah al-Shar'iyyah, 1323 AH.
34. Al-Dimyātī, Abu Bakr bin Mohammed Shaṭa. *Ḥāshiyat I'ānat al-Ṭālibīn 'Alā Ḥalli Alfāz Fatḥ al-Mu'īn Li Sharḥ Qurrat al-'Aain Bi Muhimmāt al-Dīn*, Dar al-Fikar, without the edition number and date of printing.
35. Al-Khafajī, Ahmed bin Mohammed bin 'Omar. *Ḥāshuyat al-Shehāb 'Alā Tafsiṛ Al-Baidhāwi*, Beirut, Dar Ṣāder, without the edition number and date of printing.
36. Ibn 'Ābedīn, Mohammed Amīn bin 'Omar bin Abdul Azīz, *Hashiyat Raddul Mukhtār 'Alā al-Durr al-Mukhtār Sharḥ Tanwīr al-Abṣār known as (Hashiyat Ibn 'Ābedīn)*, without the edition number, Beirut, Dār Al-Fikar, 1421 AH- 2000 CE.
37. Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin Abd al-Ḥalīm bin Abdu al-Salam, *Dar' Ta'āruḍ al-'Āql wa al-Naql*, investigation: Abdul Latif Abdul Rahman, without edition number, Beirut, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1417 AH- 1997 CE.
38. Ibn Arabī, Muhammad bin 'Ali bin Muhammad, *Diwan Muḥyu al-Dīn Ibn Arabī*, without given details of the edition number, place and date.
39. Al-Qārī, 'Alī bin Sulṭān Mohammed, *Al-Radd 'Alā al-Qā'līn Bi Waḥdat al-Wujūd*, Investigation: 'Ali Reza Bin Abdullah Bin Ali Reza, First Edition, Damascus, Dar Al-Ma'moun Li al-Torāth, 1415

18. Ibn 'Asāker, 'Ali bin Hassan bin Hebat-Allah, *Tārīḥ Madīnat Damascus wa Dhik Fadḥliha wa Tasmiyat Man Ḥallaha Min al-Awā'il*, edited by: 'Omar bin Gharāmah al-'Umarī, (no edition number), Beirut, Dar al-Fikar, 1995 CE.
19. Al-Suyooṭī, Abdul Rahman bin Abu Bakr bin Mohammed. *Al-Taḥbīr Fī 'Ilm al-Tafsīr*, Investigation: Dr. Faṭḥi Abdel Qāder Farid, edition 1st, Dār Al-'Uloom, (no place of printing press), 1402 AH- 1982 CE.
20. Al-Haitamī, Ahmed bin Mohammed bin Hajar, *Tuḥfat al-Muḥtāj Fī Sharḥ al-Minhāj*, [with marginal footnotes of both al-Sherwānī and al-'Abbādī], without the edition number, Egypt, Al-Maktabah al-Tijariyyah al-Kubra, 1983 CE.
21. Al-Saqqā, Mohammed Ghazālī bin Ahmed. *Torāthuna al-Fikrī Fī Mīzan al-Shar'i wa al-'Aqli*, Edition 5th, Egypt, Dār Al-Shorouk, 1424 AH- 2003 CE.
22. Al-Maraghi, Ahmad bin Mustafa bin Mohammed, *Tafsīr al-Maraghi*, 1st edition, Egypt, Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons Printing Press & Co., 1365 AH – 1946 CE.
23. Al-Husseini, Mohammed Rashid bin 'Ali Reza bin Mohammed, *Tafsīr al-Qur'an al-Hakim known as (Tafsir al-Manar)*, without edition number, Egypt, The Egyptian General Book Organization, 1990 CE.
24. Al-Beqā'ī, Ibrahim bin 'Omar bin Hassan, *Maṣra'u al-Taswuf (Tanbīh al-Ghabī Ilā Takfīr Ibn 'Arabī)*, Investigation: Abdul Rahman Al-Wakeel, without edition number, Mecca, Abbas Ahmed al-Bāz, 1400 AH -1980 CE.
25. Al-Maqdisi, Muhammad bin Ahmad bin 'Abd al-Hādi, *Tanqīḥ Taḥqīq Aāḥādith al-Ta'līq*, Vefification of the text: Ayman Ṣaleḥ Sha'bān, 1st edition, Beirut, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1998 CE.
26. Ibn Sa'dī, Abdul Rahman bin. Nāṣir bin. Abdullah, *Taysīr al-Karīm al-Rahmān Fī Tafsīr Kalām al-Mannān*, investigation: Dr. Abdul Rahmān bin Mu'allā al-Loweīḥiq, Publisher: Mu'assas-at al-Risal-a, without the nuber of edition, 1421 AH- 2000 CE.
27. Al-Ṭabarī, Muhammad bin Jarīr bin. Yazīd. *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl Āyi al-Qurān*, without edition number, Beirut, Dar al-Fikar, 1405 AH.
28. Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam, *Jāmi' al-Rasā'il*, Investigation: Mohammed Rashad Salem, edition 1st, Riyadh, Dār al-'Aṭā, 1422 AH – 2001 CE.

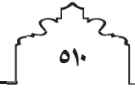
- AH- 1978 CE.
7. Al-Bākqillānī, Mohammad bin Tayyib bin Mohammad, *Al-Intiṣār Li al-ur'ān*, Investigation: dr. Mohamad 'Essām Al-Qudhāh, 1st edition, Ammān - Beirut, Dār Al-Fatḥ- Dār Ibn Hazm, 1422 AH- 2001 CE
 8. Al-Bākqillānī, Mohammad bin Tayyib bin Mohammad, *Al-Inṣāf Fīmā Yajibu 'Itiqāduhu wa lā Yajūzu al-Jahlu Bihi*, Investigation and Commentary: Mohamad Zahed Al-Kautharī, 2nd edition, Cairo, Al-Maktabt al-Azhariyyah Li al-Turāth, 1421 AH- 2000 CE.
 9. Al-Nabulusī, Abdul Ghani bin Ismā'īl bin Abdul Ghani, *Īdhāḥ al-Maqṣūd Min Ma'nā Waḥdat al-Wujūd*, without edition number, Damascus, Maṭba'at al-Ilm, 1389 AH- 1969 CE.
 10. Al-Baghdādī, Ismā'īl Pāshā bin Mohammad Amīn bin Mīr, *Īdhāḥ al-Maknūn Fī al-Dhail 'Alā Kashf al-Ẓunūn*, Edited and corrected by: Mohamad Sharaf al-Dīn and Rifat Bilekah Al-Kalaisi, without number of edition and date, Beirut, Dar Iḥyā' al-Turāth al-Arabī.
 11. Al-Atharī, Abdullah bin Abdul Hamid, *Al-Īmān, Ḥaqīqatuh, Khawarmuh, Nawāqidthuh*, 1st edition, Riyadh, Madār al-Watan, 2003 CE.
 12. Al-Bazzār, Ahmad bin 'Amr bin Abdul Khāliq, *Al-Baḥr al-Zakhār*, Investigation: Dr. Mahfouz Rahman Zain Allah, 1st edition, Beirut – Al-Madinah, Quran Sciences Foundation – Maktabah al-'Ulūm wa al-Ḥikam, 1409 AH.
 13. Al-Ghumārī, Ahmad bin Mohammad bin Siddīq, *Al-Ba al-'Amīq Fī Marwiyyat Ibn al-Ṣiddīq*, Cairo, Dar Al-Katbi, (without the details of edition number and date).
 14. Al-Khademī, Mohammed bin Mohammed bin Mustafa, *Barīqah Mahmoudiah Fī Sharḥ Ṭarīqah Muhammadiyah wa Sharī'ah Nabawiyyah Fī Sīrah Ahmadiyah*, (no edition number), Egypt, Halabi Printing Press, 1348 AH.
 15. Al-Qannougī, Mohammed Siddique Khan bin Hassan bin 'Alī, *Al-Tāj al-Mukallal Min Jawāhir Ma'āthir al-Ṭirāz al-Ākhir wa al-Awal*, 1st edition, Qatar, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1428 AH- 2007 CE.
 16. Ibn al-Wardī, 'Omar bin Muzaffar bin 'Omar, *Tārīkh Ibn al-Wardī*, 1st edition, Beirut, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1417 AH – 1996 CE.
 17. Al-dhahabī, Mohammed bin Ahmed bin 'Othman, *Tārīkh al-Isalm wa wafayāt al-Mashāhīr wa al-A'lām*, Investigation: Dr. 'Omar Abd al-Salam Tadmari, 1st edition, Beirut, Dar al-Kitab al-'Arabī, 1407 AH- 1987 CE.

Ibn Arabi's doctrine. Many Sufis in past and present took this doctrine from him and mentioned his supposed evidences even though their weakness. These supposed evidences were a result of their manipulation of the implications of the texts under the cover of exoteric interpretations, and that is something that Ibn Arabi and his likes know how to do based on their wide imaginations. There is no doubt that this claim is disbelief and that the interpretation that Ibn Arabi used is not correct and the person who uses it is not excused.

The researcher is grateful to Qassim University, represented by the Deanship of Scientific Research, for their support of this research.

Index of Sources and References

1. Zabīdī, , Mohammed bin Mohammed bin Mohammed, *Iḥḥāf al-Sadah al-Muttaqīn Bi Sharḥ Iḥyā' 'Ulūm al-Dīn*, no edition number, Beirut, Mu'assasat al-Tārikh al-Arabī, 1414 AH- 1994 CE.
2. Al-Lakhnawī, Mohamad Abdul Ḥayy bin Abdul Ḥalim bin Aminu Allah, *Al-Āthār al-Marfū'ah Fī al-Akhhbār al-audhū'ah*, Investigation: Mohammed Al-Sa'īd Basyounī Zaghloul, No edition number, Baghdad, Maktabat al-Sharq al-Jadidah, 1989 CE.
3. Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Halim bin Abd al-Salam, *Al-Istiqamah*, edited by: dr. Mohammad Rashad Salem, 1st edition, Riyadh, Imam Muhammad bin Saud University, 1403 AH.
4. Al-Shanqīṭī, Mohammad Amīn bin Mohammad Mukhtār bin Abdul Qādir, *Adhwā' al-Bayān fī Tafṣīr al-Qur'ān Bi al-Qur'ān*, Investigated by: Bureau of Research and Studies, Beirut, Dār Al-Fikr, 1995 CE.
5. Ibn al-Qayyim, Muhammad bin Abu Bakr bin Ayyūb, *Ighāthat al-Lahfān Min Maṣāyid al-Shaiṭān*, Investigation: Mohamad Hāmid al-Fakī, 2nd edition, Beirut, Dar al-Ma'ifah, 1395 AH-1975 CE.
6. Al-Qālī, Ismā'īl bin Qasim bin 'Aidhūn, *Al-Amāli Fī Lughat al-Arab*, No edition number, Beirut, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1398



The Claim that Pharaoh is not an Infidel A Critical Study

Prepared by: *Dr. Badr bin Nasser bin Mohammed Al-Awad*

*Saudi Academic, Associate Professor in the Department of
Doctrine and Contemporary Ideologies, at Qassim
University*

dr.b.n.alawad@hotmail.com

Abstract

The Muslims and even the People of the Book agree that Pharaoh was one of the staunchest of all infidels and one of the most arrogant and tyrannical people on earth. They also agree that he lived and died as an unbeliever. The evidences and proofs for this issue is so clear that everybody should necessary know about it and opposing it is one of the worst and odd opinions.

Maybe the claim that Pharaoh was a believer first appeared in the third century after hijra, but it didn't find adherents until Ibn Arabi al-Hatimi – the leader of the Ittihadiyyah sect – adopted it, made it famous and claimed evidences for it. He based this opinion on the doctrine of pantheism, that he engaged his life to spread and defend. This doctrine in its essence leads to denying the existence of the creator and the invalidation of religions and it leads to other statements that are as bad as the statement that Pharaoh was a believer. The thing that made Pharaoh special – according to Ibn Arabi – was that he claimed to be divine and that complies with

81. Al-‘Arīnī, Mohammad bin Nāṣer, *Wujūb Ṭā‘at al-Sulṭān Fi Ghair bMa‘ṣiyat al-Rahmān Bi Dalīl al-Sunnah wa al-Qur’ān* Presentation: Al-Sheikh Ṣāleḥ al-Fawzān, fourth edition, 1438 AH.
82. Ibn Khallikān, Abu Abbās Shams al-Din Ahmad bin Mohammad bin Ibrahim bin Abu Bakr al-Barmaki al-Erbli, *Wafayāt al-A‘yān wa Anbā’u Abnā’I al-Zamān*, Investigation: Ihsān Abbās, Dār Ṣāder, Beirut.



- edition, 1416 AH- 1995 CE.
68. Al-Tayālīsī, Abu Dawood Suleiman ibn Dawood ibn al-Jaroud, *Musnad al-Tayālīsī*, Investigation: dr. Mohammad bin Abdul Mohsen al-Turki, Dār Hajar, Egypt, first edition, 1419 AH.
69. Al-Şan‘ānī, Abdul Razzaq Bin Hammam, *Al-MuŞannaf*, Investigation: Al-A‘zamī, Al-Maktab al-Islamī, Beirut, second edition, 1403 AH.
70. Al-Hamawī, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqoot bin Abdullah al-Roumi, *Mu‘jam al-Buldān*, Dār Şader, Beirut, second edition, 1995 CE.
71. Ibrahim Mustafa, Ahmad Zayyat, Hamid Abd al-Qāder, Mohammad Najjar, *Al-Mu‘jam al-Wasīf*, The compound of the Arabic language in Cairo, Dar al-Da‘wah.
72. Al-Quṭubī, Ahmad bin Omar bin Ibrahim, *Al-Muġhim Limā Ashkala Min Talkhīş Kitan Muslim*, Dār Ibn Kathīr, Damascus, Beirut, fourth edition, 1429 AH.
73. Rene Descartes, *Maqāl ‘An al-Manhaj*, Translation: Mahmoud al-Khudairi, The Egyptian General Book Organization, third edition, 1985 CE.
74. Ibn Fāris, Abu Hussein Ahmad bin Faris bin Zakaria, Maqāyīs al-Lughah, Investigation: Abdul Salam Mohammad Haroun, Dār al-Fikar, 1399 AH- 1979 CE.
75. Al-Nawāwī, Abu Zakaria Mohyī al-Dīn Yahyā bin Sharaf, *Al-Minhāj Sharĥ Şaĥīĥ Muslim bin al-Hajjaj*, Dār Iĥyā’ al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon, Second Edition, 1392 AH.
76. Jalal Musā, *Manhaj al-Baĥth al-‘Ilmī ‘Inda al-‘Arab*, without date.
77. Al-Telmesānī, Shihab al-Din, Ahmad bin Mohammad bin Ahmad, *Nafĥu al-Ṭīb Min Ghuşn al-Andalus al-Raĥib wa Dhikr Ważriĥā Lesān al-Dīn al-Khaĥb*, Investigation: dr. Ihsan Abbas, Beirut, Dar Şader, 1388 AH.
78. Al-Jazari, Abu al-Sa‘ādāt al-Mubarak bin Mohammad, *Al-Nihāyah Fi Gharīb al-Hadith wa al-Athar*, Al-Maktabat al-‘Ilmiyyah, Beirut, 1399 AH, 1979 CE.
79. Al-Baghdadi, Ismā‘īl Pāsha, *Hadiyyat al-Ārifīn Asmā’ al-Mu’allifīn wa Āthār al-MuŞanniĥīn*, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1413 AH.
80. Al-Safadi, Şalāĥ al-Din Khalil ibn Aybak bin Abdullah, *Al-Wāfī Bi al-Wafayāt*, Investigation: Ahmad al-Arnaoĥ; Turki Mustafa, Dār Iĥyā’ al-Turath, Beirut, 1420 AH- 2000 CE.

- Ḥadiīh*, Investigation: Nāṣer al-Jedai‘, Dār al-‘Āṣimah, second edition, 1419 AH.
58. Al-‘Asqālānī, Abul Fadhl, Ahmad bin ‘Ali bin Ḥajar al-Shafe‘ī, *Fath al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Dār al-Ma‘rifah, Beirut, 1379 AH.
59. Al-Suyūṭī, Abdul Rahman bin Abu Bakr, Jalal al-Din, *Al-Fatḥ al-Kabīr Fi Dhamm al-Ziyādah Ilā al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr*, Investigation: Yousuf Nabḥānī, Dār al-Fikar, Beirut, Lebanon, first edition, 1423 AH- 2003 CE.
60. Ibn Taymiyyah, Taqī al-Din Abu al-'Abbas Ahmad ibn 'Abd al-Halim ibn' Abd al-Salam ibn 'Abd-Allah ibn Abu al-Qasim ibn Muhammad ibn Taymiyyah al-Ḥarrānī al-Hanbali al-Dimashqī *Al-Furqān Bain Awliyā’ al-Rahmān wa Awliyā’ al-Shaiṭān*, Investigation: Abd al-Qādir al-Arnaoūt, Maktabat Dār al-Bayān, Demashq, 1405 AH- 1985 CE.
61. Al-Firozabadi, Majd al-Din Abu Ṭāher Mohammad bin Yaqoub, *Al-Qāms al-Muḥīṭ*, Investigation: Maktab Tahqīq al-Torath Fi Mu’assasat al-Resalah, Under the supervision of: Mohammed Na‘īm al-‘Arqasousī, Mu’assasat al-Resalah, Beirut, Lebanon, 8th edition, 1426 AH- 2005 CE.
62. Al-Ājurrī, Abu Bakr Mohammad bin Sulaiman, *Kitāb al-Sharī‘ah*, first edition, 1428 AH, Dār al-Dalīl al-Athariyyah.
63. Al-Qāsimī, Mohammad Jamal al-Din bin Mohammad Sa‘īd bin Qasim al-Hallaq, *Mahāsin al-Ta’wīl*, Investigation: Mohammad Bāsil ‘Uyūn al-Sūd, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1418 AH.
64. Ibn Sīdah, Abu al-Hasan, Ali bin Isma‘īl, *Al-Mukhaṣṣaṣ*, Dār al-Ṭibā‘ah al-Kubrā, al-Amīriyyah.
65. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, *Madārij al-Sālikīn Baina Manāzil Iyyāka Na‘budu Wa Iyyāka Nasta‘īn*. Edited by: Muhammad al-Mu‘taṣim Bi-Allah al-Baghdadi, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Beirut, third edition, 1416 AH- 1996 CE.
66. Al-Nīsābūrī, Muhammad bin Abd Allah bin Muhammad bin Hamdowaih bin Na‘īm bin al-Hakam al-Dhabbī al-Tehmani, known as Ibn al-Bayyi‘, *Al-Mustadrak ‘Alā Al-Sahihain*. Edited by: Muṣṭafā Abd al-Qādir ‘Aṭā. Beirut, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1411 AH- 1990 CE.
67. Ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmad bin Mohammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad al-Shaibani, *Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal*, Investigation: Ahmad Mohammad Shaker, Dār al-Hadith, Cairo, first

- first edition, 1423 AH, 2003 CE.
46. Al-Jawharī, Abu Naṣr Ismā‘īl Bin Hammad al-Fārābī, *Al-Siḥāḥ Tāj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-‘Arabiyyah*, Investigation: Ahmad Abdul-Ghafour ‘Aṭṭār, Dār al-‘Ilm Li al-Malāyīn, Beirut, Fourth Edition, 1407 AH, 1987 CE.
 47. Al-Busti, Mohammed bin Hibbān bin Ahmed Abu Hāmed al-Tamimi, *Ṣaḥīḥ Ibn Hibban bi Tartīb Ibn Balibbān*, Investigation: Sho‘aib Arnaout, Mu’assasat al-Resalah, Beirut, second edition, 1414 AH.
 48. Al-Bukhari, Abu Abdullah, Mohammed bin Ismail, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Explanation and comment: dr. Mustafa Deeb al-Baghā, Dār Ṭawq al-Najāh, first edition, 1422 AH.
 49. Al-Qushairī, Abu Hussein Muslim bin Al-Hajjāj, al-Nisapūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim*, Dār Iḥyā’ al-Torāth al-‘Arabī, Beirut, second edition, 1392 AH.
 50. Ibn Bashkwāl, Abu al-Qasim Khalaf bin Abdul Malik, *Al-Ṣilah Fi Tarīkh A’mmat al-Andalus*, Published and Text verified by: Al-Sayyid Izzat ‘Aṭṭār al-Husseini, Maktabat al-Khānji, second edition, 1374 AH, 1955 CE.
 51. Ibn Sa‘ad, Abu Abdullah Mohammed bin Sa‘ad al-Baṣri, al-Baghdadi, *Al-Ṭabaqāt al-Kubrā*, Investigation: Ihsan Abbas, Dar Ṣāder, Beirut, first edition, 1986 CE.
 52. Al-Adenroyi, *Ṭabaqāt al-Mufassirīn*, Investigated by: Sulaiman bin Ṣaleh al-Khazzi, Maktabat al-‘Ulūm wa al-Ḥikam, Madinah, first edition, 1417 AH.
 53. Al-Suyūṭī, Abdul Rahman bin Abū Bakr, *Ṭabaqāt al-Mufassirīn*, Investigation: Ali Mohammad Omar, Maktabat Wahbah, Cairo, first edition, 1396 AH.
 54. Al-Albānī, Mohammad Nāṣer al-Dīn, *Zīlāl al-Hannah Fi Takhrīj al-Sunnah*, Al-Maktab al-Islamī, first edition, 1404 AH.
 55. Al-Dhahabī, Shams al-Din Abu Abdullah Mohammad bin Ahmad bin Uthman bin Qaymāz, *Al-‘Ibar Fi khabar Man Ghabar*, Investigation: Abu Hājar Mohammed Sa‘īd bin Basiyūi Zaghoul, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.
 56. Al-Suyūṭī, Abdul Rahman bin Abu Bakr, Jalal al-Din, *Bughyat al-Wu‘āt Fi Ṭabaqāt al-Lughawiyīn wa al-Nuḥāt*, Investigation: Mohammed Abul Fadhl Ibrahim, Al-Maktabat al-‘Aṣriyyah, Lebanon, Ṣaida.
 57. Al-Ṣabūnī, Ismail bin Abdul Rahman, *‘Aqīdat al-Salaf wa Aṣḥāb al-*

- Dhahhāk, *Sunan al-Tirmidhi*, Investigation and comment: Ahmad Mohammad Shaker and others, the library and Company of Mustafa al-Bābī al-Halabi Printing Press, Egypt, second edition, 1395 AH, 1975 CE.
36. Al-Nasa'ī, Abu Abd al-Rahman Ahmad bin Shu'ayb bin Ali al-Khorasani, *Al-Sunan al-Kubrā*, Investigation and Hadith Takhrīj: Hassan Abd al-Mon'im al-Shalabi; 1421 AH- 2001 CE.
 37. Al-Dhahabī, Shams al-Din Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Osman bin Qaymāz, *Siyar A'lām al-Nubalā'*, Dār al-Hadith, Cairo, 1427 AH- 2006 CE.
 38. Al-Shawkani, Mohammad bin Ali bin Mohammad bin Abdullah al-Yamani, *Al-Sail al-Jarrār al-Mutadaffiq 'Alā Hadā'q al-Azhār*, Dār Ibn Hazm, first edition.
 39. Makhloof, Mohammad bin Mohammad bin Omar bin Ali bin Salem, *Shajarat al-Nūr al-Zakiyyah Fi Ṭabqāt al-Mālikiyyah*, Commented by: Abdul Majid Khayali, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1424 AH- 2003 CE.
 40. Al-Lālakā'i, Imam Abu al-Qasim Hebat Allah bin Abi Hassan, *Sharh 'Itiqād Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah Min al-Kitāb wa al-Sunnah wa al- Ijmā'I al-Ṣaḥābah wa al-Tabi'in wa Man Tabi'ahum*, Second edition, Investigation: dr. Ahmad Sa'ad Hamdān, Dār al-'Āṣimah.
 41. Al-Barbahāri, *Sharḥ al-Sunnah*, Investigation: dr. Khalid al-Raddadi, Maktabat al-Ghuraba al-Athariyyah, Saudi Arabia, first edition, 1414 AH.
 42. Al-Ṭībī, Sharaf al-Din Hussein bin Abdullah, *Sharḥ al-Ṭībī'Alā Mishkāt al-Maṣabīḥ*, called: (*Al-Kāshif 'An Haqā'iq al-Sunan*), Investigation: dr. Abdul Hamid Hindawi, Saudi Arabia, Makkah, Riyadh, Maktabat Nizār Mustafa al-Bāz, 1417 AH.
 43. Ibn Abu al-'Izz, *Sharḥ al-'Aqīdah al-Ṭaḥāwiyyah*, Investigation: Sho'aib Arnaout, dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Mu'assasat al-Resalah, Beirut, first edition, 1417 AH.
 44. Al-Qairawānī, al-Qadhī Abdul Wahab bin Naṣr al-Baghdadi al-Maliki, *Sharḥ 'Aqīdah Ibn Abi Zaid al-Qairawānī*, Study and Investigation: dr. Ahmad Mohammad Noor Saif, Research House for Islamic Studies and Heritage Revival, UAE, first edition, 1424 AH.
 45. Al-Baihaqī, Abu Bakr, Ahmad bin al-Husain bin Ali bin Mūsā al-Khosrojerdi al-Khorasani, *Shu'ab al-Imān*, Maktabat al-Rushd, Riyadh, in cooperation with Al-Dār al-Salafiyyah, Bombay, India,

23. Al-Suyūṭī, Abdul Rahman bin Abu Bakr, Jalal al-Din, *Husn al-Muḥādharah Fi Tārīkh Miṣr wa al-Qāhirah*, Investigation: Mohammed Abul Fadhl Ibrahim, Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabiyyah-Issa al-Babi al-Halabi & Co.- Egypt, first edition, 1387 AH- 1967 CE.
24. Ibn Bāz, al-Sheikh Abdul Aziz bin Bāz, Ḥuqūq al-Rā'ī wa al-Ra'īyyah, Dār al-Iftā' Publications.
25. Al-Ṭarṭoushi, Abu Bakr Mohammed bin Walīd, Al-Ḥawādith wa al-Bida', Investigation: Ali bin Hassan bin Ali al-Halabi, Dar Ibn al-Jawzi, first edition, 1411 AH.
26. Ibn Farhūn, Ibrahim bin Ali bin Mohammed, Burhanuddin al-Ya'murī, *Al-Dībāj al-Mudhahhab Fi Ma'rifat A'yān 'Ulamā' al-Madhhab*, Investigation and comment: dr. Mohamed al-Ahmadi Abu al-Nūr, Dār al-Torath, Cairo.
27. Al-Himyarī, Abu Abdullah Mohammed bin Abdullah bin Abdul Mon'eim, *Al-Rawdhat al-Mi'tār Fi Khabar al-Aqṭār*, Investigation: Ihsan Abbas, Nāṣer Foundation for Culture, Beirut, printed on Dar Al-Sarraḡ Press, second edition, 1980.
28. Ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmad bin Mohammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad al-Shaibani, *Al-Zuhd*, Footnotes by: Mohammed Abdul Salam Shāhīn, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1420 AH- 1999 CE.
29. Al-Ṭarṭūshi, Abu Bakr Mohammad bin Walīd bin Mohammad al-Māliki, *Seraj al-Mukūk*, first edition, 1437 AH, Dar Al-Minhāj, Lebanon, Beirut.
30. Al-Albāni, al-Sheikh Mohammed Nāṣer, *SilSilat al-Aḥādith al-Ṣaḥīḥah*, third edition, Jordan, Al-Maktabat al-Islamiyyah.
31. Al-Khallāl, Abu Bakr Ahmad bin Mohammad bin Hārūn, *Al-Sunnah*, Investigation: 'Aṭīyyah al-Zahrani, Dar al-Rayah, 1410 AH.
32. Ibn Abu 'Āṣem, Imam Abu Bakr Ahmad bin 'Amr bin Abu 'Āṣem, *Al-Sunnah*, Investigation: Bāsem Faisal Al-Jawabirah, Riyadh, Dar Al-Ṣumay'ī, third edition, 1426 AH- 2005 CE.
33. Al-Qazwīnī, Hafiz Abu Abdullah Mohammed bin Zaid, *Sunan Ibn Majah*, Investigation and numbering: Mohammed Fouad Abdul Baqi, Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabiyyah.
34. Al-Sijistānī, Imam Abu Dawood Suleiman bin al-Ash'ath al-Azdi, *Sunan Abu Dawood*, Investigation: Mohammed 'Awamah, Dar al-Yusr, Saudi Arabia, Madinah, third edition, 1431 AH.
35. Al-Tirmidhi, Abu 'Īsā, Mohammed bin 'Īsā bin Sawrah bin Mūsā bin

- CE.
13. Ibn Jamā'ah, Abu Abdullah, Mohammed bin Ibrahim bin Sa'ad bin Jamā'ah al-Kināni al-Ḥamawī al-Shafī'ī, Badr al-Din, *Taḥrīr al-Aḥkām Fi Tadbīr Ahl al-Islam*, third edition, 1408 AH.
 14. Mohammed Abdul Rahman bin Abdul Rahim l-Mubarakpūri Abu al-'Alā', *Tuḥfat al-Aḥwadhī Bi Sharh Jāmi' al-Tirmidhi*, Dar Al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut.
 15. Al-Suyuṭī, Abdul Rahman bin Abu Bakr, *Tadrīb al-Rāwī Fi harh Taqrīb al-Nawāwī*, Maktabat al-Riyadh al-Ḥadīthah, Riyadh, Edited by: Abdul Wahab Abdul Latif.
 16. Ibn Katheer, Abu al-Fida Isma'il bin Umar bin Katheer al-Qurashi al-Baṣri al-Dimashqī, *Tafsīr al-Quran al-'Aẓīm*, Edited by: Sāmi bin Muhammad Salāmah, Dār Taibah, Second Edition, 1420 AH, 1999 CE.
 17. Ibn al-Abbār, Mohammad bin Abdullah bin Abu Bakr al-Qudhā'ī al-Balansi, *Al-Takmilah Li Kitāb al-Ṣilah*, Dār al-Fikar for Printing, Lebanon, 1415 AH- 1995 CE.
 18. Ibn Abdul Barr al Andalusi, *Al-Tamhīd Limā Fi al-Muwaṭṭa Min al-Ma'ānī wa al-Asānīd*, Investigation: Mustafa bin Ahmed al-Alawi, Mohammed Abd al-Kabir al-Bakrī, Ministry of General Endowments and Islamic Affairs, Morocco, 1387 AH.
 19. Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed bin al-Azhari al-Harawi, Abu Mansour, *Tahzīb al-Lughah*, Investigation: Mohammed Awad Mur'eb, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, Beirut, edition, 2001CE.
 20. Ibn al-Athīr, Majd al-Din Abu al-Sa'ādāt al-Mubarak bin Mohammed bin Mohammed bin Mohammed bin Abdul Karim al-Shaibani al-Jazari, *Jāmi' al-Uṣūl Fi Ahādīth al-Rasūl*, Investigation: Abdul Qader Arnaout, The Sequel investigated by: Bashir Oyūn, Maktabat al-Hulwāni, Maṭba'at al-Mallah, Maktabat dār al-Bayan, edition first.
 21. Ibn Rajab, Zainuddin Abdul Rahman bin Ahmed bin Rajab bin Hassan, al-Sulami, al-Baghdadi, al-Dimashqī, al-Hanbali, *Jāmi' al-'Ulūm wa al-Ḥikam Fi Sharḥ Khamsīn Ḥadīthan Min Jawāmi' al-Kalim*, Investigation: Sho'aib Arnaout, Ibrahim Bajes, Mu'assasat al-Resalah, Beirut, edition Seventh, 1422 AH, 2001 CE.
 22. Al-Qurṭubī, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Abu Bakr, *Al-Jāmi' Li Aḥkām al-Koran wa al-Mubayyin Limā Tadhammanahu Min al-Sunnah wa al-Furqān*, Mu'assasat al-Resalah, Beirut, Lebanon, first edition, 1427 AH.

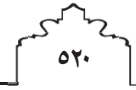
3. Ibn Mufleh, Mohammed bin Mufleh bin Mohammed bin Mufarrej, Abu Abdullah, Shams al-Din al-Maqdisi al-Rāmīni al-Ṣaliḥī al-Hanbali, *Al-Ādāb al-Shar‘iyyah wa al-Minaḥ al-Mar‘iyyah*, Mu’assasat al-Resalah, Beirut, Lebanon, 1417 AH.
4. AL-Telmisānī, Shihāb al-Din Ahmad bin Mohammad bin Ahmad bin Yahyā, Abu Abbas al-Maqqari, *Azhār al-Riyadh Fi Akhbār al-Qādhī Ayyadh*, Investigation: Mustafa Sakka; Ibrahim al-Abyari; Abdul Azim Shalabi, Maṭba‘ah Lajnat al-Ta‘līf wa al-Tarjamah wa al-Nashr, Cairo, 1358 AH- 1939 CE.
5. Al-Qaṭṭan, Mannā‘ bin Khalil, *I’timād Da‘wat al-Sheikh Mohammed bin Abdul Wahab ‘Alā al-Kitāb wa al-Sunnah*, (printed within the research symposium on Sheikh Mohammed bin Abdul Wahab, Part I) Deanship of Scientific Research, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, Saudi Arabia, Second edition, 1411 AH, 1991 CE.
6. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad ibn Abu Bakr bin Ayyūb bin Sa‘ad Shams al-Din, *I’lām al-Muwaqqi‘īn ‘An Rabbi al-Ālamīn*, Investigation: Mohammed Abdul Salam Ibrahim, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1411AH- 1991 CE.
7. Al-Sam‘ānī, Abdul Karim bin Mohammed bin Manṣūr al-Tamimi al-Marwazi, Abu Sa‘ad, *Al-Ansāb*, Investigation: Abdul Rahman bin Yahya al-Mu‘allimi al-Yamani and others, Majlis Dā‘irat al-Ma‘ārif al-Uthmaniyyah, Hyderabad, first edition, 1382 AH- 1962 CE.
8. Ibn Kathīr, Abu al-Fida Isma‘il bin Umar bin Kathīr al-Qurashi al-Baṣri al-Dimashqī, *Al-Bidāyah wa al-Nihāyah*, Investigation: dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Dār ‘Ālam al-Kutub, Riyadh, first edition, 1417 AH, second edition, 1424 AH.
9. Al-Dhabbī, Ahmed bin Yahya bin Ahmed bin Omeira, Abu Ja‘afar, *Bughyat al-Multamis Fi Tarīkh Rijāl Ahl al-Andalus*, Dār al-Kitab al-Arabi, Cairo, 1967 CE.
10. Al-Sa‘adī, Abdul Rahman bin Nasser, *Bahjat Qulūb al-Abrār wa Qurrat ‘Uyūn al-Akhyār Fi Sharḥ Jawāmi‘ al-Akhbār*, Maktabat al-Rushd, first edition, 1424 AH.
11. Al-Zubaidi, *Tāj al-‘Arūs Min Jawāhir al-Qāmūs*, Investigation: a group of investigators, Kuwait Government Press, 2nd edition, 1407 AH.
12. Ibn Farḥoun, Ibrahim bin Ali bin Mohammed, Burhanuddin al-Ya‘murī, *Taṣīrat al-Hukkām Fi Uṣūl al-Aqdhiyah wa Manāhiḥ al-Aḥkām*, Maktabat Kulliyāt al-Azhar, first edition, 1406 AH- 1986

ending that mentioned the most important results and recommendations, and they are:

- 1) The importance of leadership and its great status.
- 2) Sticking to the Muslims united group is obligatory and one of the foundations of Ahl us-Sunnah wal-Jama'ah.
- 3) The scholars have consensus that it's obligatory to obey the leader and that it's prohibited to revolt against them.
- 4) It's obligatory for the citizens to specify the leader when making supplication.
- 5) Whoever which that the leader disappear is ignorant about the consequences of things or a big sinner striving for division.
- 6) The people of knowledge that preserves the knowledge and really understand it are those who should advise the leader in secret and not openly. This is the guidance of the prophet (sallallahu alayhi wa sallam).
- 7) If the scholar is close to a sinful leader then that is not an excuse to instigate the citizens against the ruler.
- 8) When the leaders are oppressive the citizens should turn to Allah and repent to Him, and they should not turn to the sword, because it will be turned against them.

Index of Sources and References

1. Ibn Diḥyah al-Kalbi, Abu al-Khattab Omar bin Hasan al-Andalusi, *Adā'u Mā Wajab Fi Wadh'I al-Waddhā'in Fi Rajab*, Investigation: Mohammed Zuhair al-Shawish, Takhrīj: Mohammed Nāṣer al-Dīn al-Albani, Al-Maktab al-Islamī, First Edition, 1419 AH, 1998 CE.
2. Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj, *Ādāb al-Ḥasan al-Baṣrī Zuhduh wa Mawā'izuh*, Investigation: Suleiman al-Harash, Dar al-Nawader.



**The Methodology of the Great Scholar at-Tartousi regarding Leadership in his book: Siraj al-Muluk
A Creedal Study**

Prepared by: *Dr. Abdul-Hadi bin Awad bin Mu'awad al-Amri*

*Saudi Academic, Teacher from the Staff of the
Department of Education in al-Madinah al-Munawwarah*

abdulhadi.alamri92@gmail.com

Abstract

This research studied the methodology of at-Tartousi regarding leadership in his book: Siraj al-Muluk as a creedal study in the following sections:

The first section: Obeying the leaders in that which is good.

The second section: Being patient and the prohibition of making revolutions.

The third section: Supplicating for the leaders.

The fourth section: Respect and admiration for the leaders.

The fifth section: Advising the leaders.

The research started with an introduction that explained the importance of the subject, the reasons for choosing it, its aims, research plan and methodology. Thereafter came the preface where the word methodology was defined in the language and as a terminology, and a short biography for at-Tartousi and an introduction to the book: Siraj al-Muluk. The research ends with an

51. Al-Ash'arī, 'Alī bin Ismā'īl, Abu al-Hasan, *Maqālāt al-Isāmiyyīn*, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, 3rd edition, Investigation: Hellmut Ritter.
52. Al-Shahristānī, Mohammad bin 'Abd al-Karīm bin Abu Bakr Ahmad (D: 548 AH), *Al-Milal Wa al-Niḥal*, Mu'assas-at al-Ḥalabī.
53. Al-Nawawī, Abu Zakariyyā, Muhyu al-Dīn, Yahyā bin Sharaf (D: 676 AH), *Al-Minhāj Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Hajjaj*, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, Second Edition, 1392 AH.
54. Al-Athram, Ahmad bin Mohammad, *Nāsikh al-Hadīth wa Mansūkhuhu*, Investigation: Abdullah bin Hamad al-Mansour, first edition: 1420 AH- 1999 CE.
55. Ibn al-Athīr, Majd al-Din, Abu al-Sa'ādāt, al-Mubarak bin Muhammad bin Muhammad bin Muhammad bin Abd al-Krīm al-Shaibānī al-Jazrī (D: 606 AH), *Al-Nihāyah Fi Gharīb al-Hadīth wa al-Athar*, Al-Maktabah al-'Ilmiyyah, Beirut, 1499 AH- 1979 CE, Investigation: Taher Ahmad al-Zāwi; Mahmūd Muhammad al-Ṭanāḥī.



- Hārith al-Khuzā'ī (D: 228 AH), *Kitāb al-Fitan*, Investigator: Samir Amin al-Zuhairi, Maktabat al-Tawheed- Cairo, Edition: First, 1412 AH.
41. Al-Kermānī, Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Sa'īd, Shams al-Dīn (D: 786 AH), *Al-Kawākib al-Darārī Fi Sharh Ṣaḥīḥ al-Bukhari*, Dār Iḥyā' al-Turath al-Arabi, Beirut, 2nd edition: 1401AH-1981 CE.
 42. Ibn Manzhūr. Muhammad bin Mukrram bin 'Alī Abu al-Fadhl, Jamāl al-Dīn al-Anṣārī al-Ruwaifi'ī al-Ifrīqī (D: 711 AH), *Lesān Al-'Arab*, Beirut, Dār Ṣādir, third Edition, 1414 AH.
 43. Ibn Abu al-Dunya, Abu Bakr Abdullah bin Mohammed bin Obeid bin Sufyan bin Qais al-Baghdadi al-Umawī al-Qurashi (D: 281 AH), *Al-Mutamannīn*, Investigation: Mohammed Khair Ramadan Yousuf, Dār Ibn Hazm-Beirut- Lebanon, 1st edition, 1418 AH-1997 CE.
 44. Al-Haythamī, Abu al-Hasan, 'Alī bin Abu Bakr bin Sulaiman, *Majma'u al-Zawā'id*, Investigation: Hossām al-Dīn al-Maqdisī, Maktabat al-Qudsī, Cairo, 1414 AH.
 45. Ibn Rajab, Abdul Rahman bin Ahmad bin Rajab al-Hanbali, *Majmū'u Rasā'il Ibn Rajab*, Investigation: Ṭal'at bin Fouad al-Hulwānī, Publisher: Maktabat al-Farouq al-Hadithaj, second edition, 1424 AH.
 46. Al-Mursī, Abu al-Hassan, 'Alī bin Ismā'īl bin Sīdah (D: 458 AH), *Al-Muḥkam wa al-Muḥīṭ al-A'zam*, Ed: Abdul Hamid Hindawi, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1421 AH- 2000 CE.
 47. Al-Ṭabarānī, Sulayman bin Ahmad bin Ayyub bin Muṭair al-Lakhmī al-Shāmi, Abu al-Qasim (deceased: 360 AH), *Musnad al-Shamiyyīn*, Investigator: Hamdi bin Abd al-Majīd al-Salafi, Mu'assasat al-Resalah, Beirut, 1st edition, 1405 AH-1984 CE.
 48. Ibn Abu Shaibah, Abu Bakr bin Abu Shaibah, Abdullah bin Muhammad bin Ibrāhīm bin Uthman bin Khuwastī al-'Absī (D: 235 AH), *Al-Muṣannaḥ*, Investigation: Kamāl Yousuf al-Ḥūt, Maktabat al-Rushd, Riyadh, Edition: First: 1409 AH.
 49. Al-Ṭabarānī, Sulayman bin Ahmad bin Ayyub bin Muṭair al-Lakhmī al-Shāmi, Abu al-Qasim (deceased: 360 AH), *Al-Mo'jam Al-Awsat*, Investigation: Tariq bin 'Awadh Allah bin Mohammad; Abd al-Mohsen Al-Hussainī, Dār al-Haramin, Cairo.
 50. Al-Ṭabarānī, Sulayman bin Ahmad bin Ayyub bin Muṭair al-Lakhmī al-Shāmi, Abu al-Qasim (deceased: 360 AH), *Al-Mu'jam al-Kabīr*, Investigation: Hamdi bin Abd al-Majīd al-Salafi, Maktabat Ibn Taimiyyah, Cairo, second edition.

- Investigation & Takhrij: Dr. Abd al-Alī Abd al-Hamīd Hāmid, Supervised by: Mukhtār Ahmad al-Nadawī Owner of Al-Dār al-Salafiyyah Bombay- India, Maktabat al-Rushd, Riyadh, in cooperation with Al-Dār al-Salafiyyah, Bombay, India, first edition, 1423 AH.
31. Ibn Sa'ad, Abu Abdullah Mohammed bin Sa'ad bin Manī' al-Hāshmi by Loyalty, al-Baṣri, al-Baghdadi (D: 230 AH), *Al-Ṭabaqāt al-Kubrā*, Investigation: Muhammad bin Ṣāmil al-Sulamī, Maktabat al-Ṣiddīq, al-Ṭā'if, first edition, 1414 AH-1993 CE.
 32. Ibn Sa'ad, Abu Abdullah Mohammed bin Sa'ad bin Manī' al-Hāshmi by Loyalty, al-Baṣri, al-Baghdadi (D: 230 AH), *Al-Ṭabaqāt al-Kubrā*, Investigation: Muhaamad Abdul Qader 'Aṭā, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1410- 1990 CE.
 33. Al-Farāhīdī, Abu Abd al-Rahman, al-Khalīl bin Ahmad bin Amr bin Tamim al-Baṣri (D: 170 AH), *Al-'Ain*, Investigation: Dr. Maḥdī al-Mkhzūmī; Dr. Ibrāhīm al-Sāmurrā'ī, Dār wa Maktabah al-Hilal.
 34. Imām al-Haramain, Abdul Malik bin Abdullah bin Yusuf bin Mohammed al-Juwainī, Abu al-Ma'ālī, Rukn al-Din (deceased: 478 AH), *Ghiyāth al-Umam Fi Iltiyāth al-Ḍulam*, Investigation: Abd al-'Azīm al-Dīb, Maktabat Imām al-Haramain, 2nd edition, 1401 AH.
 35. Al-'Asqalānī, Abu al-Fadhl, Ahmad bin 'Alī bin Ḥajar al-Shafī'ī, *Fath al-Bārī Sharh Sahīh al-Bukhārī*, Numbering: Mohammad Fo'ad Abd al-Bāqī, edited by: Muhibbu al-Dīn al-Khatīb, With Connents of: al-'Allamah Abd al-'Azīz bin Abdullah bin Bāz, Dār al-Ma'rifah, Beirut, 1379 AH.
 36. Al-Marrūzī, Abu Abdullah Nu'aim bin Hammad bin Mu'āwiyah bin Hārith al-Khuzā'ī (D: 228 AH), *Al-Fitan*, Investigator: Samir Amin al-Zuhairi, Maktabat al-Tawheed- Cairo, Edition: First, 1412 AH.
 37. Al-Baghdādī, Abd al-Qāhir bin Ṭāhir al-Isfarāyīnī, *Al-Farq Bain al-Firaq wa Bayān al-Firqah al-Nājiyyah*, Dār al-Āfaq al-Jadīdah, Beirut, 2nd edition, 1977 CE.
 38. Ibn Hazm, 'Alī bin Ahmad bin Sa'īd bin Hazm, al-Andalusī, al-Qurtubī al-Dhāhirī (D: 456 AH), *Al-Fisal Fi al-Milal Wa al-Ahwā' Wa al-Niḥal*, Cairo, Maktab-at Al-Khanji.
 39. Al-Munāwī, Zaina al-Din Mohammed called Abdul Ra'ūf bin Taj al-'Ārifīn bin 'Alī bin Zain al-'Ābidīn al-Haddadi al-Qāhirī (D: 1031 AH), Faiz al-Qadeer *Sharḥ al-Jāmi' al-Ṣaghīr*, Maktabat al-Tijāriyyah al-Kubrā, Egypt, first edition, 1356 AH.
 40. Al-Marrūzī, Abu Abdullah Nu'aim bin Hammad bin Mu'āwiyah bin

- Lebanon, third edition, 1424 AH- 2003 CE.
21. Al-Dānī, Abu ‘Amr, Osman bin Sa‘id bin Osman bin Omar (D: 444 AH), *Al-Sunan al-Wāridah Fi al-Fitan wa Ghawā‘iliha wa al-Sā‘ah wa Ashrātiha*, Investigator: dr. Rezā’ Allah ibn Muhammad Idrīs al-Mubarakpūrī, Dār al-‘Āšimah, Riyadh, first edition, 1416 AH.
 22. Al-Shawkani, Mohammad bin Ali bin Mohammad bin Abdullah al-Yamani (D: 1250 AH), *Al-Sail al-Jarrār al-Mutadaffiq ‘Alā Hadā’q al-Azhār*, Dār Ibn Hazm, first edition.
 23. Al- Othaimen, Mohammed bin Saleh bin Mohammed (D: 1421 AH), *Sharh al-Arba‘īn al-Nawawiyah*, Dar al-Thurayyā Li al-Nashr.
 24. Al-Zarqānī, Muhammad ibn Abd al-Baqi ibn Yusuf al-Miṣrī al-Azharī, *Sharh al-Zarqani ‘Alā Muwaṭṭa al-Imam Mālik*, the Egyptian, Investigated by: Ṭaha Abdel Raouf Sa‘ad, Maktabat al-Thaqāfah al-Dīniyyah, Cairo, First edition, 1424 AH- 2003 CE.
 25. Al-Barbahāri, Abu Muhammad Hasan bin Ali bin khalaf (D: 329 AH), *Sharḥ al-Sunnah*, 2003 CE.
 26. Al-Baghawī, Muhyī al-Sunnah, Abu Muhammad, Al-Husein bin Mas'ūd bin Muhammad bin al-Farrā’ al-Shafī‘ī (D: 516 AH), *Sharḥ al-Sunnah*, edited by Shu‘aib al-Arnaoūt; Muhammad Zuhair al-Shawesh, Al-Maktab al-Islami, Demascus, second edition, 1403 AH- 1983 CE.
 27. Ibn Baṭṭāl, Abu al-Hasan Ali bin Khalaf bin Abd al-Malik (D: 449 AH), *Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhari*, Investigation: Abu Tamīm Yāsir bin Ibrāhīm, Maktabat al-Rushd, Riyadh, 2nd edition, 1423 AH- 2003 CE.
 28. Al-Qādhī, ‘Iyādh bin Mūsā bin ‘Iyādh bin ‘Amr al-Yaḥṣubī, al-Sibtī, Abu al-Fadhl (D: 544 AH), *Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim Li al-Qādhī ‘Iyādh known as: Ikmāl al-Mu‘lim Bi Fawāyid Muslim*, Investigated by: Dr. Yaḥyā Ismā‘īl, Publisher: Dār al-Wafā Li al-Tibā‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzī‘, Egypt, edition: First, 1419 AH- 1998 CE.
 29. Al-Ṭaḥāwī, Abu Ja‘far Ahmad bin Mohammad bin Salāmah bin Abd al-Malik bin Salamah al-Azdī, al-Hajarī al-Miṣrī (D: 321 AH), *Sharḥ Ma‘ānī al-Āthār*. Investigated by: Mohammad Zuhri al-Najjar; Muhammad Sayyid Jād al-Haq (One of the scholars of al-Azhar al-Sharif), Edited by: Dr. Yūsuf Abd al-Rahman al-Mur‘shlī, Publisher: Dār ‘Ālam al-Kutub, 1st edition, 1414 AH- 1994 CE.
 30. Al-Baihaqī, Abu Bakr, Ahmad bin al-Husain bin Ali bin Mūsā al-Khosrojerdi al-Khorasani (D: 458 AH), *Shu‘ab al-Imān*,

- Muwatta Min al-Ma'ānī wa al-Asānīd*, Investigation: Mustafa bin Ahmed al-'Alawī; Mohamad Abd al-Kabir al-Bakrī, Ministry of General Endowments and Islamic Affairs, Morocco, ١٣٨٧ AH.
11. Ibn Abdul Barr, Yusuf bin Abdullah bin Muhammad bin Abdul Barr bin 'Āṣim al-Nimri al-Qurtubi (D: 463 AH) *Al-Tamhīd Limā Fi al-Muwatta Min al-Ma'ānī wa al-Asānīd*, Investigation: Mustafa bin Ahmad al-'Alawī; Mohamad Abd al-Kabir al-Bakrī, Ministry of General Endowments and Islamic Affairs, Morocco, ١٣٨٧ AH.
 12. Al-Mizzī, Yusuf bin Abd al-Rehman bin Yusuf Abu al-Hajjāj Jamāl al-Dīn Ibn al-Zakī Abu Muhammad al-Qudhā'ī al-Kalbī (D: 742 AH), *Tahdhīb al-Kamāl Fī Asmā'ī al-Rijāl*, Edited by: dr. Bashshār 'Awwād Ma'rūf. Beirut, Mu'assas-at Al-Risalah, 1st edition, 1400 AH- 1980 CE.
 13. Al-Munāwī, Zaina al-Din Mohammed called Abdul Ra'ūf bin Taj al-'Ārifīn bin 'Alī bin Zain al-'Ābidīn al-Haddadi al-Qāhirī (D: 1031 AH), *Al-Taisīr Bi Sharḥ al-Jāmi' al-Ṣaghīr*, Maktabat al-Imām al-Shafe'ī, Riyadh, third edition, 1408 AH- 1988 CE.
 14. Ibn Rajab, Zainuddin Abdul Rahman bin Ahmad bin Rajab bin Hasan, al-Salāmi, al-Baghdadi, al-Dimashqi, al-Hanbali (D: 795 AH), *Jāmi' al-'Ulūm wa al-Ḥikam Fi Sharḥ Khamsīn Ḥadīthan Min Jawāmi' al-Kalim*, Investigation: Sho'aib Arnaout, Ibrahim Bajes, Mu'assasat al-Resalah, Beirut, edition Seventh, 1422 AH, 2001 CE.
 15. Mahmoud bin Ismail bin Ibrahim bin Mikhail Al-Khairbiti (deceased: 843ç), *Al-Durrah Al-Gharrā' Fi Naṣīhat al-Salāfīn wa al-Qudhāt wa al-Umarā'*, Maktabat Nizar Mustafa al-Bāz- Riyadh.
 16. Ibn Hanbal, Ahmad bin Hanbal (D: 241 AH), *Al-Zuhd*, Investigation: Yahyā bin Mohammad Al-Sūs, Dār Ibn Rajab, 2nd edition, 2003 CE.
 17. Ibn Hanbal, Ahmad bin Hanbal (D: 241 AH), *Al-Zuhd*, Investigation: Yahyā bin Mohammad Al-Sūs, Dār Ibn Rajab, 2nd edition, 2003 CE.
 18. Al-Khallāl, Abu Bakr Ahmad bin Mohammad bin Hārūn, bin Yazīd, al-Baghdadi al-Hanbali (D: 311 AH), *Al-Sunnah*, Investigation: 'Aṭīyyah al-Zahrani, Dar al-Rayah, 1st edition, 1410 AH- 1989 CE.
 19. Ibn Abu 'Āṣem, Imam Abu Bakr bin Abu 'Āṣim Ahmad bin 'Amr bin Dhahhak bin Makhlad al-Shaibani (D: 287 AH), *Al-Sunnah*, Investigation: Muhammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Al-Maktab al-Islāmī, Beirut, 1st edition, 1400 AH.
 20. Al-Baihaqi, Ahmad bin al-Husain bin Ali bin Mūsā, al-Khosrojerdi al-Khorasani, Abu Bakr, *Al-Sunan al-Kubra*, Investigation: Muhaamad Abdul Qader 'Aṭā, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut-

Index of Sources and References

1. Al-Muṣīlī, Ahmad bin ‘Alī bin Al-Muthanna bin Hilāl bin Yahyā al-Tamīmī (D: 307 AH), *Musnad Abu Ya‘lā*, Investigation: Hussein Salīm Asad, Publisher: Damascus, Dār Al-Ma'mūn Li al-Torāth, 1st edition, 1404 AH-1984 AD.
2. Al-Māwardī, Abu al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib al-Basri al-Baghdadi, (D: 450 AH), *Al-Ahkām al-Sulṭāniyyah*, Dār al-Hadith, Cairo.
3. Ibn Abu Zamanain, Abu Abdullah Mohammad bin Abdullah bin ‘Īsā bin Mohammad al-Murrī, al-Elberī al-Mālīki (D: 399 AH), *Uṣūl al-Sunnah, wa Riyādh al-Jannah Bi Takhrīj Uṣūl al-Sunnah* (printed along with each other), Investigation, Takhrīj and Comment: Abdullah bin Mohammad Abdul Rahim bin Hussein al-Bukhari, Maktabat al-Ghurabā‘ al-Athariyah, al-Madinah, Saudi Arabia, 1st Edition, 1415 AH.
4. Ibn Zanjawaih, Abu Ahmad Humaid bin Makhlad bin Qutaibah bin Abdullah al-Khurasāni, (D: 251 AH), *Al-Amwāl Li Ibn Zanjawaih*, by Dr. Shaker Dhīb Fayyadh, King Faisal Center for Research and Islamic Studies, Saudi Arabia, First Edition, 1406 AH- 1986 CE.
5. Al-Aṣbahānī, abu Nu‘aim, Ahmad bin Abdullah bin Ahmad bin Ishāq bin Mūsā bin Mehrān, (D: 430 AH), *Tārīkh Aṣbahān (Akhhbār Aṣbahān)*, Investigator: Sayyid Kesravi Hasan, Dār mal-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, First edition, 1410 AH-1990 CE.
6. Al-dhahabī, Mohammed bin Ahmed bin ‘Othman bin Qāymāz (D: 748 AH), *Tārīkh al-Islam wa Wafayāt al-Mashāhīr wa al-A‘lām*, Al-Maktabat al-Tawfīqiyyah.
7. Khalifah bin Khayyāṭ bin Khalifah al-Shaibāni al-‘Aṣfari al-Baṣri (D: 240 AH), *Tārīkh Khalifah bin Khayyāṭ*, Investigation: Akram Dhiyā‘ al-Omari, Publisher: Dar al-Qalam, Mu’assasat al-Resalah, Damascus, Beirut, 2nd edition, 1397 AH.
8. Ibn ‘Asāker, ‘Ali bin Hassan bin Hebat-Allah (D: 571 AH), *Tārīkh Dimashq*, edited by: ‘Amar bin Gharāmah al-‘Umarī, Beirut, Dar al-Fikar Li al-Tibā‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzī‘i, 1995 CE.
9. Al-Marwazi, Mohammad bin Naṣr bin Hajjāj (D: 294 AH), *Ta‘zīm Qadr al-Ṣalāh*, Investigation: Abdul Rahman bin Abdul Jabbar al-Pareiwāi 1406 AH.
10. Ibn Abdul Barr, Yusuf bin Abdullah bin Muhammad bin Abdul Barr bin ‘Āṣim al-Nimri al-Qurtubi (D: 463 AH) *Al-Tamhīd Limā Fi al-*

based in the Islamic evidences and the statements of the Imam's of Sunnah from the predecessors of this Ummah regarding the oppression of the rulers. I ended the research with the most important conclusions that I reached. From them:

1)It is obligatory to obey the rulers as long as they do not order with sins.

2) It is forbidden to revolt against the oppressive rulers, as long as they have not made clear unbelief that we have proofs for. We also need another important condition and that is having the capability of removing them, otherwise we have to have patience with their oppression.

3)There is not any correct proof that permits revolting against the oppressive rulers as long as they are Muslims.

4)The scholars have consensus that it is unpermitted to revolt against the oppressive rulers.

5)Revolting against rulers is from the foundations of the people of desires like: Khawarij and Mu'tazilah.

6)Four principles for the Muslim regarding the oppression of the Muslim rulers, and they are: having patience with their oppression, not revolting against them, obeying them in that which is not disobedience to Allah, giving them advice and supplicating for them to be righteous.

I mentioned the index for references and the index for the subjects after the ending.

May Allah exalt our prophet, his family, companions and those who followed his path.

The Sharia Stance Regarding the Oppression of the Muslim Rulers

Prepared by: *Dr. Musa'id bin Majyol bin Salih al-Matrafi*

*Saudi academic, Associate Professor in the
King Abdulaziz University*

mosaed95@hotmail.com

Abstract

In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful.

All praise is due to Allah, and may Allah exalt and send blessings to the messenger of Allah.

To proceed, the title of this research is: "The Sharia Stance Regarding the Oppression of the Muslim Rulers". I divided the research into five chapters and an ending and I mentioned some definitions pertaining the research, like the meaning of oppression as well as I explained the meaning of (rulers) in the research. I mentioned the ruling of obeying the leaders as long as it is not disobedience to Allah, as well as the ruling of revolting against them if they are oppressive in accordance to the evidences from the two revelations and the sayings of the scholars from the *Salaf*. I mentioned the doubts by those who say that revolutions are allowed against the oppressive rulers like Khawarij, Mu'tazilah and those who have the same ideology. I refuted them after mentioning their stances in accordance to what is appropriate for the research. I also mentioned the correct position of a Muslim in regards to the oppressive rulers. That was explained through four principles

- Muqāranah Fi al-Diyānāt al-Samāwiyyah al-Thalāth al-Yahūdiyyah wa al-Naṣrāniyyah wa al-Islam*, Ph.D., Umm Al-Qura University, (n.d.).
111. Al-Haitamī, Ibn Hajar, *Al-Manāhil al-‘Adhbah Fi Iṣlāḥ Ma Wahā Min al-Ka‘bah*, Investigation: Dr. Abdul Raouf bin Mohammed al-Kamāli, Dār al-Bashā’ir al-Islamiyyah, second edition, 1426 AH.
112. Al-Hulaimī, *Al-Miinhāj Fi Shu‘ab al-Imān*, Investigated by: Helmi Mohamed Fouda, Dār Al-Fikar, 1st edition, 1399 AH.
113. Al-Sa‘īd, Abu Muhammad Khamis Muhammad Abdullah, *Mawāqif Halafa Fiha al-Nabī (pbuh)*, Bait al-Afkār al-Dawliyyah, Beirut, first edition, 1418 AH.
114. Al-Kasanzān, Mohammed bin Sheikh Abdul Karim al-Husseini, *Mawsū‘ah al-Kasanzān Fima Iṣṭalaḥa ‘Alaih Ahl al-Taṣawuf wa al-‘Irfān*, Dār Ayah, (n.d.).
115. Al-Beqā‘ī, *Naẓm al-Dorar Fi Tanāsub al-Āyī wa al-Suwar*, Dār al-Kitāb al-Islamī, Cairo, (n.d.).
116. Al-Māwardī, Abu al-Hasan, *Al-Nukat wa al-‘Uūn= Tafsīr al-Māwardī*, Investigation: Al-Sayyid bin Abdul Maqṣūd bin Abdul Rahīm, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Mu‘ssasat al-Kutub al-Thaqāfiyyah, (n.d.).
117. Ibn al-Atheer, Majd al-Din al-Mubarak bin Muhammad, *Al-Nihāyah Fi Gharīb al-Hadīth wa al-Athar*, Investigation: Taher Ahmad al-Zāwi, and others, Dār al-Fikar, Beirut, (n.d.).
118. Al-Maqdisi, Abu Shāmah, *Noor al-Masra Fi Tafsīr Āyat al-Irā’*, Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Makkah, (n.d.).



- an another version investigated by: Sho'aib Arnaout and others, Mu'assasat Al-Resalah, Beirut, second edition, 1420 AH.
98. Al-Şan'āni, Abdul Razzaq, *Muṣannaḡ Abdul Razzaq*, Investigation: Habib al-Rahman al-'Adhamī, Al-Maktab al-Islamī, Beirut, second edition, 1403 AH.
99. Al-'Ashqalani, Ibn Hajar, *Al-Maṭālib al-'Āliyah Bi Zawā'id al-Masānīd al-Thamāniyah*, Investigation: A group of researchers in 17 university thesis, Dar al-'Āṣimah for Publishing and Distribution, Dar Al-Ghaith for Publishing and Distribution, 1st edition, 1420 AH.
100. Hakami, Hafiz bin Ahmed, *Ma'ārij al-Qabūl Bi Sharḥ Sullam al-Wuṣūl Ilā 'Ilm al-Uṣūl*, Investigation: Omar bin Mahmoud Abu 'Omar, Dār Ibn al-Qayyim, Saudi Arabia, Dammam, second edition, 1413 AH.
101. Al-'Aqeel, Muhammad Abdul-Wahab, *Mu'taqad Firaq al-Muslimīn wa al-Yahūd wa al-Naṣārā wa al-Falāsifah wa al-Wathaniyyīn Fi al-Malā'ikah al-Muqarrabīn*, Adhwā' al-Salaf, 1433 AH.
102. Dr. Mahmoud Abdel Razzak, *Al-Mu'jam al-Sūfī*, PhD Thesis from the Faculty of Dar al-'Uloom, Cairo University, (n.d.).
103. Al-Ṭabarānī, Suleiman bin Ahmed, *Al-Mu'jam al-Kabīr*, Investigation: Hamdi Salafi, Ministry of Awqaf and Religious Affairs in Iraq, second edition, (n.d.).
104. *Al-Mu'jam al-Wasīṭ*, A group of authors consisting of Ibrahim Mustafa and others, by: the Arabic Language Academy, Al-Maktabat al-Islamiyyah, (n.d.).
105. Al-Qushairi, Abu al-Qasim, *Al-Maraj*, Investigation: Prof. Dr. Qasim Al-Samurrā'i, Al-Warraḡ Publishing, First Edition, 2016 CE.
106. Al-Rāzi, Fakhruddin, *Mafatīḥ al-Ghaib Aw al-Tafsīr al-Kabīr= Tafsīr al-Rāzi*, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1421 AH- 2000 CE, Edition: First.
107. Asfahāni, al-Rāghib, *Al-Mufradāt Fi Gharīb al-Qur'ān*, Investigation: Şafwān 'Adnān al-Dawūdī, Dār al-Qalam; Al-Dar al-Shamiyyah, Damascus, Beirut, first edition, 1412 AH.
108. Al-Şā'idī, Fahd bin Mohammed, *Al-Malā'ikah al-Kirām Bain Ahl al-Sunnah wa Mukhālifihim*, Master thesis from Umm Al-Qura university, Makkah.
109. Sallām, Nājī Mohammed Dawood Salem, *Al-Malā'ikah wa al-Īmān Fīhim*, Master of Umm Al-Qura University 1402 AH.
110. Madhoun, Mayy Bint Hassan, *Al-Malā'ikah wa al-Jinn Dirāsah*

85. Al-Fayrouzabādī, Muhammad bin Ya‘qub, *Al-Qāms al-Muḥīṭ*, Investigation: Sheikh Yusuf al-Beqā’ī, Mu’ssasat al-Resalah, Beirut, 2nd edition, 1407 AH.
86. Al-Shanqīṭī, Mohammed al-Khadher al-Jakni, *Kawthar al-Ma‘ānī al-Darārī Fi Kashf Khabāyā Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Dar al-Mu'ayyad - Resala Foundation, first edition, 1415.
87. Al-Qushairī, Abdul Karim bin Hawazin bin Abdul Malik, *Latā’if al-Ishārāt= “Tafsīr al-Qushairi”*, Investigation: Abdul Latif Hassan Abdul Rahman, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, second edition, 1428 AH.
88. Al-Saffārānī, Mohammed al-Hanbali, *Lawāmi‘u al-Anwār al-Bahiyyah wa Sawāṭi‘u al-Asrār al-Athariyyah Sharḥ al-Durrah al-Mudhiyyah Fi ‘Aqīdat al-Firqah al-Mardhiyyah*, Al-Maktab al-Islamī, Beirut, third edition, 1411 AH.
89. Al-Sheikh, Nāṣer ‘Ali Hassan, *Mabāḥith al-‘Aqīdah Fi Surat al-Zomor*, Maktabat al-Rushd, First Edition, 1415 AH.
90. Ibn Taimiyyah, *Majmū‘ Fatāwā Sheikh al-Islam Ibn Taimiyyah*, Investigation: Abd al-Rahmān bin Muhammad bin Qāsim, King Fahd Complex for Printing the Holy Quran, Madina, Saudi Arabia, 1416 AH.
91. Al-Uthaimīn, *Majmū‘ Fatāwā wa Rasā’il al-Sheikh Muhammad bin Ṣāliḥ al-Uthaimīn*, Collection and arrangement: Fahad Al-Sulaiman, Dār al-Thuraya, Riyadh, 2nd edition, 1414 AH.
92. Al-Juhani, *Muhādharrāt Fi al-Imā bi al-Malā’ikah*, Prof. Mohammed Abdul Rahman Abu Saif, 1st edition, 1432 AH.
93. Ṭabāṭabāī, Mohammed Hussein, *Al-Makhlqāt al-Khafiyah Fi al-Qur’ān (Al-Malā’ikah wa al-Jinn wa al-Shayāṭīn)*, Dār al-Safwah, 1415 AH.
94. Ṣāliḥī, Mohammed bin Ali Ibn Tolūn al-Dimashqī, *Murshid al-Muḥtār Ilā Khaṣā’iṣ al-Mukhtār*, Investigation and Takhrīj: Ahmed Farid al-Mazidi, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, 2007 CE.
95. Al-‘Awfī, Abdul Majīd bin Ibrahim bin Mowayis bin Hilleyil, *Al-Masā’il al-‘Aqadiyyah al-Mu‘alliqah Bi al-Ta‘zīm*, PhD thesis of the Islamic University- Madinah, (n.d.).
96. Al-Sindhī, Dr. Ṣāleḥ, *Al-Masā’il al-‘Aqadiyyah al-Mu‘alliqah Bi al-Ḥasanāt wa al-Sayyi’āt, Jam‘ wa Dirāsah*, Dār al-Lu’lu’ah, First Edition 1435 AH.
97. Ibn Hanbal, *Musnad al-Imām Ahmad*, Investigation and explanation: Ahmed Shaker, Dār al-Ma‘ārif, Egypt, fourth edition 1373 AH, and

73. Al-Nisaburi, Muslim ibn al-Hajjaj, *Sahih Muslim, Al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar Bi Naql al-'Adl 'An al-'Adl Ilā Rasūl-Allah*. Investigation: Muhammad Fouad Abdul Baqi, Islamic Library, Istanbul, without edition number and date.
74. Al-Ghunaiman, Ahmad, *'Ālam al-Ghaib Fi al-Shari'ah al-Islamiyyah*, Deanship of Scientific Research, Islamic University, Madinah, First Edition, 1425 AH.
75. Al-Ashqar, Omar, *'Ālam al-Malā'ikah al-Abtār* (The World of Righteous Angels), Maktabat al-Falah, Third Edition, 1403 AH.
76. Al-Dhababī, Al-'Arsh, Investigation: Mohammed bin Khalifa bin Ali al-Tamimi, Deanship of Scientific Research, Islamic University, Madinah, second edition, 1424 AH.
77. Al-Aṣbahāni, Abdullah bin Mohammed bin Ja'afar bin Hayyan, *Al-'Azamah*, (The Greatness of Allah), Investigation: Reza- Allah bin Mohammed Idris al-Mubarakpouri, Dar al-'Āṣimah, Riyadh, 1408 AH, first edition.
78. Al-Drewish, Mohammed, *'Aqīdat al-Īmān Bi al-Malā'ikah wa Adillatuha* (The Doctrine of the Faith in the Angels and It's Evidence), Master Thesis at the University of Imam 1403 AH.
79. Al-'Aaini, Abu Mohammed Mahmoud bin Ahmed, *'Umdat al-Qārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukharī*, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, Beirut, (n.d.).
80. Siām, Aisha, *Al-'Awālim al-Thalāthah; al-Malā'ikah, wa Al-Jinn wa al-Nās, Dirāsah Muqāranah* (The Three Worlds of Angels, Jinn and Humans, A Comparative Study), MA, College of Education, Makkah, 1411 AH.
81. Ibn 'Uthaimīn, *Fatawa Ibn' Uthaimīn*, compiled and arranged by: Fahd bin Nāṣer bin Ibrahim al-Sulaiman, Dār al-Watan, the last edition, 1413 AH.
82. *Fatwas of the Standing Committee for Scientific Research and Issuing Fatwas*, Compiled and Arranged by: Mohammed bin Abdul Rahman bin Abdul Razzaq al-Duwaish, Head of the Department of Scientific Research and Issuing Fatwas, Saudi Arabia, Riyadh, Third Edition, 1419 AH.
83. Ibn Ḥajar, *Fatḥ al-Bārī Bi Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Edited by: Sheikh 'Abdul 'Azīz bin Bāz, Punctuated by: Mohammad Fu'ād Abd al-Bāqī, Cairo, Al-Maṭba'ah al-Salafiyyah, 1380 AH.
84. Ibn Arabī al-Ṭā'ī, *Al-Futūḥāt al-Makkiyyah*, Investigation: dr. Othman Yehyā, Ministry of Culture and Information, Egypt, 1492 AH.

59. Ibn Majah, Muhammad bin Yazid al-Qazwini, *Sunan Ibn Majah*, Investigation: Mohammad Fu'ād Abdel-Baqi, Publisher: Dār al-Ḥadīth, Cairo, (n.d.).
60. Al-Sijistānī, Suleiman bin Ash'ath, *Sunan Abu Dawūd*, Edited by: Dr. Izzat Da'ās & others, Dār al-Haddi, Beirut, first edition, 1394 AH.
61. Al-Tirmidhī, Mohammad bin 'Īsā. *Sunan al-Tirmidhī*. Investigation: Ahmad Shākir. Beirut, Dār al-Fikar, 1408 AH.
62. Al-Dhahabī, Al-Sirah al-Nabawiyah, (without details of publication, ediyion number, place and year).
63. Al-Baijūrī, Sharḥ al-Burdah, Maktabat wa Maṭb'ah Mustafa al-Bābī Al-Halabi, fourth edition, 1951 CE.
64. Ibn Abī al-'Izz, al-Hanafi, *Sharḥ al-Taḥawiyah*, Investigation and review: A group of scholars, Takhrīj:al-Albanī, Al-Maktab al-Islamī, ninth edition 1408 AH.
65. Al-Othaimen, *Sharḥ al-Uṣūl al-Thalāthah*, Investigation: Fahad bin Naṣer bin Ibrahim al-Sulaiman, Thuraya Publishing House, Riyadh, first edition, 1420 AH.
66. Al-Ājurri, Muhammad ibn al-Hussein Abu Bakr, *Al-Shariah*, Investigation: Dr. Abdullah bin Omar bin Suleiman al-Dumaiji, Dar al-Watan, 1418 AH.
67. Al-Baihaqī, *Shu'ab al-Īmān*, Investigation: Mohammad Sa'īd Bassiouni Zaghoul, Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1410 AH.
68. Al-Gharbawi, Ḥassan Ḥumeid Obeid, *Al-Shu'ūbiyah wa Dawruha al-Takhrībī Fi Majal al-'Aqīdah al-īslamiyah*, Publication of the House of Public Cultural Affairs, Baghdad 1991 CE.
69. Al-Hanbali, Muhammad ibn Ahmad ibn Abd al-Hādī, *Al-Ṣārim al-Munki Fi al-Radd 'Alā al-Subkī*, Text verified by: Aqeel ibn Muhammad ibn Zayd al-Maqtari al-Yamani, Al-Rayyan Foundation, Beirut, first edition, 1424 AH.
70. Al-Bukharī, Muhammad Ismā'īl, Ṣaḥīḥ al-Bukharī= *Al-Jāmi' al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar Min Umūr Rasūl Allah wa Sunanihi wa Ayyāmihi*, Al-Maktabah al-'Aṣriyyah, Ṣaida Beirut, second edition, 1418 AH.
71. Al-Albānī, *Sahih Sunan Ibn Majah and Dha'īf Sunan Ibn Majah*, Maktabat al-Ma'āref, 1st edition, 1417 AH.
72. Albani, *Sahih Sunan Tirmidhi and Dha'īf Sunan Tirmidhi*, Knowledge Library Maktabat al-Ma'āref, first edition, 1419 AH.

- wa Tajāwuzāt al-I'jāziyyīn ta sha'nihimā*, Issued by the Intellectual Forum for Creativity, 2008 CE.
45. Ṣalihi, Mohammed bin Yusuf, *Khulaṣat al-Fadhl al-Fā'iq Fi MI'rāj Kair al-Khalā'iq*, Dār Ibn Hazm, (n.d.).
 46. Al-Suyooti, *Al-Durr al-Manthūr Fi al-Tafsir Bi al-Ma'tūr*, Dar Al-Fikar, Beirut, (n.d.).
 47. Ibn Taymiyyah, *Dar'u Ta'ārudh al-'Aql wa al-Naql*, Investigated by: dr. Mohammed Rashad Salem, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, second edition, 1411 AH.
 48. Al-Shanqīti, Muhammad al-Amin ibn Muhammad al-Mukhtar al-Jaknī, *Daf'u Īhām al-Idhṭrāb 'An Āyāt al-Kitāb*, Ibn Taymiyyah Library - Cairo, first edition, 1417 AH.
 49. Al-Baihaqi, Ahmad al-Hussein, *Dalā'il al-Nubuwwah wa Ma'rifat Aḥwāl Ṣāḥib al-Sharī'ah*, Investigated by: Abdul Mu'tī Kal'ajī, Dār al-Qalam, Beirut, first edition, 1405 AH.
 50. Al-Suyooti, *Al-Dībāj 'Alā Ṣaḥeeh Muslim bin Ḥajjāj*, Dār Ibn Affan, Khobar, 1416 AH.
 51. Ibn Taymiyyah, *Al-Radd 'Alā al-Manṭiyyīn*, Idārah Turjuman al-Sunnah, Pakistan, second edition, 1393 AH.
 52. Al-San'ānī, *Raf'u al-Astār Li Ibṭāl Adillat al-Qā'līn Bi Fanā'i al-Nār*, Investigation: Al-albānī, Al-Maktab al-Islamī, Beirut, first edition, 1405 AH.
 53. Al-Khalwī, Isma'īl Hakkī bin Mustafa Al-Hanafī, *Rūḥ al-Bayān= Tafsīr al-Brosawi*, Dār al-Fikar, Beirut, (n.d.).
 54. Suhaili, Abdul Rahman, *Al-Rawdh al-Unuf Fi Sharḥ al-Sīrah al-Nabawiyyah Li Ibn Hisham*, Text verification: Omar Abdel Salam al-Salami, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, Beirut, first edition, 1421 AH.
 55. Ibn al-Jawzi, *Zad al-Masir Fi 'Ilm al-Tafsir*, Al-Maktab al-Islamī, Beirut Lebanon, first edition, 1384 AH.
 56. Al-Sharbini, al-Khaṭīb, *Al-Seraj al-Mounir Fal'ānat 'Alā Ma'rifat Ba'dh Ma'ānī Kalām Rabbinā al-Hakīm al-Khabīr*, Bulaq Press (Al-Amireyah), Cairo, 1285 AH.
 57. Abdullah, Ahmad, *Al-Sarraj Al-Wahaj Fi Ma'rifat Ḥaqā'iq al-Mi'rāj*, from the beginning of the manuscript to the end of the second chapter, Study and investigation, Master Thesis, College of Islamic Sciences at the Iraqī University, (n.d.).
 58. Al-Albānī, Mohammad Nāṣir al-Dīn, *Silsilat al-Aḥādīth al-Ṣaḥīḥah wa Shai' Min Fiqhihā wa Fawā'idihā*, Riyāḍ, Al-Maktab al-Islamī, Beirut, 4th edition, 1405 AH

- Cairo, first edition, 1998 CE.
33. Al-Tasturī, Sahl bin Abdullah, *Tafsir al-Tasturī= Tafseer al-Quran al-‘Aẓīm*, Edited by: Taha Abdel Raouf Sa‘ad; Sa‘ad Hassan Mohamed Ali, First Edition, 2004 CE.
 34. Al-Balkhī, Abu al-Hasan Muqātil bin Suleiman bin Bashir Al-Azdi by loyalty, *Tafseer Muqātil bin Suleiman*, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Lebanon, Beirut, 1424 AH- 2003 CE, first edition, Investigation: Ahmed Farid.
 35. Ibn Taymiyyah, Al-Tafdhīl Bain al-Malā’ikah wa al-Nās (the preference between angels and people), within the collection of fatwas= Majmū‘ al-Fatāwā, (n.d.).
 36. Ibn Abdul Barr, *Al-Tamhīd Limā Fi al-Muwaḥḥa Min al-Ma‘ānī wa al-Asānīd*, Investigation: Mustafa bin Ahmed Al-‘Alawī; Mohamed Abd al-Kabir al-Bakrī, Ministry of General Endowments and Islamic Affairs, Morocco, (n.d.).
 37. Dr. Afaf bint Hassan Mukhtar, *Tanāqudh Ahl al-Ahwā’i wa al-Bida’ Fi al-‘Aqīdah* (Contradiction of the people of Desires and Heresies in the Faith), Maktabat al-Rushd, Riyadh, first edition, 1421 AH.
 38. Al-Suyuti, *Tanwīr al-Halak Fi Jawāz Ru’yat al-Nabi wa al-Malak*, Dār Jawāmi‘ al-Kalim Cairo, (n.d.).
 39. Al-Sa‘adi, Abdul Rahman bin Nāṣer, *Taisir al-Latīf al-Mannan Fi Khulāṣat Tafīr al-Koran*, the Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance, Saudi Arabia, 1st edition, 1422 AH.
 40. Al-Ḥanbali, Abu al-Faraj, Ibn Rajab, *Jami‘u al-Ulūm wa al-Ḥlikam*, Text verified by: Shu‘aib Arnaout and Ibrahim Baljis, Mu’assasat al-Resalah, seventh Edition, 1423 AH.
 41. Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Taymiyyah, *Al-Jawāb al-Sahīh Liman Baddala Dīn al-Masīh*, Investgated by: dr. Abdulaziz bin Ibrahim al-‘Askar and others, Dār al-‘Āṣimah, Riyadh, first edition, 1414 AH.
 42. Tha‘ālibī, Abdul Rahman bin Mohammed bin Makhlof Abu Zaid, *Al-Jawāhir al-Ḥisān Fi Tafsīr al-Koran = Tafsīr al- Tha‘ālibī*, Investigation: Ali Mo‘awadh; Adel Abdul Mawjood, Dār Iḥyā’ al-Torāth al-‘Arabī, first edition, 1415 AH.
 43. Al-Suyooṭī, *Al-Ḥabā’ik Fi Akhbār al-Malā’ik*, Investigation: Abu Hājar Mohammed Sa‘īd bin Basyouni Zaghoul, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1405 AH.
 44. Kazabir, Izz al-Din, *Ḥawl al-Bait al-Ma‘mūr wa ‘Arsh al-Rahman*

- Mashāhid wa Atharuhu Fi al-Ummān al-Islamiyyah*, Master Thesis, Umm Al-Qura University, (n.d.).
21. Al-Marwazi, Mohammed bin Naṣr, *Ta'zīm Qadr Al-Ṣalāh*, Investigation: Abdul Rahman bin Abdul Jabbar al-Preiwai 1406 AH.
 22. Ibn Katheer, Isma'il ibn Katheer al-Qurashi, *Tafseer Ibn Katheer= Tafseer al-Quran al-'Aẓīm*, Dar al-Khair, Beirut, 1st edition, 1410 AH.
 23. Al-Alusi, Sayyid Mahmud al-Baghdadi, *Tafseer al-Alusi = Rūḥ al-Ma'ānī Fī Tafseer al-Quran al-'Aẓīm wa al-Sab'i al-Mathānī*, Dār Iḥyā' al-Turath al-Arabi, Beirut, 4th edition, 1405 AH.
 24. Al-Baghawī, Abu Muhammad Al-Hussein bin Mas'ūd, *Tafseer al-Baghawī= M'ālim al-Tanzīl*, Investigatigaed by: Khalid al-'Akk & Marwan Siwar, Dar al-Maarifah, fourth edition, 1415 AH.
 25. Al-Sam'ānī, Mansour bin Muhammad Abu al-Mudhafar, *Tafsir al-Sam'ānī*, Edited by: Yasser bin Ibrahim Abu Timim; Ghneim bin Abbas Abu Bilal, Al-Watan Publishing House, first edition, 1418 AH.
 26. Al-Ṭabari, Mohammed bin Jarir bin Yazid bin Khalid Abu Ja'far, *Tafsir Tabari = Jāmi' al-Bayān 'An Ta'wīl Āyi al-Qurān*, Dar al-Fikar, Beirut, 1405 AH.
 27. Al-Othaimen, Mohammed bin Ṣaleh bin Mohammed, *Tafsir Othaimen: Al-Ḥujrāt-Al-Ḥadīd*, Dar al-Thurayya for Publishing and Distribution, Riyadh, first edition, 1425 AH.
 28. Al-Qasimi, Jamal al-Din, *Tafsir al-Qasimi= Maḥāsīn al-Ta'wīl*, Investigation: Mohammed Fouad Abdul Baqi, Issa al-Babi al-Halabi, Egypt, (n.d.).
 29. Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad ibn Abubakr, *Tafsir al-Qurtubi= Al-Jāmi' Li Aḥkām al-Qurān*, Text verification: Ahmed Bardouni and Ibrahim Atfish, Sār al-Kutub al-Miṣriyyah- Cairo, second edition, 1384 AH.
 30. Al-Reza, Mohammad Rashid, *Tafsir al-Manar = Tafsir al-Quran al-Hakim*, al-Manar printing, first edition, 1353 AH.
 31. Al-Sulami, Abdul Aziz Ṣaleh al-Obaid, *Al- Tafsir al-Mawdhū'ī Li Āyāt al-Malā'ikah Fi al-Qurān al-Karīm* (The objective interpretation of the verses of the angels in the Koran), PhD thesis at the Islamic University- Department of Tafsir, (n.d.).
 32. Ṭanṭāwī, Mohamed Sayyed, *Al-Tafsir al-Wasīṭ Li al-Qur'an al-Karīm*, Dar Nahdhat Miṣr for printing, publishing and distribution,

6. Al-Qarmoushi, Omar bin Şaleh, *Al-Isra wa al-Mi'raj wa Masā'il al-'Aqīdah Fīhimā*, Master Thesis, Umm Al-Qura University, Refa'at Fawzi Abdulmutṭalib, *Hadiths of Isra and Mi'raj- Documentary Study*, Al-Khanji Library, (n.d.).
7. Abu Shahba, Mohammed, *Al-Isra wa al-Mi'raj*, Dār al-Ṭibā'ah al-Muhammadiyah, 1964 CE.
8. Elite Scholars, *Uṣūl al-Imān Fī Dhaw'i al-Kitāb wa al-Sunnah*, Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance, King Fahd Complex for Printing the Holy Quran, General Secretariat, Scientific Affairs, 2004 CE.
9. Al-Hakami, Hafiz, *A'lām al-Sunnah al-Manshūrah*, one of the publications of the House of Fatwa, Saudi Arabia, 1399 AH.
10. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, *Ighātha-t al-Lahfān Fī Maṣāyid al-Shaiṭān*. Edited by: Muhammad Ḥamid Feqī, Maktabat al-Riyadh al-Ḥadithah, (n.d.).
11. Ibn Taymiyyah, Ahamd bin Abd al-Ḥalīm, *Iqtiḍā' al-Şirāt al-Mutaqīm Li Mukhālafat Āṣhāb al-Jahīm*, Investigation: Dr. Nāşir bin Abd al-Karīm al-'Aql, Riyadh, Maktabat al-Rushd, second edition, 1411 AH.
12. Khoja, Luṭfu Allah, *Al-Insān al-Kāmil Fi al-Fikr al-Şufī 'Ardh wa Naqd*, Dar al-Fadila, 2009 CE.
13. Al-Baidhāwi, Abdullah bin Omar bin Mohammed al-Shirazi, *Anwār al-Tanzīl wa Asrār al-Ta'wīl "Tafsir al-Baidhāwi"*, Mustafa Al-Babi Printing Press, Egypt, second edition, 1388 AH.
14. Al-Suyuṭi, *Al-Āyat al-Kubrā Sharḥ Qiṣṣat al-Isrā'*, Al-Tarqi Press, Damascus, 1350 AH.
15. Al-Fawzan, Şaleh ibn Fawzan, *Al-Īmān bi al-Malā'ikah wa Atharuhu Fi Ḥayāt al-Ummah*, printed within the collection of his lectures, (n.d.).
16. Ibn Kathīr, Abul Fida Isma'īl bin Kathir, *Al-Bidaya Wa al-Nihaya*, Maktabat al-Ma'ārif, Beirut, 1st edition.
17. Ibn Taymiyyah, *Bughyat al-Murtād Fi al-Radd 'Alā al-Mutafalsifah wa al-Qaramiṭah*, investigation: dr. Mūsā al-Duwaish, Maktabat al-'Ulūm wa al-Ḥikam, third edition, 1415 AH.
18. Ibn al-Qayyim, *Al-Tibyān Fi Aimān al-Qurān*, the Islamic Fiqh Academy in Jeddah, 1429 AH.
19. Al-Tūny, Hussein bin Shujaa, *Al-Tibyān Fi Bayān al-Qurān*, manuscript, King Fahd National Library, (n.d.).
20. Al-Juffair, Abdul Aziz bin Abdullah, *Ta'zīm al-Āthar wa al-*

The second section: Issues pertaining to the Frequented House that are related to the angels.

The third section: Issues pertaining to the Frequented House that are related to the prophets.

The fourth section: Issues pertaining to the Frequented House that are related to the believers.

The fifth section: Issues pertaining to the Frequented House that are related to the objectors.

The sixth section: Various issues that are related to the Frequented House.

The conclusion of this research: It includes the most important results.

I pray to Allah to make my research beneficial and that I make it sincere for His sake.

Index of Sources and References

1. Al-Gheiṭī, Abu al-Mawaheb Najm al-Dīn Muhammad Ahmad, *Al-Ibteḥāj Bi al-Kalām 'Alā al-Irā' wa al-Mi'rāj*, Text verification: Refa'at Fawzi Abdulmuṭṭalib, Al-Khanji Library, 1st edition, 1417 AH.
2. Abu Ya'lā, al-Qādhī, *Ibtāl al-Ta'wīlāt Li Akhbār al-Ṣifāt*, Text verification: Mohammed bin Hamad al-Hamoud al-Najdi, Dār Elaf International – Kuwait, (n.d.).
3. Refa'at Fawzi Abdulmuṭṭalib, *Hadiths of Isra and Mi'raj- Documentary Study*, Al-Khanji Library, (n.d.).
4. Al-Maqdisi, Al-Diyā', *Aḥadith Mukhtārah*, Investigation: Abdul Malik bin Abdullah bin Duhaish, Dār Khader for Printing and Publishing, Beirut, 1421 AH.
5. Al-Azraqī, Mohammed bin Abdullah, *Akhbār Makkah wa Mā Jā'a Fīhā Min al-Āthār*, Investigation: Abdul Malik bin Abdullah bin Duhaish, 2009 CE.



Issues of Creed Related to the Frequented House

Prepared by: *Dr. Ahmed bin Ali Al-Zamli Asiri*

Saudi Academic, Assistant Professor at the Department of Creed and Modern Ideologies, in the Faculty of Shari'ah, at King Khalid University in Abha

alzamli@kku.edu.sa

Abstract

All praise is due to Allah, May Allah exalt and send blessings upon the Messenger of Allah.

The belief in the Frequented House is obligatory in accordance with the holy texts and it's also obligatory to believe in the related creedal issues, which the human mind cannot perceive on its own. The study of this subject is of the utmost importance since Allah has sworn by it in the Holy Quran, and the Prophet has mentioned it in the Hadith.

The nature of this research necessitated it to be divided into an introduction, a preface, five chapters, a conclusion, and general indexes.

The introduction: It includes the importance of this subject, the research plan and methodology.

The preface: It includes the linguistic and Sharia definitions of the Frequented House.

The first section: Issues pertaining to the Frequented House that are related to the belief in the Unseen.

- Edition: First, 1410 AH-1990 CE.
56. Al-Baghwi, al-Hussein bin Mas'ūd, Ma'ālim al-Tanzīl Fi Tafsir al-Qur'an, Dar Taibah Li al-Nashr wa al-Tawzī'i, Fourth Edition, 1417 AH- 1997 CE.
 57. Al-Tamimī, Mohammad bin Khalifah, *Mu'taqad Ahl al-Sunnah wa al-Jamā'ah Fi Tawḥīd al-Asmā' wa al-Ṣifāt*, Adhwā' al-Salaf, Riyadh, Saudi Arabia, edition: the first 1419 AH- 1999 CE.
 58. Ibn Faris, Ahmed bin Faris bin Zakaria al-Qazwini al-Razi, Abu Hussein (deceased: 395 AH), Mu'jam Maqāyīs al-Lughah, Dar al-Fikar, 1399 AH-1979 CE.
 59. Al-Thawāwī, Muhammad bin Ali bin al-Qadhi Muhammad Hāmed al-Hanafī, *Mawsū'ah Kashāf Iṣṭilāḥāt al-Funūn wa al-'Uloom*, Maktabat Lebanon Nāshiroon, Beirut, First Edition, 1996 CE.
 60. Al-Shawkānī, Mohammed bin Ali bin Mohammed bin Abdullah, *Nail al-Awṭār*, Dār al-Hadith, Egypt, 1st edition, 1413 AH- 1993 CE.



- wa Ṭabaqāt al-Aṣfiyā'*, Dar al-Fikar, 1394 AH.
41. Al-Qazwini, Ibn Majah Abu Abdullah Mohammed, *Sunan Ibn Majah*, Dar Al-Fikar, Dar al-Resala al-Ālamiyyah, first edition: 1430 AH- 2009 CE.
 42. Ibn Baṭṭāl, Abu al-Hasan Ali bin Khalaf, *Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhari*, Maktabat al-Rushd, 2nd edition, 1423 AH.
 43. Al-Othaimeen, Mohammed bin Saleh bin Mohammed, *Sharḥ al-Aqīdah al-Wasiṭiyyah*, Dar Ibn al-Jawzi for publication and distribution, Saudi Arabia, edition: the sixth, 1421 AH.
 44. Al-Baihaqī, Ahmad bin Hussein Abu Bakr, *Shu'ab al-Īmān*, Maktabat al-Rushd, Edition: First, 1423 AH.
 45. Al-Nisāpūri, Muhammad bin Ishāq bin Khuzaimah, *Ṣaḥīḥ Ibn Khuzaimah*, Al-Maktab al-Islamī, Beirut.
 46. Al-Malkāwī, Mohammed Ahmed Mohamed Abdel Kader Khalil, 'Aqīdat al-Tawheed Fi al-Quran al-Kareem, Maktabat Dār al-Zamān, First Printing, 1405 AH-1985 CE.
 47. Al-'Asqalānī, Ahmed bin Ali bin Hajar, *Fath al-Bari Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhari*, Dār al-Ma'rifah, 1379 AH.
 48. Ibn Rajab, Zein al-Din Abu al-Faraj Abdul Rahman al-Baghdadi, *Fath al-Bari*, Dar Ibn al-Jawzi, second edition, 1422 AH.
 49. Al-Shawkānī, Mohammed bin Ali, *Fatḥ al-Qadeer al-Jāmi' Bain Fannai al-Riwāyah wa al-Dirāyah Min 'Ilm al-Tafīr*, Dār al-Fikar.
 50. Jawdah, Hassanein Jawdah; Abu 'Iyānah, Fathī Mohamad, *Qawā'id al-Gughraphiya al-Āmmah al-Ṭabī'iyyah wa al-Bashariyyah*, University Knowledge House.
 51. Ibn Manẓoor, Mohammad bin Mukarram bin 'Alī, Abu al-Fadl, Jamal al-Din, *Lesān al-'Arab*, Dar Ṣāder, third edition: 1414 AH.
 52. Ibn Faris, Ahmad bin Faris bin Zakaria al-Qazwini al-Razi, *Mujmal al-Lughah* Mu'assasat Al-Resalah, Beirut, Edition: Second, 1406 AH-1986 CE.
 53. Ibn Taymiyyah, Taqī al-Din Abu al-'Abbas Ahmad bin 'Abd al-Halim ibn' Abd al-Salam, *Majmū' al-Fatāwa*, Dār al-Wafa, Third Edition, 1426 AH- 2005 CE.
 54. Al-Razi, Zainuddin Abu Abdullah Mohammed bin Abu Bakr bin Abdul Qāder al-Hanafī, *Mukhtār al-Ṣiḥāḥ*, AL-Maktabat al-'Aṣiyyah; Al-Dār al-Numūzajīyyah, Beirut- Saida, 5th edition, 1420 AH-1999 CE.
 55. Al-Hakami, Hafez bin Ahmed bin Ali, *Ma'ārij al-Qabūl Bi Sharḥ Sullam al-Wuṣūl Ilā 'Ilm al-Uṣūl*, Dar Ibn al-Qayyim, Dammam,

25. Al-Sana'ānī, Abu Bakr Abdul Razzaq bin Hammam, *Al-Muṣannaf*, Al-Majlis al-'Ilmī wa al-Maktab al-'Ilmī, Edition: second, 1403 AH.
26. Ibn Abu Shaibah, Abu Bakr ibn Abi Shaybah, *Al-Muṣannaf*, Dar al-Qiblah- Saudi Arabia, Mu'assasat 'Ulūm al-Qur'ān, Syria, Edition: First: 1427 AH-2006 CE.
27. Ibn Qudāmah, Muwaffaq al-Din Abdullah bin Ahmed bin Qudāmah al-Maqdisi, *Al-Mughnī*, Cairo Library, 1388 AH.
28. Ali, dr. Jawad, *Al-Mufaṣṣal Fi Tarīkh al-'Arab Qabl al-Islam*, Dar Al-Sāqī, Fourth Edition: 1422 AH.
29. *AL-Mawsū'ah al-'Arabiyyah al-'Ālamiyyah*, World Book International.
30. Malik bin Anas al-Madani, *Al-Muwaṭṭa*, Zayed Bin Sultan Al Nahyan Charitable and Humanitarian Foundation, Abu Dhabi, UAE, First Edition, 1425 AH-2004 CE.
31. Al-Nawawi, Yahya ibn Sharaf, *Al-Minhāj Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Hajjaj*, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī, Second Edition, 1392 AH.
32. Al-Zubaidi, Mohammed Muradha Al-Husseini, *Tāj al-'Arūs Min Jawahir al-Qāmūs*, publisher: Dār al-Hedayah.
33. Al-Zajjāj, Ibrahim bin al-Sariyy bin Sahl, Abu Ishāq, *Tafsīr Asmā' Allah al-Ḥusnā*, Dār al-Thaqāfah al-ārabuyyah.
34. Āl Sa'adi, Abdul Rahman bin Naṣer bin Abdullah bin Naṣer bin Hamad, *Tafsīr Asmā' Allah al-Ḥusnā*, Islamic University of Madina, Issue No: 112, 33rd Year, 1421 AH.
35. Ibn Kathīr, Ismail bin Omar bin Kathīr al-Qurashi al-Baṣri al-Dimashqi, *Tafsīr al-Qurān al-'Aẓīm*, Dar Taibah for Publishing and Distribution, Second Edition: 1420 AH-1999 CE.
36. Suleiman bin Abdullah bin Mohammed bin Abdul Wahhab, *Taisīr al-'Aziz al-Hamid Fi Sharḥ Kitāb al-Tawheed Alladhī Huwa Haqqu Allah 'Alā al-'Abeed*, Al-Maktab al-Islamī, Beirut, Damascus, 1st edition, 1423 AH- 2002 CE.
37. Al-Sa'adī, Abdul Rahman bin Nāṣer, Tayseer Karim al-Rahman Fi Tafsīr Kalāma al-Mannan, Mu'assasat al-Resalah, 1st edition, 1420 AH.
38. Al-Ṭabarī, Muhammad bin Jarīr bin. Yazīd. *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl Āyi al-Qurān*, Dār Hajar, first edition, 1422 AH.
39. Al-Ahmad-Nagari, Abd -al-Nabi Bin Abd -al-Rasoul, *Jāmi'u al-Uloom Fi Iṣṭilāḥāt al-Funoon*, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Lebanon, First Edition, 1421 AH-2000 CE.
40. Al-Aṣbahānī, Abu Nu'aim Ahmed bin Abdullah, *Hilyat al-Awliyā'*

8. Ibn Abdul Barr, Yusuf bin Abdullah, *Al-Tamhīd Limā Fi al-Muwatta Mian al-Ma'ānī wa al-Asānīd*, Ministry of General Endowments and Islamic Affairs- Morocco, 1387 AH.
9. Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il al-Ju'fī, *Al-Jāmi'u al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar*, Dār Ibn Kathīr, Third Edition, 1407 AH.
10. Sharaf, Abdul Aziz Turaiḥ, *Al-Gughrāfiā al-Munākhiyyah wa al-Nabātiyyah*, University Knowledge House, Edition: Eleventh.
11. Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayoub Abu al-Qasim, *Al-Du'ā'*, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, First Printing, 1413 AH.
12. Ibn Taymiyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyah, *Al-Zuhud wa al-Wara' wa- 'Ibādah*, Maktabat al-Manar, 1407 AH.
13. Al-Albani, Mohammed Naṣer al-Din, *Al-Silsilah al-Dha'īfah*, Maktabat al-Ma'ārif, Riyadh.
14. Al-Nasa'ī, Ahmad bin Shoaib bin Ali al-Khorāsānī, *Al-Sunan al—Kubra*, Mu'assasat al-Resalah, first edition, 1421 AH.
15. Al-Baihaqi, Ahmad bin al-Husain bin Ali, Abu Bakr, *Al-Sunan al—Kubra*, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, third edition, 1424 AH.
16. Al-Tamimi, Mohammed bin Khalifa bin Ali, *Al-Ṣifāt al-Ilāhiyyah, Ta'rīfuhā Aqsāmuha*, Adhwā'u al-Salaf, first edition, 1422 AH.
17. Al-Aṣbahānī, Abdullah bin Mohammed known as Abu Sheikh, *Al-'Aẓamah*, Dār al-'Āṣimah, first edition, 1408 AH.
18. Al-Farāhīdī, Al-Khalīl bin Ahmad bin Amr bin Tamim Al-Baṣri, *Al-'Ain*, Dār wa Maktabah al-Hilal.
19. Al-Rāzi, Tammām bin Mohammed Abu al-Qasim, *Al-Fawā'id*, Maktabat al-Rushd, 1412 AH, Riyadh.
20. Al-Othaimīn, Mohammad bin Ṣaleh bin Mohammad, *Al-Qawā'id al-uthlā Fi Asmā'i Allah wa Ṣifātihi al-'Ulā*, Islamic University, Madinah, Edition: Third, 1421 AH- 2001 CE.
21. Al-Othaimeen, Mohammed bin Ṣaleh bin Mohammed, *Al-Qawl al-Mufīd 'Alā Kitāb al-Tawheed*, Dār Ibn al-Jawzi, Saudi Arabia, Edition: second, Muharram 1424 AH.
22. Al-Kafawī, Ayoub ibn Musa al-Husseini al-Qurimi, Abu al-Baqā' al-Hanafī *Al-Kulliyāt, Mu'jam Fi al-Muṣṭalaḥāt wa al-Furūq al-Lughawiyyah*, Mu'assasat al-Resalah, Beirut.
23. Al-Ḥākīm, al-Nisaburi, *Al-Mustadrak 'Alā al-Ṣaḥīḥain*, Dar al-M'rifah- Lebanon.
24. Al-Qushairī, Muslim bin al-Ḥajjāj, *Al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar Bi Naql al-'Adl 'An al-'Adl Ilā Rasūl-Allah (pbuh)*, Dār Iḥyā' al-Torāth al-'Arabī.



and high attributes. It also mentioned a couple of the names and attributes because it's not possible to mention them all in this chapter.

The research also included some doubts related with refutations on them.

In the end I advise with the following advises for more researchers to make more benefit:

A study about the denotation of rain to the other issues of creed in accordance to the pillars of faith.

A study about other natural phenomena like the wind, earthquakes and other things and how they denote to the pillars of faith.

Index of Sources and References

1. The Holy Quran.
2. Ibn Hibban, Mohammed bin Hibban, *Al-Ihsān Fi Taqrīb Ṣaḥīḥ ibn Hibban*, Mu'assasat al-Resalah, Edition: second, 1408 AH.
3. Ibn Abdul Barr, Yusuf bin Abdullah bin Abdul Barr al-Nimri al-Qurtubi, *Al-Istidhkār al-Jāmi' Li Madhāhib 'Ulamā'i al-Amṣār wa Fuqahā'I al-Aqtār Fimā Tadhammanahu al-Muwatta' Min Ma'ānī al-Rawa al-Āthār*, Dār Qutaibah, first edition 1414 AH.
4. Al-Shāfi'ī, Imam Abu Abdullah Mohammad bin Idrīs, *Al-'Umm*, Dār al-Fikar, first edition 1400 AH.
5. Āl al-Sheikh, Abdul Latif bin Abdul Rahman, *Al-Barāhīn al-Islamiyyah Fi al-Radd 'Alā al-Shubhah al-Fārisiyyah*, Maktabat al-Hidāyah, First Edition: 1410 AH.
6. Al-Jurjānī, 'Ali bin Mohammed bin Ali al-Zain al-Sharīf, *Al-Ta'rīfāt*, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, First edition, 1403 AH.
7. Ibn Taymiyyah, Taqī al-Din Abu al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam bin Abdullah bin Abu al-Qasim bin Mohammed bin Taymiyah al-Harrani, *Al-Tadmuriyyah, Tahqīq al-Ithbāt Li al-Asmā'I wa al-Ṣifāt wa Ḥaqīqat al-Jam'I Bain al-Shar'I wa al-Qadar*, Maktabat al-Obeikan, Edition: Sixth, 1421 AH-2000 CE.



The Rain's Denotation to Tawheed and Issues Related to it

Prepared by: *Noorah Abdullah Sultan ash-Shihri*

Saudi academic, doctoral student at the King Khalid University and the head of the Islamic awareness department at the education administration in the Namas governorate.

taweah_namas@hotmail.com

Abstract

The research studied the relation between rain and Tawheed with the three categories:

The first chapter mentioned the relation between rain and Tawheed ar-Rubobiyyah and that it's from the universal signs of the lordship of Allah. The chapter also explained the ruling of attributing the rain to others than Allah in accordance to the three categories: attribution of origination, attribution to the reason of raining, and the attribution of the time when it usually rains together with different examples.

The second chapter explained the relation between rain and Tawheed al-Ulohiyyah and which acts of worship that are proscribed before and during rain and what should be done if it's raining a lot or it might be dangerous.

The third chapter includes the relation between rain and Tawheed al-Asma was-Sifat, and that rain is a sign of Allah's beautiful names

Contents

❁ The Rain's Denotation to Tawheed and Issues Related to it	
<i>Noorah Abdullah Sultan ash-Shihri.....</i>	545
❁ Issues of Creed Related to the Frequented House	
<i>Dr. Ahmed bin Ali Al-Zamli Asiri.....</i>	539
❁ <i>The Sharia Stance Regarding the Oppression of the Muslim Rulers</i>	
<i>Dr. Musa'id bin Majyol bin Salih al-Matrafi.....</i>	528
❁ The Methodology of the Great Scholar at-Tartousi regarding Leadership in his book: Siraj al-Muluk, A Creedal Study	
<i>Dr. Abdul-Hadi bin Awad bin Mu'awad al-Amri.....</i>	520
❁ The Claim that Pharaoh is not an Infidel, A Critical Study	
<i>Dr. Badr bin Nasser bin Mohammed Al-Awad.....</i>	510
❁ Revelation according to the Imamate Rafidah, A Critical Study in the Light of Ahl us-Sunnah wal-Jama'ahs Creed	
<i>Dr. Abdurrahman Ali Muhammad Dhuwayb.....</i>	499
❁ Religious Rituals in the Modernist Discourse, An Analytical and Critical Study	
<i>Dr. Nada bint Hamzah bin Abduh Khiyat.....</i>	492

Material published in
the Journal expresses
the opinions of its
author(s).

JOURNAL OF
THEOLOGICAL STUDIES

Editorial Board

Editor in Chief:

Prof. Saleh Mohammed Al-Aqil

Managing Editor:

Dr. Fahad Issa Al-Enezi

Editors:

Prof. Yousef Mohammed Al-Saeed

Prof. Abdullah Eisa Al-Ahmadi

Prof. Bader Muqbil Al-Dhafeeri

Dr. Altafurrahman s/o Sanaullah

Journal Secretary:

Boufeldja Benabbas

G. Header: size 12 font bold

H. Title: size 18 font bold

I. Subtitles: size 16 font bold

- 13. Three copies of the final draft must be submitted: two on separate CDs in addition to one hard copy.*
- 14. The Journal does not guarantee that any manuscript, accepted for publication or not, will be returned to its author.*
- 15. The author shall be given three copies of the issue in which his research is published as well as fifteen offprints.*

Publishing Guidelines:

Material submitted for publication in the Journal must adhere to the following guidelines:

1. *It cannot have been published or submitted for publication elsewhere.*
2. *The material must be exclusively for the Journal.*
3. *It must be original, unique, and contribute to knowledge.*
4. *It must adhere to the standards and methodology of academic research and be written in Arabic.*
5. *The research must be within the scope of the Journal's specialty.*
6. *The material submitted cannot be part of prior published research, or a section of one's thesis or dissertation.*
7. *The manuscript must be typed and submitted on a CD.*
8. *The manuscript should not be more than one hundred (100) pages or less than ten (10). However, the editorial board reserves the right to make exceptions where necessary.*
9. *An abstract not exceeding half a page should precede the article.*
10. *The manuscript should be accompanied by a brief biography of the author, stating his or her occupation, contact information, and most important academic works.*
11. *The author must submit five copies of the manuscript.*
12. *Manuscripts should be submitted using the following format:*
 - A. *Microsoft Word XP or a similar program*
 - B. *Lotus Linotype font*
 - C. *Quranic verses should be written as follows:*

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]
 - D. *Page size: 12 x 20cm*
 - E. *Text: size 16 font*
 - F. *Footnotes: size 12 font*

About the Journal

The Journal of Theological Studies is a refereed academic journal, published by the Saudi Academic Association for the Study of Theology, Religions, Sects & Ideologies, under the supervision of the Islamic University in Madinah. The journal aims to publish research and academic studies as well as authenticated manuscripts, in the fields of theology, religions, sects and ideologies.

An expert board comprising several university professors is responsible for editing the journal and authorizes the studies to be published after the approval of two specialists.

The journal published the first number in Muharram 1430 (January 2009) and issues two numbers periodically every year.

Correspondence

**All correspondence should be
addressed to the managing editor:**

Mobile: +966.55.253.4282

Phone: +966.14.847.1155

Fax: +966.14.847.3076

Email: aqedaamm@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

All rights reserved
for the Journal of
Theological Studies

ISSN: 1658-516X

E-ISSN: 1658-8401



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
Islamic University of Madinah
Faculty of Islamic Preaching and Theology
*Saudi Academic Association
for the Study of
Theology, Religions, Sects & Ideologies*



**JOURNAL OF
THEOLOGICAL STUDIES**

A Refereed Academic Journal

Volume 12 • Number 24

Muharram 1441 - August 2019